اقـــــرار

اقر أنا خالد حمود عبدالله السعدون بأنني قد قمت بإجراء التصويبات التي اوصت بها لجنة المناقشة على جميع النسخ المطلوبة.

خالد حمود عبدالله السعدون

اصادق على ماجاء اعلاه

المشرف: الدكتورمحمدسيدمحمد

قائمة التصويبات

الصفحة	التصويب المطلوب
٧	وضع كلمة " المنصرين" بدل كلمة " المبشرين" ووضع كلمة " التنصيرية" بدل كلمة " التبشيرية ".
٢٧	اعتبار كتابى" غلوب" مصدرين لامرجعين.
٣٠	اعتبار جريدتى" الاوقات " و" العرب" وثائق منشورة.
٤٣- هامش ٢	حذف حرف S الزئد من كلمة Problems
٥٢	الترجيح بين التواريخ المختلفة لهجرة ال شبيب للعراق .
٥٩-هامش ٢	توضع كلمتا" المرجع نفسه" بدل" تاريخ العراق ".
١٠٢	شطب عبارة" هذا ومن جانب آخر" ووضع عبارة " هذا من جانب ومن جانب آخر" بدلها.
٣٤١ سطر ٩	وضع كلمة[العربى] بعد " الفارس".
٣٤٧	شطب كلمة" وليم" ووضع" فلهلم" بدلها.
٣٩٤	الرد على رأى ولسون حول" احتقار الترك للعرب " .
٣٩٦	اضافة جملة تبين أن " لو نغريك" لم يوضح ماهية" الشروط الخيالية "، وانه انفرد وحدة بتلك الرواية .
٤٦٥ -٤٧٢	اعادة صياغة الخاتمة.
٤٨٩	حذف كلمة" الموءلفات" فى العناوين الفرعية لتكرورها".
٤٩٠	، ، ، ، ، ، ، ، ، .

جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية

أوضاع القبلية في ولاية البصرة العثمانية

١٣٢٦ - ١٣٣٧ هـ
١٩٠٨ - ١٩١٨ م

رسالة دكتوراه

إعداد الطالب
خالد حمود السعدون

إشراف الدكتور
محمد سيد محمد

١٤٠٥ هـ

تمت بعون الله التعديلات المطلوبة
وختاماً بالله الموفق
١١/٣/١٤٠٦هـ

جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية

الأوضاع القبلية في ولاية البصرة العثمانية

١٣٢٦ - ١٣٣٧هـ
١٩٠٨ - ١٩١٨م

رسالة دكتوراه

إعداد الطالب
خالد حمود السعدون

إشراف الدكتور
محمد سيد محمد

١٤٠٥هـ


ربنا
عليك
توكلنا وإليك
أنبنا وإليك
المصير

شكر وتقديـــر

يلزمني الواجب بداية أن اسجل عرفاني وامتناني لكلية الشريعة والدراسات الاسلاميه بجامعة أم القرى التي تكرمت بقبول انتمائي اليها ،ومكنتني من اكمال دراستي العليا ضمن صفوفها . وانتقل بعد ذلك الى تقديم اجــزل الشكر واصدق التقدير لأستاذي الفاضل الدكتور محمد سيد محمد ،لما بذلــه من جهد كبير في المتابعة والتوجيه خلال مراحل اعداد البحث المختلفـــة ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

لقد نلت أثناء جمع المادة العلمية مساعدة كبيرة من المسئولين عــن المكتبة المركزية في جامعة أم القرى والمكتبة المركزية في جامعة الملك عبــد العزيز والمكتبة الوطنية في بغداد ومكتبة المتحف العراقي في بغــداد ومكتبة مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة ومكتبة كليـــة الأداب في جامعة الكويت ،فلكل اولئك المسئولين شكري وامتناني .

ولابد من الاشادة هنا بالعون الذي نلته من المشرفين على دور الوثائق البريطانية في Public Record Office, India Office Records ودار الوثائق الامريكية National Archives and Record Service اذ وجدت منهم استجابة سريعة مكنتني من الحصول على كل ما احتجتــه من وثائق لازمة للبحث .

أن العون الصادق الذي بذله الأخ الاستاذ صلاح الدين شيرزاد فــي البحث عن الوثائق العثمانية وتيسير سبيل الوصول اليها اولا ،ثم ترجمتهــا الى العربية مع ماتيسر من المراجع ثانيا ،جدير بأطيب الثناء وأصدق التقدير وجدير بمثل هذا أيضا الأخ المهندس مفضل شكارة لقيامة برسم الخرائــط اللازمة للبحث .

كنت أود ، فى الختام ، لو أتيحت لى فرصة الاشادة باسم كل من ساهم فى اخراج هذا البحث بأى جهد مهما صغر. ولكن ضيق المجال حال دون ذلك ،فلكل اولئك السادة الاكارم الشكر والتقدير.

المقدمة

تعريف بمصادر البحث
وأهم مراجعه

يحتاج الباحث عند اعداد بحثه الى الاعتماد على ماتيسر له من مصادر ومراجع. وهي تختلف بالطبع أختلافا كبيرا من حيث أهميتها المبنيه على أسس عديدة منها : معاصرتها للحدث ، ودقتها ، وحياد كتابها . ويستطيع الباحث نتيجة لتعامله الطويل معها أن يقدر أهمية أى منها لبحثه، فيحدد على ضوء ذلك مقدار ماياخذ منها ومايدع. وفيمايلي أقدم نبذه عن مصادر البحث وأهم مراجعه :

أولا - المصادر :

وقد اعتمد البحث على مجموعة متنوعة منها ، يمكن تقسيمها الى :-

أ - الوثائق :

تحتل الوثائق في بحوث التاريخ الحديث والمعاصر مكانا متميزا ، لدرجة أصبح معها من القواعد العلمية المقررة أن تكون الوثائق أساس أى بحث من تلك البحوث . ولقد وضعت هذه القاعدة نصب عيني منذ أن كان هذا البحث مجرد مشروع ذهني خالص ، فعزمت على توظيف أقصى ماأستطيع الوصول اليه من الوثائق لخدمة البحث المزمع وكانت المظان المتصورة لبغيتي هي الوثائق الحكومية العثمانية، والوثائق الاجنبية التي تحوى ماكتبه الدبلوماسيون الاجانب المعتمدون لدى الدولة العثمانية خلال فترة البحث ، ويحسن تفصيل القول في كل واحدة منهما على حدة.

١ - الوثائق العثمانية :

تعكس هذه الوثائق وجهة نظر الحكومة العثمانية، وهذا هو مكمن أهميتها التي جعلتني أقرر منذ البداية الا أدخر وسعا في محاولة الرجوع اليها ، والبحث في ثناياها عما يعمق البحث ويغنيه . وكنت قد رسمت في خطتي أن تكون المقارنة بين ماتحويه تلك الوثائق وبين مايرد في الوثائق

الاجنبية محور البحث ومداره. ولكن الخطة النظرية شيء والواقع العملي شيء آخر، فقد فوجئت بعقبتين تعرقلان سير لتنفيذ تلك الخطة. اولاهما الصعوبات الموضوعة أمام من يريد الاطلاع على الوثائق العثمانية.

ولم تدفعني تلك الصعوبات الى اليأس، بل راجعت دار محفوظات الباب العالي في استانبول والتي تسمى "باشباقانلق أرشيفي Başbakanlık Arşivi" فاصطدمت هناك بالعقبة الثانية والمتمثلة في أن وثائق الحكومة العثمانية في الفترة الواقعة بعد سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، لا زالت محفوظة في صناديق ورقية، دون تبويب أو فهرسة تمكن الباحث من الرجوع اليها. فاضطررت ازاء ذلك الى الاكتفاء بالاطلاع على ماهو متاح من تلك الوثائق، ووجدت في بعضه مابغيت البحث.

وفي سعيي للوصول الى الوثائق العثمانية قصدت "المركز الوطني لحفظ الوثائق" في بغداد ووقفت في المنشور هناك على مجموعة من اعداد جريدة "الزوراء" الناطقة رسميا باسم ولاية بغداد. تلك الجريدة التي صدرت أيام ولاية مدحت باشا في بغداد ١٢٨٦ - ١٢٨٩هـ/١٨٦٩ - ١٨٧٢م "، وظلت توالي صدورها الى أواخر أيام الدولة العثمانية في العراق، وبالرغم من أن تلك الجريدة كانت تقتصر في أغلب الأحيان على نشر القوانين والقرارات والاوامر الحكومية، الا أنها كانت تنشر في احيان أخرى بعض التعليقات المعبرة عن الرأى الرسمي تجاه بعض الاحداث المهمة التي تقع في العراق ومنها الاحداث القبلية. كما أنها حرصت بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى على نشر بيانات القيادة العسكرية العثمانية عن فعاليات قواتها وقوات المجاهدين في ميادين القتال، وكانت تقوم بالاضافة لذلك بتغطية أخبارية وان كانت محدودة للعمليات الحربية. ولذلك كله فقد استفدت من معلوماتها فائدة كبيرة خدمت البحث في بعض المواضع. ولا يقلل من تلك الفائدة الطابع الاعلامي أو الدعائي الذى ربما يكون

أضفى على اخطرها ، لأن الدعاية فى هذا الموضع تعكس سياسة الحكومة، وكيفية تعاملها مع الرأى العام في ولاياتها ، والأنطباع الذى كانت تريـــد غرسه في اذهان مواطنيها ، وفوق ذلك كله فأن الاخبار تلك حوت بلاشك قدرا من الحقيقة قل أو كثر.

٢ - الوثائق الاجنبية :

تمتاز الوثائق الاجنبية التى يكتبها الدبلوماسيون بالدقة الكبيـــــرة، حتى ليمكن القول انها تنقل عن الأحداث صورة قريبة جدا لما وقع بالفعــــل ان لم تكن مطابقة له تماما. فالدبلوماسي عادة حريص على تقصي الحقائق التي ينقلها لمراجعة العليا، يدفعه لذلك اخلاصه لبلده ورغبته فى أظهار براعته ومهارته أمام رؤسائه ، فهو يتجنب قدر طاقته مواضع الزلل والخطأ التى قد تضعه موضع الحرج . ثم انه وهو يكتب تقاريره يكون واثقـــــــا تماما من سرية مايكتب ، فلايمكن أن نشك في كونه أخفى شيئا من الحقيقـــة بدافع الرهبة أو الرغبة تجاه سلطات الدولة التي يقيم فيها ، او بدافـــع تملق الرأى العام هناك ، وهي المؤثرات التى تحد من حرية الكتاب المحليين عادة .

ولكن ذلك لايجب أن يدفعنا نحو منزلق خطر وهو الايمان المطلق بصحة كل مايجيء في أية وثيقة اجنبية. اذ أن أية وثيقة يمكن تقسيمها مـــن حيث محتواها الى قسمين : اولهما وصف الحدث والثاني التعليقات عليه. ويحسن أن يكون الموقف متمايزا تجاه كل من القسمين ، اذ يمكن في أكثـــر الاحيان الاطمئنان الي صحة محتويات القسم الاول ، مع ضرورة الانتبـــاه لامرين : اولهما أن ميل الدبلوماسي كاتب الوثيقة نحو الحدث رفضا أو قبولا يترك أثره بشكل ما على صياغته لخبره، وثانيهما أن ذلك الدبلوماســـــي لايكون في كثير من الحالات شاهد عيان للاحداث ، وانما ينقل أخبارها مـــن

مصادره التي تختلف في مدى دقتها او صدقها - ولقد صادفت وثائق كتبها دبلوماسي واحد في فترات زمنية مختلفة أعطت معلومات متضاربة عن الحدث نفسه، او وثائق كتبها دبلوماسيون متعددون مقيمون في مناطق مختلفة وصف فيها كل منهم الحدث بصورة مغايرة حسب ماسمعه من مصادره أما القسم الثاني من الوثيقة وهو تعليقات الدبلوماسي على الحدث فتعامل على أنها مجرد وجهة نظر تعكس رأى الكاتب او سياسة دولته. ومن الضروري التنبيه هنا الى صعوبة الفصل بين قسمي الوثيقة المشار اليهما، اذ انهما يردان في اكثر الاحيان متداخلين.

وثمة ناحية أخرى يجدر منحها الاهتمام الكافي عند التعامل مع الوثيقة الاجنبية، وهي أن كاتبها شخص غريب كلية عن المجتمع الذى يحل فيه، خاصة وانه يختلف عنه حضارة وثقافة - فلايمكن والحالة هذه أن نتوقع منه فهم دقائق ماكان يجرى في ذلك المجتمع مهما أوتي من براعة ومهارة، بل لابد من التسليم بأن أشياء كثيرة سوف تفوته عند كتابته لتقاريره، خاصة حين يتصدى لتحليل وتفسير الأسباب الكامنة وراء الاحداث المتعلقة ببيئة قبلية ذات تقاليد وعادات يصعب فهمها أحيانا حتى على بعض أبناء المدن في البلد نفسه.

وضعت كل تلك الأمور نصب عيني وانا أسعى جهد طاقتي من اجل أستقصاء ماجاء في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين والامريكيين عن أحداث فترة البحث، حتى تمكنت من جمع حصيلة لابأس بها من الوثائق التي كتبها دبلوماسيو الدولتين المذكورتين - وأرى من المناسب أن أضعها موضع المقارنة فيما بينها، لبيان نقاط القوة والضعف في كل منها، ثم لبيان اسهامها في تقديم معلومات البحث. وأول مايلفت النظر لدى تلك المقارنة هو أن الوثيقة البريطانية تتفوق عموما على مثيلتها الامريكية من حيث الرصانة والعمق، فهي حين تهتم بحدث ماتتحرى بدقة كبيرة

كل تفصيلاته فتصفها وصفا دقيقا متماسكا. وترتب على هذا أن كانت الوثائق البريطانية تتصف عادة بالطول والاسهاب ، بينما يغلب على الوثيقة الامريكية أن تكون مختصرة قليلة الصفحات مما يسمها بسمة السطحية والعجالة. واذا دققنا في التحليلات التي تحويها كل وثيقة وجدنا الدبلوماسيين البريطانيين يتعمقون كثيرا في تحليلاتهم للاسباب الكامنة خلف الحدث ، ويستخدمون أسلوبا متشككا لا يعطي نتائج نهائية حاسمة ولكنه يضع أمام القارئ احتمالات متعددة - وهو أسلوب يناقض كثيرا أسلوب الدبلوماسيين الامريكيين في التحليل الذي يعمد غالبا لاعطاء نتائج سريعة ونهائية.

واعتقد أن من أسباب تلك الظاهرة تباين الخبرة والتجربة لدى دبلوماسيي الدولتين العاملين في العراق ، اذ أمتلك البريطانيون خبرة طويلة في الشئون المحلية العراقية ، تراكمت لديهم تدريجيا مع مرور الأيام منذ افتتاح أول وكالة تجارية لشركة الهند الشرقية في البصرة سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٥م، وهي الوكالة التي تعتبر بشكل ما أول ممثلية بريطانية في العراق (١). بينما لم يكن للدبلوماسيين الامريكيين مثل تلك الخبره ، حيث لم تفتتح القنصلية الامريكية في بغداد الا في أواسط العقد الاول من هذا القرن الميلادى - وعلى هذا فليس من المنطقي أن نتوقع من الدبلوماسيين الامريكيين العاملين في العراق حينئذ أن يكونوا مطلعين على خفايا الاوضاع فيه بنفس درجة أطلاع زملائهم البريطانيين.

وبالاضافة الى تباين التجربة ، فلقد أختلف وضع ممثليات البلدين في العراق من ناحية الاستقرار الادارى . اذ كانت الممثليات البريطانية في العراق قد أستقرت منذ زمن طويل على شكل قنصليه عامة " ومقيمية سياسية Political Residency "في بغداد وقنصلية في

(١) Tuson, P.,The Records of the British Residency and Agencies in the Persian Gulf,London,1979,p.175.

البصرة(١) . كان يشغلها عادة دبلوماسيون متمرسون خدموا فترة طويلة في الهند والخليج وتزودوا بمعرفة واسعة عن الاحوال في العراق . في حين كانت القنصلية الامريكية في بغداد عرضة لتقلبات ادارية مستمرة، فمكاتباتها تظهر أن القناصل الذين تولوها كانوا غالبا من حديثي التعيين في السلك الدبلوماسي ، ولذلك فأنهم ما أن يصلوا لبغداد حتى يبدأوا بالشكوى لمراجعهم من قسوة مناخ المدينة وتخلفها، ويأخذون بالمطالبة بنقلهم أو اعفائهم - وعلى هذا نجد القنصلية الامريكية تشغل في أحيان كثيرة من قبل نائب قنصل يتم اختياره من البريطانيين المقيمين في العراق والمتصلين بالمصالح التجارية الامريكية هناك . أما الوكالة القنصلية الأمريكية في البصرة فلقد كانت أسوأ حالا من هذه الناحية ، اذ كان يشغلها دائما وكيل قنصلي غير متفرغ ينتدب من احدى الشركات التجارية الامريكية أو البريطانية العاملة في البصرة. لابل أن امورها اوكلت في احدى المرات الى القنصل الروسي في تلك المدينة وكثيرا ماكانت تلك الوكالة تغلق مؤقتا لعدم وجود من يديرها . فليس غريبا لذلك كله أن نجد بعض السطحية والأضطراب في تقارير تلك الممثليات الامريكية، بل أن الامر تعدى ذلك الى ترتيب وحفظ الوثائق في مراسلات تلك الممثليات ، اذ كان لكل دبلوماسي جديد أسلوبه الخاص في الحفظ والترقيم.

وتتباين الوثائق البريطانية والامريكية في أمر مهم آخر، هو مصادر المعلومات التي تعتمد عليها كل منها . فقد كان لبريطانيا مركز سياسي مهم ونفوذ كبير في العراق ، جعل دبلوماسييها هناك على اتصال مباشر بصناع الاحداث من كبار الموظفين الترك العاملين في العراق ، أو من وجهاء البلد وشخصياته المحلية، الذين كان بعضهم كثيرا مايتطوع للاتصال بالبريطانيين وتزويدهم بالمعلومات. أما الدبلوماسيون الامريكيون لم يكونوا حينئذ

---

(١) Ibid.,pp.175-77.

الا ممثلين لدولة اجنبية محدودة الأهمية من الناحية السياسية. وقد جعلهم هذا الواقع يعتمدون في الحصول على معلوماتهم على مصادر أقل رسمية وأقرب ماتكون لرأى العامة ، ولهذا نجد أن تقاريرهم تحوى في أحيان كثيرة معلومات لا نجدها في التقارير البريطانية، ولكنها في أخبار أخرى تكاد تكون نسخه طبق الأصل من التقارير البريطانية، وخاصة حين يتولى القنصلية نائب قنصل بريطاني ، أو حين يكون القنصل جديدا فيستعين بمعلومات زملائه من الدبلوماسيين البريطانيين.

هذا ومن ناحية أخرى ، فقد أمتاز الدبلوماسيون الامريكيون على زملائهم البريطانيين بكونهم يحددون في أحيان كثيرة مصادر معلوماتهم. فنجدهم يذكرون في هذا المجال مترجم القنصلية، وهو رجل أرمني الاصل يمارس النشاط التجارى والزراعي أضافة لعمله في القنصلية. وقد مكنه هذا النشاط من الاتصال بكثيرين ممن يسهمون فى صنع الاحداث وخاصة من شيوخ وزعماء القبائل. كما ذكر الدبلوماسيون الامريكيون أستفادتهم من الاوربيين المقيمين في العراق لممارسة النشاط التجارى. بل انهم ذكروا مرة أنهم أستمدوا معلوماتهم عن بعض الاحداث من ربابنة السفن الشراعية المحلية.

وتجدر الاشارة هنا الى مصدر مهم آخر طالما زود الدبلوماسيين الامريكيين بكثير من المعلومات عن ولاية البصرة ومايجرى فيها من أحداث. اذ كان يقيم فى مدينة البصرة بعض المبشرين الامريكيين فى تلك الفترة (١) ، وتثبت الوثائق الامريكية الموجودة بين يدى أن اولئك المبشرين كانوا يقومون بنشاط هدفه جمع المعلومات لصالح دولتهم ، وكانوا يقدمون بين أونة وأخرى تقارير سرية الى الممثلين الدبلوماسيين الامريكيين فى العراق عن بعض الاحداث المهمة وخاصة على النطاق القبلي.

---

(١) حول نشأة الحركة التبشيرية الامريكية فى البصرة ، راجع: رأفت غنيمى الشيخ ، المصالح البترولية الامريكية فى البصرة في " مجلة الداره ، السنه التاسعة بالعدد الاول ، شوال ١٤٠٣هـ/يولية ١٩٨٣م، ص ١٢٧ ".

وتمتاز الوثائق الامريكية على البريطانية بميزة هامة هي انها كانت اكثر ميلا للحياد تجاه السلطات الحكومية العثمانية، ولاريب أن تعليل تلك الظاهرة يكمن في أن الولايات المتحدة لم يكن لها حينئذ مطامع سياسية في العراق. ولذلك كان دبلوماسيوها هناك أقل عداء تجاه العثمانيين، فقلت بالنتيجة نغمة الانتقاد لهم فيما يكتبونه. أما بريطانيا فقد كانت اطماعها السياسية في العراق واضحة ومصالحها الاقتصادية هناك وطيدة كما سنرى، فجرها ذلك الى كثير من الاحتكاكات مع الحكومات العثمانية، وقد أنعكس ذلك في كتابات الدبلوماسيين البريطانيين التي يظهر فيها ميل واضح لابراز أخطاء السلطات العثمانية واغفال نجاحاتها ، وخاصة في فترات التوتر في علاقات الدولتين . ورغم الطابع الحيادي في الوثائق الامريكية الا انها تكاد أن تكون معبرة عن وجهة نظر بريطانية صرفة حين تكون المثليات الامريكية في العراق بعهدة وكلاء بريطانيين.

ويلاحظ على الوثائق الامريكية أيضا أنها توجه اهتمامها بشكل رئيسي للجوانب الاقتصادية ، اذ كان هدف الدبلوماسية الامريكية في تلك الفترة هو ايجاد اسواق للسلع الامريكية في العراق. ولهذا فان من بين كل مراسلات القنصلية الامريكية في بغداد بين سنتي ١٣٢٦-١٣٣٢هـ/١٩٠٨-١٩١٤م والتي تضم اكثر من اثني عشر ألف صفحه، لانجد من التقارير والبرقيات التي تهتم بالاحداث السياسية الا مايقرب من مائة وثيقة فقط . هذا بالرغم من كثرة توجيهات وزارة الخارجية الامريكية والسفارة الامريكية في استانبول للدبلوماسيين الامريكيين العاملين في العراق ، والتي تحثهم على ضرورة ايلاء الاحداث السياسية في مناطق عملهم مزيدا من الاهتمام عند كتابة تقاريرهم.

ويظهر أن الرغبة الامريكية في تنشيط التجارة وكسب اسواق جديدة في العراق ، قد اوجدت نوعا من المنافسة مع المصالح التجارية البريطانية

الضاربة الجذور هناك. ولذلك نجد في تقارير القنصلية الامريكية في بغداد - حين يكتبها أميركيون لابريطانيون - شيئا من الحسد للمكانة البريطانية المتميزة في العراق. يظهر ذلك واضحا في حرص بعض تلك التقارير على متابعة أنشطة البريطانيين في العراق وحديثها عن مشاعر الغضب والاستياء ضد بريطانيا هناك. ولايعني ذلك ان الدبلوماسيين الامريكيين أظهروا عداءا صريحا نحو البريطانيين ، فقد كانوا رغم ذلك الحسد - يتعاونون معهم اداريا وحتى سياسيا أحيانا.

وأخيرا ، تمتاز الوثائق الامريكية بميزة تسهل عمل الباحث، هي كونها مجموعة في دار محفوظات واحدة هي National Archives and Records Service-Washington في حين أن الوثائق البريطانية تتوزع بين محفوظات وزارة الخارجية في Public Record Office ومحفوظات وزارة الهند في India Office Library and Records . ومما زاد في صعوبة الأمر أن كثيرا من الوثائق الخاصة بهذا البحث توجد مكررة في داري الحفظ هاتين ، لأن نظام التمثيل الدبلوماسي البريطاني في العراق العثماني كان ثنائي التبعية، فهو تابع لحكومة الهند من ناحية وتابع لوزارة الخارجية البريطانية من ناحية ثانية (١) . ولذلك فقد كان الممثلون الدبلوماسيون البريطانيون في العراق يبعثون نسخا من مراسلاتهم الى وزارة الخارجية في لندن والسفارة البريطانية في استانبول وحكومة الهند التي تعيد بدورها ارسالها الى وزارة الهند في لندن .

وقبل طي صفحة الحديث عن الوثائق الاجنبية تحسن الاشادة بالجهد الذى قام به الدكتور روبن بدول R. Bidwell ، حين جمع بعض الوثائق الرسمية البريطانية الخاصة بتاريخ الكويت ونشرها في جزئين اثنين تحت عنوان The Affairs of Kuwait. ثم قام بعد ذلك بجمع

---

(١) Tuson, op. cit. , p. 177.

بعض الوثائق بتاريخ شبه الجزيرة العربية ونجد خصوصا ، ونشرها في جزئيـن آخرين تحت عنوان The Affairs of Arabia . وقد وردت في تلك الاجزاء الاربعة بعض الوثائق التي تحوى معلومات مهمه عن الاحداث القبليـة في ولاية البصرة في الفترة السابقة مباشرة لزمن هذا البحث ، فاستفدت منهـا واثبتها في مواضعها .

ب ـ الروايات الشفهية :

رغم وجود بعض المسنين من ابناء القبائل الذين عاصروا بعض الاحـداث التي جرت في فترة هذا البحث، فأني لم اعتمد على رواياتهم لعدم فائدتهـا في كتابة تاريخ علمي . ولكني حرصت على الاطلاع عليها قدر الامكان لانهـا لاتخلو من فائدة جانبية مهمه بالنسبة لي وهي التعرف على وجهة نظـر الرجل القبلي العادى تجاه الاحداث التي عاصرها . وهي وجهة نظـر لم تعرها المصادر والمراجع المكتوبة الا أقل الاهتمام .

جـ ـ روايات الشهود المعاصرين المدونة :

توفرت لدى مجموعة من روايات بعض الاشخاص الذى عاصروا فتـرة هذا البحث ، فرأوا بعض أحداثها عن قرب ، أما باعتبارهم مراقبين فقـط ، أو لأنهم ، اتيحت لهم الفرصة للمساهمة في صنع تلك الاحداث بشكل مـن الاشكال . ويمكن تقسيم تلك الروايات الى مجموعتين هما : روايات العـرب المعاصرين وروايات البريطانيين المعاصرين . ويحسن القاء نظرة على كـل من هاتين المجموعتين على حده لابداء ماقد يعني من ملاحظات عليها .

١ ـ روايات العرب المعاصرين :

بقدر ما أطلعت ، فأن أحدا من ابناء العراق عموما وولاية البصـرة خصوصا المعاصرين لفترة البحث لم يقم بتدوين مشاهداته او انطباعاتـه

عن الاحداث التي كانت جارية في أيامه بشكل منهجي منظم. ولكن روايات بعضهم في هذا المجال اقتصرت على مقالات نشرت في بعض المجلات الصادرة حينئذ ، وعلى ذكريات كتبت في مرحلة لاحقة ونشرت في كتب مستقلة، أو وردت ضمن مؤلفات لكتاب آخرين . وهذه الروايات هي :

أ ـ رواية الشيخ محمد باقر الشبيبي :-

نشرت ضمن مؤلف الدكتور عبد الجليل الطاهر الموسوم بـ " العشائر العراقية ". وهو مؤلف ينقسم الى ثلاثة أقسام، القسم الاول منها مقدمة كتبها المؤلف واحتلت الصفحات ٦ - ٥٨ وبث فيها آراءه السياسية ومعتقداته الفكرية ، فكثرت فيها عبارات " الصراع الطبقي "و" لوردات الارض الغائبين" و "عبيد الارض" و" ثورات الفلاحين" . وعلى هذا فأن تلك المقدمة أقرب الى المقال السياسي منها الى البحث التاريخي العلمي . ولايجب أن ننسى هنا الاشارة الى ان المؤلف احد المختصين في علم الاجتماع لا التاريخ ، ولكل من العلمين ـ على قرب الصلة بينهما ـ أساليبه ومصطلحاته؛

أما القسم الثاني ، فقد احتل الصفحات بين ٥٩ - ٣٤٠ من الكتاب. وهو عبارة عن مجموعة من التقارير الرسمية البريطانية، عن الاوضاع القبلية في جنوب العراق ، اعدت لفائدة القيادة العسكرية البريطانية في العراق أثناء الحرب العالمية الاولى . وقد اعدها فريق من رجال الاستخبارات البريطانية المختصين بشئون القبائل ترأسه المس جرترود بل Miss Gertrude Bell وبالاضافة لذلك يحوى هذا القسم أيضا عددا من التقارير الادارية التي رفعت الى الحاكم الملكي العام في العراق من قبل الضباط السياسيين البريطانيين الذين كلفوا بأدارة المناطق القبلية . ولم يكتف المؤلف هنا بأيراد معلومات تلك التقارير فقط، ولكنه علق عليها في الحواشي لتصحيح بعضها او توضيحه

عن طريق الاستعانة بآراء بعض أبناء المنطقة او المطلعين على احوالها عن بعد ، او بالرجوع الى ماورد حولها في المؤلفات الأخرى . وهذا القسم هو الجزء الرئيسي من الكتاب ، ويتناول في اغلبه قبائل المنتفق ، اذ خصت بخمسة فصول من اصل سبعة ، بينما خصت قبائل العمارة بالفصل السادس وعشائر البصرة بالفصل السابع . وقد قام المؤلف في هذا القسم بجهد يشكر عليه ، فمجرد ترجمة تلك التقارير ونشرها مجموعة في كتاب واحد واضافة الحواشي اليها يقدم خدمة كبيرة للباحثين . رغم انه اغفل في بعض المواضع التعليق على ماجاء في تلك التقارير من آراء تعكس وجهة نظر بريطانية صرفة ، تبعد كل البعد عن الواقع الاجتماعي السائد بين القبائل .

والقسم الاخير من مؤلف الدكتور الطاهر عبارة عن ملحق أحتل الصفحات ٣٢٤ - ٣٨٣ ، وهو تاريخ مختصر كتبه الشيخ الشبيبي ، وتناول فيه الاحداث التي وقعت في مدينة الشطرة خصوصا ومنطقة الغراف عموما خلال مشيخة المنتفق ، مع تركيز خاص على ماحدث خلال الفترة التي تلت مفتتح هذا القرن الميلادي - والشيخ الشبيبي أديب شاعر ينتمي لبيت معروف من بيوتات المنتفق ، وقد عاصر اغلب الاحداث التي كتب عنها ، مما مكنه من الاطلاع على خفاياها . ولكن أربعين صفحة لاتكفي لتغطية تلك الاحداث الكثيرة والمعقدة تغطية وافية ، وفوق ذلك لايبدو أن الشبيبي دون تلك الصفحات أثناء وقوع الاحداث أو بعدها مباشرة ، يدل على ذلك انه غالبا مايسرد الوقائع دون أن يحدد تاريخا معينا لحدوثها ، واذا ماحاول التحديد في أحيان نادرة لم تسعفه ذاكرته . ولكن ذلك كله لايقلل من قيمة ماكتبه ، لانه قد وجهة نظر محلية أفادتني كثيرا في مجال المقارنة مع ماورد في الوثائق الاجنبية ، اضافة الى انه ذكر بعض الاحداث والتفصيلات التي أغفلتها تلك الوثائق .

ب ـ رواية محمد بن خليفة النبهاني :ـ

طاف النبهاني في الامارات والمشيخات في شبه جزيرة العرب، واتصل بالامراء والشيوخ ،فأخذ منهم وممن يحيط بهم المعلومات والاخبار عن تاريخ واحوال أماراتهم ومشيخاتهم ، وجمع ذلك كله في كتابه" التحفه النبهانيــة في تاريخ الجزيرة العربية ". وقد استقر النبهاني بعد رحلته تلك في البصرة حيث عمل مدرسا في احدى مدارسها ، واتصل هناك عن قرب بمشايخ قبائل المنتفق ، وخص تلك المشيخه بالجزء العاشرمن كتابه المذكور. وينقسم ذلك الجزء من حيث اهميته العلمية الى قسمين : اكبرها الذى تناول فيه تاريخ المشيخة، قبل فترة اتصاله المباشر بها ، وقد اعتمد فيه على ماكتبه سابقوه أضافة الى الروايات الشفهية التى سمعها من معاصريه ، ولذلك فأن هذا القسم يعد مرجعا ثانويا لايضيف شيئا جديدا ذا بال .

أما القسم الثاني فيتناول أحداث الفترة التي تلت اتصاله المباشر بمشايخ المنتفق . وقد حدد لنا تاريخ ذلك الاتصال فذكر انه تم في أيام الشيخين سعدون بن منصور السعدون وابنه عجمي . فأخذ منهما ومن المحيطين بهما رواياته عن الاحداث التيوقعت في ايامهما . وعلى هذا فأن النبهاني في هذا القسم معاصر للاحداث ، ولكنه ليس شاهد عيان لها على الارجح ، وانما دونها على السماع ـ وهو في ذلك التدوين لم يكن كثير التدقيق والتمحيص، فلم يخل كتابه من روايات غريبة بعض الشيء كما أنه لايحدد وقت أحداث كثيرة، أو يكتفي بتحديد سنة الاحداث دون أن يزيد ، وحتى في هذا فأنه يجانب الدقة في بعض الأحيان . ولكن كتابه رغم كل ذلك لايخلو من فائدة لانه يصور الاحداث من وجهة نظر قبلية بحته .

جـ ـ رواية يعقوب سركيس :ـ

ينتمي المذكور لاسرة مسيحية نزحت للعراق من حلب . وقد اتصل ابوه نعوم سركيس بناصر باشا السعدون شيخ المنتفق ، فعينه كاتبا له ونال

حظوة كبيرة لديه . وعندما أنشأ ناصر مدينة الناصرية بنى كاتبه المذكور فيها الكثير من الدور والاسواق ، ثم تملك الكثير من الاراضي الزراعية في لواء المنتفق . وقد حافظ ولده يعقوب من بعده على صلات قوية مع مشايخ آل سعدون وقبائل المنتفق بحكم استمرار تملكه للأراضي والاطيان في أراضي المنتفق . واتاحت تلك العلاقة له أن يكتب عن أحداث المنتفق كتابة الخبير المتمكن ، حيث كان يعتمد في كتاباته على ماوجده في خزانة أبيه من وثائق رسمية وأوراق قديمة ، وعلى مشاهداته الشخصية ومايسمعه من افواه المشايخ . ولكن يعقوب لم يستفد من تلك الامكانات المتاحه له في كتابة تاريخ دقيق لمشيخة المنتفق ، وخاصة في فترة معاصرته لها . فأقتصرت كتاباته على مقالات كان ينشرها في بعض المجلات الصادرة في بغداد حينئذ . ثم جمع تلك المقالات في كتاب من جزئين اسماه " مباحث عراقية" ، ولا يخص فترة بحثنا من مادته الا معلومات قليلة وتعليقات يسيرة ، لا يتعمق اكثرها في صميم الاحداث ، ولكنه يلقي الضوء على بعض جوانبها .

د - رواية سليمان فيضي :-

مواطن عراقي من اهالي الموصل ، رحل الى البصره واتخذها مقرا لسكناه ، واتصل هناك بزعيم البصرة السيد طالب النقيب ، فأصبح من المقربين أليه ، وانخرط تحت قيادته في العمل السياسي ، مما أوصله لمجلس المبعوثان العثماني نائبا عن البصرة في عدة دورات . وهكذا أتيح له أن يطلع عن قرب على ماجرى من احداث فترة البحث ، بل وساهم في صنع بعضها . فتعتبر روايته التي ساقها في كتاب اسماه" في غمرة النضال" رواية شاهد عيان مطلع ، ولكن تلك الرواية لاتسلم من مأخذ يقلل من قيمتها العلمية بعض الشيء ، وهو أنها لم تدون وقت وقوع الاحداث ، حيث تكون الاحداث حية ماثلة أمام الراوى فلا يفوته شيء من تفاصيلها ، ولكنها دونت بعد مرور فترة تقرب من أربعين

سنة على وقوعها . وعلى الرغم من قوة ذاكرة المؤلف التي مكنته من تذكر تواريخ بعض الاحداث بدقة ملحوظة ، الا أن بعد الزمن غيب عنه بلاريب بعض التفاصيل ، أضافة الى أن طول المدة جعل علاقاته مع أبطال الاحداث تتغير من اتفاق الى اختلاف ومن بغض الى حب وبالعكس ، مما كان له أثره على صياغته لروايته واختياره لأسلوبها وعباراتها . ولايجب أن أنسى هنا الاشارة الى ماذكره عن استعانته بأولاده في كتابة ذكرياته وتنقيحها .

هـ - رواية علي جودت الأيوبي :-

ضابط عراقي ، تخرج من الكلية الحربية في استانبول سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م ، فألحق بشعبة الحركات العسكرية التابعة لدائرة أركان الفيلق السادس في بغداد . ثم تنقل بعد ذلك في الوحدات العسكرية المختلفة في العراق ، الى أن قامت الحرب العالمية الاولى فسيقت فرقته الى ميدان القتال في الشعيبة قرب البصرة ، واذ علمت أهمية الحملات العسكرية التي وجهتها الحكومة العثمانية لقمع تحركات القبائل خلال تلك الفترة ، حق لي توقع أن يحرص ضابط مطلع على ذكر تفاصيل كثيرة حولها ، ولكن الايوبي في ذكرياته التي نشرها تحت عنوان " ذكريات علي جودت ١٩٠٠ - ١٩٥٨ " لم يحقق ذلك التوقع ، اذ أقتصر على ايراد أخبار قليلة مست بعض أحداث البحث مسا خفيفا ، وكانت أغلبها تدور حول مشاهداته عن معارك الحرب العالمية الاولى ضد البريطانيين ودور القبائل خلالها . ولعل مرد اعراضه من ذكر تفاصيل تلك الاحداث عائد الى انه - كأغلب معاصريه - لم يكن يدون ذكرياته أولا بأول ، وانما رجع اليها بذاكرته بعد زمن طويل ، فغابت عنه اكثر التفاصيل او اختلطت . فركز في ذكرياته بدلا من ذلك على الاحداث الأقرب عهدا والتى وقعت أثناء تعاطيه العمل السياسي وزيرا ورئيسا للوزراء .

وهكذا يمكن القول أن ماتجمع لدى من روايات عربيه معاصرة لفترة البحث لا تكفي بمجملها لايضاح صورة ماحدث . ولكنها تفيد رغم ذلك في القاء الضوء على بعض زوايا تلك الصورة، والتي ستتضح اكثر بالاطلاع على ماكتبه الرواة البريطانيون المعاصرون .

٢ - روايات البريطانيين المعاصرين

قامت الحرب العالمية الاولى في أوربا ، ولم تلبث الدولة العثمانية طويلا قبل أن تخوض غمارها ، ففتحت أبواب العراق لجيش بريطاني غاز، احتل اغلب اجزاء ولايتي البصرة وبغداد قبل اعلان الهدنة سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م. وقد صحب ذلك الجيش الغازى عدد من الضباط السياسيين والخبراء الاداريين والفنيين ، حيث أنيطت بهم مسئولية أدارة المناطق المحتلة. فحرص عدد منهم على كتابة ذكرياتهم ومشاهداتهم خلال فترات عملهم في العراق ، وخصصوا في كتاباتهم حيزا كبيرا لاخبار القبائل ،لانها المشكلة الرئيسية التي واجهتهم من ناحية، ولأن المجتمع القبلي يختلف اختلافا كليا عن مجتمعهم ، فأستلفتت عاداته وتقاليده واحداثه انتباههم وشدتهم لمتابعتها . فلنلق نظرة على ماكتبه كل واحد منهم.

أ - رواية دكسون H.R.P. Dickson :

ضم للقوات الغازية للعراق لكونه يعرف العربية ، فساهم في العمليات الحربية التي أنتهت باحتلال ولاية البصرة. وانتدب في خريف سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م الى القسم السياسي ، فشارك تحت اشراف السربرسي كوكس Sir Percy Cox في انشاء الادارة المدنية في المناطق المحتلة. ثم أختير لتولي منصب معاون الضابط السياسي المكلف بأدارة قضاء سوق الشيوخ في لواء المنتفق ،ثم ضابطا سياسيا لادارة ذلك اللواء. وبعد أنتهاء الحرب

عين وكيلا سياسيا في البحرين وظل هناك الى أن أعيد سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م للعراق ضابطا سياسيا لمنطقة الفرات الاوسط ، ثم نقل الى الهند سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م ، وأعيد منها سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م وكيلا سياسيا في الكويت، واستمر في هذا المنصب الى أن تقاعد سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، وفضل الاقامة في الكويت حتى توفى ودفن هناك حسب وصيته .

وقد تجمع لديكسون نتيجة هذه الخدمة الطويلة في المجتمعات العربية المختلفة الكثير من الملاحظات والمشاهدات ، جمعها في كتابين ، سمى الاول منهما The Arab of the Desert وخصص اغلبه للحديث عن العادات والتقاليد واساليب العيش السائدة بين القبائل العربية التي أحتك بها وعرفها عن قرب وخاصة قبائل البادية . وسمى كتابه الثاني Kuwait and her Neighbours ، وخصصه لتناول بعض الاحداث التي وقعت في المناطق التي عمل فيها مثل جنوب العراق والكويت ، وفي المناطق المجاورة لها مثل نجد .

وقد تطرق ديكسون لأحداث فترة بحثنا في كتابه الثاني ، وركز على أوضاع قبائل المنتفق التي عاش بين ظهرانيها وتولى ادارتها مدة طويلة . وتنقسم كتابته عنها قسمين ، يتصل اولهما بأحداث تاريخها خلال الفترة التي سبقت اتصاله بها . وهو يعتمد هنا على النقل عن غيره . ويبدو أنه استمد معلوماته مما ورد في تقارير رجال الاستخبارات البريطانيين التابعين لقيادة الحملة البريطانية الغازية للعراق ، والتي كان يقوم بتنسيقها أثناء عمله في القسم السياسي في البصرة قبل أن تتولى تلك العملية جيرترود بل ولذلك نجد تطابقا في معلوماته مع ما ورد في القسم الثاني من كتاب الدكتور الطاهر" العشائر العراقية" ، لانهما اعتمدا معا على مصدر واحد هو تلك التقارير الاستخبارية . والغريب أن بعض ماجاء في تلك التقارير من معلومات

أختلف أختلافا كبيرا مع ملجاء في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين التي رفعوها لحكومتهم في حينه ـ ويدل ذلك على أن رجال الاستخبارات أخذوا معلوماتهم من افواه الرواة ، ولم يرجعوا الى تلك التقارير الدبلوماسية المحفوظة لمقارنتها وتمحيصها ـ ثم جاء ديكسون وسار على أثرهم دون أن يتلافى ذلك النقص.

أما القسم الثاني فيضم مشاهداته وتجاربه الشخصية أثناء توليه لمهامه الادارية في سوق الشيوخ والناصرية. وقد أفرد فيه حيزا كبيرا لبيان كيفية تعامله مع القبائل ، حشد فيه الكثير من التفاصيل ، فأصبح كتابه بذلك مصدرا لمعلومات غنية لايمكن العثور عليها بسهولة في المصادر الأخرى . ولكن يؤخذ عليه رغم ذلك ذكره لكثير من الحوادث دون أن يحدد زمن وقوعها . ثم أن القارئ يجد في كتابه ميلا واضحا لتضخيم الذات ، قد يجاوز أحيانا الحد المقبول الكامن في كل نفس بشرية.

ب ـ رواية السر أرنولد ولسن Sir Arnold T. Wilson :-

أختير ضابطا سياسيا ملحقا بالحملة البريطانية التي غزت العراق سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ، وكانت معرفته للغة العربية أحد اسباب الاختيار. وعندما شكلت الادارة في المناطق المحتلة تحت رأسة السربرسي كوكس في البصرة أصبح ولسن نائبا له. ثم انفرد بالاشراف على ادارة المناطق المحتلة في ولاية البصرة بعد انتقال كوكس الى بغداد اثر احتلالها في جمادى الاولى ١٣٣٥هـ/ مارس ١٩١٧ م. ولم يلبث كوكس أن أستدعى ولسن الى بغداد في اواخر السنة نفسها وعينه نائبا له. وبعد نقل كوكس الى طهران أنيطت مهامه في بغداد بالوكالة لولسن الذى ظل يتولاها حتى غادر العراق نهائيا سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م نتيجة لفشله في مواجهة الثورة العراقية الكبرى التى قامت ضد سلطات الاحتلال في السنة نفسها .

وقد ألف ولسن بعد ذلك كتابا من جزئين ضمنه تجاربه أثناء قيامه بأعباء تلك المهام الادارية في العراق، واسمـــــاه " Loyalties , Mesopotamia 1914-1917,A Personal and Historical Records" وهو سجل دقيق حاول مؤلفه أن يتتبع فيه كل ماواجهته ادارة الاحتلال مـــن مشاكل ، ولهذا خص ولسن الاحداث القبلية بنصيب كبير منه، لانها كما قلـــت من اكثر المشاكل التي واجهت المحتلين حدة وتعقيدا . ولكنه نصيب خالطته رغبة واضحة في الحط من شأن القبائل والتقليل من دورها في الاحداث. ولا شك أن تلك الرغبة تعكس حقدا دفينا كان يعتمل في نفس ولسن على تلك القبائل- وكان سبب ذلك الحقد الدور الكبير الذى قامت به القبائل في ثورة العشرين التي أدت الى سحب ولسن من منصبه الرفيع في العراق سحبا أقرب مايكـــون الى الطرد . ويحسن القول هنا أنه ربما الف كتابه ذاك من اجل الدفـــاع عن نفسه والتنصل من مسئولية الأخطاء التى ارتكبتها سلطات الاحتلال تحت قيادته والتى أدت في النهاية الى أشعال نيران تلك الثورة العنيفة.

جـ - رواية سنت جون فلبي H. STJ. B. Philby :-

وصل فلبي الى العراق في محرم ١٣٣٤هـ/نوفمبر ١٩١٥م. وكان سبب أستقدامه هو الاستعانة به في أدارة بغداد بعد سقوطها المتوقـــع حينئذ . ولكن اخفاق الحملة البريطانية في زحفها على بغداد، جعـــــل ادارة الاحتلال تعين فلبي مساعدا ماليا لرئيس الضباط السياسيين فـــي البصرة. ولم يطل مقامة في العراق بعدئذ ، فقد اختلف مع أرنولد ولسن نائب رئيس الضباط السياسيين ، فتم ابعاده عن العراق بأن أرسل في سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م في بعثه الى نجد للاتصال بالامير عبد العزيز آل سعود ، وارتبط منذ ذلك الحين بتلك البلاد .

وقد ألف فلبي كغيره من رجال ادارة الاحتلال سلسلة من الكتب عن تجاربه العربية وخاصة في نجد . ولم يتطرق الى تجربته القصيرة في العراق الا في واحد من تلك الكتب وهو Arabian Days . ورغم أن ذلك الكتاب لم يفصّل في الحديث عن المشكلة القبلية ، الا أن موءلفه تطرق الى ماكان قد رآه اوشارك فيه من أحداث ذات صلة بالوضع القبلي فأورد معلومات ذات قيمة كبيرة على قلتها . والملاحظ ان اسلوبه خلال ايراد تلك المعلومات كان أقل عداء تجاه القبائل من اسلوب بعض زملائه البريطانيين ، ولعله التزم ذلك الموقف نكاية بولسن ومشايعيه الذين ناصبتهم القبائل العداء.

د - رواية السير جورج بوكانان Sir G. C. Buchanan :-

كان بوكانان يعمل رئيسا لمهندسي ميناء رانجون في بورما حتى سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م. وعند قيام الحرب العالمية الاولى وضع تحت تصرف حكومة الهند البريطانية. ولما أحتلت القوات البريطانية ولاية البصرة، واستعدت للزحف نحو بغداد عن طريق نهر دجلة، ظهرت الحاجة الى تحسين الملاحة في ذلك النهر، فأنتدب بوكانان للقيام بالأشراف على تلك العملية ، حيث وصل البصرة في ربيع الاول ١٣٣٤هـ/يناير ١٩١٦م، وظل يقوم بمهام عمله حتى غادر العراق في شهر رجب ١٣٣٥هـ/ مايو ١٩١٧م.

وخلال تلك الفترة كان بوكانان دائم التنقل عبر أنهار العراق لمتابعة عمله . فأحتك بالقبائل المقيمة على ضفاف تلك الانهار، وخبر بنفسه ماكانت تسببه للقوات البريطانية من متاعب جمة - وبالاضافة لذلك كان بوكانان دائم الاتصال بحكم تنقله بالضباط السياسيين الذين يديرون المناطق القبلية، وبقادة الوحدات العسكرية الزاحفة نحو بغداد ، فكان أولئك وهوءلاء يبثونه همومهم، ويطلعونه على المشاكل التي يواجهونها من القبائل . وقد جمع

بوكانان كل ذلك في كتاب اسماه " The Tragedy of Mesopotamia " فأورد نماذج مشرفة للمقاومة القبلية ضد قوات الغزو، أبرزت شجاعة أفراد القبائل وبسالتهم . وذلك عكس مانجده في اغلب الروايات البريطانية المعاصرة من تقليل لشأن تلك المقاومة أو تجاهل لها .

جـ ـ زواية المس جيرترود بل Miss G. Bell :-

كانت المس بل تعمل في مطلع هذا القرن الميلادى في المكتب العربى التابع لدائرة الاستخبارات البريطانية في القاهرة، ومن هناك قامت بجولات واسعة في بلاد الشام وشمال شبه الجزيرة العربيه والعراق تحت شعار السياحه والبحث عن الآثار . وبعد قيام الحرب العالمية الاولى واحتلال القوات البريطانية للبصرة، الحقت المس بل بقيادة تلك القوات سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م. ومن يومها أصبحت من أنشط معاوني السربرسي كوكس رئيس الضباط السياسيين المرافقين للحملة . واختصت بمهمة القيام بالاتصال مع شيوخ القبائل ، واستلام التقارير عن شئون تلك القبائل من رجال الاستخبارات المنبثين في ديارها ، فتقوم بتنسيقها ، وتستخرج منها مايهم القيادة العسكرية أو السلطات الادارية . وبعد أحتلال بغداد أنتقلت المس بل اليها مع السركوكس ، وظلت تمارس عملها " سكرتيرة شرقية " له ولمن خلفه حتى وفاتها في محرم ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م.

ومن المؤسف أن المس بل لم تكتب كبقية زملائها كتابا منفردا عن تجربتها في العراق فأولم يمهلها العمر لتقوم بذلك . ولكنها كتبت بدلا من ذلك الكثير من الرسائل التى وجهتها لذويها واصدقائها في بريطانيا وضمنتها الكثير من التعليقات والمعلومات عن الوضع في العراق . وقد ترجم الاستاذ جعفر الخياط تلك الرسائل ونشرها في كتاب اسماه " فصول من تاريخ العراق القريب " . ورغم أن تلك الرسائل تلقي الضوء من موقع المعرفة الدقيقة على كثير من الحوادث القبلية ، الا أن القليل منها فقط يتصل بموضوع البحث اتصالا مباشرا .

ثانيا ـ المراجع المهمة

لابد لكل بحث تاريخي من الاعتماد ـ أضافة للمصادر ـ على مجموعة مساعدة من المؤلفات والبحوث والدراسات ، اصطلح على تسميتها بالمراجع ، والسمة الاساسية التي تميزها عن المصادر عادة هي كونها وضعت في فترة زمنية تالية لفترة البحث. وضرورة الرجوع لتلك المراجع تتضح من الاقرار بأن البحث التاريخي ـ كأي بحث علمي آخر ـ يكمل بعضه بعضا ، ويعتمد فيه اللاحقون على السابقين ، فاما أن يقروا لهم بصحة النتائج التي توصلوا اليها ، ويتخذونها أساسا يبنون عليه ،أوينقضونها كلية ويضعون مكانها نتائج أخرى يرونها أقرب الى الصواب ،أويعدلونها من بعض الجوانب ويضيفون لها من جوانب أخرى ، وقد تكون مجرد قراءة المراجع قراءة مقارنة مدققة مجالا خصبا للاستنتاج والترجيح تقريبا للحقيقة قدر الامكان ولكل هذا فقد حرصت قدر طاقتي على استقصاء كل ماكتب من المراجع وتطرق للبحث من قريب أو بعيد . ولقد تفاوتت تلك المراجع في اهمية ماقدمته للبحث ، ويحسن قبل أن أبين اهمية بعضها أن أقسمها قسمين :ـ

أ ـ المراجع العربية

وقد توفرت لي منها مجموعة تختلف في اهميتها ومدى صلتها بموضوعنا ، ومن اهمها :

١ ـ مؤلفا عباس العزاوي :

محام عراقي ، استهوته كتابة التاريخ ،وشغف بتتبع أنساب العشائر العراقية ، حتى أصبح نسابة العراق . وقد وضع مؤلفين ، اولهما هو " تاريخ العراق بين احتلالين " ، ويقع في ثمانية اجزاء ، مايهم البحث منها بدرجة مباشرة هو الجزء الأخير الذى يتناول أحداث الفترة الواقعة بين سنتي

١٢٨٩ - ١٣٣٥هـ/١٨٧٢ - ١٩١٧م. ويتبع العزاوي في تاريخه طريقة ذكر الحوادث مرتبة حسب تتابعها الزمني ، فيسهب أحيانا ويختصر أختصارا شديدا في احيان أخرى ، حتى لتجيء حوادث سنة كاملة في نصف صفحة فقط . ويتحكم في اسهابه واختصاره بلا ريب مايتوفر له من أخبار . ومصدراه الاساسيان اللذان تكرر ذكرهما كثيرا هما جريدة " الجوائب " التي كانت تصدر في استانبول ، وجريدة " الزوراء " الناطقة باسم ولاية بغداد - ولكن قيام حركة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، وصدور عدد كبير من الصحف في بغداد زادا من مصادره التي يعتمد عليها . ولايكتفي العزاوي بمجرد ذكر اخبار تلك الصحف ، ولكنه يعلق على تلك الاخبار تعليقات مهمة ، ربما كانت فائدتها للباحث اكثر من الاخبار نفسها . وتستمد تعليقاته اهميتها من كونه قريب الصلة زمنيا من الاحداث حتى ليكاد يكون من معاصريها ، اضافة الى انه التقى بالتأكيد بمن عاصرها - وقد اهتم العزاوي في كتابه اهتماما كبيرا بذكر سني وفيات العلماء والادباء والاعيان ، الامر الذي لايخلو من فائدة كبيرة للباحث تساعده في اثبات بعض الحقائق .

أما كتابه الثاني فهو " عشائر العراق " ، ويقع في أربعة أجزاء . واعتقد أن هذا الكتاب اكثر اهمية من كتابه الاول ، لانه اعتمد فيه على بحوثه الشخصية وما أخذه من افواه الرواة المطلعين . وهو يختص بأنساب العشائر العراقية فيعطي موجزا لنسب كل عشيرة ، ويعدد فروعها وافخاذها ، ويحدد شيوخها ورؤساءها ، وقد يورد في بعض الأحيان معلومات تاريخيه عما وقع لتلك العشيرة من الاحداث . وبناء على ذلك كله ، فأن اي باحث يتطرق لموضوع يتصل بالقبائل العراقية لايمكن له أن يستغني عن معاودة النظر في هذا المرجع المهم . وتحسن الاشارة هنا الى أن العزاوي في كتابة هذا يكتب بأسلوب يغمض أحيانا على القارىء ، وخاصة حين تكون كتابته تعليقا لا خبرا .

٤ ـ مؤلف حسين خلف الشيخ خزعل :-

هو أحد أحفاد الشيخ خزعل بن جابر المرد او حاكم عربستان السابق . وقد وضع مؤلفا من خمسة أجزاء عن تاريخ موطنه الجديد الكويت اسماه " تاريخ الكويت السياسي " ، ضمنه الكثير من الوثائق المحلية ، مثل المراسلات التي جرت بين جده الشيخ خزعل وحكام الكويت من جهة ، وبين اولئك الحكام والسلطات البريطانية والقوى السياسية المحلية المجاورة من جهة أخرى . وبالاضافة الى ذلك تناول خزعل في مؤلفه بعض الاحداث التي جرت في المناطق المجاورة للكويت مثل نجد والبصرة . ومايتعلق بموضوعنا من ذلك الكتاب هو جزوءه الثاني الذي وردت فيه بعض أخبار حوادث قبائل المنتفق . وقد كانت المصادر التي أمدت خزعل بتلك الاخبار ـ حسب ثبت المراجع الذي وضعه في آخر كتابه هي الجرائد والمجلات التي كانت تصدر في بغداد وبعض الكتب المؤلفة الاخرى . ولكنه أورد أخبارا لم أجدها في مصادره تلك مايشير الى أنه اعتمد على بعض الروايات الشفهية أيضا . ويبدو أنه كان خلال ذلك كله لايحرص على تمحيص الروايات قبل أدخالها في كتابه مما أوقعه في بعض الاخطاء .

٥ ـ رسالة محمد احمد محمود :-

أعد الباحث المذكور رسالة ماجستير عنوانها " أحوال العشائر العربية وعلاقتها بالحكومة ، ١٨٧٢ - ١٩١٨م " . وكنت أومل أن أجد في تلك الرسالة العلمية أضافات جديده لما أوردته المراجع السابقة . ولكن الفصلين الاخيرين من تلك الرسالة ـ وهما اللذان يمسان موضوع البحث ـ لم يحققا ماتوقعت ، الا في حالات نادرة أثبتها في مواضعها من هذا البحث . وفيما عدا ذلك ، فقد جاءت الرسالة تراكما كميا لمعلومات رددتها المراجع الأخرى والصحف الصادرة حينئذ . ولعل طول الفترة الزمنية التي تناولتها الرسالة

٢ ـ مؤلف عبد الكريم الندواني :ـ

هناك ظاهرة ملفته للنظر في تاريخ ولاية البصرة خلال الفترة التي نحن بصددها ، وهي أن الوثائق الاجنبية كانت مهتمه اهتماما بارزا بأحداث لواء العمارة، حتى أنها تكاد تستقصي كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالاضطرابات التى تقع بين قبائل ذلك اللواء، في حين أنها لاتولي قبائل لواء المنتفق الدرجة نفسها من الاهتمام. واعتقد أن السبب عائد الى أن الطريق الذى تمر عبره التجارة الاجنبية في طريقها بين بغداد والبصرة هو نهر دجلة الذى تقيم قبائل العمارة على ضفتيه وتتحكم في مرور السفن عبره. ومقابل هذا ندر الاهتمام بأحداث لواء العمارة في المراجع المحلية، ومن هنا تأتى أهمية الكتاب الذى وضعه الندواني تحت عنوان " تاريخ العمارة وعشائرها". فهو يحوى وجهة نظر محلية ، جمعها أحد أبناء اللواء من افواه رواة القبائل ، ولعل هذا مرد مايلاحظ عليه من هنات مثل المبالغات غير المنطقية، وعدم دقة بعض التواريخ ، وتداخل بعض الاحداث، اضافة لعدم أستقصاء الكتاب لكل الحوادث القبلية التى مرت على لواء العمارة او اغلبها على الاقل كما يوحى بذلك عنوانه.

٣ ـ بحث الدكتور عبد الله فياض :ـ

أعد الدكتور فياض بحثا مهما عن ثورة العشرين اسماه" الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠". وقد وطأ لبحثه بمقدمة قيمة تناولت الاوضاع التي عاشتها القبائل العراقية منذ اوائل القرن الميلادى الحالى وحتى قيام تلك الثورة. ومن تلك المقدمة الضافية خصت قبائل المنتفق بنصيب وافر، وردت فيه بعض المعلومات التفصيلية الجديدة. وقد استمد المؤلف تلك المعلومات من الروايات الشفهية المتداولة بين القبائل ، واعانه على ذلك كونه ابنا لتلك المنطقة وعارفا تماما بقبائلها.

وشمولها كل عشائر العراق العربية يشفعان للباحث ، ويفسران ماحدث .

وبالاضافة الى المراجع المذكورة اعلاه هنالك مراجع أخرى مهمة تستحق التنويه. ولكنى لم أفرد لها حيزا مستقلا هنا . اذ أن بعضها تختص بالفترة السابقة لهذا البحث مثل مؤلفات الدكتور عبد العزيز سليمان نوار . وبعضها الأخر مؤلفات حديثة منشورة ، يستطيع من أراد أن يعود اليها فى مظانها ، ومنها الدراسة السياسية التى اعدها الدكتور وميض جمال عمر نظمي وجماعة من زملائه تحت عنوان " التطور السياسي المعاصر في العراق" ومنها أيضا الوثائق البريطانية التى ترجمها الدكتور مكي شبيكه ونشرها بنصوصها بعد حذف ارقامها وعناوينها في جزئين تحت عنوان " العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولى". ومنها كذلك الدراسة العسكرية الجيدة التي أعدها العميد شكرى محمود نديم عن الغزو البريطاني للعراق ونشرها تحت عنوان " حرب العراق، ١٩١٤ - ١٩١٨م". ومنها أخيرا المحاضرات التى القاها الدكتور عبد الرحمن البزاز على طلبة معهد الدراسات العربية العليا في القاهرة ونشرها في كتاب اسماه " العراق من الاحتلال حتى الاستقلال" وهو مرجع عام جيد لمن أراد أن يطلع على اهم ملامح التاريخ العراقي في الفترة الواقعة بين سنتي ١٣٣٢ - ١٣٥١هـ/ ١٩١٤ - ١٩٣٢م.

ب ـ المراجع البريطانية :

وبجانب المراجع العربية التى مر ذكرها ، فقد استعنت بمجموعة أخرى من المراجع البريطانية، من اهمها :ـ

١ ـ مؤلفات جون باغوت غلوب J. B. Glubb :-

وصل غلوب للعراق سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م ليعمل ضابطا في قوات الاحتلال المعسكرة في الرمادى غرب العراق . ولم يلبث أن نقل الى لواء

المنتفق سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م ،ليعمل ضابطا لاستخبارات القوة الجوية البريطانية لمتابعة تحركات " الاخوان" النجديين حول الحدود العراقية. وقد تغلغل من اجل أداء مهمته بين قبائل البادية، وظل مقيما في المنطقة الجنوبية من العراق حتى سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م. فأعانه ذلك على فهم العقلية القبلية وتشرب تقاليد وعادات القبائل ،حتى استعرب أو" تبدى" بمعنى أدق . وسيرة حياته بعد انتقاله للاردن معروفة.

وقد وضع غلوب عددا من المؤلفات عن تجربته العربية، تطرق في اثنين منها للفترة التي قضاها في العراق وهما : " War in the Desert " و " Arabian Adventures " . والحق أن ماورد في كتابيه هذين من ملاحظات عن أحداث فترة البحث تبدو أكثر عمقا مما كتبه كل البريطانيين المعاصرين الذين مر ذكرهم. ولعل هذا كان نتيجة لـ" تبديه" وفهمه لدقائق الحياة اليومية القبلية. وعلى ان توضع رواياته في مصاف المصادر المعاصرة، رغم انه لاينطبق عليها بالمعنى الحرفي للمصدر المعاصر من الناحية الزمنية ، اذ أن احتكاك غلوب بقبائل المنتفق وقبائل البادية جاء بعد فترة البحث بأربع سنين . وقد كانت مصادر غلوب في كتابيه المذكورين هي ملاحظاته الشخصية وما أخذه من أفواه رجال القبائل . ويبدو انه رجع أيضا الى تقارير رجال الاستخبارات البريطانيين الذى رافقوا الحملة البريطانية عند احتلالها للعراق، اذ وجدت معلوماته تتطابق أحيانا مع ماجاء في القسم الثاني من كتاب الدكتور عبد الجليل الطاهر، ومع ماجاء في الكتابين اللذين وضعهما ديكسون .

٢ - بحث ستيوارت كوهين S.A. Cohen :-

أعد المذكور بحثا عميقا عنوانه "British Policy in Mesopotamia, 1903-1914.

ويتمحور ذلك البحث حول موقف بريطانيا في العراق أثناء الصراع الدبلوماسي

الذى نشب بينها من ناحية وبين المانيا والدولة العثمانية من ناحية أخـــرى حول مشروع سكة حديد برلين - بغداد - ورغم أن ذلك الصراع بعيد الصلـة عن موضوع هذا البحث ، الا أن الباحث المذكور حرص على تعميق بحثه واثرائه ، فتطرق لبعض المؤثرات المحلية التى ساهمت في صوغ السياسة البريطانيـة أثناء ذلك الصراع ومن أهم تلك المؤثرات بلاريب الاوضاع الداخلية التى كانـــت سائدة في ولايات العراق الثلاث . ولذلك حوى البحث المذكور معلومـــات مفيدة عن نظرة السلطات البريطانية للاحداث القبلية في ولاية البصرة ، كماحوى حصرا للمصالح البريطانية في العراق وتطورها خلال تلك الفترة . وقد اعتمد الباحث عند حصوله على معلوماته اعتمادا رئيسا على الوثائق البريطانية الحكومية وعلى ماكتبه بعض رجال المال والرحالة والصحفيون .

٣ - مؤلف باركر A.J.Barker :-

ألف المذكور كتابا عن الحملة البريطانية على العراق خلال الحرب العالمية الاولى اسماه " The Neglected War, Mesopotamia 1914-1918 " ، تتبــع فيه المراحل التي مرت فيها تلك الحملة ، وبين ماواجهته من مقاومة خلال زحفها نحو الشمال . ولقد أبرز الكتاب الدور الذى قامت به قبائل ولاية البصـــرة خلال تلك المقاومة . وبالرغم مما شاب لهجة ذلك الكتاب من تحامل واضـح ضد القبائل بسبب ماكبدته للقوات البريطانية من خسائر في الارواح والأموال الا أنه يعد اكثر أنصافا لتلك القبائل من بقية المؤلفات البريطانية .

واضافة لتلك المراجع ، يجب التنويه هنا بمؤلف مهم لاغنى عنــــه لمن يبحث في تاريخ الخليج العربي والمناطق المحيطة به ، الا وهـــو الكتاب الضخم الذى اعده لوريمر J.G.Lorimer تحت عنوان " Gazetter of the Persian Gulf " وتمت ترجمته في ديوان حاكم قطر تحت عنوان " دليـــل

الخليج " ، وهو يتكون من قسمين : قسم تاريخي وقسم جغرافي ، يقع كـــل منهما في سبعة أجزاء . وتأتي اهمية هذا الدليل من شخصية مؤلفه ، فهـــو أحد رجال الادارة البريطانية لمدة طويلة ، تنقل خلالها بين مختلف المناصب ، ومنها منصب القنصل العام والمقيم السياسي في بغداد ، الذى تولاه عـــدة سنوات خلال فترة البحث . ونتيجة لهذه الخبرة الطويلة فقد أوكل له رسميـــا اعداد دليل خاص باستعمال الجهات الرسمية ، فأعد المؤلف هذا الدليـــل الضخم مستمدا مادته بدرجة رئيسة من الوثائق الرسمية الموضوعه تحت تصرفه . ورغم أن الفترة التي يتناولها الدليل تنتهي قبيل فترة البحث ، الا أنـــــه حوى من المعلومات القيمة الوفيرة ماساعدني على تكوين فكرة واضحة عن الاوضـــاع السائدة في البصرة قبل فترة بحثنا ، ومن المراجع التي يحسن التنويـــــه بها هنا أيضا ماكتبه ستيفن همسلي لونغريك S.H. Longrigg في كتابه "Iraq, 1900 - 1950" . فعلى الرغم من أن الاختصار هو السمة الغالبة على ذلك الكتاب وخاصة فيما يتعلق بموضوع البحث الا أن ماحواه من معلومات وتعليقات على قلتها كانت مفيدة لحد كبير ، سيما وان لونغريـك عمل فترة طويلة في العراق ، فتعرف جيدا على احواله من الداخل .

ثالثا ـ الصحف والمجلات المعاصرة :ـ

صدرت في العراق بعد قيام حركة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م مجموعة من الصحف والمجلات مستفيدة من جو الحرية النسبية التى أتيحت لها . وقد فقدت اغلـب اعداد بعض تلك الصحف ، ولكن بعضها الاخر حفظ بصورة تكاد تكون كاملـــة . ولقد اهتمت اغلب تلك الصحف اهتماما كبيرا بمتابعة اخبار الاحداث القبليـة في العراق ، وفي جملتها أحداث فترة البحث ، لأن تلك الاحداث كانت هـــي الشغل الشاغل للحكومة والناس في حينه . وبالرغم من الكم الكبير المتوفر مـــن تلك الاخبار الصحفيه الا أني تحفظت تجاهها تحفظا شديدا ، نظرا للطبيعـة

الخاصة التي تعد بها الصحف عادة أخبارها ، وخاصة في تلك الفترة المبكرة التي كانت فيها المواصلات صعبة ، ولم تعتمد الصحف خلالها أسلوب ارسال مندوبين معتمدين لموافاتها بالاخبار الدقيقة كما تفعل صحف هذا الزمان . ولهذا لم أستعن بتلك الاخبار الصحفية الا في أضيق مجال ، وفي حالات محددة فقط ، مثل اقتباس تعليق صحفي على حدث ما باعتبار ذلك التعليق مؤشرا يفيد في التعرف على موقف قطاع معين من الرأى العام ، أو حين تشترك عدة صحف في ايراد خبر لا مجال فيه للمبالغة والاختلاق مثل وصول شخص او مغادرته او موته ، او عندما يوثق مصدر آخر خبرا أوردته الصحيفه .

وتتميز من تلك الصحف الخاصة صحيفتان ترقيان الى مصاف الوثائق الرسمية المنشورة ، وهما الصحيفتان اللتان أصدرتهما سلطات الاحتلال البريطاني في العراق ، اذ أصدرت تلك السلطات جريدة في البصرة تحت اسم " الاوقات " ، وجريدة في بغداد تحت أسم " العرب " . وقد درجت كل منهما على نشر الاوامر والقرارات التي تصدر عن سلطات الاحتلال ، اضافة الى التعليقات التي عكست وجهات نظر تلك السلطات . ويمكن اعتبار هاتين الصحيفتين وثائق منشورة مثلما اعتبرت جريدة " الزوراء " رغم ان الاخيرة كانت تثبت على صدر كل عدد من أعدادها عبارة تشير الى انها جريدة رسمية ، في حين تعمدت سلطات الاحتلال اغفال الاشارة الى أن الصحيفتين المذكورتين تنطقان بأسمها ، ربما حرصا على عدم تنفير القراء منهما .

ويتصل بالصحف مجلة اصدرها في بغداد العلامة اللغوى الأب انستاس مارى الكرملي تحت اسم " لغة العرب " . وهي مجلة علمية بمفهوم عصرها تعنى بنشر البحوث اللغوية والتاريخية والاجتماعية . وقد أفردت تلك المجلة للاحداث القبلية حيزا من صفحاتها باعتبارها أبرز الاحداث الجارية في العراق

حينئذ . وقد اعتبرت تلك المجلة مرجعا موثوقا لطابعها العلمي الرزين أولا ، ولأن كتابها في الشئون القبلية كانوا من المختصين الثقاة مثل محمد باقر الشبيبي ويعقوب سركيس وسليمان الدخيل وغيرهم .

-٢-٢-٢-


تمهيد

سياسة الدولة العثمانية تجاه القبائل العراقية قبل فترة البحث

حدد اللغويون العرب القبيلة بأنها جمع من الناس ينتمون لأب واحد ، وهي أصغر من الشعب، وتليها في الصغر "العمارة" ثم "البطن" ثم "الفخذ" (١) ، أما عشيرة الرجل فهم بنو أبيه الادنون (٢) ، ولكن القبيلة عند العراقيين المعاصرين تنقسم الى "عشائر" وهذه تنقسم بدورها الى "أفخاذ" يتألف كل فخذ منهـا من مجموعة "أسر" (٣) . وقد يستخدم تعبير "الفرع" او "الفرقة" أو "البطن" بدلا من تعبير "الفخذ" ، بينما تطلق كلمة "الحمولة" على بيت الرئاسة في القبيلة أو البيت ذى المكانة الاجتماعية المتميزة. (٤)

ولقد كانت شبه الجزيرة العربية هي المصدر الذى يمد العراق منذ القدم بالقبائل ، اذ كانت لقبائلها صلات بالعراق منذ الالف الثالث قبل الميلاد (٥) وقد تطورت هذه الصلات مع مرور الزمن حتى أستقرت بعض تلك القبائل على تخومه ، بل واصبح لبعض رؤسائها اقطاعات زراعية في المنطقة الجنوبية منه في الفترة التي سبقت مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم. (٦)

(١) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت، ١٩٥٦ ، المجلد الحادى عشر ، ص ٤١٥ ،

(٢) ابن منظور، المصدر نفسه ، المجلد الرابع، ص ٥٧٤ .

(٣) عبد الجليل الطاهر ، البدو والعشائر في البلاد العربية ، القاهرة ، ١٩٥٥، ص ٢٠ .

(٤) عباس العزاوى ، عشائر العراق ، بغداد ، ١٩٥٦، ج ٤ ، ص ٢٦٣ ، وقد ترد تلك التقسيمات على الوجه التالي : (القبيلة فالعشيرة فالفرقة فالفخذ فالحمولة واخيرا الاسرة.

راجع :- Harris, G.L., and others, Iraq, New Haven, 1958, P.68.

(٥) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت، ١٩٦٨، ج ١ ، ص ص ٥٧٣ - ٦٠٦ .

(٦) أكستر، م.ج ، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة يحيى الجبورى ، بغداد ، ١٩٧٦، ص ص ٥ - ٣٩ .

فلما جاءت حركة الفتح الاسلامي بعد ذلك تدفقت على العراق جموع القبائل في شبه الجزيرة واستوطنت مصريه الجديدين الكوفة والبصرة وانتشرت منهما في اغلب ربوعه فجعلتها عربية اللسان والتنظيم الاجتماعي (١) .

ولم يتوقف سيل الهجرة القبلية بعد ذلك عن التدفق ، بل استمرت تفد الى العراق بين آونه واخرى موجات يتلو بعضها بعضا ، خاصة في فترات الفوضى والحروب ، وحين تكون حكومة البلاد ضعيفة مهملة (٢) . وعلى هذا استمرت قبائل شبه الجزيرة تتوافد على البلاد خلال القرنين الميلاديين الماضيين (٣) . بل أن آخر الهجرات الكبيرة جاءتها في اوائل العقد الرابع الهجري الماضي / اوائل العقد الثاني من هذا القرن الميلادي (٤) . ونتيجة لذلك كله اصبح الوجود القبلي في العراق كثيفا جدا ، ويمكن ان تقدر تلك الكثافة اذا عرفنا ان اكثر من ثلاثة أرباع سكانه كانوا في سنة ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧م من القبائل المستوطنة او المترحلة . (٥)

وكان من الطبيعي ان تصل تلك الهجرات على شكل مجموعات بدوية متنقله ثم تمر بفترة طويلة من التحول التدريجي الى حياة الاستقرار الزراعي (٦) ، وحتى بعد وصولها لتلك المرحلة تظل متمسكة بنظامها القبلي لان العمل

---

(١) راجع مثلا كشف القبائل التي استوطنت الكوفة في : حسين بن احمد البراقي ، تاريخ الكوفة ، النجف ، ١٩٦٠ ، ط٢ ، ص ١٩٧ .

(٢) على الوردى ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ج ١ ، ص ١٧ .

(٣) عبدالعزيز سليمان نوار ، داود باشا والي بغداد ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٩٨

(٤) India Office Records, R/15/5/25,No. 2306, High Commissioner, Bagdad, to Political Agent, Kuwait, Sept. 16,1921.

(٥) وميض نظمي واخرون ، التطور السياسي المعاصر في العراق ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص ١٩ .

(٦) نوار ، مرجع مر ذكره ، ص ٩١ .

الزراعي يتطلب قدرا من التنظيم لم يكن من المتيسر وجوده حينئذ الا من خلال التنظيم القبلي ، [١] الذي يوفر لاعضائه ايضا قدرا من الحماية والا من عجزت الحكومات المركزية المتعاقبة عن توفيره [٢] ، فأصبحت القبيلة نتيجة لذلك كله تنظيما اقتصاديا واجتماعيا يتكتل الافراد داخله ويمحضونه ولاءهم واخلاصهم دون سواه [٣] . وذلك أمر طبيعي اذ أن المطلبين الاساسيين اللذين يتقدمان على كل ماعداهما في تفكير الانسان منذ وجدهما لقمة عيشه وأمنه . ووضعنا اياهما نصب أعيننا دائما سيسهل علينا فهم خلفية كثير من الاحداث التي ستمر بنا فيما بعد .

دخل السلطان العثماني سليمان القانوني بغداد سنة ٩٤١ هـ / ١٥٣٤م ويبدو انه تفهم الوضع القبلي السائد في العراق اذ ترك لشيوخ القبائل حكم ديارهم القبلية [٤] ، ومما شجعه على اتخاذ تلك الخطوة ان القبائل ـ نتيجة لعوامل متعددة ـ لم تبد مقاومة لهذا الحكم الجديد [٥] ، بل قدمت له خضوعها رغم أن ذلك تأخر بعض الشيء في اجزاء معينة من العراق [٦] ، ولا يسعنا هنا أن نتعمق في تفاصيل احداث الطور الاول من اطوار الحكم العثماني في العراق ((٩٤١ - ١١٦٢هـ/١٥٣٤-١٧٤٩م)) ، بل نكتفي

---

(١) دورين ورنر ، الارض والفقر في الشرق الاوسط ، ترجمة جعفر الخياط ، مقال منشور في مجلة الزراعة العراقية ، بغداد ، المجلد الرابع ، ج ٣ ، تموز وآب وايلول ١٩٤٩ ، ص ٢٤٤ .

(٢) كارلتون كون ، القافلة ، ترجمة برهان دجاني ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٢٧٢ .

(٣) عبد الجليل الطاهر ، العشائر العراقية ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ج ١ ، ص ٣٧ .

(٤) نوار ، مرجع مر ذكره ، ص ١٢ .

(٥) نظمي واخرون ، مرجع مر ذكره ، ص ٣١ .

(٦) محمد بن خليفة النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ط٢ ، القاهرة ، ١٣٤٤هـ ، ج ١٠ ، ص ٥٢ .

بالقول ان فترة الوئام التي سادت في بدايته كانت قصيرة ،ثار بعدها الخصام بين القبائل التي تكره بطبيعتها الخضوع لاية حكومة مهما كانت[1] ، والحكومة العثمانية التي كانت تريد ممارسة حكمها المباشر على رعاياها . وقد أدى هذا التناقض الى صدامات دموية بين الطرفين ،لم تستطع الحكومة خلالها فرض سلطتها وأضطرت الى التسليم بالامر الواقع فتخلصت من المأزق عن طريق منح شيوخ القبائل الصفة القانونية لادارة مناطقهم القبلية من خلال " نظام الالتزام[2] " . وهو نظام تعهد الدولة بموجبه - بعد أجراءات معينة - الى شخص من ذوى النفوذ والثراء جباية الضرائب المقررة على الاراضي الزراعية في منطقة ما لمدة زمنية محددة . ويطلق على هذا الشخص اسم " الملتزم" كان عليه قبل ممارسة عمله أن يدفع مبلغا من المال يعادل مجموع ضرائب سنة واحدة مما هو مقرر على " دائرة التزامه" [3] . وينال مقابل تلك الخدمة التي يؤديها للدولة ثمن واردات الارض الخراجيه[4] .

وقد أدى امتداد ذلك الترتيب الى تقوية النظام القبلي فوق قوته السابقة [5] ، حتى اصبحت أغلب مناطق العراق تحت السيطرة الفعلية لاتحادات قبلية وتحول النفوذ الحكومي خارج حدود المدن الى نفوذ أسمي

---

(١) عبدالرحمن البزاز ، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ،ط٣ ، بغداد ، ١٩٦٧ ،ص ٣٩

(٢) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٨ .

(٣) عبد العزيز الشناوى ،الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، القاهرة ، ١٩٨٠ ،ج ١ ، ص ص ١٤٦ - ١٦٣ .

(٤) ليث الزبيدى ، ثورة ١٤ تموز في العراق ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٣٠ .

(٥) الطاهر ،العشائر العراقية ، ص ٣٨

تقريبا (١) . وربما كانت العوامل الكامنه وراء تقبل الدولة لذلك الوضع هـي شعور بعض الاوساط الحاكمة بأن الاراضي العراقية لا تمثل اغراءات كبيرة للدولة (٢) ، الا باعتبارها منطقة عازلة بينها ، وبين فارس (٣) ،اذ أن العراق بعيد عن مركز الدولة وتربطه به طرق رديئة (٤) . ولا يجب ان ننسى قبل ذلك كله انشغال الدولة بحروبها الاوربية (٥) . وبذلك لم تتح لها فرصة للاهتمام الكافي بهذه البلاد - وعلى هذا خلا هذا الطور الاول من اطوار الحكم العثماني في العراق من أية محاولة ايجابية لمعالجة المشكلة القبلية باستثناء استحداث منصب " باب العرب " خلال ولاية حسن باشا " ١١١٦ - ١١٣٥هـ/ ١٧٠٤ - ١٧٢٣م " ، وكان يناط عادة بأحد الوجهاء العرب ليكون صلة بين الوالي وبين القبائل العربية (٦)

جاء بعد ذلك حكم المماليك في العراق " ١١٦٢ - ١٢٤٧هـ/١٧٤٩- ١٨٣١م " فتمتع في اوله بقوة ظاهرة تجاه القبائل ، ولكنه أخذ يضعف تدريجيا حتى أصبح شغله هو اخماد الثورات القبلية المتواصلة (٨) ، التي كان سببها الاساسي هو أصرار الحكم على استيفاء الضرائب (٩) ،في مجتمع يمتنع كل من فيه

---

(١) عبدالله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ،ط٢ ،بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٤٥ .

(٢) Cohen, S., British Policy in Mesopotamia, 1903-1914, London, 1967, P. 12.

(٣) نظمي واخرون ،مرجع مر ذكره ،ص ٩

(٤) فياض ،مرجع مر ذكره ،ص ٤٥

(٥) Glubb, J.B., Arabian Adventures, London,1978,p.34.

(٦) عباس العزاوي ،تاريخ العراق بين احتلالين ،بغداد: ١٩٥٥ ،ج ٨ ، ص ٢٨٤ .

(٧) نوار ،مرجع مر ذكره ، ص ٩٥

(٨) الطاهر ،العشائر العراقية ، ص ٣٨ .

(٩) الطاهر ،البدو والعشائر ،ص ٣٧ .

عن د فعها اذا وافته الفرصة، يدفعهم لذلك ثقل الضرائب المفروضة عليهم ، فرغم أن اسم الضريبة على الانتاج الزراعي هو " العشر" الا انها ترتفع حتى تصل الخمس بالنسبة للأراضي الحسنه الارواء[٢] ، وقد تتعدى ذلك حتى تقاسم الدولة الزراع انتاجهم مناصفة وربما أخذت الثلثين أحيانا ، وهي لا تكتفي بذلك كله، بل انها كلما رأت نقصا في الواردات عوضته عن طريق زيادة تخمين مقادير الحاصلات [٣] ، وهو الاجراء الذي يتم اللجوء له أحيانا لتعيين مبلغ الضريبة الزراعية، وكان يلجأ في احيان أخرى الى احصاء الاشجار ووسائل الري وفلاحي المقاطعة لتقدير تلك الضريبة، او يتم التقدير على اساس المساومة على مبالغ مقطوعة، وفي كل تلك الاحيان يتم الاعتماد على موظفين ليسوا فوق مستوى الشبهات في الاغلب[٤] . واضافة الى الضريبة الزراعية كانت الدولة تتقاضى من القبائل ضرائب أخرى منها ضريبة "البيتية" التي يستوفى بموجبها خمسون قرشا ذهبيا [٥] سنويا عن كل بيت أو كوخ تسكنه أسرة واحدة ويتضاعف ذلك المبلغ حين يسكن البيت باسرتين اثنتين . كما تستوفى ضريبة على المواشي مقدارها نصف مجيدي في السنة[٦] عن كل رأس من الجمال والخيل والبقر والجاموس واثنا عشر قرشا عن كل رأس من الغنم

---

(١) GLUBB, op.cit.,P. 36

(٢) لوريمر، ج .ج . ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ترجمة ديوان حاكم قطر، الدوحة ، بدون تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٢٥ .

(٣) العزاوي ، مرجع مر ذكره ، ج ٨ ، ص ٢٤٩ .

(٤) لونغريك ، س .هـ ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط ٥ ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص ٣٨٥ .

(٥) يعادل القرش واحد بالمائة من الليرة الذهبية العثمانية، راجع : يعقوب سركيس ، مباحث عراقية، بغداد ، ١٩٤٨ ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

(٦) المجيدي عملة ذهبيه تعادل عشرين قرشا ، راجع: حامد البازي، البصرة في الفترة المظلمة، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ٦٨ .

أو الماعز أو الحمير. (١)

وازاء تلك الاضطرابات القبلية المستمرة لجأ المماليك الى اتباع اسلوب الاستعانة ببعض القبائل لضرب قبائل أخرى وتأجيج الصراعات الداخلية بين الشيوخ المتنافسين ضمن كل قبيلة (٢) . كما أن الزعماء المماليك المتاصرعين فيما بينهم على الحكم لجأوا ايضا للاستعانة بالقوة القبلية ضد بعضهم البعض الامر الذى اعطى للقبائل فى هذا الدور اهمية سياسية متزايدة بلغت اوجهها بدخول الشيخ حمود الثامر السعدون زعيم المنتفق بغداد على رأس قواته سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م (٣) . كما زاد من أهمية القبائل فى هذه الفترة ايضا حاجة المماليك للاستعانة بها فى صد الاخطار الخارجية المحدقة بالعراق مثل الخطر الفارسي بين سنتي ١١٩٠ - ١١٩٣هـ/ ١٧٧٦-١٧٧٩م، ونشاط الامارة السعودية الفتية اوائل القرن الثالث عشر الهجرى/ اواخر القرن الثامن عشر الميلادى (٤) . وقد لجأت القبائل فى هذه الفترة ايضا الى عقد محالفات عامة فيما بينها لتحقيق غايات محددة مما زاد فى قوة موقفها تجاه المماليك (٥) .

انتهى حكم المماليك فى العراق فى ربيع الاخر ١٢٤٧هـ/ سبتمبر

---

(١) لوريمر، مرجع مر ذكره ، ج ٣ ، ص ١٣٢٤

(٢) نوار، مرجع مر ذكره ، ص ص ١٠٠ - ١١٢

(٣) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

(٤) الطاهر، المشائر العراقية ، ص ص ٧٠ - ٧٢ .

(٥) نوار، تاريخ العراق الحديث ، ص ٤٦٨ .

١٨٣١م حين دخل الجيش العثماني بغداد بقيادة علي رضا باشا اللاز. وقد اتبع الباشا الجديد خلال حكمه منهجا جديدا في التعامل مع القبائل هو ابعاد القوات الحكومية عن الصدام المباشر معها عن طريق اتاحة الفرصة لشيوخها المتنافسين لتصفية خلافاتهم فيما بينهم فاذا ماسقط في الصراع احدهم أستبدله بآخر موال للدولة(٢). وقد سار خلفاوءه على نفس النهج في التعامل مع القبائل العربية في وسط وجنوب العراق في الوقت الذي كرسوا فيه جهودهم للقضاء على الامارات الكردية شبه المستقلة في المنطقة الشمالية من العراق (٣)، اذ لم يكن بوسعهم فرض الحكم المباشر على القبائل العربية والكردية في آن واحد (٤).

وفي الثلث الاخير من القرن الثالث عشر الهجري/ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي بدأ في الدولة العثمانية عهد جديد، اذ سيطرت على أذهان قادتها فكرة تحديث الدولة، فأخذوا يحثون ولاة بغداد على اتخاذ موقف فعال تجاه القبائل (٥). ولكن تلك الفعالية لم تظهر الا على شكل عمليات حربية ضد القبائل المناوئة(٦) اضافة الى اتباع الوسائل غير المباشرة المعهودة من ضرب القبائل ببعضها وتأجيج نار الخصومات بين الشيوخ، وفوق ذلك كله المغالاة في رفع بدلات التزام الاراضي (٧)، حتى لقد زيد خراج

---

(١) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ١١٣
(٢) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ١٣٦
(٣) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ١١٣
(٤) نوار، تاريخ العراق، الحديث، ص ١٧١
(٥) Glubb, op.cit., P. 39
(٦) فاضل حسين وآخرون، تاريخ العراق المعاصر، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣
(٧) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ٧

اراضي المنتفق مثلا من مائتي الف شامي[1] سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥١م الى ثلثمائة وعشرة الاف شامي سنة ١٢٦٩هـ/١٨٥٣م[2] . ويمكن تعليل هذه المغالاة بحاجة الدولة الماسة الى المال لتنفيذ مشاريع التحديث والاصلاح التي اعتزمتها ، اضافة الى الرغبة في قصم ظهور الشيوخ الذين يتقدمون لمزايدات الالتزام لأضعاف سيطرتهم على قبائلهم.

ورغم ان ذلك الميل للشدة مع القبائل لم يؤد الى نتيجة حاسمة مما جعل بعض الولاة يميلون للتساهل معها احيانا[3] ، الا انه ظل يشكل السمة الاساسية لسياسة الدولة في هذه الفترة ، حتى لقد حفلت السنوات الاولى من حكم السلطان عبد العزيز " ١٢٧٨ - ١٢٩٣هـ/١٨٦١ - ١٨٧٦م " بالمشكلات القبلية الخطيرة الناتجة عن محاولات الحكومة بمواردها غير الكافية احكام قبضتها على القبائل وبسط سيطرتها على مناطق لم يطرقها الحكم العثماني المباشر من قبل[4] . وكانت ابرز تلك المحاولات ماجرى في أيام الوالي نامق باشا " ١٢٧٩-١٢٨٥هـ/١٨٦٣ - ١٨٦٨م " الذي سعى الى تحويل المشيخة القبلية في بعض المناطق الى وظيفة أدارية ولكن سعيه تعثر[5] ، لاصطدامه بالتقاليد العربية في المشيخة التي تمتد جذورها الى عصور موغلة في القدم .[6]

---

(١) الشامي عملة عثمانية تعادل تسعة قروش وثلاثين باره أي مايقل عن عشر الليرة العثمانية ـ راجع : العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٣١ .

(٢) Dickson,H.R.P., The Arab of the Desert , 3rd imp. , London, 1959,P.554.

(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٨٠

(٤) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٠٩٩

(٥) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ص ٧٣ - ٧٤

(٦) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ١٨١ .

وازاء فشل كل الاساليب السابقة في التعامل مع المشكلة القبلية، برز اسلوب جديد نادى به الوالي المصلح مدحت باشا" ١٢٨٦ - ١٢٨٩ هـ / ١٨٦٩ - ١٨٧٢م". اذ أدرك ان المعالجات المبنية على القمع وحده لا تؤدي الى حل تلك المشكلة، فأستقر رأيه على اتخاذ اجراءات ايجابية تهدف الى تحويل افراد القبائل الى مواطنين منتجين [1]؛ وذلك عن طريق تطوير نظام ملكية الاراضي الزراعية في العراق. وهو النظام الذي مر قبل ذلك بعدة مراحل، فبعد أن طبقت الدولة العثمانية اول الامر احكام الشريعة الاسلامية على الاراضي وخلاصتها ان تظل رقبة الارض ملكاً للدولة بينما يحتفظ شاغلوها بحق الانتفاع والتصرف بها لقاء الخراج الذي يؤدونه، عادت بتأثير نزعتها العسكرية وحروبها المستمرة - فأستبدلت ذلك النظام بآخر قسمت بموجبه الاراضي الى اقطاعات وزعت على القادة والامراء لقاء تقديمهم عدداً محدداً من الفرسان المسلحين عند الطلب [2]. وقد طبق هذا النظام في العراق جنباً الى جنب مع نظام الالتزام الذي أشرنا اليه والذي حاولت الدولة الغاءه بقانون صدر سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م ولكن تطبيقه لم ينجح [3]، فظل الحال على ماهو عليه الى ان صدر قانون الاراضي سنة ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م، والذي قسمت أراضي الدولة بموجبه الى خمسة اصناف : مملوكة وموقوفة وأميرية ومتروكة وموات [4] فأصبحت نتيجة لذلك اغلب الاراضي القبلية في العراق من الصنف الثالث، وهو الامر الذي واجهته القبائل بانكار شديد [5]، فهي لاتقر بأن أرضها ملك للدولة ولا حتى لشيخ القبيلة

---

(١) الطاهر، البدو والعشائر، ص ٣٧.

(٢) عبد الرزاق الهلالي ، قصة الارض والفلاح والاصلاح الزراعي في الوطن العربي، بيروت، ١٩٦٧، ص ص ٩ - ٢٤.

(٣) الشناوي، مرجع مر ذكره، ج ١، ص ١٨٠

(٤) محمد توفيق حسين، نهاية الاقطاع في العراق، بيروت، ١٩٥٨، ص ٩٥

(٥) نظمي واخرون ، مرجع مر ذكره ، ص ٢١

نفسه[١] ، بل هي في نظرها ملكية مشتركة لجميع افرادها ، قد يخصص جزء منها للشيخ كي يصرف من عائداته على اغراض القبيلة المشتركة[٢] .

لقد أدرك مدحت باشا كل تلك التعقيدات ، فاقترح على الباب العالي ان يسمح له بتفويض ملكية الأراضي الاميرية في العراق للمزارعين بسندات الطابو فقبل اقتراحه[٣] . وبدأ تنفيذ المشروع الذى كان يهدف الى توطين القبائل شبه البدوية ، والقضاء على اصطدامات القبائل حول ملكية الاراضي ، وتوجيه ضربة للنظام القبلي من خلال الغاء الملكية الجماعية للارض واستبدالها بالملكية الفردية الصغيرة التي يصبح المزارع بموجبها مسئولا أمام الحكومة مباشرة دون وساطة شيخ القبيلة[٤] . ولكن أغلب اولئك المزارعين من ابناء القبائل لم يقبلوا على الاستفادة من ذلك الترتيب نظرا للحاجز النفسي الذى يفصلهم عن الحكومة ، فقد اعتادوا على اعتبارها عدوا لهم فلا يعقل - بنظرهم - أن تقدم على أجراء يستهدف منفعتهم[٥] . ثم ان حق تملك الارض مستمد في عرفهم من السيطرة عليها بحد السيف ولا معنى لملكية

---

(١) محمد على قطان ، دراسة المجتمع في البادية والريف والحضر ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٩٤ .

(٢) Haider, Saleh, Land Problems of Iraq, in "The Economic History of Middle East", edited by Issawi, Charles, Chicago, 1966, P. 163.

(٣) الطاهر ، البدو والعشائر ، ص ٣٨ - والطابو كلمة تركية مشتقة من الفعل تاب - ماك وهو فعل العبادة والطاعة والخضوع " الهلالى ، قصة الارض ، ص ١٤١ " - وذكر القنصل الاميركى في بغداد انها مشتقة من الكلمة التركية tapook التى تعني الطاعة والاذعان ، راجع :
National Archives and Records Service, Washington Record Group 84, " How Taxes are collected from Land and other sources in Bagdad", Dece . 9, 1909.

(٤) نظمي وآخرون ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٣

(٥) الوردى ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٥٠

مستندة الى ورقة لسمها سند الطابو. (١).وعلى هذا فحين قللت عمليــة التفويض من الاضطرابات القبلية في بعض المناطق الى حد كبير(٢) كان الامر عكس ذلك في اغلب المناطق التي أستغل فيها الشيوخ وبعض وجهاء المدن عزوف أفراد القبائل فسجلوا أراضي واسعة باسمائهم(٣) ، متواطئين في بعض الحالات مع الموظفين المرتشين الذين أشرفوا على عملية التسجيل (٤) . وهكذا نال بعض الوجهاء حقوقا قانونية لا يملكون القوة للازمة لممارستها بالفعل، في حين دمر الشيوخ الذين تحولوا الى مالكين أفضل عناصر العلاقة التي تربطهم بأفراد قبائلهم(٥) ، اذ اتسع الصدام بين الطرفين وانتشرت الفوضى لدرجة لم يعد معها بالامكان اتمام عملية التفويض فأوقفتها الحكومة بعد أن تم تفويض خمس الاراضي العراقية فقط(٦) .

ولم تقتصر اعمال مدحت باشا في العراق على هذا الجانب فقط بل كانت له نشاطات واسعة في مجالات عدة، ليس يهمنا هنا التعرف عليها كلها ، بل نكتفي بالاشارة الى ماوراه البعض عن محاولة" تتريك" القبائل العراقية(٧) ، وهي رواية يكفي لدحضها مجرد تصور الصعاب العظيمة التي

---

(١) Pool, D. From Eltie to class: The Transformation of Iraqi Political Leadership, in " The Integration of Modern Iraq" , edited by Kelider, Abbas, London 1979, P. 78.

(٢) فاضل حسين ، مرجع مر ذكره ، ص ٤

(٣) Haider, op. cit. , pp. 163 - 64.

(٤) الطاهر، العشائر العراقية ، ص ٣٨ .

(٥) Longrigg, S.H., Iraq 1900 To 1950, 3rd impr., Beirut, 1968, p.37.

(٦) ورنر ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٤٩ .

(٧) الطاهر، العشائر العراقية ، ص ٧٤ .

تكتنفها وتجعل تنفيذها ضربا من المحال . ولكن ربما كان المقصود بـ " التتريك" الذى ذكر هو محاولة "عثمنة" القبائل ، أى جعلها تخضع للانظمة والقوانين العثمانيه اسوة ببقية المواطنين فى الدولة ، وهى المحاولة التى وضعها مدحت باشا نصب عينيه طيلة أيام ولايته فى العراق (١) .

وبعد انقضاء ولاية مدحت باشا تلتها فترة كانت ابرز سماتها هى عدم الاستقرار الادارى يكفى للتدليل عليها القول ان عشرة ولاة تعاقبوا على ولاية بغداد خلال الفترة الواقعة بين سنتى ١٢٩٦ - ١٣٢٨هـ/ ١٨٧٩-١٩١٠م بينما تعاقب على حكم ولاية البصرة خلالها سبعة عشر واليا (٢) وقد جعل ذلك من الصعب على أى منهم بلاشك مباشرة خطة جادة لمعالجة مشاكل ولايته وفى مقدمتها المشكلة القبلية المعقدة . وكانت السمة الثانية لتلك الفترة هى ظهور شخصية السلطان عبد الحميد " ١٢٩٣ - ١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦-١٩٠٩م" على كل ماعداها من شخصيات الدولة سواء فى العاصمة أو الولايات ويبدو أن المشكلة القبلية كانت تحتل حيزا من اهتماماته نلمس ذلك من تأكيده فى فرمانات تعيين الولاة على ضرورة معالجة تلك المشكلة (٣) ، كما نلمس ذلك أيضا فى تعليقات جريدة ولاية بغداد الرسمية التى كانت تكرر القول عن أهتمام السلطان بأمر القبائل (٤)

ولكن لايبدو ان ذلك الاهتمام تجسد فى وضع خطة ما لمعالجة تلك المشكلة معالجة جذرية ، فالاجراء الوحيد ذو الطابع الايجابى الذى أمر السلطان عبد الحميد باتخاذه هو قرارهُ فتح مدرسة فى استانبول توضع تحت

---

(١) Glubb, op.cit. p. 40.

(٢) نظمى ، واخرون ، مرجع مر ذكره ص ٩

(٣) العزاوى ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٣٧ و ص ٤٣ .

(٤) الزوراء ، الجريدة الرسمية لولاية بغداد ، السنة ٣٢ ، العدد ١٨٦٨ ، الصادر فى ١٧ صفر ١٣١٨ .

أشرافه الشخصي ويتم اختيار تلاميذها من بين ابناء القبائل في الولايات العربية المختلفة حيث يتلقون تعليمهم فيها على نفقة الدولة، وتقرر أن تفتتح تلك المدرسة التي سميت" مكتب المشيرة" في ١٢ ربيع الأول ١٣١٠هـ. [1] وقد سافر بالفعل الى استانبول عدد من ابناء شيوخ القبائل العراقية للالتحاق بتلك المدرسة [2] . ولعل الهدف الذى قصده السلطان من ذلك الاجراء هو تربية أولئك الفتيان على الولاء والاخلاص للدولة أملا في ان يتولوا زعامة قبائلهم يوما ما، أو ربما أراد أن يكون الابناء من خلال وجودهم في استانبول وسيلة لضمان حسن سلوك الآباء. ويشير البعض الى ان تلك المحاولة هدفت الى "عثمنة" ابناء الشيوخ من خلال تربيتهم على الذوق العثماني وهي محاولة كان نصيبها الفشل الا في حالات قليلة جدا. [3]

وفيما عدا ذلك عجزت الدولة في هذه الفترة عن تقديم حل ناجح لاهم أسباب المشكلة القبلية في العراق، فقد ظلت ملكية الارض محورا للصدام ولم يفد القانونان اللذان اصدرتهما الدولة في عامي ١٢٩٧ هـ / ١٨٨٠م و ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م في ايجاد حل لها، بل بالعكس فأنهما كرسا الامر الواقع فأعتبرا أربعة أخماس الاراضي العراقية أراضي أميرية تعود للدولة ملكيتها" رقبتها" وحق الانتفاع بها" التصرف"، بينما يكون شاغلو الارض الفعليون مجرد مستأجرين يمكن للدولة طردهم في أي وقت كما يحق لها أن تطلب منهم أي ايجار تقرره [4] . ومن جانب آخر كانت سلطات العهد الحميدي حريصة على جمع اكبر قدر من الضرائب

---

(١) الزوراء، السنة ٢٤، العدد ١٥١٦، الصادر في ٢١ ذي الحجة ١٣٠٩هـ.

(٢) العزاوي، تاريخ العراق، ج ٨، ص ١١٩.

(٣) Pool, op.cit., p. 78.

(٤) Haider, op.cit., p. 164.

من السكان الباقين فى اقصر وقت ممكن ، وقد أدى ذلك الى تهرب القبائل وانتقالها من مكان لآخر بدلا من الاستقرار فى أرض معينة وتوجيه جهودها لزراعتها . وحتى حين تستطيع احداها الاستقرار فى أرض معينة لبعض الوقت فأنها سرعان ماتنهمك فيما بينها فى صراعات سببها مكائد الباشوات(١) . ولم يكتف الباشوات بذلك بل كانوا عند بداية كل موسم من مواسم الجباية يجردون حملات حربية ضد القبائل لحثها على دفع ماهو مقرر عليها . ورغم ذلك فأنهم لاينجحون اغلب الاحيان فى الوصول الى تلك الغاية، اذ لم يبلغ ماكانت الدولة تحصل عليه اكثر من واحد بالمائة من الضرائب المقررة على بعض المناطق (٢) .

وقد جرأ القبائل على وقوفها فى مواجهة الدولة فى هذه الفترة شعورها بالانهاك الذى أصاب قوى الدولة نتيجة حروبها فى اوربا (٣) ، بحيث لم يعد لديها المزيد من القوات لتوجيهها نحو القبائل . فأستعاضت عن ذلك باللجوء الى الوسيلة المعهودة غير المباشرة وهى ضرب القبائل ببعضها والشيوخ فيما بينهم(٤) مستعينة على ذلك بنزوع الشخصية القبلية العربية الى كره المنافسين كرها لاتحده حدود (٥) . وقد لاحظ القنصل الامريكى

---

(١) N.A.R.S., RG 84,No.329, American Consular Agent, Basra, to American Consul, Bagdad, May 13, 1910.

(٢) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ٤٦

(٣) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢١٩٦

(٤) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٠ وص ٢٧٢ .

(٥) Glubb, J.B.,War in the Desert, London, 1960, P.72.

العام في بيروت تلك الظاهرة فكتب يقول :ـ" ان السلطات العثمانية لا تستطيع السيطرة على العراق شهرا واحدا اذا ما اتحدت القبائل العربية تحت قيادة زعيم واحد ، ولذلك لجأت الى المكائد لاحداث انشقاق ليس بين القبائل الكبيرة فقط بل وداخل فروع القبيلة الواحدة ونادرا ماكانت تفشل في تلك المكائد التي تدبرها من خلال مبعوثيها السريين المختارين بعناية ومن خلال الاشخاص غير الواعين من ابناء القبائل نفسها" [1]ـ والغريب ان المذكرات المنسوبة الى السلطان عبد الحميد تشير لكثرة الحوادث القبلية في العراق وتعزوها الى الثغرات الموجودة في الادارة والى اهمال الموظفين [2] ، دون ان يبادر السلطان الذي كان يجمع بيده كل السلطات الى اتخاذ اجراءات فعالة لسد تلك الثغرات واستئصال ذلك الاهمال .

أما وقد وصلنا لهذه المرحلة وتعرفنا بشكل سريع على ملامح السياسة العثمانية تجاه القبائل العراقية بشكل عام، فيجدر بنا أن نلم الماماً مماثلة بخصوصية العلاقة بين قبائل ولاية البصرة والسلطات العثمانية قبل الفترة المحددة لبحثنا ،كي نتمكن من تتبع جذور القضايا التي سنتعامل معها فيما بعد . وأول مايجب الوقوف عنده هو التعرف على الاطار المكاني لبحثنا ، الا وهو ولاية البصرة ، فقد اجمعت أغلب المراجع على أن" ناصر باشا السعدون " هو الذي سعى في فصلها عن ولاية بغداد ، وتشكيل ولاية مستقلة فيها ، انيطت له نفسه مقاليدها سنة

---

(1) N.A.R.S., RG 84, No. 146, American Consul General, Beirut, to American Ambassador, Constantinople, Apr. 30, 1908.

(٢) السلطان عبد الحميد ، مذكراتي السياسية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٩٦ .

١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م.[1] وربما ساعده في مسعاة ذلك شعور السلطات العثمانية بأن لتلك المنطقة وضعها الخاص المتميز[2] ؛ ولكن أمر هذه الولاية الجديدة لم يستقر اذا دمجت ثانية في ولاية بغداد سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م ثم أعيد لها استقلالها سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م[3] ،ثم مالبثت أن انيطت ولايتها وكالة لوالي بغداد[4] ، الى ان أعيد لها استقلالها التام سنة ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦م[5] واستقر الامر هكذا حتى قيام الحرب العالمية الاولى ودخول القوات البريطانية اليها كما سنعرف.

---

(١) ابن الغملاس ، ولاة البصرة ومتسلموها ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ٨٠ ، وأنظر أيضا : العزاوي، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٢٧ وأيضا الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٧٥ وأيضا لوريمر مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢١٣١ وقد اضاف ان ناصرا بذل من اجل تلك الغاية سبعين الف جنيه من ماله الخاص. ولكن مؤلفي " تاريخ العراق المعاصر ، ص ١١٥ ، انفردوا بالقول أن انفصال تلك الولاية تم أيام مدحت باشا .

(٢) نوار ، داود باشا ، ص ١٦

(٣) ابن الغملاس ، مرجع مر ذكره ، ص ٨١

(٤) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٧١.

(٥) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢٠٠.

ويبد و ان الولاية شملت اول الامر الوية البصرة والمنتفق ونجد[1] ، ثم الحق بها لواء العمارة فيما بعد [2] . وقد ذكر لوريمر ان الولاية تألفت عند تشكيلها من مديرية الفاو[3] وقائمقامية القرنة [4] ومتصرفيات الحله[5] .

---

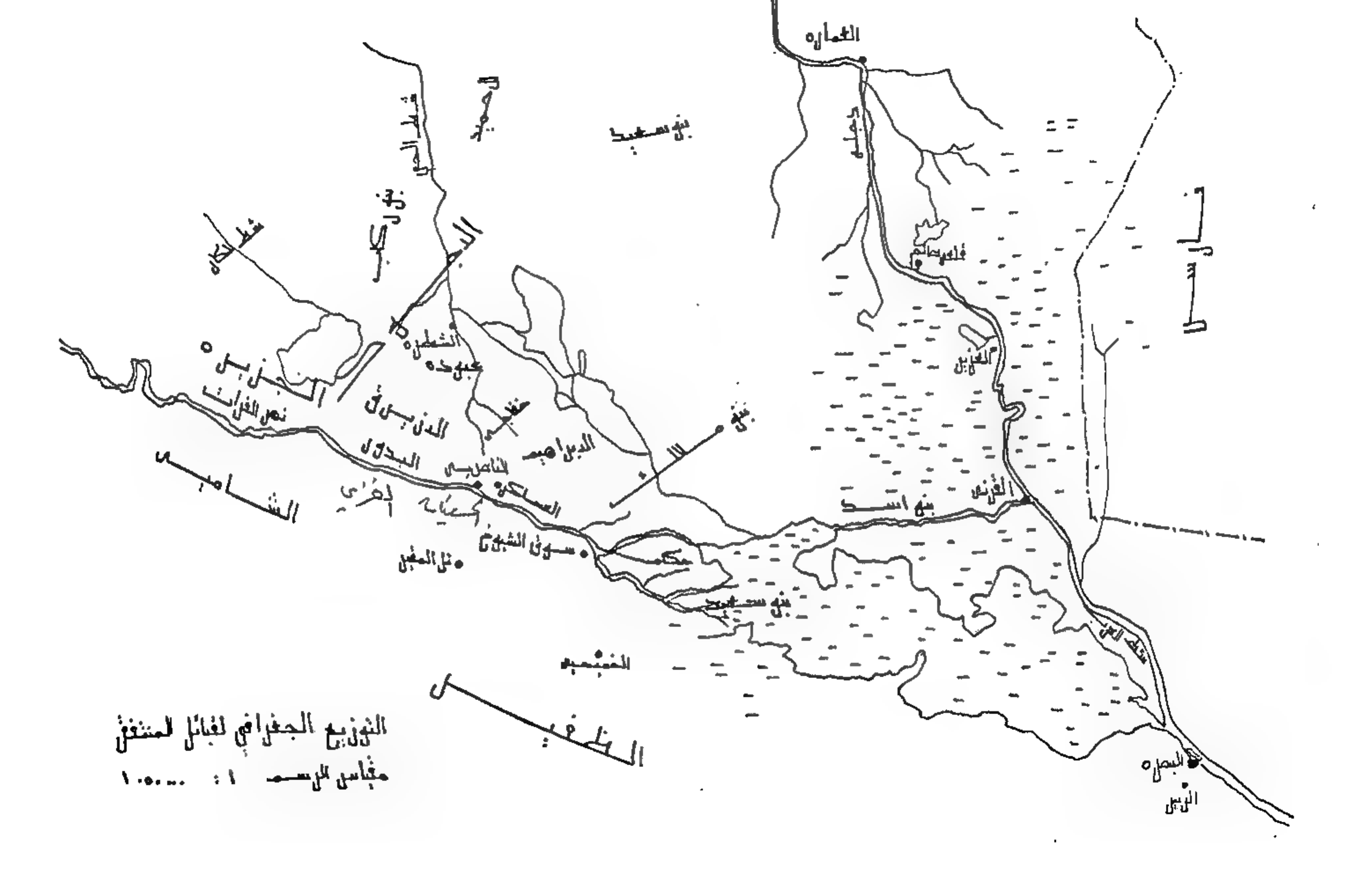
(١) درج العثمانيون على تسمية الأحساء والقطيف وقطر باسم لواء نجد وقسموه الى عدة اقضية هي : الهفوف وقطر والقطيف وبريدة والرياض . راجع : لوريمر، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ١٢٩٥ ،

(٢) العزاوي ، تاريخ العراق، ج ٨ ، ص ٢٧ .

(٣) مدينة صغيرة عند مصب شط العرب في الخليج ، وكانت نقطة التقاء خطوط البرق العثمانية بخطوط البرق الهندية الاوربية ، ولا هميتها بنت الدولة فيها قلعة سنة ١٣٠٤ هـ/١٨٨٦ م. راجع: لوريمر مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٢ ، ص ص ٨٣ - ٨٤١ . ويقول النبهاني في " التحفه ، ج ٩ ، ص ١٤٣ " أن سبب تسميتها " الفاو " راجع لغرق سفينة من سفن الديلم كان اسمها " فاو " في ذلك الموضع .

(٤) مدينة تقع شمال البصرة عند الملتقى القديم لنهري دجلة والفرات ، ورد ذكرها لاول مرة في كتابات الرحالة باعتبارها قلعة صغيرة حوالي منتصف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي . راجع : عبد الحسين جواد السريحي ، الاقليم الوظيفي لمدينة القرنة ، بغداد ، ١٩٧٧ ص ص ٢١٢ - ٢١٤ .

(٥) مدينة على الفرات جنوب بغداد ، أنشئت أيام الامارة الزيدية سنة ٤٩٥ هـ وهي وحدة ادارية تابعة لولاء بغداد ، راجع : يوسف كركش الحلي ، تاريخ الحله ، النجف ، ١٩٦٥ ، ج ١ . ص ص ٢٢ - ٢٣ .


التوزيع الجغرافي لقبائل المنتفق
مقياس الرسم ١ : ١٠٥٠٠٠٠
العمارة
قلعة صالح
العزير
القرنة
البصرة
الزبير
بنو اسد
بنو سعيد
شط العرب
شط الحي
شط الغراف
نهر الفرات
الناصرية
سوق الشيوخ
تل اللحم
الشطرة
عبودة
الدراجي
البدور
الشامية
الظفير
فارس
الجزيرة
الحميد
بنو ركاب
الخميسية

(وتشمل كربلاء [١] والنجف [٢] حتى العماره) والمنتفق والاحساء [٣]. وذلك خلط واضح لايتطلب ادراكه اكثر من نظرة واحدة الى الخريطة ندرك منها على الفور ان العمارة لايمكن أن تكون جزءا اداريا من الحلة. وسوف نقتصر في بحثنا على اجزاء الولاية الواقعة ضمن الحدود الحالية للعراق. أي الوية البصرة والمنتفق والعمارة منعا للتشتيت الجهد وتجنبا للاطالة وادراكا للتماثل الموجود بين قبائل تلك الالوية الثلاثة. اذ أن اغلبية قبائل هذه الالوية الثلاثة توطنت منذ أمد بعيد واشتغلت بالزراعة. بينما ظلت قبائل لواء نجد بادية مترحلة، فأصبحت اوضاعها متميزة في أوضاع القبائل العراقية سالفة الذكر بشكل يحسن معه عدم تناولها جميعا في بحث واحد.

قبائل المنتفق والحكم العثماني :

المنتفق كما عرفنا آنفا لواء" سنجق" تابع لولاية البصرة. وقد أخذ اسمه من قبائل المنتفق التي تقطنه، والتي يختلف في سبب تسميتها بذلك الاسم. ففي حين يقول البعض انه تحريف للكلمة" المنتفق" التي اطلقت على تلك القبائل اثر اتفاقها على تكوين حلف فيما بينها [٤]، يقول البعض الاخر انه نسبة لـ" المنتفق بن عامر بن عقيل" الذي هو الجد الاعلى فأطلق اسمه عليها وعلى من انضم لها قرابة او حلفا من باب اطلاق الجزء على الكل. [٥] وفي لفظ تلك الكلمة خمس لغات هي " المنتفق " بالقاف

---

(١) مدينة تقع على بعد خمسة وخمسين ميلا جنوب غرب بغداد، فيها ضريح الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، وقد بني ذلك الضريح سنة ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م ونمت حوله المدينة.
راجع لوريمر مرجع مر ذكره، القسم الجغرافي، ج ٣، ص ص ١٥٣٦-١٥٤٣.

(٢) موضع قرب الكوفة معروف قبل الفتح الاسلامي، دفن فيه الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنه ٤٠هـ، وبدأ الناس يبنون حول ضريحه منذ سنة ١٧٠ هـ قسمت المدينة.
راجع : سعاد ماهر، مشهد الامام علي في النجف، القاهرة، ١٣٨٨هـ ص ص ٨٧ - ١١٠.

(٣) لوريمر، مرجع مر ذكره، القسم التاريخي، ج ٤، ص ٢١٩٩.

(٤) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ١٦، انظر أيضا، نوار، داود باشا، ص ٩٤ وأيضا الطاهر، العشائر العراقية ص ٦٠.

(٥) مجلة لغة العرب، السنة الاولى، ج ٢، شعبان ١٣٢٩هـ/ آب ١٩١١، ص ٤٥ وأنظر ايضا العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ٢٨.

و " المنتفك" بالكاف و " المنتفج" بالجيم و " المنتفك" بالكاف الفارسية"و"المنتفج" بالجيم الفارسية وأولاها أفصحها . (١)

ويبدو أن استقرار تلك القبائل في القسم الجنوبي من العراق قديم يتزامن مع حركة الفتوح الاسلامية ، ولكن ذكرها في احداث المنطقة لم يبرز الا في اواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (٢) ، كما تكرر ثانية في أواخر القرن الخامس الهجري / اوائل القرن الثاني عشر الميلادي (٣) . ولكن تاريخها الاحدث يرتبط ، أوثق ارتباط بتاريخ " ال سعدون" واسلافها "ال شبيب" الذين أصبح الاعتراف بزعامتهم القاسم المشترك بين قبائل "المنتفق (٤) . وهم أسرة علوية نزحت من الحجاز الى العراق (٥) ، في وقت تختلف المراجع في تحديده ، فهو في غضون القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي (٦) ، أو القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي (٧) ، أو التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي (٨) ، أو العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي (٩) ، أو الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي (١٠) .

ورغم انه ليس لدي ادلة قاطعة تدفع الى ترجيح احدى هذه الروايات الا أنني أستطيع استبعاد الروايات الثلاث الاخيرة . فقد كانت البصرة عند دخول العثمانيين العراق سنة ٩٤١ هـ تحت حكم احد أفراد هذه العائلة وهو " راشد بن مغامس" . ويدل ذلك على ان هجرة هذه العائلة للمنطقة قد تمت قبل ذلك بزمن طويل .

---

(١) لغة العرب ، السنة الاولى ج ٢ ، شعبان ١٣٢٩ هـ / أب ١٩١١ ، ص ٤٢
(٢) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ص ٤٢ - ٤٦ .
(٣) عبد الجبار ناجي ، الامارة المزيدية ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ٤٧
(٤) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٦٠ وأيضا العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٢٧ ، وأيضا نوار ، داود باشا ، ص ٩٤ . وأنظر أيضا Dickson, op.cit. p. 549.
(٥) العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١٩ ، وأيضا الطاهر ، العشائر العراقية ص ٦٠ وأنظر أيضا Glubb, Arabian Adventures, p. 37.
(٦) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ٤٨ .
(٧) العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ص ١٧ - ١٩ .
(٨) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٤ ، ص ١٦١٤ .
(٩) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٦٠ ، وانظر أيضا Dickson, op.cit. p. 549.
(١٠) سركيس ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .

ولقد نجح أحد اسلاف تلك الاسرة في استقطاب ولاء القبائل القاطنة في المنطقة الجنوبية من العراق ووحدها في مشيخة تحت رآسته تتكون من ثلاثة أثلاث هي : بنو مالك والاجود وبنو سعيد [١] ، وكل منها مجموعة قبلية تضم الكثير من الوحدات العشائرية الاصغر [٢] . ولقد توارث أولاد واحفاد ذلك الرجل زعامة هذا الاتحاد القبلي الكبير حيث حمل كل واحد منهم لقب " شيخ مشايخ " المنتفق . [٣] وغدوا نفوذهم في مساحة من الارض تقرب من عشرة الاف ميل مربع [٤] .

كان شيخ المنتفق " راشد بن مغامس " يحكم البصرة عند دخول العثمانيين العراق سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م فأعلن خضوعه الطوعي لهم وكافأوه على ذلك باقراره على حكمه [٥] ولكن الدولة الجديدة لم تلبث ان عزلته سنة ٩٥٣هـ/١٥٤٦م [٦] . وكان ذلك ايذانا ببدء صراع طويل بين قبائل المنتفق التي تعودت ان تدير شئونها بنفسها والدولة التي تريد أن تفرض سلطاتها وتطبق قوانينها في جزء مهم من اراضيها . وقد جر ذلك الصراع الى صدامات دموية بين الطرفين خلال الفترة الواقعة بين سنتي ٩٥٣-١١٢٠هـ/١٥٤٦-١٧٠٧م ، تداول الطرفان مدينة البصرة بينهما أثناءها عدة مرات [٧] . ومما مكن

(١) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ص ٦٢-٦٣ وأيضا نوار ، داود باشا ، ص ٩٤ ، وانظر أيضا : Dickson, H.R.P., Kuwait and her Neighbours, 2nd imp., london, 1958, pp. 160-61.

(٢) Dickson, The Arab of the Desert, P. 550.

(٣) سركيس ، مرجع مر ذكره ، ج ١ ص ٧٢ . وأنظر أيضا Glubb, Arabian Adventures, p. 37.

(٤) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ٤٥ .

(٥) سليمان فائق ، تاريخ المنتفق ، ترجمة محمد خلوصي الناصري ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ١٢ . وانظر أيضا نوار ، داود باشا ، ص ١٢ .

(٦) العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١٠٧ .

(٧) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ص ٥٢ - ٥٥ .

قبائل المنتفق من الوقوف بوجه الدولة تلك المدة الطويلة مراعتها الحريـــة وولاؤها لمشايخها الذين اتصفوا بالحزم والقوة[1] .

وفي عهد المماليك " ١١٦٢-١٢٤٧هـ/١٧٤٩-١٨٣١م" أوشكت منطقة المنتفق أن تصبح أمارة متمتعة بأستقلال ذاتي كبير[2] ، حتى أن أحـــد شيوخها لقب نفسه بـ" سلطان البر " [3] . ويلاحظ على تاريخ المشيخـة في هذه الفترة شدة التطاحن الداخلي بين مشايخ البيت الحاكم[4] ، وكثـرة الصدامات الدموية مع الدولة [5] ، التي أضطرت رغم ذلك الى الاستفـادة من قوة تلك القبائل في صد الاخطار الفارسية التي هددت الجزء الجنوبي من العراق ، وفي التصدى لنشاط الامارة السعودية الفتية على تخومه[6] .

وبعد سقوط المماليك عاد الحكم العثماني المباشر للعراق وصحـب عودته تصميم كبير على تدمير تلك المشيخه شبه المستقلة، وبرز هذا التصميم بصورة واضحة منذ سنة ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م عند ما تولى نجيب باشا الولايـة ولكن جهوده وجهود الواليين اللذين خلفاه في هذا السبيل لم تسفر عن شيء ذي بال[7] ، ولذلك فما كاد رشيد باشا الكوزلكلي يستلم مقاليد الولايـة

---

(١) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤ ، ص ص ١٣ - ٢٨ .
(٢) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العرب المعاصر ـ مصر والعراق ، بيروت ، ١٩٧٣، ص ٣٤٧ .
(٣) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ١١٣ ، وتعني كلمة "البر" في اللهجة المحلية " الصحراء" فكأن المقصود بذلك اللقب هو أن حامله سلطان لكان البادية مقارنة بالسلطان العثماني الذي هو سلطان الحاضرة. ويبدو أن السلطات الرسمية تغاضت عن حمل ذلك اللقب ذي الدلالات الخطيرة ، راجع : نوار، داود باشا، ص ١١٢
(٤) النبهاني ، مرجع مر ذكره، ج ١٠، ص ٦٤ وأيضا العزاوي، عشائر العراق ، ج ٤، ص ص ١١١ - ١١٢ .
(٥) النبهاني ، مرجع مر ذكره، ج ١٠، ص ٦١ وأيضا نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٤٦٧ ومابعدها .
(٦) العزاوي، عشائر العراق ، ج ٤، ص ١١٣ وأيضا الطاهر، العشائر العراقية، ص ص ٧٠ - ٧٢ .
(٧) لغة العرب ، السنة الخامسة، ج ١ ، يناير ١٩٢٧ ، ص ٢٦ .

سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢م حتى اتبع خطة ذكية وهي الاشتراط على من يرسو عليه مزاد التزام المشيخه ان يتنازل عن ادارة بعض أراضي المنتفق للسلطات الرسمية(١) ، وهدف الخطة واضح تماما وهو التقليص التدريجي للمشيخة عن طريق استغلال تهالك المتنافسين على توليها .

ولم تغب مخاطر الخطة عن ادراك بعض زعماء تلك القبائل فجابهوها بمعارضة شديدة ، اضطرت الدولة أزاءها الى سوق قواتها لقتالهم فتمكنت من دحرهم ودخول مركز مشيختهم في "سوق الشيوخ"(٢) سنة ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧م حيث نصب هنالك قائمقام عثماني لاول مرة(٣) . ولكن ذلك لم يستمر طويلا اذا ماكاد عمر باشا السردار يلي الولاية في السنة نفسها حتى أمر بسحب كل مظاهر الوجود الحكومي في سوق الشيوخ واستبدله بأجراء شكلي هو منح شيخ المنتفق لقب قائمقام ، ولعله كان مدفوعا لذلك بانشغال الدولة في الميادين الخارجية وضائقتها المالية الشديدة(٤) . ورغم أن حمل الشيخ للقب القائمقام أمر شكلي تماما الا انه اوجد بين قبائل المنتفق حاله من الاستياء الشديد (٥) ، لم تنفع في تغيير الامر الواقع أذ ظل الشيخ يحمل ذلك اللقب خلال ولاية نامق باشا "١٢٧٩-١٢٨٥هـ/ ١٨٦٣ - ١٨٦٨م" الذى واصل ايضا سياسة الزام الشيخ الملتزم بالتنازل عن بعض

---

(١) سركيس ، مرجع مر ذكره ، ج ١ ، ص ص ٧٣ - ٧٥ .

(٢) كان شيوخ المنتفق غير مستقرين في مكان واحد بل يتنقلون على عادة البدو من موضع لاخر . وكانت تنتقل معهم قبائل كثيرة وكان التجار ينقلون معهم بضائعهم في سوق متحرك لتموين تلك الجموع واستمر ذلك الى سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م حيث قرر التجار الاقامة في مكان ثابت فأختاروا موضعا على ضفة نهر الفرات اليمنى وعلى بعد ٤٠ كلم جنوب الناصرية وبنوا فيه سوقا سمي سوق الشيوخ ، راجع : لغة العرب السنة الثانية ، ج ٦ ، محرم ١٣٣١ / كانون اول ١٩١٢ ، ص ٢٤٦ .

(٣) العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١١٤ وايضا نوار ، تاريخ العراق الحديث ص ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٤) العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ص ١١٤ - ١١٥ .

(٥) سركيس ، مرجع مر ذكره ، ج ١ ، ص ٧٥ .

الاراضي للدولة ، كما شجع المنافسة بين الشيوخ على الالتزام لزيادة بدلـــه وتوسيع نطاق الأراضي التي يمد كل منهم بالتنازل عنها (١) . وقد أدت تلك الاجراءات الى ابقاء المنتفق في ثورة معلنة تارة وكامنة تارة أخرى حتى سنـــة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م (٢) .

لقد كانت تلك السنة مؤذنة ببداية اتجاه الدولة لمعالجة مشكلـــة المنتفق ايجابيا ، فقد تولى خلالها مدحت باشا امور العراق ، وصادف وصولـــه أن كانت مشيخة المنتفق تعاني من ضعف سببته عوامل مختلفة (٣) فأهتبـــل الفرصة وقرر ان يحول المشيخه الى متصرفية فعلية بدلا من قائمقامية اسميـــة ، واستطاع أن يقنع ملتزم المشيخة حينئذ " ناصر باشا السعدون " بقبول هـذا الاجراء (٤) ، فعين الاخير متصرفا للواء الجديد وباشر على الفور بناء مدينـــة " الناصرية " لتكون مقرا له . (٥) وقد اعتبر البعض تأسيس ذلك المركز الحكومي وسط ديرة المنتفق عاملا اساسيا فـي القضـــاء علـــى تلك المشيخة (٦) . ولم يمر قبول ناصر السعدون لتلك الخطوة دون معارضة من بعض قبائـــل

---

(١) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٧٣ وايضا العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ص ١١٥ - ١١٦ وأيضا نوار ، تاريخ العراق ، ص ١٨١ .

(٢) العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١١٦ وأيضا الطاهر ، العشائرالعراقية ، ص ٧٤ .

(٣) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٣٧٣ .

(٤) سركيس ، مرجع مر ذكره ، ج ١ ، ص ١٧٩ وأيضا الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٧٤ ، وأيضا نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٣٧٤ ، وقد ذكر العـزاوي أن ناصر السعدون هو الذي سعى لاقناع مدحت باشا بالامر واستعـــان على ذلك بما بذله لمعاون الوالي من مال ، وقد كان غرضه هو تفـــادي تنفيذ مااشترطه مدحت باشا من ضرورة تنازله عن اراضي جديدة من ديرة المنتفق بعد ان يمنح التزام مشيختها بنفس البدل المالي السابـــق ، انظر : عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ص ١١٧ - ١١٨ .

(٥) العزاوي ، عشائرالعراق ، ج ٤ ، ص١١٩ وأيضانوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٣٧٤ .

(٦) الوردي ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص٢٥٣ وأيضاالعزاوي ، عشائرالعراق ، ج ٤ ، ص ١١٩ .

المنتفق التي صدمت لمروءة " شيخ مشايخها" وقد تحول الى موظف حكومي بعد أن كانت قد تعودت لاجيال طويلة أن تتكتل خلف اسلافه الذين يصدون عنها تدخلات الحكومة[1] . وقد قاد " منصور باشا" الأخ الاكبر لناصر هذا التيار المعارض فأنقسمت القبائل بين الأخوين او التيارين [2] . ولكن يبدو ان شخصية ناصر القوية قد حالت دون وقوع الصدام بين التيارين .

ولم يقف الامر بين مدحت باشا وناصر السعدون عند هذا الحد ، ولكن تعداه الى أتمام عملية تسجيل اراضي لواء المنتفق بالطابو، وهي العملية التي أدت الى تسجيل أغلب أراضي اللواء باسم أفراد من آل سعدون نتيجة لعزوف القبائل عن تسجيل الاراضي باسمائها رغم الجهد الكبير الذي بذله ناصر لاقناعها بالاقدام على ذلك [3] . ومع أن الربح المادي الذي جناه آل سعدون من تلك العملية كان كبيرا [4] ، الا أنها عادت عليهم في المدى البعيد بخسران كبير ، اذ فككت التلاحم بينهم وبين القبائل المنضوية تحت لوائهم بعد أن اصبحت علاقتهم بها علاقة مالك بمستأجر لايقر له بحق الملكية [5] ، ففقدوا بذلك السلاح الرئيسي الذي مكنهم من الوقوف بوجه الدولة زمنا طويلا . [6]

---

(١) الطاهر، العشائر العراقية ، ص ٧٤ وأنظر ايضا Glubb, Arabian Adventures, P.40.

(٢) Longrigg, op.cit, p.25.

(٣) الطاهر، العشائر العراقية ، ص ٣٥٨ ، وأيضا الوردي ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

(٤) بلغت قيمة واردات ثلاث سنين من بعض اراضي احدهم مبلغا وقدره ١١١٦١٠ر ليره ذهبية. راجع: مصطفى المدافعه ، نصوص من الوثائق العثمانية، البصرة ، ١٩٨١ ، ص ١٢٤ .

(٥) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ص ٤٨ - ٤٩ وايضا الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ص ٥٠ - ٥٤ .

(٦) العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١٤ .

ولا يحسن بنا أن نتوهم أن تلك النتائج السلبية كانت ذات أثر محسوس على الفور، اذ منع من ملاحظتها ما لناصر باشا السعدون من شخصية قوية عززتها الاجراءات الجديدة التي جمعت له السلطتين القبلية والحكومية، ثم لم يلبث أن أصبح اول وال للبصرة سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٥م[(١)] ، في نفس الوقت الذي اوكل لابنه الاكبر فالح باشا المتصرفية والمشيخة في المنتفق[(٢)] ، في حين كان ابنه الثاني مزيد باشا متصرفا في الاحساء[(٣)] ، ويقول البعض أن تلك المكانة التي حققها اغرته بمحاولة فصل الولاية عن الدولة مما حدا بالحكومة المركزية لاستدعائه الى استانبول سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م[(٤)] ، حيث ظل هناك تحت الاقامة الجبرية الى وفاته سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م[(٥)] .

حاولت الدولة بعد نفي ناصر السعدون أن تدير لواء المنتفق ادارة مباشرة ولكن المحاولة باءت بالفشل فأسندت المتصرفية ثانية لأبنه فالح باشا[(٦)] ، في حين ظل أخوه منصور باشا يعارض سياسة الدولة هناك ، فأضطرت السلطات لنفيه الى استانبول فمكث هناك فترة من الوقت ثم أعيد لبغداد حيث وضع تحت الاقامة الجبرية ثم انه انتهز فرصة مكنته من الهرب للمنتفق وأخذ على الفور يثير القبائل ضد السلطات ، وقد أستجاب الكثير

---

(١) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢١٣١ وأيضا الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٧٥ .

(٢) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

(٣) لغة العرب ، السنة الثالثة ، ج ١ ، رجب وشعبان ١٣٣١هـ/تموز ١٩١٣م ، ص ٣٩ .

(٤) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٧٥ وأيضا البازي ، مرجع مر ذكره ، ص ٥١ .

(٥) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٧٧

(٦) عبد الله الناصر ، تاريخ السعدون ، النجف ، ١٩٤١ ، ص ص ٥٨ - ٥٩ وأيضا النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١١٠

منها لتحريضاته . وازدادت خطورة الامر حين أقنع منصور باشا ابن أخيه فالح باشا بالانضمام اليه [١] ، مما أقض مضجع السلطات العثمانية، التي ترددت في اتخاذ الاجراءات الحاسمة حياله لولا الحملة الصحفية التي اثارها بعض خصوم آل سعدون في استانبول والتي أدت الى ان تحزم الدولة أمرها [٢] . فأمرت بسوق قواتها التي اصطدمت مع المتمردين سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م في معركة حامية أحرزت فيها نصرا كبيرا [٣] ، ساعدها على تحقيقه وقوف بعض القبائل الى جانبها . [٤]

وقد مثلت تلك المعركة الخطوة الاخيرة في سياسة الدولة لتحطيم مشيخة المنتفق والتي سهل اتمامها توفر الظروف الموضوعية لذلك [٥] ، والمتمثلة في تحلل الروابط القبلية بين المنتفق وزعمائهم نتيجة للتطورات المتعلقة بملكية الارض ومارافقها من التزامات مالية مرهقة اشتدت وطأتها على القبائل من جراء المزايدات على التزام المشيخه [٦] ، فضلا عما أظهره بعض زعماء الاتحاد من قسوه بالغة في معاملة افراد قبائلهم [٧] ، هذا بالاضافة الى التمايز الاجتماعي بين آل سعدون وقبائل المنتفق ، ففي حين احتفظ الاولون ببداوتهم وترفعهم من العمل الزراعي البدوي هجرت القبائل البداوة ومارست الزراعة منذ أجيال [٨] ، وفي حين اعتنقت اغلبية القبائل المذهب الشيعي نتيجة لاسباب متعددة [٩] ،

(١) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ص ٤٠-٥٤ وأيضا الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٥١ .
(٢) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ص ٥٤ - ٥٧ .
(٣) العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ص ١٢٠ - ١٢١ .
(٤) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٠ والعزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٥٨
(٥) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .
(٦) العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١٢٠
(٧) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٧٧
(٨) Glubb, Arabian Adventures, p.37; also Dickson, The Arab of the Desert, p.552.
وأيضا الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ص ٦٨ - ٦٩
(٩) عبد الله فهد النفيسي ، دور الشيعه في تطور العراق السياسي الحديث ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٧٣ .

حتى بلغت نسبة اتباع ذلك المذهب اكثر من ثمانية وتسعين بالمائة من سكان ولاية البصرة[١] ، ظل آل سعدون سنيين على مذهب الامام مالك[٢] . ولذلك كانت عوامل الضعف قد نخرت جسم المشيخه من الداخل فأصبح مهيئا للانهيار حالما يتلقى الضربة النهائية .

وقد فر آل سعدون واتباعهم امام الجيش العثماني المنتصر نحو "الشامية"[٣] ومن هناك عبروا شط العرب الى " المحمرة" [٤] ، حيث حلوا ضيافة شيخها "خزعل بن جابر المرداو"[٥] ومكثوا لديه سنتين الى ان أصدرت الدولـة

---

(١) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ١٢٠٨ ، ولم يبين لوريمر الاسس التي قام عليها ذلك الاحصاء .

(٢) Dickson, The Arab of the Desert, p.552; also Longrigg, op.cit. p.22.
وأيضا لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ١٢٠٨ . ويلاحظ ان الكتاب البريطانيين ـ لاسباب معروفه ـ يميلون الى تضخيم العامل الطائفي وتأثيراته بين قبائل المنتفق ، ورغم اننا لم نجد فيما بين يدينا من مراجع اثرا ماديا ملموسا لتلك التأثيرات ، الا انه لايسعنا اهمال الاشارة الى ذلك العامل من باب الاحتراز باعتباره عاملا مفترضا من الناحية النظرية على الاقل .

(٣) يطلق العراقيون على كل الاراضي الواقعة غرب الفرات والممتدة باتجاه الشام تعبير " الشامية" انظر لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٦ ، ص ٣٢٥٠ .

(٤) حاضرة امارة عربستان ، تقع على الضفة اليسرى لشط العرب جنوب البصرة اسست سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م ، راجع : مصطفى على المتوم ، عربستان ، عمان ، بدون تاريخ ، ص٧٦ . ويعارض آخرون في تحديد بنائها في هذا التاريخ ويوردون آراء أخرى ، راجع : عبد العزيز سليمان نوار ، العلاقات العراقية الايرانية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٥٣ وأيضا منذر عبد الكريم البكر ، الجذور التاريخية لعروبة الاهواز قبل الاسلام ، البصرة ، ١٩٨١ ، ص ٢ .

(٥) عن خزعل بن جابر المرداو وامارة عربستان عموما ، راجع : مصطفى عبد القادر النجار ، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ .

العثمانية المفوعنهم وسمحت لهم بالعودة ثانية مشترطة أن تكون اقامتهم في صحراء الشامية والا يعيدوا تشكيل مشيختهم السابقة (١) . وفي خلال ذلك كانت الدولة تديرلواء المنتفق ادارة مباشرة بعد أن قسمته الى أقضية ونواح وبدأت تجبى بصورة مباشرة الضرائب المقررة من قبائله مستخدمة في ذلك ضروبا من الغلظة والشدة (٢) ، ولكن تلك القبضة الحديدية اخذت تتراخى تدريجيا لاستشراء الفساد في الادارة وامتناع القبائل عن دفع الضرائب (٣) ، سيما وقد ساد بينها التشرذم فأصبح لكل عشيرة من عشائرها رئيس مستقل بعد أن رحل زعماء الاتحاد وانفرط برحيلهم العقد الذي ينظم تلك القبائل ويحفظ بين صفوفها درجة من التماسك والنظام (٤) ، وقد ترتب على ذلك ايضا كثرة المعارك بين عشائر الاتحاد المختلفة (٥) .

---

(١) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١١٢ راجع ايضا حسين خلف الشيخ خزعل ، تاريخ الكويت السياسي ، ج ٢ ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٢٢٥ - ويذكر عبد الكريم الندواني في " تاريخ العمارة وعشائرها ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ١١١ " ان اقامتهم لم تكن في المحمره وانما لدى ابناء عمومتهم المشعشعين العلويين في منطقة الطينة ، بينما ذكر الطاهر في " العشائر العراقية ، ص ١٦٤ " ان اقامتهم في المحمره استمرت عشر سنين . وكلا القولين يخالف المعروف المتواتر .

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦١ وأيضا العزاوي ، تاريخ العراق ، ص ص ٦٢ - ٦٥ .

(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٥ ، وص ١٦٤ .

(٤) العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١٤ وأيضا Glubb, War in the Desert, p. 235.

(٥) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢٢٠ ، وايضا الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ص ٣٦٢ - ٣٦٥ .

ويبدو ان التسليم بالامر الواقع الذى فرضته الهزيمة لم يشمل السعدون جميعا ، بل برز من بينهم تيار رافض لذلك الواقع يقوده سعدون باشا بن منصور باشا [١] ، الذى اتجه حال عودته من المنفى فى المحمره الى عبور نهر الفرات والاستقرار فى " شط الكار " [٢] ، واستطاع هناك فرض هيمنته على العشائر المحيطة به ، وهو الامر الذى قابلته السلطات الحكومية بالرضا أول الامر ، اذ استغلته فى اجبار العشائر على دفع الضرائب المستحقة عليها . ولكن علاقة سعدون باشا بتلك السلطات لم تلبث ان توترت فأثر العودة ثانية الى الشامية ، حيث مارس نشاطا واسعا لفرض نفوذه وسطوته [٣] ، مما جره الى الاحتكاك بأمير حائل " عبد العزيز بن متعب الرشيد [٤] . وقد جرت بينهما وقائع عديدة من اشهرها اشتراك سعدون مع شيخ الكويت مبارك الصباح والأمير عبد الرحمن الفيصل السعود [٥] فى معركة " الصريف " التى أسفرت عن هزيمتهم على يدي ابن رشيد فى سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م [٦] .

---

(١) للتعرف على شخصية سعدون باشا " راجع : لغة العرب ، السنة الثانية ، ج ١١ ، جمادى الاخرة ١٣٣١ ، ص ص ٥٠٤ - ٥٠٩ .

(٢) ناحية ادارية تابعة لقضاء " الشطرة فى لواء " المنتفق ، راجع : لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٦ ، ص ٢٣٣٨ وقد استمدت اسمها من " شط الكار " وهو احد الانهر المتفرعة من الفرات ، والشط لدى العراقيين هو النهر الكبير الذى يكون ماؤه عرضة للزيادة والنقص ، راجع : لغة العرب السنة الثانية ج ٥ ، ذى القعدة وذى الحجة ١٣٣٠هـ ، ص ٢١٣ .

(٣) النبهانى ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ص ١١٤ - ١١٧ .

(٤) تولى الامارة بعد وفاة عمه محمد بن عبد الله الرشيد سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م وقتل فى معركة روضة مهنا بينه وبين الاميرعبد العزيز السعود سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م . راجع : صلاح الدين المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية بيروت ، ١٩٥٧ ، ج ٢ ، ص ١٧ و ص ٨٠

(٥) أصغر ابناء الامام فيصل بن تركى السعود حاكم نجد . تولى امارة الرياض قبل أن يستولى عليها محمد بن عبد الله الرشيد سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م ، فاخذ عبد الرحمن يتنقل اثر ذلك بين البادية وقطر حتى استقر اخر الامر لاجئا فى الكويت . راجع : خير الدين الزركلى ، الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ص ١٤ - ٢٠ .

(٦) خالد السعدون ، العلاقات بين نجد - الكويت ، الرياض ، ١٤٠٣ ، ص ص ٥٤-٥٦ .

ويبدو أن الهزيمة القاسية التى تعرض لها آل سعدون عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م لم تعلمهم التكتل فيما بينهم، اذ نشاهد فى هذه الفترة تكرار ماشاهدناه من خلاف الأخوين منصور وناصر، فقد انتقل خلافهما بالوراثة الى ولديهما سعدون وفالح، ففى حين مال الاخير للتفاهم مع السلطات الحكومية، فحظى بتعاطفها.[1]، واستقطب ولاء قسم من قبائل المنتفق[2]، ظل الثانى أقرب، الى معارضة تلك السلطات واستقطب ولاء القسم الاخر من القبائل باعتباره رمزا للوقوف بوجه الحكومة.[3] ويشير ذلك الاستقطاب الى ان هزيمة آل سعدون وماسبقها ولحقها من تطورات لم تستطع أن تقضى نهائيا على مكانتهم فى نفوس القبائل، تلك المكانة التى توارثوها لاجيال طويلة وظلت قائمة لفترة متأخرة[4].

ولقد جر هذا الانقسام الى صدامات بين الطرفين كانت بدايتها فى سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، حين عبر سعدون نهر الفرات الى "الجزيرة"[5]، رغم اعتراض والى البصرة على تلك الخطوة[6]، التى كان هدفها مضايقة العشائر الموالية لابن عمه فالح باشا[7]. وقد رفعت تلك العشائر الامر للسلطات

---

(١) Longrigg, op.cit.,p.56

(٢) الطاهر، العشائر العراقية، ص ص ٧٦ – ٧٨ وأيضا Dickson, The Arab of the Desert, P.555.

(٣) Glubb, Arabian Adventures, P. 42.

(٤) Ibdi., p. 43.

(٥) اسم يطلقه العراقيون على الاراضى الواقعة شرق الفرات والمحصورة بينه وبين نهر دجله، راجع Dickson, Kuwait etc. p. 162

(٦) Consul Crow(British Consul atBasra) to Sir N.O'Conor (British Ambassador at Constantionople), Nov. 21, 1903, in The Affairs of Kuwait" , edited by Bidwell, R. London 1971, Vol, II, Part VI P.1.

ويزعم اخرون ان خطوة سعدون تلك حظيت بموافقة السلطات الرسمية، راجع: النبهانى، مرجع مر ذكره، ج ١٠، ص ١٢٠ وأيضا الطاهر، العشائر العراقية، ص ٣٦٣.

(٧) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٧٧ وأيضا Dickson, The Arab of the Desert, P. 555.

الرسمية فأمدتها بقوة من الجيش النظامي لتعزيز موقفها تجاه سعدون . ولكنه أستطاع الفتك بتلك القوة الحكومية وتشتيت شمل العشائر الملتفة حولها في معركة جرت قرب مدينة الشطرة "[1] . فأضطرت الحكومة الى سوق قوة كبيرة ضده ولكنه تجنب الاشتباك معها وعبر الفرات ثانية الى الشامية[2] . وقد سببت تلك الحادثة قلقا عظيما في المنطقة [3] حتى ليقال انها كانت بداية المصاعب التي أدت الى اذلال العثمانيين وتقلص نفوذهم من منطقة المنتفق[4] .

ولم يركن سعدون بعد ذلك للهدوء بل انه اتجه الى الكويت ووفر هناك قاعدة أمنية لعائلته واتباعه ثم عاد يشن الغارات على اطراف ولاية البصرة[5] ، حتى وصل في بعض غاراته الى جوار مدينة البصرة ذاتها مما أضطر السلطات لارسال قوة لمطاردته[6] ، وقد ضمت تلك القوة اتباع ابن عمه فالح باشا[7] ، ولكنها فشلت في تحقيق غايتها فأضطرت الحكومة لحشد تعزيزات جديدة في البصرة[8] ، كما استنفرت قبائل شمر وعنزه القاطنة في اطراف ولاية بغداد

---

(١) وكانت تسمى شطرة المنتفق تمييزا لها عن شطرة العمارة. وهي مدينة تقع على الشاطئ الايمن للفرع الغربي من نهر الغراف ، وكانت مركز قضاء تابع لسنجق المنتفق . راجع: لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٦ ، ص ٢٣٣٧ .

(٢) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ص ١٢٠-١٢١ وأنظر ايضا الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٣ وايضا لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ص ٢٢٢٢-٢٢٢٣ وايضا Glubb, Arabian Adventures,p.42

(٣) Consul Crow to Sir N. O'Conor, Nov. 21,1903,in" The Affairs of Kuwait, Vol. II, Part VI, P.2.

(٤) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٤ .

(٥) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٢١ .

(٦) Sir N.O'conor to the Marquess of Lansdowne(British Foreign Secretary), Dece.17, 1903, in" The Affairs of Kuwait", Vol. II , part VI, p. 2.

(٧) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٢٢ .

(٨) Consul Crow to Sir N . O'conor, Dece. 28,1903,in" The Affairs of Kuwait", Vol. II, Part VI, P.4.

لسوقها نحو سعدون [١] ، ونتيجة لذلك يبدو أنه مال الى التفاهم فأمكن التوصل الى هدنة بينه وبين والى البصرة فى ربيع الاول ١٣٢٢هـ/ تموز ١٩٠٤م [٢] ، قدم بعدها طاعته وخضوعه للسلطان [٣] .

أستقر سعدون بعد ذلك فى مقاطعة "الصخرية" غرب الفرات التى منحها له السلطان ، ولم يخل مقامه هناك من احتكاكات نشأت بينه وبين العشائر المجاورة [٤] ، وقد جرت هذه الاحتكاكات الى اختلافه مع السلطات الرسمية ، اذ نجده يرسل فى صفر ١٣٢٣هـ/ابريل ١٩٠٥م برقية الى والى البصرة يطلب منه ايقاف الحملات الحكومية ضد العشائر الموالية له ، وكف عشيرة "البدور" [٥] عن التعدى على اراضيه والا فسيضطر الى استعمال القوة ضدها وقد تخوف متصرف المنتفق من النتائج المترتبة على تلك البرقية فطلب النجدات من مقر الولاية كما انه حرض العشائر المعادية لسعدون على التحرك ضده [٦] .

---

(١) Diary of the Political Resident in Turkish Arabia for the fortnight ending Jan. 14,1904, in " The Affairs of Kuwait", Vol. II, Part VI, p. 19.

(٢) Sir N. O'Conor to the Marquess of Lansdowne , July 30, 1904, in " The Affairs of Kuwait ", Vol. II, p.57.

(٣) Mr. Townley (British Charge d'affaires at Constantino--ple) to the Marquess of Lansdowne, Nov. 8,1904, in " The Affairs of Kuwait," Vol. II Part VI, p. 83.

(٤) النبهانى ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٢٣ .

(٥) عشيرة تنتسب أصلا الى عنزه ولكنها استقرت فى المنتفق ودخلت ضمن ثلث الأجود من اتحاد قبائل المنتفق ، وهى تقيم فى مقاطعتى " القطيمة" و" المائعه" على نهر الفرات شمال مدينة الناصرية . راجع : العزاوى ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٩٣ .

(٦) ConsulCrow to Sir N. O'conor, April 14, 1905, in " The Affairs of Arabia', edited by Bidwell, R., London, 1971, Vol. II, Part VIII , p. 24

وذلك هو ماحدث بالفعل وادى الى صدامات بين الجانبين ، انسحب سعدون على اثرها نحو الصحراء متفاديا الصدام مع القوات الحكومية التى ساقها الوالى للقبض عليه (١) . واكتفى الوالى عند ذاك بالغاء المخصصات المالية المقررة لسعدون وصادر مقاطعة الصخرية وهدم قلاعه المقامة فيها ، واقام هناك عشيرة البدور . (٢)

وفى الوقت الذى كان فيه سعدون يناوش القوات الحكومية والعشائر المعادية له ، كان ابناء عمه يرمون بثقلهم ضده ، ففى حين أقرض فالح باشا صندوق ولاية البصرة مبلغ ستة آلاف ليرة لتمكين القوات الحكومية من التوجه للمنتفق (٣) ، وضع اخوه مزعل باشا نفسه ، رهن اشارة متصرف المنتفق لقمع الاضطرابات فى اللواء (٤) . تلك الاضطرابات التى ظلت متأججه حتى دخول سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م ، وكانت السلطات الرسمية أعجز من أن تسيطر عليها بعد أن اتسع نطاقها وتعددت اشكالها فهى بين سعدون ومعارضيه من جانب ، وبين بعض العشائر والحكومة من جانب ثان ، وبين رؤساء العشائر الذين أخذ كل منهم يتصرف على هواه ويحاول التوسع على حساب مجاوريه فى جانب آخر .

---

(١) Consul Crow to Sir N. O'Conor, oct.14, 1905, in " The Affairs of Arabia", Vol. II, Part V, p.79.

(٢) Consul Crow to Sir N. O'Conor, Nov.11,1905, in " The Affairs of Arabia",Vol IIpart V, p. 77.

(٣) جريدة " صدى بابل" السنة الثانية ، العدد ٥٤ ، ٢٠ شعبان ١٣٢٨ ، ص ١ .

(٤) Consul Crow to Sir.N. O'Conor, April 14, 1905, in " The Affairs of Arabia", Vol. II , part VIII, p. 24.

وضع قبائل لواء العمارة قبل فترة البحث :

وقع خلاف حول سبب تسمية هذا اللواء، فرده بعضهم لاسم قائد عباسي هو "عمارة بن الوليد" ، بينما اعتقد البعض الآخر ان تلك التسمية مشتقة من اختلاط العشائر واجتماعها فيه اذ تستعمل كلمة "عمرة" في اللهجة المحلية لوصف مثل ذلك الاجتماع. (١) ولكن الارجح أن تلك التسمية مستمدة من كون اول وجود للحكومة العثمانية في تلك الانحاء تمثل في انشاء "عمارة" لسكنى الجند وتحصنهم، فأخذ الناس يستوطنون حولها تدريجيا حتى ظهرت الى الوجود مدينة صغيرة سميت بـ"العمارة" ثم أطلق الاسم على اللواء بأجمعه بعد استحداثه. (٢) . وكان انشاء تلك العمارة في حدود سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٦٠م. (٣) وقد اعتبرت العمارة في البداية من الناحية الادارية قضاء ملحقا بسنجق "لواء" البصرة، وظلت كذلك حتى سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م حيث جعلت لواء قائما بذاته يرتبط بولاية بغداد مباشرة (٤) وقد قسم ذلك اللواء الى ثلاثة أقضية هي العمارة و"الدويرج" (٥)

---

(١) الندواني ، مرجع مر ذكره، ص ٢٧ .

(٢) لغة العرب، السنة الثالثة، ج ٣، آذار ١٩٣٠، ص ١٦٨ .

(٣) لوريمر، مرجع مر ذكره، القسم الجغرافي، ج ٣ ، ص ١٢٩٢

(٤) الندواني ، مرجع مر ذكره، ص ٣٠

(٥) كانت في مطلع هذا القرن الميلادي مجرد حصن طيني يقع على بعد حوالي ٣٠ ميلا شمال شرق مدينة العمارة، في منطقة تعتبر المقر الرئيسي لقبيلة بني لام. راجع لوريمر ، القسم الجغرافي، ج ٤، ص ٥٧٢ .

و " شطرة العمارة " (١) ، ثم ضم ذلك اللواء لولاية البصرة بعد استحداثها على النحو الذى مر بنا .

وهذا اللواء موطن لوجود قبلى كثيف يتمثل فى اتحادين قبليين كبيرين هما " بنو لام " و " البو محمد " أضافة الى حوالى سبع عشائر اقل عددا (٢) . ويمتاز ذلك الوجود القبلى عن مثيله فى لواء المنتفق بأنه اكثر تماسكا فعلى الرغم من ان اللواء الاخير يضم اتحادا قبليا واحدا الا أن ذلك الاتحاد فى واقعه يشبه قطعة من الفسيفساء تتكون من اجزاء عشائرية تكاد لا تعد (٣) . ويختلف افراد قبائل لواء العمارة عن مماثليهم فى لواء المنتفق أيضا بكونهم اكثر طاعة وخضوعا لرؤسائهم تبعا لطبيعة انتاجهم الزراعى المكون فى اغلبه من الأرز (٤) ، الذى تتطلب زراعته قدرا كبيرا من التنظيم ، كما أن مستوى الوعى المتدنى فى اوساطهم (٥) ، ساهم فى ابراز تلك الظاهرة بلاريب .

ولا يختلف لواء العمارة عن لواء المنتفق فى تلك النواحى فقط ، ولكنه يختلف فى أمر مهم آخر ، وهو أن كل أراضيه ـ عدا استثناءات قليلة ـ كانت اراضى " سنية " أى ملك للسلطان شخصيا ، ولذلك فلم يكن فيها ملتزمون او مزارعون ثابتون ، وانما تقسم الى مقاطعات كبيرة تلزم مقابل مبالغ نقدية

---

(١) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٣ ، ص ١٢٩٣ . وشطرة العمارة مدينة تقع على الضفة اليسرى لنهر دجله على بعد ٢٨ ميلا جنوب مدينة العمارة ، وتسمى أيضا قلعة صالح وهو أول من انشأ فيها قلعة بعد بناء العمارة بخمس سنين ، راجع : لغة العرب ، السنة الثامنه ، ج ٣ ، آذار ١٩٣٠ ، ص ١٧١ .

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٧٢ وأيضا الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ١٨ .

(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٧١ .

(٤) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ٦١ .

(٥) الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٢ .

الى الشيوخ او المضاربين لمدة خمس سنين . ومن المفهوم أن مقاطعات معينة يجب ان تلزم عادة لقبائل معينة ، ولكن يبدو ان السلطات العثمانية لم تكن تأخذ الحدود القبلية بنظر الاعتبار دائما عند توزيعها للالتزامات باستثناء أقليم بني لام الذي لم يلزم قط لغير شيوخهم. ويجلب كل ملتزم جديد للمقاطعة جهازا جديدا من الملتزمين الثانويين والزراع، حيث تنظم بينه وبين الملتزمين الثانويين عقود نقدية لنفس مدة الالتزام الاصلي ، بينما تكون الاتفاقيات بين الملتزمين الثانويين والزراع سنة واحدة فقط . (١)

وكانت عملية التلزيم تتم عادة من خلال اشتراك الراغبين بالالتزام في مزاد علني يرسي على صاحب العرض الاعلى (٢) . وكان شيخ القبيلة التي تقطن في مقاطعة ما مضطرا حفاظا على هيبته بين افراد قبيلته الى التزام تلك المقاطعة مهما أرتفع بدل التزامها فكان ذلك يوءجج نار المنافسة حتى يبلغ البدل أحيانا حدا يفوق قيمة الارض نفسها . (٣) وبالاضافة الى ذلك كان الملتزم يتحمل بموجب " الشرطنامة " أوصك الالتزام أعباء اخرى مثل استصلاح اراضي المقاطعة وصيانة انهرها والمحافظة على أمن من يمر فيها وعدم الاعتداء على المجاورين وعدم ايواء الهاربين من وجه الحكومة والحفاظ على سلامة خطوط البرق المارة في المقاطعة (٤) .

---

(١) IOR, L/p+s/10/458, No. 26 - C, Mr. Dobbs, Commissioner of Revenue, to the General Staff, Intelli- - gence, Basra, July 2, 1915.

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية، ص ٢٧٧

(٣) جيرترود .ل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ت. جعفر الخياط، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٢٧٧ .

(٤) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٢٧٣ .

ولايخفى مافى ذلك النظام من نواقص ظاهرة كعدم تشجيعه القبائل على الاستقرار فى منطقة واحدة، والقاء العبء المالى الفادح على الفرد القبلى قبل غيره ، مع مايرافق عملية التلزيم الدورية من مظاهر الفساد الادارى التى تتجلى فى محاباة طرف قبلى على حساب طرف آخر وهو الامر الذى يوءدى الى صدامات دموية بين الاطراف المتنافسة وبينها وبين القوات الحكومية (١) ; ويتفرع عن عملية التلزيم مشكل آخر وهو ان المقاطعات لم تكن محددة بصورة دقيقة وانما تعين تلك المقاطعات بالانهر والجدود اول فالملتزم يلتزم النهر ومايقع عليه من الاراضي (٢) . فسبب كل ذلك قلقا عاما فى اللواء وصدامات بين قبائله التى يجدر بنا أن نتعرف عليها عن قرب،

وأهم تلك القبائل هى قبيلة بني لأم التى تنتسب فى اصولها الى طيء ، وقد أستقر موءسسها او جدها الاعلى فى منطقة الدويرج عاملا لامارة " المشعشعين " (٣) فى اوائل القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى فوطد نفوذه هناك بعد صراع طويل مع قبيلة " ربيعة المجاورة (٤)

---

(١) Longrigg, op.cit.,pp.25-26.

(٢) الطاهر، العشائر العراقية،ص ٢٦٥و ص ٢٧٤ .

(٣) امارة عربية قامت فى الاهواز والحويزة واكثر اقليم خوزستان فى ايران الحالية ، وقد استمر وجودها بين سنتى ٨٠٤ - ١٠٢٥ هـ. راجع : محمد هليل الجابرى، امارة المشعشعين ،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ، جامعة بغداد ،ص ٢٠ .

(٤) الندوانى ، مرجع مر ذكره،ص ص ٣٦ - ٣٩ ،وربيعة قبيلة عربية قديمة حافظت على اسمها الاصلى ونزحت للعراق قبل الفتح الاسلامى ،وفى اثنائه ،تقطن بصورة رئيسية فى لواء الكوت ولها امتدادات فى الالوية الاخرى. راجع العزاوى ، عشائر العراق ، ج ٤،ص ١٦٣ .

وقد اتسع ذلك النفوذ من بعده على ايدى خلفائه الذين تكاثروا ومـــدوا سيطرتهم على منطقة شاسعه تمتد من الشاطئ الشرقى لنهر ديالى فى الشمال حتى ملتقى نهرى دجلة والفرات فى القرنه جنوبا (١) . ولكن هذه المنطقـــة انحصرت فى الفترة التى نحن بصددها فى سهل واسع تحده التلال الفارسية من الشرق وشاطئ نهر دجلة من الغرب من نقطة مواجهة لقرية الشيخ سعد (٢) فى الشمال حتى مدينة العمارة فى الجنوب ، وتخضع كل هذه المنطقـــة لنفوذ شيخ القبيلة من مركزه فى قرية " الشمرية " فى قضاء الدويرج (٣) ، ونتيجة لهذا الامتداد الجغرافى فقد دخلت فى القبيلة فروع من قبائل أخرى عربيـــة وفارسية حتى يمكن القول ان فرعا واحدا فقط ينتمى الى بنى لام فعـــلا (٤) . وقد أدى ذلك الى زيادة عدد افراد القبيلة حتى بلغوا خمسة وأربعين ألـــف نسمة يقيم منهم حوالى عشرة آلاف رجل مسلح فى العراق (٥) . كما ان خصوبـــة أراضى القبيلة جعلها تساهم بنسبة تتراوح من عشر الى خمس انتاج العـــراق الكلى من محصولى الحنطة والشعير ، أضافة الى مزاولتها حرفة الرعى ، واعتمادها على مورد آخر هو " الغزو " (٦) الذى تقوم به ضد القبائل الاخرى فى العراق

---

(١) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٤٩ وأيضا الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٧ .

(٢) قرية تقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة وعلى مسافة ٦٠ ميلا جنوب مدينـــة الكوت وتحيط بها عشيرة البودراج وقبيلة ربيعة . راجع : لوريمر مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٦ ، ص ٢٠٤٣

(٣) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٤ ، ص ١٣٥٠ .

(٤) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٩٢ .

(٥) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٤ ، ١٣٥٣ .

(٦) عن موضوع الغزو بين القبائل ، راجع ، ابوعبد الرحمن بن عقيل الظاهرى ، مع نصوص العزاوى عن الحرب والسلم مقال منشور فى مجلة " الدارة " السنة التاسعة ، العدد الثانى ، محرم ١٤٠٤ هـ ، ص ص ٤١ - ٦٣ .

وفارس وتقدم خمس غنائمه الى شيوخها ،[1] الذين كانوا يدفعون للخزانة الحكومية ضرائب سنوية مقدارها ثمانمائة الف قرش [2] .

وكما أصطدم بنو لام بقبيلة ربيعة فقد أصطدموا أيضا مع قبائل المنتفق صداماتكثيرة تكررت مرارا خلال القرن الثاني عشر الهجرى/ الثاني عشر الميلادى. [3] أما على صعيد علاقتهم بالحكومة ، فيبدو أن السلطات الرسمية رحبت أول الأمر بأزدياد نفوذهم فى المنطقة ،واستفادت من هذا النفوذ فى التأثير على القبائل الاخرى ودفعها للتفاهم معها. [4] ولكن الموقف انقلب حين أخذ شيوخ بنى لام يثيرون المتاعب للحكومة ، وهى متاعب تكرر حدوثها خلال القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى، مما جعل أخر الولاة المماليك داود باشا" ١٢٣٢ - ١٢٤٧هـ/١٨١٧-١٨٣١م" يسعى لاضعاف تلك القبيلة عن طريق شقها الى قسمين متنافسين. [5] وهو اسلوب كانت السلطات العثمانية تلجأ له كثيرا ، ولكنها كانت تضطر أحيانا لاتباع أساليب مباشرة اكثر فعالية، فتلجأ للحزم فى تعاملها مع بنى لام. فقد ضيقت الخناق سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م على شيخهم "بنيه المزبان" [6] حتى

---

(١) لوريمر، مرجع مر ذكره، القسم الجغرافى ،ج ٤ ،ص ص ١٣٥٣ - ١٣٥٤.
(٢) نوار، تاريخ العراق الحديث ،ص ١٥٤
(٣) الندوانى ، مرجع مر ذكره ،ص ٤٨.
(٤) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٥٥ وأيضا الطاهر، العشائر العراقية ، ص ٣٤٩.
(٥) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٣٤٩.
(٦) تجمع أغلب المراجع على ضبط اسمه كما جاء فى المتن، وهو تصغير لفظه بنت . ولعله سمي بذلك اتباعا لعادة بعض العامه حين يطلقون على المولود الذكر اسما" غريبه لتجنيبه الحسد . ولكن الندوانى فى "تاريخ العمارة، ص ١٢٥" يسميه "بنيان " وحرف معرب لوريمر الاسم فجعله " بنياح " . راجع القسم التاريخى ،ج ٤ ،ص ٢٢١٧.

أضطرته للهرب عبر الحدود الى فارس (١) ، الا أن هذا الحزم لم يطل أمده ، اذ لم تلبث السلطات الحكومية ان استرضت الشيخ المذكور في السنة التالية، بل زادت على ذلك فمنحته نيشان تشريف (٢) .

ومن ناحية اخرى ، لم تشذ قبيلة بني لام عن غيرها من القبائل في ظاهرة النزاع داخل بيت المشيخة . فقد ثار النزاع مثلا بين الشيخ " مزبان بن مذكور" واخوته خلال سنتي ١٢٩٥ - ١٢٩٦هـ/١٨٧٨-١٨٧٩م(٣) ولكن يمكن القول - رغم ذلك - أن مشيخة تلك القبيلة كانت اكثر استقرارا منها في مثيلاتها من القبائل . اذ بعد وفاة شيخها" مزبان " خلفه أبنه" بنيه"، وظلت المشيخه بين يديه حتى وفاته سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م(٤) . فخلفه ابنه " فضبان " ، وهو فتى" يافع مما أغرى بعض العشائر بالخروج على طاعته ولكنه واجه الامر بالشدة وبذل المال حتى دانت له ليس قبيلته فقط بل اغلب عشائر اللواء . (٥) وقد دفعه ذلك الى مد نشاطه الى نواحي قضاء الكوت التابع لولاية بغداد (٦) ، معتمدا في ذلك على قوته وثرائه ، اذ كانت وارداته السنوية خمسين ألف ليرة ذهبية ، ولديه حاشية خاصة تقوم على خدمته مكونة من ثمانمائة رجل مسلح . (٧)

(١) داخلية Basbakanlik Arsivi, Istanbul, 1308, No. 95263.

(٢) داخلية Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 99070.

(٣) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢١٧ .

(٤) لغة العرب ، السنة الثالثة ، ج ٨ ، ربيع الاول ١٣٣٢هـ/ شباط ١٩١٤م ، ص ٤٢٩ .

(٥) الندواني ، مرجع مر ذكره ، ص ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٦) الزوراء ، السنة الحادية والثلاثين ، العدد ١٨٢٨ ، ١٧ ربيع الاخر ١٣١٧هـ . والكوت مدينة على نهر دجلة جنوب بغداد : نشأت في حدود منتصف القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي . والمرجح أن اصل كلمة" كوت " هندي و يعني " القلعة " . راجع :
عادل البكري ، تاريخ الكوت، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ص ٧٣ - ٨٥ .

(٧) Public Record Office, Fo 424/219,No.50/492, Consul-General Ramsay (Political Resident in Turkish Arabia and His Britannic Majesty's Consul-General, Bagdad) to Sir G. Lowther (British Ambassador at Constantinople), May 18, 1909.

والقبيلة الثانية التى تشارك بنى لام فى الاهمية فى لواء العمارة هــــى " البو محمد ". ويفترض أن أصل الكلمة هو " آل أبي محمد " ، ولكن العامـة عند نطقهم لها أستسهلوا رفع " أبى " بدل خفضها فقالوا " آل أبو محمـــد "، ثم أدغموا " أبو " فيما قبلها بعد حذف ألفها. وقد نزح الجد الاعلــــى لهذه القبيلة (١) الى أطراف العمارة حوالى منتصف القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى والتجأ لحمى قبيلة بنى مالك المنتفقية. (٢) ثم تكاثـرت سلالة هذا الرجل بمن انضم لها من فروع العشائر الاخرى. (٣) وتكونت مــن الجميع قبيلة مستقلة برزت اهميتها خلال القرن الثانى عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى نتيجة لاستفادة شيوخها من الصراع بين المنتفق وبنى لام فــى تلك الانحاء (٤). حيث استطاعوا مد سيطرتهم على المنطقة الممتدة علــــى ضفتى نهر دجلة بين مدينتى العمارة و " العزير " (٥)، والانتشــــار فــى "الأهوار(٦) الواسعة الممتدة من سوق الشيوخ غربا الى " الحويزة " (٧) شرقا.

---

(١) نسبه الطاهر فى " العشائر العراقية، ص ٢٧٦ " الى قبيلة زبيد، بينما نسبة الندوانى فى " تاريخ العمارة، ص ٤٥ " الى قبيلة العزة.
(٢) الندوانى، مرجع مر ذكره، ص ٤٥.
(٣) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٢٧٦.
(٤) الندوانى، مرجع مر ذكره، ص ص ٤٨ - ٤٩.
(٥) مدينة صغيرة على الشاطئ الايمن لنهر دجلة فى منتصف المسافة بيـــن القرنة وقلعة صالح. فيها ضريح يقال انه للنبى عزير عليه السلام، لذلك كان يستوطنها بعض اليهود فى مطلع هذا القرن الميلادى. أما المنطقة المحيطة بها فيقيم فيها البو محمد. راجع: لوريمر، مرجع مر ذكره، القسم الجغرافى ج ١، ص ٢٦١.
(٦) الهور بالفتح البحيرة تغيض فيها المياه فتتسع ويكثر ماؤها، وجمعها أهوار، راجع: محمد مرتضى الزبيدى، تاج العرس فى جواهر القاموس، ط١ القاهرة، ١٣٠٦هـ، المجلد الثالث، ص ٦٢٤. وعن حياة سكان الاهوار، راجع: Thesiger, W., The Marsh Arabs, 2nd imp., London, 1964.
(٧) مدينة صغيرة تقع داخل الاراضى الايرانية على نهر الكرخا. وتبعد عــن مدينة العزير العراقية بحوالى خمسة وعشرين ميلا تقريبا. وهى موطــــن قبائل بنى طرف العربية. راجع: النجار، مرجع مر ذكره، ص ٣٨.

وقد أصبحت تلك القبيلة مرهوبة الجانب في محيطها نظرا لطبيعة أرضها وتسليحها الجيد [١] اذ كانت قوتها تقدر بعشرة آلاف بندقية من مختلف الانواع . [٢]

وقد أغرت هذه القوة البو محمد باعلان العصيان على الحكومة كلما لحقت بهم مظلمة ، فتكررت حركات العصيان في صفوفهم خلال القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى ، وكانت من أبرز تلك الحركات ماجرى سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م حين ثار البو محمد ضد الضرائب القادحه التي فرضت عليهم ، فأضطرت السلطات الرسمية لانتهاج سبيل التهدئة لمعالجة الامر [٣]. وحين تكرر الاضطراب سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٦٠م مالت السلطات الى الحزم هذه المرة فساقت القوات الحكومية نحو المتمردين ونجحت في توطيد أركان النظام في تلك الانحاء [٤]. وقد استتب الهدوء أثر ذلك الى سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م حين قام " صيهود المنشد " شيخ البو محمد بعصيان واسع سببه نزاع على التزام الاراضي بينه وبين بعض أقاربه ، أججه الدور المشين الذى قام به متصرف اللواء عند مأتقاضى الرشاوى من الجانبين معا [٥]. واستمر ذلك العصيان طيلة ثلاث سنين الى أن تمكنت القوات الحكومية من الوصول الى قلعة صيهود وتهديمها بمساعدة أخية " وادى المنشد " [٦]. وكانت

---

(١) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٤ ، ص ص ١٥٨٩ - ١٥٩٠ .
(٢) الطاهر ، المشائر العراقية ، ص ٢٨٣ .
(٣) الطاهر ، المرجع نفسه ، ص ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .
(٤) الندواني ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٨ .
(٥) P.R.O., Fo 424/216, No. 55, Cons. - Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay (British Charge d'affaires, Const.) June 9, 1908.
(٦) الطاهر ، المشائر العراقية ، ص ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

النتيجة الرئيسية لاضطراب الاوضاع على ذلك المنوال هى عجز السلطات عن تحصيل الأموال الحكومية حتى لقد بلغت البقايا المتراكمة منها فى ذمة الملتزمين فى لواء العمارة سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م اثنى عشر مليونا وتسعمائة الف قرش . (١)

ولأن عملية تلزيم الاراضى كانت تتجدد تلقائيا ، فأن النزاع الداخلى بين شيوخ قبيلة البو محمد على التزام المقاطعات كان يتكرر بين فترة واخرى أيضا (٢) ولم تكن السلطات الرسمية بعيدة عن تأجيج نيران ذلك النزاع فى الخفاء والعلن من اجل تفتيت الوحدة الداخلية لتلك القبيلة (٣) . فحين تنازع صيهود المنشد مع ابن أخيه عريبى الوادى سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م تدخل والى بغداد فى النزاع ومنح تأييده لمنافس ثالث من شيوخ القبيلة هو يسر الفيصل (٤) . وقد أدى ذلك الى حدوث صدامات دموية طاحنة بين مؤيدى صيهود ومؤيدى يسر (٥) تبعها قيام صيهود بقطع خطوط البرق الممتدة بين بغداد والبصرة واعاقة الملاحة فى نهر دجلة احتجاجا على انحياز الحكومة لخصمه وضغطا عليها لتلبية مطالبه . (٦)

وقد أقلق تطور الوضع بهذا الشكل السلطات المحلية فى الولاية ، فرفعت الامر الى السلطات العليا فى استانبول لدراسته واتخاذ القرار

---

(١) العزاوى ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ص ٥٩ - ٦٠ .
(٢) الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ص ١١٢ - ١٢٢ .
(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٧٦ .
(٤) الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ١٢٣ .
(٥) داخلية Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 97512,
(٦) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخى ، ج ٤ ، ص ٢٢٢٠ .

الملائم لمعالجته [١] . وعلى هذا قرر الباب العالى فى صفر ١٣٠٩ هـ ضرورة سوق القوات الحكومية لاقرار الأمن فى تلك المنطقة ووضع حد للنزاع القائم بين صيهود ويسر . [٢] ولم يؤد تنفيذ ذلك القرار الى انهاء تلك المشكلة ، اذ ظل صيهود يعيق الملاحة فى نهر دجلة بشنه الغارات على السفن المارة ، وكان من بينها سفن تجارية بريطانية . فأخذ القنصل البريطانى فى البصرة يلح على سلطات الولاية لاتخاذ الاجراءات اللازمة لضمان سلامة تلك السفن . [٣] ونتيجة لكل هذا حزم الباب العالى أمره وقرر فى رمضان ١٣٠٩ هـ سوق قوة كافية من الجند لتعقب صيهود واخماد عصيانه نهائيا [٤] . وقد انضم لتلك القوة اتباع يسر الفيصل ، فرجحت الكفة لصالحها وتمكنت من دحر العصاة ، ولم يجد صيهود امامه سوى الهرب الى اعماق الهور . بينما القت القوات الحكومية المنتصرة القبض على ابنيه فالح وجاتم وابن أخيه عريبى الوادى ، فنفوا الى استانبول ، ومكثوا هناك مدة من الزمن ، صدر بعدها العفو عنهم وأعيدوا للعمارة [٥] . هذا ولم تنس الحكومة بالمقابل ان تكرم حليفها يسر الفيصل ، فمنحته رتبة شرفيه تقديرا لوقوفه معها ضد صيهود [٦] .

ولم يكن الصراع على التزام المقاطعات حكرا على الشيوخ داخل قبيلة البو محمد فقط ، ولكنه كان يثور أحيانا بينهم وبين شيوخ العشائر المجاورة

---

(١) داخلية Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 97593,

(٢) مجلس مخصوصى Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 5348,

(٣) داخلية Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 100156,

(٤) مجلس مخصوصى Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 5551,

(٥) الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ص ١٢٣ - ١٢٥ .

(٦) داخلية Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 98736,

فحين عجز بعض شيوخ البو محمد عن الوفاء بتعهد اتهم المالية النا شئة عن التزامهم لبعض المقاطعات سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م قررت السلطات الحكومية تحويل الالتزام الى عشيرة" الأزيرق" (١) . ولكن البو محمد رفضوا الانصياع لذلك القرار وتمسكوا بالبقاء في تلك الاراضي ، الأمر الذى جعل متصرف العمارة يسوق نحوهم قوة حكومية أستخدمت فى اجلائهم ضروبا فى القسوة الزائدة من الحد (٢) . حتى أن والى البصرة أضطر للتدخل من الأمر فعزل متصرف لواء العمارة واعاد المقاطعة الى ملتزميها السابقين . (٣)

ومن هذا القبيل أيضا الصراع الذى أخذ يتصاعد منذ أواسط القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى بين البو محمد وبنى لام، وقد أعتقد القنصل الامريكى فى بغداد ان سبب هذا الصراع عرقى Racial لان بنى لام

---

(١) عشيرة ترجع فى الاصل الى عشيرة الازيرق المنتفقية. وقد نزح اجدادها الى منطقة المجر الصغير فى العمارة بأمر من أحد شيوخ المنتفق حين وضعهم هناك طليعة أمامية لصد أية أخطار تتعرض لها أراضى المنتفق من هذه الناحية. وكان ذلك فى حوالى سنة ١١٥٥هـ. راجع :

الطاهر، العشائر العراقية، ص ١٧٠ وص ٢٨١.

(٢) لوريمر، مرجع مر ذكره، القسم التاريخى، ج ٤، ص ٢٢٢١.

(٣) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٢٨١. وروى لوريمر" القسم التاريخى، ج ٤، ص ٢٢٢١ " أن الذى تدخل فى الامر هو والى بغداد ، ولكن ماورد فى المتن هو الاصح ، يؤيد ذلك ماجاء فى :

Sir N. O'Conor to the Marquess of Lansdowne, July 30, 1904, in " The Affairs of Kuwait ", Vol. II, Part VI, P. 57.

بدو والبو محمد " معدان" (١) . ولكن كل الشواهد تشير الى خطأ ذلك الاعتقاد اذ ان الفارق بين البدو والمعدان اجتماعي وليس عرقيا ، وهو مع ذلك لا يشكل الا سببا ثانويا للصراع الذى يكمن سببه فى التنافس على الارض والنفوذ(٢). ذلك التنافس الذى اشتد اواره مجددا فى سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م بين صيهود المنشد وغضبان البنيه واخذ يتصاعد حتى تحول الى صدامات دموية عنيفة بلغت اوجهها سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م (٣) . ويبدو أن الدولة كانت خلال ذلك تسند غضبان او تتعاطف معه على الأقل لانها كانت تريد تقويته وجعله السيد الذى تسيطر عن طريقه على كل الاقليم الممتد بين نهر دجلة والحدود الفارسية. (٤) ولذلك قصرت تدخلها فى تلك الاضطرابات الدامية على ايفاد اللجان للتحقيق فى اسباب النزاع ومحاولة التوسط بين المتنازعين ، فعلت ذلك سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م(٥) ، وكررته فى السنة التالية.(٦)

---

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 23, American Consul at Bagded, to Amercian Ambassadory at Constantinople, Apr. 10, 1908.

والمعدان جمع معيدى وهو اسم يطلق على من يربى الجاموس فى سكنة الاهوار ، ويختلف فى سبب التسمية فيعدها بعضهم اسم صنعة ويرى اخرون انها جمع للمنتمين الى " معد بن عدنان" كما تقول عرب وعربان ، راجع ، الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٤٩ وأيضا الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٨ .

(٣) الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ص ١٢٦ - ١٣٠ .

(٤) N.A.R.S. RG 84, No. 23, American Consul, Bagded, to American Ambassador at Constantinople, Apr. 10, 1908.

(٥) Consul Crow to Sir N. O'Conor, April 14, 1905, in " The Affairs of Arabia", Vol. II Part VIII, P.24.

(٦) Consul Crow to Sir N. O'Conor, July 9,1906, in " The Affairs of Arabia",Vol.II Part VIII, P. 23.

ويلاحظ هنا أن قبائل لواء العمارة اعتادت أن تلجأ خلال أضطراباتها الى اعتراض سبيل السفن المارة في نهر دجلة ، وهو أمر بعيد وانها ألفته منذ فترة بعيدة[1] ، وكانت دوافعها لذلك العمل متعددة كالرغبة في الحصول على الغنائم او ان يكون الامر محض صدفة كأن تمر السفينة بين طرفين يتبادلان اطلاق النار عبر النهر فيتخذانها ساترا متحركا[2] ، والاهم من ذلك كله هو اتخاذ ذلك العمل وسيلة للفت نظر الحكومة الى القضية التي تحركت من اجلها[3] ، وقد ازداد لجوءها الى ذلك الاجراء زيادة خطيرة منذ سنة ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م فقامت بشن هجمات على السفن المارة وخاصة البريطانية منها توقعا لقيام الحكومة البريطانية بالضغط على الحكومة العثمانية للاستجابة لمطالبها ، وظلت القبائل تمارس تلك اللعبة الخطرة في السنوات الاولى من القرن الحالي[4] ، وكانت اخر الامثلة على ذلك هو قيام هاتم بن صيهود سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م باعاقة الملاحة في نهر دجلة لمدة ثمانية شهور كاملة لم تملك السلطات الرسمية خلالها سوى أسترضاءه واعلان العفو عنه[5] . ولقد كانت كل تلك الحوادث سببا لحرج كبير يلحق بالدولة العثمانية لما يجره من ضغوط وتدخلات دولية في شئونها الداخلية ، وهو الأمر الذى سنرى صورا منه عند تناولنا للاحداث في فترة بحثنا ، ولكن يجدر بنا قبل ذلك أن نلم بما طرأ على الاوضاع القبلية من تطورات اقتصادية واجتماعية .

---

(١) جيمس بكنغهام ، رحلتي الى العراق ، ترجمة سليم التكريتي ، ج ٢ ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ٢٩٦ .

(٢) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢١٧ و ص ٢٢٥٦ .

(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٨٠ .

(٤) P.R.O. ,FO. 424/216, No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay June 9, 1908.

(٥) N.A.R.S. RG 84, No. 23,Am. Cons., Bag.,to Am.Amb., Const., Apr. 10,1908.

التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي اثرت على الاوضاع القبلية قبل فترة البحث :

ان وقوفنا طويلا امام الجوانب السياسية والحربية من معالجات السلطات العثمانية للمشكلة القبلية لايعنى ان الاوضاع القبلية ظلت ـ طيلة مايقارب الاربعة قرون ـ راكدة لم تطرأ عليها عوامل ايجابية زحزحتها قليلا الى الامام. ولأن كانت تلك العوامل بطبيعتها غير ذات أثر يمكن ملاحظته لاول وهلة وخاصة فى القرون الثلاثة الاولى ، الا انها اصبحت أكثر بروزا فى القرن الأخير ، فقد تسارعت وتلاحقت نتيجة لاسباب عديدة ، منها الاتجاه العام الذى سيطر على أذهان رجال الدولة والداعى الى تجديد شبابها وتحديث مختلف مرافقها من طريق اتباع النمط الذى كان سائدا حينئذ فى الدول الاوربية وهو اتجاه تحددت سماته فى الثلث الاخير من القرن الثالث عشر الهجرى/ النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى.

واذا كان ذلك الاتجاه قد نال استحسان واطراء الكثيرين وخاصة من الغربيين ، الا انه كان يتناقض ـ الى حد ما ـ مع العقلية القبلية التى كانت اكثر انسجاما مع مناهج الدولة الادارية القديمة المستمدة فى اغلبها من الجذور القبلية التركية(١) . ولاريب أن ذلك التناقض قد القى بظلاله على العلاقة بين الدولة والقبائل ، فقد كثرت فى هذه الفترة الصدامات بين الطرفين وازدادت حدة ووحشية ، وهو الامر الذى اعاق الى حد ما خطط الاصلاح الحكومية فى العراق ، ولكنه لم يستطع ان يمنعها كلية ، اذ نجح الولاة المتعاقبون فى تحقيق قدر معين من التطور تمثل فى كبح جماح بعض القبائل النزاعة للحرب وتوفير الامن فى الطرقات العامة لحد معقول وتشجيع الزراعة . (٢)

(١) Lloyd, S., Twin Rivers, Bombay, 1961, P. 169.

(٢) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخى ، ج ٤ ، ص ٢١٩٧ .

وبالاضافة الى تلك الجهود المباشرة التى بذلتها السلطات الرسمية استجدت عوامل غير مباشرة ساهمت فى دفع عملية التطور، منها ازدياد الطلب الاوربى على المنتجات الزراعية والحيوانية العراقية، والذى دفع الى استغلال الفائض فى الطاقة الانتاجية للارض والفلاح فى العراق (١). وكان ذلك موءذنا بأنتهاء مرحلة الاقتصاد المعيشى المحض الذى يكون هدف الانتاج فيه اشباع الحاجات المحلية، وبدء مرحلة الانتاج التجارى التى كانت من ابرز سماتها ازدياد صادرات الحبوب العراقية الى الخارج، اذ قفزت من ستة وخمسين ألف طن فى اواخر القرن الثالث عشر الهجرى/ أوائل التسعينيات من القرن الميلادى الماضى الى مائة وعشرين ألف طن فى اواخر العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجرى/ العقد الاول من القرن الميلادى الحالى. (٢)

وكان هذا التطور الانتاجى ذا آثار مباشرة على الكيان القبلى، اذ أن الارباح الكبيرة التى اخذت تدرها تجارة الحبوب اغرت الشيوخ فى بعض المناطق بوضع ايديهم على الاراضى الزراعية القبلية واعتبارها ملكا شخصيا لهم. (٣) فتحول افراد القبائل نتيجة لذلك من شركاء فى الارض الى مجرد فلاحين اجراء مما ساعد على تحلل الروابط القبلية

---

(١) Hasan, M.S., The Role of Foreign Trade in the Economic Development of Iraq, 1864-1964, in " Studies in the Economic History of the Middle East," edited by Cook, M.A., London 1970, P.349.

(٢) ورنر، مرجع مر ذكره، ص ٢٤٦.

(٣) Hasan, op.cit, P. 350.

وتفسخ النظام القبلى (١) . أما فى المناطق الأخرى التى تأخر فيها ـ بسبب او لاخر ـ تحول الشيوخ الى ملاك للارض فقد تقدم بعض وجهاء المدن وكبار الموظفين للقيام بذلك الدور، مما جعل رد الفعل معاكسا لما حصل فى الحالة الاولى، اذ ازداد النظام القبلى تماسكا وشن الشيوخ وافراد قبائلهم نضالا مريرا ضد الملاك الجدد الغرباء (٢) .

ومن المفارقات ان تينك الحالتين معا قد عادتا على السلطات الرسمية بمتاعب كبيرة ، ففى حين كان على تلك السلطات فى الحالة الاولى ان تجرد الحملات الحربية لتأييد الشيوخ المالكين ضد أفراد قبائلهم الذين كانوا يعبرون عن رفضهم لنظام الملكية الجديد برفع راية العصيان تحت قيادة " سراكيلهم" (٣) ، كان عليها فى الحالة الثانية أن تؤيد بالقوة الحقوق القانونية للملاك الغرباء ضد معارضة الشيوخ وافراد قبائلهم لتلك الحقوق(٤) . أى أن السلطات حين كسبت تأييد المالكين فى الحالتين المشار اليهما لسياستها وخططها (٥) ، خسرت تأييد اغلبية أفراد القبائل . وحين ساعدتها الظروف على تحقيق غايتها التى سعت من اجلها طويلا وهى تحطيم التلاحم القبلى لم يعد عليها ذلك بنفع سريع .

---

(١) الطاهر، البدو والعشائر ، ص ٢٠

(٢) نظمى وآخرون ، مرجع مر ذكره، ص ٢٦ .

(٣) Glubb, War in the Desert, P.72. والسراكيل جمع سركال وهى معربة عن الكلمة الفارسية "سر-كار" اى رئيس العمل ، راجع : لغة العرب، السنة الثالثة، ج ٨ ، ربيع الاول ١٣٣٢ ، ص ٤٢ . وتطلق الكلمة عادة على رؤساء افخاذ العشيرة الذى يتولون زراعة جزء من المقاطعة ، وقد يكون السركال فى بعض الاحيان مجرد مدير زراعى لايمت الى القبيلة بصلة . راجع :
ورنر، مرجع مر ذكره ، ص ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٤) Haider, op.cit., P.164.

(٥) فياض ، مرجع مر ذكره، ص ٦٠ وأيضا الطاهر، العشائر العراقية ، ص ٦٥ .

ومن العوامل التى سهلت تحول الزراعة فى العراق الى زراعة تجارية سهولة المواصلات التى نتجت عن انشاء الملاحة البخارية فى نهر دجلة وفتح قناة السويس (١) . فقد أصبحت المنتجات الزراعية تصل بيسر وسرعة الى ميناء التصدير فى مدينة البصرة ومنها الى اوربا عبر القناة ، مما أدى الى زيادة كبيرة فى صادرات العراق . اذ ارتفعت قيمتها من مائة وسبعة واربعين الف جنية استرليني سنويا خلال الفترة الواقعة بين سنتى ١٢٨١-١٢٨٨ هـ/ ١٨٦٤ - ١٨٧١م الى مليونين وتسعمائة وستين ألف جنية خلال سنة ١٣٣٠-١٣٣١هـ/ ١٩١٢ - ١٩١٣م. (٢)

وكما كان للملاحة فى نهر دجلة تأثيرات اقتصادية ،كان لها تأثيرات حضارية موازية اذ رافقها انشاء محطات الفحم وخانات المسافرين ومرافق أخرى على ضفاف النهر ،وفرت لها الحكومة الحماية العسكرية المطلوبة فتطورت تدريجيا الى مدن صغيرة وسط المناطق القبلية ، التى اخذ وكلاء تجار الحبوب والمنتجات الحيوانية يجوبونها لشراء مايحتاجون من المنتجات ويحملون معهم فى نفس الوقت أفكارا جديدة الى الوسط القبلى المغلق ، ويبثون فيه طرفا من اخبار العالم الخارجى . كما لم تعد بغداد والبصرة مدنا بعيدة ذهنيا او واقعيا عن افراد القبائل بل اصبح سفر بعضهم

---

(١) Haider, op.cit., P.163. وقد بدأت الملاحة المنتظمة فى نهر دجلة سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م عن طريق الرحلات التى كانت تسيرها بين البصرة وبغداد شركة Lynch البريطانية. ولمزيد من المعلومات من هذه الشركة راجع: الشناوى ، مرجع مر ذكره، ج ٢ ، ص ص٧٦٩-٨٠٠. ويشبه البعض الدور الذى لعبته تلك الشركة فى تاريخ العراق بدور شركة الهند الشرقية البريطانية فى تاريخ الهند ، راجع: البزاز، مرجع مر ذكره، ص ٥٠ . وقد اعتاد العراقيون على تسميتها - فى لفظهم وكتاباتهم - بشركة لنج وسنلتزم بهذه التسمية عند كتابتنا لاسمها فيمابعد .

(٢) Hasan, Op.Cit., P. 348.

اليهما متيسرا ، اضافة الى ان البضائع المصنعة وجدت طريقها اليهم، فأثر كل ذلك في تحريك الركود الذى يخيم على حياتهم (١) . كما كان للملاحة تأثير مهم آخر اذ سهلت على الدولة تحريك قواتها للمناطق القبلية بسرعة اكبر، حتى لقد لوحظ ان القبائل المقيمة على ضفاف نهر دجلة قد تم ترويضها قبل تلك المقيمة على ضفاف نهر الفرات بمدة طويلة ،لان نهر دجلة كان خط سير البواخر النهرية المنتظمة بين بغداد والبصرة . (٢)

ويتصل بما مر التأثيرات التى تركها مد اسلاك البرق في العراق، وهو الامر الذى تم فى اواخر ايام السلطان عبد المجيد "١٢٥٥ - ١٢٧٨ هـ / ١٨٣٩ - ١٨٦١م" (٣) وماراغقه من انشاء محطات البرق فى كثير من المناطق النائية ، التى اخذت اخبارها تصل لمراكز الولايات بسرعة تمكن السلطات من التحرك لمواجهة اى طارىء فى الوقت المناسب. كما أتاحت تلك المحطات للقبائل فرصة ايصال ارائها للسلطات العليا فى بعض الاحيان (٤) . ولا ريب أن تلك التطورات التى استجدت على اوضاع العراق كانت تبدو واضحة لأعين المراقبين الاجانب، ومنهم القنصل الامريكى فى بغداد الذى يظهر انه كان متحمسا لها مما جره الى المبالغة بعض الشيء حين قال ان ماحدث منها خلال السنوات الخمس الواقعة بين سنتى ١٣٢٣ - ١٣٢٨/ ١٩٠٥ - ١٩١٠م يعد اكثر مما حدث خلال القرون الخمسة الاخيرة (٥) .

(١) Longrigg, Op. Cit., PP. 23-24.

(٢) نتظمى وأخرون ، مرجع مر ذكره ، ص ١٦ .

(٣) محمد رشيد بن السيد داود سعدى ، قرة العين فى تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين ، بومبى ، ١٣٢٥هـ، ص ١٢٥ .

(٤) فياض ، مرجع مر ذكره، ص ٥١ .

(٥) N.A.R.S., RG84, No.136, Am.Cons. at Bag. to Western Electric Co., July 22, 1910.

وهكذا وبعد ان تعرفنا على ملامح السياسة العثمانية تجاه القبائل العراقية بوجه عام ، وعلى تعاملها مع قبائل ولاية البصرة بوجه خاص، وبعد أن ألممنا باهم التطورات الاقتصادية والاجتماعية التى طرأت على الوضع القبلى ، يمكن ان أجمل خلاصة مامر بنا فى نقاط محدده فيمايلى :-

(١) كانت العلاقة بين الدولة والقبائل علاقة قلقة يسودها الشك المتبادل الذى تكمن جذوره فى عجز الموظفين الترك عن فهم العقلية القبلية وما انبنى عليها من تقاليد اجتماعية[١] يقابل ذلك ماهو معروف من حساسية القبلى المفرطة تجاه الغريب.[٢]

(٢) كان محور الصدام بين الدولة والقبائل يدور حول أمرين هما ملكية الارض الزراعية والضرائب اذ لم تراع الدولة فى أنظمتها المتعلقة بالارض خصوصية الاعراف القبلية المتوارثة ، مما اوجد هوة بين القوانين المكتوبة على الورق والممارسات المطبقة فى الواقع. كما عجزت السلطات الرسمية عن وضع نظام محدد لأستيفاء الضرائب يتسم بالعدل والمرونة ويتفهم حساسية القبائل بحيث يشجعها على الانتظام فى الدفع حتى يصبح الامر مألوفا لديها بالتدريج - ولدينا نموذج يدل على ما يمكن ان تكون عليه الحال لو راعت الدولة ظروف القبائل الخاصة ، هو ماحدث فى قضية التجنيد الالزامى ، اذ أدركت السلطات نفور القبائل من التجنيد فتذرعت بحجة قانونية لاعفائها من ذلك الواجب، اذ اعتبرتها " غير محررة " أى غير مسجلة فى سجلات النفوس التى يتم التجنيد على اساسها . وحتى من اعتبرت محررة فقد مكنتها الدولة من دفع

---

(١) Foster, H.A.,The Making of Modern Iraq, 2nd.imp., New York, 1972,P.55.

(٢) محيى الدين صابر ولويس مليكه، البدو والبداوة ، سرس الليان ، ١٩٦٦، ص ١٢٩ .

(٣) الطاهر، العشائر العراقية ، ص ٣٤ .

البدل النقدى بدلا من الخدمة الفعلية [١] ، فتفادت بذلك صدامات محتمة لا نهاية لها مع القبائل .

(٣) كانت الوسيلة التى تلجأ اليها الدولة لأغلب الاحيان فى تعاملها مع القبائل هى القوة، ولم تحاول الا نادرا ان تجرب وسائل ايجابية بديلة تهيئ من خلالها تدريجيا لابناء القبائل وسائل لتطوير حياتهم يكون فى امكانهم قبولها بدلا من ان تنزل بهم ضربات موجعة بين حين وآخر. [٢]

وهنا ، ينبغى ان أشير الى نقطتين أولهما ما زعمه البعض من ان النعرات المذهبية ساهمت فى بلورة مواقف السلطات العثمانية تجاه القبائل العراقية [٣]، أى ان تلك المواقف تأثرت بكون الدولة سنية وكون اغلبية قبائل وسط وجنوب العراق شيعية. ورغم مافى هذا القول من منطق ظاهرى قد يغرى المتأمل بقبوله، الا اننى لم أجد فى كل ما اطلعت عليه مما دونه الكاتبون عن تاريخ الدولة العثمانية فى العراق مايشير الى واقعة عملية واحدة ترجح وقوعه . فالقوانين والانظمة التى طبقتها الدولة هى نفسها بالنسبة الى القبائل الشيعية والسنية على السواء، وسجل حملاتها الحربية ضد القبائل السنية العربية والكردية لا يقل بحال من الاحوال عن مثيلة ضد القبائل الشيعية بما ينفي عن الدولة العثمانية تهمة التحيز ضد الشيعة.

---

(١) لونغريك ، مرجع مر ذكره، ص ٢٧٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٤٨.

(٣) حسن الاسدى، ثورة النجف على الانجليز، بغداد ، ١٩٧٥، ص ١٣٧. وأيضا البزاز، مرجع مر ذكره ، ص ٣٩.

أما الثانية فهي تصوير الاضطرابات القبلية على اعتبار انها حركة قومية عربية هدفها التحرر من الحكم العثماني او المشاركة في حكم البلاد على الاقل.[1] وفي ذلك التصوير بلا ريب غلو ظاهر يحمل احداث الماضي من المضامين المعاصرة أكثر مما تحتمل، اذ لم تبدأ بواكير الحركة القومية العربية الا في اخريات القرن الميلادي واوائل القرن الحالي، واقتصرت حتى بعد ظهورها على بعض المتعلمين من ابناء المدن، بينما ظل الفرد القبلي والى فترة متأخرة جدا لا يشعر بالانتماء الا الى كيان واحد هو قبيلته[2]. ثم أن شيوخ القبائل لم يكونوا يترددون وهم في قمة عصيانهم من اعلان ولائهم الكامل واخلاصهم للسلطان[3].

تلك كانت الاوضاع القبلية حين دخلت سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م التي وصل الاتحاديون خلالها للحكم وتسلموا الأرث الذي تركته لهم العهود السابقة ومن جملته المشكلة القبلية المعقدة في العراق.

---

(١) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ص ٤٦٣ - ٤٧٠.

(٢) بحوث الندوة العلمية العالمية الثالثة لمركز دراسات الخليج العربي، الكتاب الثاني : الانسان والمجتمع في الخليج العربي، البصرة، ١٩٧٩، ص ٧٩.

(٣) Glubb, Arabian Adventures, P. 36.

الفصل الأول

الوضع القبلي في لواء العمارة بين سنتي

١٣٢٦-١٣٣٢هـ/١٩٠٨-١٩١٤م

اضطرابات سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م:

لاحظ القنصل الامريكي العام في بيروت بحق أن بداية السنة المالية العثمانية في الخامس عشر من شهر مارس من كل عام تكون دائما موعدا لبدء الاضطرابات القبلية السنوية لانها موعد ثورة الخلافات على قضايا الضرائب الزراعية.(١) ولم تكن سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م استثناء لتلك القاعدة، فما ان حل شهر مارس/ صفر حتى كان الاضطراب منتشرا بين قبائل لواء العمارة بصورة واسعة بسبب التزام المقاطعات الزراعية والبدلات المقررة على الالتزام.

ولقد كانت بؤرة النزاع هذه المرة مقاطعة تسمى "المجر الصغير" (٢) كانت تلزم عادة الى عشيرة الازيرق ولكنها لزمت ابتداء من سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م الى غضبان البنيه شيخ بني لام(٣)، الذي أقام فيها أخاه فالحا(٤)، وحين أوشكت مدة الالتزام على الانتهاء، رغب غضبان في اعادة التزامها وفي ترتيب أمر التزام المقاطعات الاخرى بالصورة التي تناسبه، فأوفد في شهر فبراير ١٩٠٨م (محرم ١٣٢٦ هـ) كاتبه الى مدينة البصرة حاملا الفين وخمسمائة ليرة تركية كي تدفع "مكافأة" للوالي اذا منح غضبان التزامات ملائمة للسنوات

(١) N.A.R.S.,RG84,No.146,Am.Cons.Gen. at Beirut to Am.Amb at Cont., April 30, 1908.

(٢) مقاطعة تقع على بعد ١٤ ميلا غرب مدينة العمارة على ضفاف جدول المجر الصغير المتفرع من الضفة اليمنى لنهر دجلة ، وبها قرية بنفس الاسم انشأها رئيس عشيرة الازيرق عام ١٢٩٥هـ، راجع: لغة العرب، السنة ٨، ج ٣، اذار ١٩٣٠، ص ١٧١.

(٣) PRO,FO 424/216,No.55,Cons. Gen Ramsay to Mr. G., Barclay, June 9,1908.

(٤) PRO,FO 424/215,No.30,Cons. Crow To Mr.G.Barclay,April, 15,1908.

الثلاث القادمة . (١)

وكادت الامور أن تجرى حسب مايشتهى غضبان لولا أن وصلت الى بغداد فى هذه الاثناء لجنة من استانبول برأسة مصطفى ناظم باشا غرضها التحقيق فى أوضاع ولايات العراق الثلاث والسعى لاصلاح أمورها . (٢) فسمع رئيسها فى بغداد أخبارا عن تلك الصفقة التى توشك أن تتم فى البصرة فأبرق الى سلطات تلك المدينة طالبا عدم تلزيم اية مقاطعات لحين وصوله ، ثم سافر الى البصرة على عجل ، ولم يمكث هناك طويلا بل توجه الى العمارة حيث طالب هناك كلا من غضبان وشيخ البو محمد صهيود المنشد بدفع مابذمتهما من متأخرات مالية عن بدل التزامهم الحالى لمقاطعتهم قبل مناقشة أمر الالتزامات الجديدة . (٣) اذ كان بذمة الاول للدولة مبلغ ثمانية عشر ألف ليرة بينما كان بذمة الثانى ستة عشر ألف ليرة ، وقد عرض الشيخان ان يدفعا نصف المبلغ المطلوب منهما فى الحال ويوقعا سند اقرار بالمتبقى ولكن ناظم باشا رفض الاقتراح (٤) .

ويبدو أن رفض ناظم باشا لذلك الحل الوسط كان نتيجة لاقتناعه بخطة لمعالجة الوضع فى لواء العمارة ، خلاصتها الاضعاف التدريجى للشيوخ الكبار عن طريق تقسيم المقاطعات الكبيرة الملزمة لهم الى قطع صغيرة وتوزيعها على أفراد القبائل الذين سيصبحون عند ذلك على علاقة

(١) PRO,Fo 424/216,No.17,Cons.GenRamsay to Sir E. Grey (Foreign Secretary), Enclosure No1 June 13 1908.

(٢) N.A.R.S.RG84,No.146 Am.Cons,Gen at Beirut to Am.Amb.at Const., Apr. 30, 1908.

(٣) PRO,Fo 424/216,No. 17 Cons.Gen. Ramsay to Sir E. Grey, Encl. No. 1,June 13, 1908.

(٤) N.A.R.S., RG 84, No. 146,Am. Cons.Gen. at Beirut to Am.Amb.at Const., Apr.30,1908.

مباشرة مع السلطات الحكومية التى كانت تأمل أن يؤدى بها هذا السبيل الى تفكك النظام الزراعى السائد والقائم على اساس المقاطعات الكبيرة ونيل سيطرة اكبر تدريجيا على سكان لواء العمارة القبليين من خلال اضعاف القوة الشخصية للشيوخ (١) . ونظرة سريعة على هذه الخطة تدل على انها عودة لسياسة مدحت باشا التى مر الحديث عنها ، ولكن فى حين أن مدحت باشا اعتمد سبيل الاقناع لتنفيذ سياسته فأن ناظم باشا يبدو انه قد مال للاعتماد على القوة فى سبيل تطبيق خطته ، فلجأ الى حشد القوات الحكومية فى لواء العمارة حتى بلغت فى أواخر مارس ١٩٠٨م (صفر ١٣٢٦هـ) ألفا ومائتى جندى عززوا فيما بعد بمائتى جندى آخرين (٢) . ثم انه حين رفض فالح الصهيود الاستجابة لطلبه بالحضور الى العمارة أقنع ابنه فالحا بالحضور بدلا عنه ولكنه ما أن وصل للعمارة حتى احتجزه هناك واعلن عزم الحكومة على القاء القبض على كل الشيوخ ذوى النفوذ ونفيهم الى استانبول (٣). ولعل هذا هو السبب الذى جعل غضبان يرفض الحضور الى مركز اللواء (٤)

وتنفيذا لخطته تلك عمد ناظم باشا الى منح التزام مقاطعة المجر الصغير الى شخص اسمه " ابن نفيسه " وهو نجدى الاصل ولكنه ولد ونشأ فى كنف عشيرة الازيرق فى العمارة (٥) ، وهو اجراء وصفه القنصل البريطانى فى البصرة بأنه اجراء متعجل لم يول الاعتبار الكافى لحساسية السكان المحليين

(١) PRO,FO 424/215,No.30 Cons. Crow to Mr.G.Barclay,Apr. 15,1908.

(٢) N.A.R.S., RG84,No. 146,Am Cons.Gen at Beirut to Am. Amb.at Const.,Apr. 30,1908.

(٣) N.A.R.S. RG 84,No 370, Am. Cons. at Bag.to Am Amb at Const ., Apr. 28,1908

(٤) N.A.R.S., RG84, No.23,Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Apr. 10,1908.

(٥) PRO,FO 424/216, No.55,Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9,1908.

الذين عارضوه وليس بالامكان تطبيقه الا عن طريق القوة، وذلك ماحدث بالفعل اذ لجأت السلطات الحكومية الى ارسال سفينة شراعية محملة بالجند لتثبيت ابن نفيسه في مقاطعته الملتزمة .(١)

وقد عادت اجراءات ناظم باشا تلك بردود فعل معاكسة لما اشتهاه، فبعد ان كان الصراع محتدما بين فضنان وصهيود في السنين الماضية كما رأينا، فقد اتجها الآن بناء على نصيحة من والي البصرة (٢) لتسوية خلافاتهما والتعاون معا لتعزيز موقفهما تجاه ناظم باشا، وهدف الوالي من تلك النصيحة هو أظهار ناظم باشا أمام السلطات العليا في استانبول بمظهر العاجز عن مواجهة المشكلة، أملا في ان تدعوه تلك السلطات لتولي حلها (٣). ولم تقف مكائد الوالي عند هذا الحد بل أنه أرسل برقية للسلطات العليا في استانبول يتهم فيها ناظم باشا باثارة الهياج عن طريق سعيه لا ضعاف نفوذ الشيوخ المحليين لصالح غرباء من نجد، وقد علق القنصل البريطاني العام في بغداد على هذا الاتهام بقوله :- " ان ذلك غير صحيح، فلقد رأيت ناظم باشا وفهمت أن هدفه هو كبح القوة المتنامية لصهيود وفضنان، ليس لمصلحة الغرباء من نجد ولكن لمصلحة الشيوخ الصغار الذين تنزع الاراضي بواسطة عشائرهم أو أفخاذهم . والفرق مهم جدا لان تأثير جلب الغرباء من نجد سيكون توحيد كل العرب المحليين ضد الترك، ربما ستجعل سياسة ناظم باشا - اذا طبقت باعتدال - عددا كبيرا منهم اصدقاء للترك" (٤).

(١) PRO,FO 424/215,No.30 , Cons. Crow to Mr. G. Barclay, Apr.15,1908.

(٢) تذكره بعض الوثائق البريطانية بأسم حسين بك تارة وحسن بك تارة أخرى ولكن اسمه الصحيح هو عبد الرحمن حسن بك وقد تولى ولاية البصرة بين سنتي ١٣٢٤ و ١٣٢٦هـ، راجع:
ابن الغملاس، مرجع مر ذكره، ص ٨٣ .

(٣) PRO,FO 424/215,No. 17,Cons. Gen. Ramsay to Sir Grey, June 13, 1908.

(٤) PRO,FO 424/215,No. 55,Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9,1908.

وقد صعد الشيوخ المعارضون لسياسة ناظم باشا من حدة الازمـــة حين لجأوا الى وسيلتهم المعهودة وهي عرقلة الملاحة في نهر دجلة من اجل لفت نظر السلطات فقاموا في الثاني من ابريل ١٩٠٨م (آخر صفر ١٣٢٦هـ) بإطلاق النار على السفينة البريطانية بلوس لنج Blosse Lynch (١)، وكـــان مرتكبو الحادث "حوشيه"(٢) فضبان الذين أقتفوا مزور السفينة في طريقهـــا من العمارة الى البصرة، فصبوا عليها نيران اسلحتهم لمدة ثلاث ساعـــات متواصلة (٣) مما ادى الى قتل وجرح عدد ممن كانوا على ظهرها (٤)، ولكنهـا أستطاعت الافلات منهم والعودة الى العمارة لابلاغ السلطات المحليـــة بالحادث، فزودتها تلك السلطات بقارب مدفعية لمرافقتها في طريقهـــا للبصرة ولكن وجوده لم يحمها من اطلاق النار عليها ثانية لمدة نصف ساعـــة، الى ان تمكنت من الخروج من منطقة الخطر. (٥)

---

(١) IOR,R/15/5/7,Turkish Arabia, April 1908,P.25.

(٢) لعلها تحريف لكلمة "الحاشية". وهم رجال اشد "المسلحون" يقومون بحراسة الشيخ وتنفيذ اوامره والمحافظة على الأمن داخل حدود القبيلة راجع: الطاهر، البدو والعشائر، ص ١٨.

(٣) PRO,Fo 424/215,No.30,Cons.Crow to Mr.G.Barclay,Apr.15 1908; also N.A.R.S.,RG 84, No.146,Am. Cons.Gen at. Beirut to Am. Amb. at Const.,Apr.30,1908.

(٤) اختلفت المصادر في عدد ضحايا الحادث اذ قال القنصل البريطانـي العام في بغداد انهم كانوا ثلاثة جرحى وقتيل واحد انظـــر: "Fo 424/216,No. 17" وايده في ذلك الاحصاء القنصـل الامريكي في بغداد، انظر: "RG84,No.25"، بينمـا ذكـــر القنصل البريطاني في البصرة انهم كانوا قتيلين وجريحين، أنظـــر "FO 424/215, No. 30." وايده في ذلك القنصـل الامريكـي العام في بيروت، انظر "RG '4,No.146".

(٥) N.A.R.S., RG84,No.23,Am.Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Apr. 10, 1908.

أرسل ناظم باشا على اثر ذلك الحادث تقريرا مفصلا الى استانبول عن الوضع برمته وطلب فيه ايضاح السياسة التي يجب أن تتبع لمعالجته ، كما أقترح عزل قائد القوات في لواء العمارة اسماعيل بك الذي كان متجها عن طريق النهر نحو المجر الصغير حين اطلقت النار على الباخرة البريطانية التي لم تحذر اثناء وقوفها في العمارة من خطر هجوم قد يقع عليها نتيجة لأن اسماعيل بك كان قد سبقها بالانحدار في النهر[1] . وبعد ارسال هذا التقرير غادر ناظم باشا العمارة متوجها الى بغداد فوصلها في التاسع من ابريل ١٩٠٨م (السابع من ربيع الاول ١٣٢٦هـ) وقد اختلفت المصادر في سبب مغادرته ، ففي حين روى القنصل الامريكي في بغداد ان التدهور الامني قد وصل الى مدينة العمارة نفسها حتى أن نيران البنادق اطلقت على كل نوافذ المنزل الذى كان يقيم فيه ناظم باشا هناك مما أضطره لمغادرة المدينة[2] ، عزا القنصل البريطاني العام في بغداد سبب وصول ناظم باشا بغداد لانتظار وصول الرد من استانبول على تقريره الذى ارسله ،اذ أن الاتصالات البرقية بين بغداد واستانبول أفضل مما هي بين الاخيرة والعمارة[3] ولكن ذلك القنصل عاد وتشكك في الامر في وقت لاحق حين قال اذا كان ذهاب ناظم باشا الى بغداد قد تم بناء على اوامر من استانبول فيبدو أن خطط والي البصرة قد نجحت نجاحا ممتازا .[4] .

ولكن ناظم باشا حاول قبل ان يغادر العمارة التوصل الى تسوية مع فضبان فألتقى مع كاتبه وعرض عليه الشروط التي يجب أن يتقيد بها فضبان

(١) PRO,FO 424/216,No.55,Cons.Gen.Ramsay to Mr. Barclay, June 9,1908.

(٢) N.A.R.S.,RG 84, No.23, Am. Cons. at Bag.to Am. Amb. at Const., April, 10, 1908.

(٣) PRO, FO,424/216, No. 55, Cons.Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9, 1908.

(٤) PRO, FO 424/216,No. 17, Cons. Gen. Ramsay to Sir E. Grey, June 13, 1998.

وهى :-

١ - تسليم كل من يطلق النار من رجاله على السفن النهرية مستقبلا الى السلطات الحكومية.

٢ - اعادة كل الاموال التى نهبها رجاله من السفن الشراعية.

٣ - دفع ماعليه من متأخرات الاموال الحكومية.

٤ - عند نهاية أمد التزامه القائم للمقاطعات يجب عليه ان يقبل بأخلاص أوامر السلطات الرسمية والا يلجأ الى تصرف غير قانوني لغرض الوصول الى رغباته (١).

ومقابل شروطه تلك قدم ناظم باشا على مايبدو تنازلا تمثل في الغاء التزام ابن نفيسه لمقاطعة الحجر الصغير وهو الالتزام الذى كان سبب الخلاف مع غضبان ،وقد أدى ذلك الى تهدئة الوضع وعودة السفن الى الملاحة في نهر دجلة ابتداء من اليوم الثالث عشر من ابريل (الحادى عشر من ربيع الاول) ، مع وضع السلطات لبعض الجند على ظهر كل منها لحمايتها؛ (٢)

ويبدو أن تلك التسوية لم تكن نهائية فى نظر غضبان وحليفه صيهود اذ ماكاد ناظم باشا يغادر العمارة حتى أرسلا كاتبيهما الى مدينة البصرة للاتصال بصديقهما الوالى عبدالرحمن حسن بك ،وكان كاتب صيهود يحمل له "هدية" تتمثل فى الفى ليرة ذهبية ،وقد بادر الوالى أثر ذلك الى التوجه للعمارة حيث اوشك بعد وصوله هناك على الاستجابة لكل مطالب غضبان لقاء ماكان قد دفعه له والذى قيل انه بلغ حتى ذلك الوقت أربعة الاف ليره (٣). ولكن الخبر نما لناظم باشا في بغداد فأبرق الى استانبول قائلا أن بالامكان

---

(١) PRO, FO 424/216, No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9, 1908.

(٢) PRO, FO 424/215, No. 30, Cons. Crow to Mr. G.Barclay, Apr. 15, 1908.

(٣) PRO, FO 424/216, No. 17, Cons. Gen. Ramsay to Sir E.Grey, June 13, 1908.

اتباع احدى سياستين اما سياسته اوسياسة والي البصرة وبالتالي فأن احدهما يجب ان يعفى من كل مسئولية. وابرق في نفس الوقت الى" دفتردار"[١] ولاية البصرة يطلب منه عدم الموافقة على اية تلزيمات جديدة للاراضي الى ان تصله الاوامر من استانبول[٢].

وفي نفس الوقت لاقى مسلك والي البصرة معارضة شديدة من اهالي مدينة العمارة الذين حاصروا المنزل الذي كان يقيم فيه هناك واتهموه بأنه باعهم الى القبائل التي لن يكون هنالك شكل من اشكال السيطرة عليها في المستقبل وابرقوا رأيهم هذا في برقيات الى الباب العالي والي ناظم باشا في بغداد. وقد رأى الوالي نتيجة لذلك انه دفع الى وضع غير ملائم فحاول تدارك الامر بأن أرسل شخصا يدعى الشيخ لطيف لمقابلة غضبان واخباره بأن عليه أن يرتب أمر أعادة كل الاموال التي نهبت من اهالي مدينة العمارة وصيانة القانون والنظام في تخوم تلك المدينة أضافة الى دفع ماعليه من الاموال الحكومية[٣].

ويبدو من هذا الموقف ان والي البصرة لم يكن مستسلما أستسلاما مطلقا لرغبات غضبان كما تحاول الوثائق البريطانية أن تصوره والتي يلاحظ عليها شدة التحامل على ذلك الوالي. كما أنه لم يكن مستسلما ايضا لرغبات الشيخ الثاني وهو صيهود فحين اقدم حاتم بن صيهود في أوائل يونية (اواخر ربيع الثاني) على مهاجمة بعض السفن الشراعية المارة في نهر دجلة جلبه الوالي الى العمارة عن طريق الخدعة ووضعه في السجن[٤]، ويظهر ان ذلك الحزم الذي ابداه الوالي، مع ماسبق أن أرسلته الحكومة من تعزيزات حربية الى العمارة[٥]

(١) هو موظف يقابل مايسمى الان "مدير الشئون المالية"، راجع: م. الشناوي، مرجع مر ذكره، ج ١، ص ١٤٨ وص ٣٨٤ ومابعدها.

(٢) PRO, FO 424/216, No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9, 1908.

(٣) PRO, FO 424/216, No. 17, Cons. Gen. Ramsay to Sir E. Grey, June 13, 1908.

(٤) Ibid.

(٥) N.A.R.S., RG 84, No. 24, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const. May 20, 1908.

قد أدى الى الوصول لهدنه عطية بين الحكومة والشيخين المعارضين جنبت الطرفين الدخول في صراع دام في هذا الوقت ،وان كانت لم تحل المشكلة فالمصادر التي بين يدى لاتشير الى التوصل الى شيء من هذا القبيل .

واذا كان الصراع بين الحكومة والقبائل قد امكن تجنبه فأن باب الصراع بين القبائل نفسها قد فتح على مصراعيه ،اذ قامت القوات التابعة لغضبان وصيهود في جمادى الاولى/أواخر يونيه بالهجوم على عريبى الوادى احد مشايخ البو محمد وجرت بين الطرفين معركة عنيفة بين مدينتي العزير وقلعة صالح . وقد وصلت للقنصل البريطانى العام في بغداد روايتان من سبب تلك المعركة اولاهما ان والى البصرة أراد اعطاء مقاطعة" الكحلاء" (١) الطزمة لعريبى لكل من غضبان وصهيود ، والثانية ان الاخيرين أرادا معاقبة عريبى لانهما سمعا بأستعداده لمعاونة السلطات الحكومية ضدهما ، (٢)

وفي تلك الاثناء حدثت تطورات خطيرة في عاصمة الدولة استانبول اذ تحركت القوات الموالية لجمعية الاتحاد والترقى في الثالث والعشرين من جمادى الثانية ١٣٢٦هـ/الثالث والعشرين من يوليه ١٩٠٨م وفرضت على السلطان عبدالحميد الثاني اعادة العمل بالدستور . ولم تكن تلك الجمعية ملتزمة بنظرية سياسية محددة ولاتسير على هدى مبادىء مقررة سلفا (٣) . ويرى البعض ان هدفها العام الذى لاشك فيه كان هو الحرص على بقاء ودوام الدولة

---

(١) جدول كبير يتفرع من الضفة اليسرى لنهر دجلة في مدينة العمارة نفسها ويجرى نحو الشرق ويتفرع بدوره الى عدة فروع أخرى . راجع:

لغة العرب،السنة ٨ ،ج ٣ ، اذار ١٩٣٠ ،ص ١٧٣ .

(٢) IOR, R/15/5/7 Turkish Arabia, July 1908, P. 30.

(٣) Penrose, E., Iraq: International Relations and National Development , London, 1978, P. 31.

العثمانية (١) وكانت الوسيلة التي وضعتها لتحقيق ذلك الهدف هي التصميم العنيد على تحديث الدولة (٢) ، والاصرار على ان يخضع رعاياها كافة لا نظمة موحدة تشبه الانظمة المطبقة في الدول الاوربية دون الاصغاء لما نادى به بعض المصلحين العثمانيين من رأى خلاصته أن يطبق على كل شعب الانظمة التي تتفق وأوضاعه الخاصة وتناسب شخصيته واعتباره الذاتي (٣) ، وفيما عدا تلك المبادىء العامة فلا يبدو ان الجمعية كانت قد افردت للمشكلة القبلية المعقدة التي تعاني منها الدولة في عدة ولايات أي حيز من تفكيرها سواء في الفترة التي سبقت الانقلاب أوفي الشهور التي تلته ، ولذلك فأن حقي بك وزير داخلية النظام الجديد ، حين جرى الحديث بينه وبين السفير البريطاني في شهر نوفمبر ١٩٠٨م (شوال سنة ١٣٢٦هـ) عن المشكلة القبلية في ولاية البصرة ، لم يجد ما يقوله سوى ان حكومته تنوى زيادة القوات المحلية في بغداد حتى تتمكن من مكافحة الاضطرابات القبلية بصورة ناجحة (٤) . وهذا مؤشر مبكر يدل على أن النظام الجديد ورث عن سابقه الاتجاه الى اعتماد القوة وسيلة لمعالجة تلك المشكلة .

وفي الجانب الآخر فأن القبائل لم تعر ذلك الحدث الكبير اهتماما واضحا وقد تنبه القنصل الامريكي العام في بيروت لذلك فقال أن معنى

---

(١) Lewis,B.,The Emergence of Modern Turkey, 2nd edit., London, 1968,P. 212

(٢) Ahmad,F., The Young Turks, The C.U.P. in Turksih Politics, London, 1969,P.156.

(٣) توفيق برو ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤ ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٢١ .

(٤) IOR,R/15/5/7, Turkish Arabia, Dec. 1908,P. 37.

النعم" الدستورية التي جاء بها النظام الجديد لم يستوعبها ادراك الرجل القبلي بصورة صحيحة ،وتوقع ان تستمر القبائل في حروبها وغزواتها لمدة سنين قادمة على الاقل (١). وليس ذلك بالأمر المستغرب اذا عرفنا أن أمر الدستور كان بعيدا عن اهتمامات المراقيين عموما ،حتى ليلفت احد الكتاب النظر الى ان احدا من المراقيين لم يشترك في النشاط المطالب بعودة الدستور والذي قامت به المعارضة في ايام السلطان عبدالحميد . (٢)

ورغم كل ذلك قال البعض أن تأثيرات الانقلاب امتدت الى القبائل التي فهمت شعار" الحرية "على انه انعدام الحكومة وامكانية التعرض للطرق العامة والتجاوز على الاخرين دون حساب. (٣) ولا يسعنى هنا التسليم بصحة ذلك القول دون تحفظ اذ انه ورد بشكل تعميم غير مبني على ذكر حوادث محددة ولو على سبيل المثال ،ولعل قائليه استنتجوه قياسا على ماحدث في بعض المدن المراقية بعد الانقلاب اذ فهم سكانها شعارات الحركة فهما خاطئا لم يسلم منه حتى بعض المتعلمين . (٤)

ومهما يكن الحال فقد صادف وقوع الانقلاب أستتباب الهدوء في لواء العمارة ،ولكن لبعض الوقت فقط ،اذ لم يلبث ان نشب في شهر أغسطس

---

(١) N.A.R.S, RG84,No.199, Am. Cons. Gen at Beirut to Am. Amb. at Const., Nov.13, 1908.

(٢) حسين جميل ،الحياة النيابية في المراق ١٩٢٥ - ١٩٤٦ ،بغداد ، ١٩٨٣ ،ص ١٦ .

(٣) Longrigg, Op.Cit. ,P.43. وانظر ايضا محمداحمد محمود ،احوال العشائر المراقية العربية وعلاقتها بالحكومة ، ١٨٧٢ - ١٩١٨ ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاداب جامعة بغداد ،ص ١٩٢ .

(٤) العزاوي ،تاريخ المراق ،ج ٨ ،ص ص ١٦٠- ١٦١ وانظر ايضا حميداحمد التميمي ،البصرة في ظل الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١ ،بغداد ، ١٩٧٩ ،ص ٣٣ وأيضا ناجي شوكت ،سيرة وذكريات ثمانين عاما ، بيروت ١٩٧٥ ،ص ٢٠

١٩٠٨م (رجب ١٣٢٦هـ) قتال في نواحي "على الغربي"(١) أعاق حركة السفن في نهر دجلة عدة أيام وأضطر السلطات الحكومية الى أرسال سبعمائة جندي الى تلك المنطقة (٢). ولعل لذلك القتال صلة بالصراع بين غضبان وخصومه الذي اشار له احد الكتاب(٣)، وهو قتال هدأت حدته بسرعة اذ لاحظ القنصل الامريكي في بغداد ان الاوضاع كانت هادئة في لواء العمارة خلال شهر سبتمبر (شعبان) هدوءا واضحا. (٤) ولكنه هدوء يمكن تشبيهه بهدنة هشة تخرق بين حين وآخر وتستعد فيها الاطراف المختلفة لخوض المعركة الفاصلة.

أما على الصعيد الحكومي، فقد أستمر الخلاف بين والي البصرة وناظم باشا الذي اصبح ابتداءا من الثالث عشر من يوليه ١٩٠٨م (الثالث عشر من جمادى الثانية ١٣٢٦هـ) وكيلا لوالي بغداد الذي نقل من منصبه (٥). وقد ثابر ناظم باشا على ارسال شكاواه الى استانبول ضد خصمه، ويبدو ان حكومة الانقلاب أصغت لتلك الشكاوى فأصدرت في شهر سبتمبر التالي (شعبان) قرارا بطرد عبدالرحمن حسن بك من ولاية البصرة ولكنها تراجعت من هذا القرار سريعا واكتفت بأخطار الوالي المذكور بأن احتفاظه بمنصبه مشروط بنجاحه في الحيلوله دون وقوع هجمات قبلية على الملاحة في نهر

(١) مدينة تقع على ضفة نهر دجلة اليمنى وتبعد ٧٢ ميلا الى الشمال من مدينة العمارة وبها ضريح السيد على احد أحفاد موسى الكاظم، وقد اسسها احد مشايخ بني لام عام ١٢٨١هـ، راجع:
لغة العرب، السنة ٨، ج ٣، اذار ١٩٣٠، ص ١٧٢.

(٢) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Sept. 1908, P.33.

(٣) الندواني، مرجع مر ذكره، ص ص ١٣٠ - ١٣١.

(٤) N.A.R.S., RG 84, No.478, Am. Cons. at Bag. to Am. Cons. Gen . at Beirut, Sept. 26, 1908.

(٥) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Aug. 1908, P. 32.

دجلة ضمن حدود ولايته (١) . ولم يطل مقام عبدالرحمن حسن بك في ولايته بعد ذلك كثيرا اذ ما أن قاربت سنة ١٣٢٦هـ على الانتهاء حتى عزل من منصبه وعين محرم بك بدله (٢)

هذا ومن جانب آخر لم يمر حادث اطلاق النار على السفينه "بلوص لنج" بسهولة في الاوساط الرسمية البريطانية، فما كاد وزير الخارجية البريطانية السير ادوارد غراى Sir E. Grey يعلم بالحادث بعد وقوعه بيوم واحد أى في الثالث من ابريل ١٩٠٨م (أول ربيع الاول ١٣٢٦هـ) حتى أمر على الفور القائم بالاعمال البريطاني في أستانبول المستر باركلي Barclay بأن يوجه انظار الباب العالي نحو الحادث ويضغط عليه من اجل معاقبة مرتكبيه، فأجتمع القائم بالاعمال الى الصدر الأعظم الذى أكد له ان كل الاجراءات الممكنه قد اتخذت لصون سلامة الملاحة في نهر دجلة ، وان القوات أرسلت الى مسرح الحادث الذى سيجرى التحقيق اللازم لمعرفة ومعاقبة مرتكبيه (٣) .

ولم ينته الامر عند ذلك الحد، اذ بادر القنصل البريطاني في البصرة المستر كرو Crow الى ارسال تقرير الى القائم بالاعمال البريطاني في استانبول في الخامس عشر من ابريل (الثالث عشر من ربيع الاول) شرح فيه ملابسات الحادث، وبين ان السلطات العثمانية فسرته بتصور افراد القبائل خطأ ان ابن نفيسه ملتزم مقاطعة المجر الصغير الجديد كان على ظهر تلك السفينة مما دعاهم لاطلاق النار عليها ، وعلق القنصل على ذلك التفسير

---

(١) IOR,R/15/5/7, Turkish Arabia, Sept. 1908,P. 33.

(٢) ابن الفملاس، ولاة البصرة ومتسلموها ، ص ٨٣ .

(٣) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, April 1908,P. 25.

بقوله انه يبدو عذرا مقبولا ظاهريا لولا ان السفينة نفسها هوجمت مرة ثانية حينما كانت بعيدة عن مسرح النزاع. واشار الى الغاء السلطات الحكومية لالتزام ابن نفيسه للمقاطعة المذكورة وتخوف من ان يجرىء هذا التنازل القبائل على اللجوء لطرق مماثلة فى المستقبل من اجل تحقيق غاياتها، فتصبح السفن البريطانية بذلك كالحصان الذى يختبىء وراءه الصياد من اجل قنص طريدته، وشدد القنصل على ضرورة انزال عقاب صارم بمرتكبى الحادث يتمثل بالتعويض المالى لشركة لنج عن الاضرار التى لحقت بسفينتها واجبار فضبان على تسليم رجلين من اتباعه يتم اعدامهما فى مدينة العمارة نفسها ثأرا للقتيلين اللذين لقيا حتفهما على ظهر تلك السفينة اثناء الهجوم او ان يفرض عليه اداء مبلغ كبير من المال دية للقتيلين. وذكر القنصل فى ختام تقريره بالعدد الكبير من المسافرين الذين تنقلهم شركة لنج عبر نهر دجلة سنويا وهو الامر الذى يجب أن يكون موضع اهتمام جدى من قبل الحكومة البريطانية. (١)

وقد علق القائم بالاعمال البريطانى فى استانبول فى رسالة بعثها الى وزير الخارجية السير غراى فى ١٩ مايو ١٩٠٨م (١٧ ربيع الثانى ١٣٢٦هـ) على مقترحات القنصل كرو فذكر ان الصدر الاعظم اكد له مقتل ستة من العرب المتورطين فى الحادث على يد القوة التأديبية التى أرسلت لمعاقبتهم واضاف ان أية محاولة من جانب الحكومة العثمانية لانتزاع تعويض مالى من القبائل ستقود على الاغلب ـ فى رأيه ـ الى تجدد الاضطرابات التى ستعيق الملاحة النهرية . وخلص من ذلك الى القول بانه لن يتقدم للحكومة العثمانية بأى طلب للتعويض مالم يتلق تعليمات صريحة بذلك . (٢)

---

(١) PRO, FO 424/215, No. 30, Cons. Crow to Mr. G. Barclay, Apr. 15, 1908.

(٢) PRO, FO 424/215, No. 83, Mr. G. Barclay to Sir E. Grey, May 19, 1908.

ومن المناسب أن أشير هنا الى ان ماذكره الصدر الاعظم عن تلك القوة التأديبية أمر أشك في صحته ،فالوثائق البريطانية التي كانت تتابع تسلسل الاحداث أولا بأول لم تشر الى صدام تلك القوة مع القبائل ، كما أن القنصل الاميركي في بغداد الذي أهتم ايضا بمتابعة تطورات الوضع ذكر في الثامن والعشرين من أبريل (السادس والعشرين من ربيع الاول) أن غضبان كان متحصنا في قلعته الواقعة على بعد أربع ساعات من مدينة علي الغربي حيث تحول الجداول الكثيرة الطينة بالماء في هذا الفصل من السنة بين القوات الحكومية بأثقالها ومدفعيتها وبين الوصول اليه ، وذلك ماجعل السلطات الحكومية تكتفي بحشد قواتها في مدينة العمارة أنتظارا لانخفاض منسوب المياه بعد شهرين لتتقدم نحو قلعة غضبان. (١) وقد كرر القنصل نفسه تلك الرواية في العشرين من مايو (الثامن عشر من ربيع الثاني) أي بعد مقابلة الصدر الاعظم للقائم بالاعمال البريطاني بيوم واحد (٢) ، واشار في موضع آخر الى صعوبة أخرى تكتنف اية محاولة حكومية لمعاقبة غضبان الا وهي الوضع المتوتر على الحدود العثمانية الفارسية (٣) التي اعتاد غضبان على اجتيازها الى الجانب الفارسي كلما ضايقته القوات الحكومية خاصة وان ابرز الزعماء الفرس في تلك المنطقة وهو شيخ " لورستان " (٤) ،قد أصبح قريبا

---

(١) N.A.R.S., RG84, No. 370, Am. Cons. at Bag. to Am. Cons. Gen. at Beirut, Apr. 28,1908.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 24,Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const. , May 20, 1908.

(٣) عن أسباب التوتر على الحدود العثمانية الفارسية في هذه الفترة ،راجع:
Abdalghafour Baghdadi, Muhammed Ali Sah Devrinde Osmanli-Iran Siyasi iliskileri Ve Iran'Daki Ic Olaylar (1907 - 1909), Doktora Tezi, Istanbul University , Ocak 1982, p. 39.

(٤) مقاطعة في الجنوب الغربي من فارس تجاور لواء العمارة ومنطقة عربستان ، وهي موطن قبيلة اللور الفارسية شبه البدوية الكبيرة ،راجع : لوريمر مرجع مر ذكره ،القسم الجغرافي ،ج ٤ ،ص ١٣٩٠.

لغضبان عن طريق المصاهرة وهو الامر الذى اثار انزعاج السلطات العثمانية [١].

واذا كانت لم ترسل قوة تأديبية لمعاقبة مرتكبي الحادث كما أدعى الصدر الاعظم فيبد وأن التفكير بأرسالها كان جديا مما جعل القنصل البريطاني العام في بغداد يكتب الى السفارة البريطانية فى استانبول في التاسع والعشرين من ابريل ١٩٠٨م (السابع والعشرين من ربيع الاول ١٣٢٦هـ) عن مخاوف شركة لنج من تكرار الحادث اذا ما أزمعت السلطات المحلية اتخاذ اجراءات تأديبية ضد القبائل ،واشترط في حالة تفكير الباب العالي باتخاذ تلك الاجراءات فعلا ،ان يصدر تعليمات صارمة لواليي بغداد والبصرة القيام بعمل مشترك للحيلولة دون توقف حركة الملاحة النهرية وضمان سلامة كل السفن العاملة فى نهر دجلة [٢]. والغريب أن هذا القنصل نفسه عاد فغير كلية موقفه المتحفظ بعد فترة قصيرة ، فبعث لسفارته فى استانبول فى الثامن من يونية (الثامن منجمادى الاولى) برقية يقترح فيها أن يطرد والي البصرة عبدالرحمن حسن بك وان يحل ناظم باشا محله فورا وان تضغط الحكومة البريطانية بصورة جدية على الحكومة العثمانية من اجل معاقبة غضبان . [٣]

وقد عزز ذلك القنصل برقيته فى اليوم التالى برسالة ضمنها سردا تأريخيا لحوادث مهاجمة السفن البريطانية وبعض المعلومات عن الحادث الاخير ، وعرج بعد ذلك على ذكر مقابلة مطولة تمت بينه وبين ناظم باشا ، اخبره الاخير خلالها بأنه لا يظن ان أجبار غضبان على الخضوع سيكون مشكلة كبيرة جدا

---

(١) N.A.R.S.,RG 84,No. 146,Am. Cons. Gen. at Beirut to Am. Amb. at Const. , Apr. 30, 1908.

(٢) IOR,R/15/5/7, Turkish Arabia, May, 1908,P.26.

(٣) PRO,FO 424/216,No.55, Cons. Gen Ramsay to Mr.Barclay, June 9, 1908.

شرط أن يتوفر القائد المناسب للقوات الحكومية وان يتوحد هدف الموظفين المدنيين . وعلق القنصل العام على تلك المقابلة بالقول :- " ان الأنطباع العام الذى تولد فى ذهني بعد المقابلة مع ناظم باشا هو انه يرغب بروءية غضبان وقد عاد لصوابه ، ولكن تفكيره فى جمع متأخرات الضرائب والحصول على ضمانات حول المستقبل اكثر من تفكيره بمعاقبة غضبان على مافعله سابقا " ومن دوافع الهجوم الاخير على السفينه البريطانية قال :- " فى الحقيقة فأننا نستخدم كجرس انذار يمكن قرعه فى اى وقت دون خطورة تترتب على القارع المتأكد من ان القسطنطينيه ستوجه الموظفين المحليين لتهدئة الضجة التى نشأت عن القرع ، اذ ليس للعرب بين بغداد والبصرة - ولم يدعوا قط ان لهم - أية مظلمة تجاهنا ، ولذلك فهم يهاجموننا فقط باعتبار ذلك قضية سياسية . واذا ما أصررنا الان على معاقبتهم فأنهم سيدركون أن تلك السياسة لا يجب ان تتبع وسيتركوننا لحالنا فى المستقبل " (١)

ولم يكتف المقيم السياسى البريطانى فى بغداد بكل ذلك بل عاد وارسل فى الثالث عشر من يونية (الثالث عشر من جمادى الاولى) مذكرة مطولة الى وزير الخارجية البريطانى أوضح فى بدايتها أن القائم بأعمال السفارة فى استانبول قد تحفظ على ماجاء فى رسالته السابقة بالقول أن الشركة صاحبة العلاقة - أى شركة لنج - تطالب فقط بتعويضها عما لحق بسفينتها من اضرار وان ماحوته تلك الرسالة من مقترحات حول معاقبة غضبان ربما تؤدى الى اعاقة الملاحة فى نهر دجلة . وقد رد المقيم على ذينك التحفظين بمعارضة مطالبة الشركة بالتعويضات لأن ذلك يحول الموضوع الى قضية مالية لا سياسية ، وعزز معارضته بالقول ان الجالية البريطانية فى بغداد تشاركه رأيه القائل بالاصرار على معاقبة غضبان ولو أدى الامر الى توقف موءقت للملاحة فى نهر دجلة ، واضاف :- " يظهر تاريخ المشاكل السابقة فى دجلة انها تنجت

---

(١) Ibid.

عن جشع الموظفين الترك وغيرتهم من بعضهم البعض، وان كل هجوم حدث كان نداء متوحشا من اجل العدالة التى يعتقد العرب بأنهم لا يستطيعون الحصول عليها بالوسائل القانونية . انها حالة مؤسفة، وانا متعاطف كلية مع العرب، ولكن كونهم محكومين بصورة سيئة لا يعنى ان هنالك سببا يوجب السماح لهم بجعل المصالح البريطانية عرضة للهجوم المباشر. اننى أخشى أن يكون تأمين العدالة للعرب مستحيلا في ظل النظام التركى القائم، واذا كان الامر كذلك فأن العلاج الوحيد المتيسر أمامنا هو أن نفرض على العرب ان يفهموا أن احتجاجاتهم لا يجب أن تأخذ صيغة الهجوم علينا . ويبدو أن لدى العرب نوعا من الثقة بالعدالة البريطانية وهم يظنون بأننا اذا ما اجبرنا على التدخل فسنساند الجانب المحق، وقد أخبرنى بعض الناس أيضا بأن لدى العرب فكرة مسواها انه اذا كان هنالك قدر كاف من الاضطراب فأننا سنتدخل تدخلا مباشرا ونضع الامور فى نصابها عن طريق القوة ". (١)

وانتقل المقيم بعد ذلك لوصف مقابلة خاصة وسرية تمت بينه وبين القائد العام للقوات العثمانية صدقى باشا الذى وجدة يقف الى جانب فكرة معاقبة غضبان التى يمكن ان تتم حين أستلام الاوامر من استانبول بعدد قليل جدا من القوات اذا توفر لها قائد ملائم واذا جرد غضبان من الحصول على دعم الموظفين الترك، اذ لا شئ يمكن عطه - برأى القائد المذكور - طالما ظل عبدالرحمن حسن بك واليا للبصرة ويجد غضبان منه الدعم دائما . وعلق المقيم على آراء القائد بقوله أن قتل غضبان او اعتقاله يحتمل أن يكونا خارج قدرة الحكومة العثمانية، ولكن جعله يدفع ثمنا باهظا من

(١) PRO,FO 424/216,No.17, Cons. Gen Ramsay to Sir E.Grey Enclosure No.1, June 13,1908.

هيبته وماله ليس أمرا صعبا ، ومن العوامل التى تساعد الحكومة على ذلك وجود البواخر تحت تصرفها مما يسهل تحريك قواتها ، وامكانية استفادتها من اعداء فضبان سواء في داخل قبيلته ، او في خارجها كأثارة النزاع الوراثي بين بني لام والبو محمد ، ودفع اولئك الاعداء لمضايقته عن طريق شن الغارات المستمرة عليه .

وخلص المقيم الى القول بوجود ثلاثة سبل يجب على الحكومة البريطانية ان تختار سلوك احدها ، وهي :

١ ـ الاكتفاء بتأكيدات كتابية غير ذات قيمة يقدمها الباب العالي .
٢ ـ الضغط العملي على الباب العالي لمعاقبة فضبان .
٣ ـ التسليم بما حدث سابقا ، والاتصال بالعرب مباشرة واخبارهم بأن هجومهم على السفن البريطانية مستقبلا سيجعل البريطانيين يتحدون مع الترك ضدهم ويبذلون كل تأثيرهم من اجل معاقبتهم .

وانتقل المقيم بعد ذلك للمفاضلة بين تلك الخيارات فقال عن الخيار الاول أن قبولة امر مستحيل الا اذا كان البريطانيون مستعدين للاستسلام لعدد غير محدود من الهجمات المشابهة في المستقبل ، خاصة وان العرب يحصلون على اسلحة اكثر جودة كل يوم ، واذا مادفعهم فوزهم لتجاوز نقطة معينة فربما سيصبحون اقوياء لدرجة يمكن معها ان يكونوا خطرين حقا على الحكومة العثمانية ، واضاف :- " هنالك أناس حمقى يقولون بأننا نؤجج نار تلك الثورات العربية لكي نتدخل في النهاية ، ولقد سمعت ايضا بالقول اننا سمحنا بمهاجمة السفن البريطانية حتى نخفي حقيقة مساعدتنا للعرب فحسب ـ ومهما كانت الحكاية وهمية فربما جادل البعض بأنه ليس هنالك تبرير آخر لسكوتنا تجاه العدوان المتكرر ، ويجب أن اعترف بأنني لا أستطيع تقديم تبرير كاف لذلك ـ واذا ما أنتشرت تلك الافكار فستضرنا في القسطنطينية اكثر من الضرر الناشئ عن الضغط الذي سنقوم به على الباب العالي من اجل

ممارسة سلطته". (١) واضاف سببا آخر يدعو لاستبعاد ذلك الخيار الاول وهو أن طرائق الباب العالي ملتوية وربما كانت تلك الهجمات على السفن البريطانية قد نالت استحسان الرسميين العثمانيين الذين يرغبون بابعاد السفن البريطانية من نهر دجلة. وذكر بالاتصال المستمر بين العراق والهند والضرر الذى سيلحق بالمصالح البريطانية في الهند حين ينشر العائدون من العراق القصص عن عدم قدرة السلطات البريطانية على حماية رعاياها ومصالحها هناك.

وناقش المقيم بعد ذلك الخيار الثاني ، وهو الوحيد برأيه الذى يمكن قبوله ، واعرب عن استعداده لحشد التأييد المعنوى في العراق خلف الباب العالي اذا ماعزم على معاقبة غضبان ، ويمكن للسلطات البريطانية الاخرى في نفس الوقت أن تقنع شيخي الكويت والمحمرة والشيوخ الفرس المجاورين للعمارة بالضغط أدبيا على غضبان ، واضاف :- " انني أدرك أن سفارة جلالته ربما وجدت صعوبة في دفع الباب العالي نحو القيام بعمل جدى ، واعتقد ان الدافع الاكثر احتمالا لتحريكه في الاتجاه الذى نريده هو الرغبة بعدم اعطائي مبررا للدخول في أية علاقات رسمية او اجتماعية مع الشيوخ العرب. ولقد حاولت - دون أن أورط نفسي بأى شكل - أن أزيد الخوف من تلك الامكانية". وأختتم المقيم مذكرته بأستبعاد الخيار الثالث كليـة لانه ان نجح فسيسبب حساسية الترك وان فشل فسيضع المصالح البريطانية في موقف غير ملائم على نحو مضاعف. (٢)

وقد رد وزير الخارجية السير أدوارد غراى على مذكرة المقيم في السادس عشر من يونية (١٦ جمادى الاولى) بالاستفسار عما اذا كان يمكن انزال العقاب بغضبان في هذا الفصل من السنة دون صعوبة كبيرة جدا ، ومما

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

اذا كانت هنالك اية عواقب أخرى ذات طبيعة مرغوب فيها ربما تنتج عن ارسال قوات عثمانية كبيرة الى المنطقة المعنية (١) . فأجاب المقيم السياسي البريطاني والقنصل العام في بغداد على ذلك الاستفسار في الخامس والعشرين من يونية (٢٥ جمادى الاولى) بالقول ان الطقس غير مثالي للعمليات الحربية في هذه البلاد ، ولكن القوات العاملة هنا ستقاسي طوال السنة اما من الحر او من البرد ، وهون من شأن العواقب التي قد تترتب على توجيه القوات ضد غضبان مثل اتساع نطاق القتال بين القبائل والحكومة او اثارة الأحتكاكات على الحدود العثمانية الفارسية او انقطاع الملاحة في نهر دجلة لمدة طويلة . ولم ينس ان يعزز جوابه بقائمة باسماء الشيوخ المناوئين لغضبان داخل قبيلة بني لام . (٢)

ولم ينفع حماس المقيم ذاك في اقناع القائم بالاعمال البريطاني في استانبول بوجهة نظره ، اذ كتب الى وزير الخارجية في السادس عشر من يوليه (السادس عشر من جمادى الثانية) معبرا عن قناعته بأن اية اجراءات تأديبية تتخذ بحق غضبان سوف تؤدي بالضرورة الى نشوب قتال خطير في المنطقة مما يؤدي الى توقف الملاحة في نهر دجلة لامد طويل ، واضاف بأنه لذلك السبب ولعدم اقناعه بأن الهجمات السابقة كانت موجهة ضد السفن البريطانية بصورة خاصة - اذ هوجمت سفن محلية ايضا - فسوف لن يقوم بالضغط على الباب العالي للسير بالاتجاه الذي يفضله المقيم الا اذا زوده وزير الخارجية بتعليمات تقضي بذلك . (٣)

---

(١) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, August 1908, P.31.

(٢) PRO, FO 424/216, No.61, Cons. Gen. Ramsay to Mr.G. Barclay, June 25, 1908.

(٣) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Sept. 1908, P. 33.

ويبد و أن عوامل جديدة طرأت وجعلت المقيم نفسه يكف عن الحاحه على معاقبة فضبان منها قيام الانقلاب في استانبول في شهر جمادى الثانية/ يوليه ، وملاحظه هو شخصيا في أواخر ذلك الشهر من استتاب الهدوء في نهر دجله ، أضافة الى الازمة المالية الخانقة في العراق والتي أضطرت والي بغداد لمحاولة الاقتراض من التجار لمواجهة المتطلبات الحكومية العاجلة وهو الأمر الذي يجعل الحديث عن قيام السلطات الحكومية بتوجيه حملة لمعاقبة غضبان مجرد هراء. ولذلك كله كتب المقيم في العاشر من أغسطس ١٩٠٨م (الثاني عشر من شهر رجب ١٣٢٦هـ) قائلا أن وجود الحالة الراهنة في استانبول جعلته يشعر ان من غير المحتمل ان يوجه اهتمام جدى لقضية غضبان فسعى لتدبير مقابلة مع وكيل سرى لغضبان في بغداد اخبره خلالها ان السياسة البريطانية تقضي بعدم التدخل في الشئون الداخلية للدولة العثمانية ، ولكن اذا ماأجبر العرب الحكومة البريطانية على التزام جانب دون آخر فانها ستقف بالتأكيد ضد الجانب الذي يهاجمها . واعرب المقيم عن ثقته بأن تلك الرسالة ستصل الى غضبان وعن امله في ان يكون لها بعض التأثير.(١)

هذا ومن ناحية أخرى ، لاحظ السفير البريطاني في استانبول السرجيرارد لوثر Sir G. Lowther أن شركة لنج لا زالت مستمرة في مطالبتها للحكومة العثمانية بالتعويض عن الاضرار التي نتجت عن الحادث فكتب الى وزير الخارجية السير غراى منبها الى أن قيام النظام الجديد في استانبول سيجعل من الممكن الاعتماد اكثر من قبل على حماسة السلطات العثمانية واستقامتها في التعامل مع قضايا من ذلك النوع ، واشار الى أن التغيير

(١) Ibid.,P.33.

فى النظام رافقه في نفس الوقت انبعاث كبير للمشاعر الوطنية التركيـــــة مع مايترتب على ذلك من نزعة لتقييد المركز المتميز للاجانب ، وبمن أن بواخر الشركة تذرع جيئة وذهابا مياها داخليةعثمانية وهى ترفع علما اجنبيا فليـــس من المناسب فى الظروف الراهنه ـ أن تعرض القضية فتعتبر خرقا لحقـــوق السيادة العثمانية خاصة وأن الفرمان الذى تستند له حقوق الشركة اعطاهـا حق الملاحة في نهر الفرات وليس فى نهر دجلة ، واقترح السفير بناء علـــى ذلك كله أن تقصر الشركة دعواها على الاضرار الفعلية التي لحقت بالسفينـــة ، وان الاحرى بها أن تحاول كسب ود الحكومة العثمانية الجديدة بدلا مــن ان تطلب تدخل السفارة فى الأمر. (١)

ويبدو أن وزير الخارجية قد اقتنع بذلك فكتب الى ادارة شركة لنج فـــى لندن معربا عن اتفاقه مع ماأبداه السفير من ملاحظات ، وعن اعتقاده بأن من الأفضل لمصالح الشركة الا تصر على ملاحقة السفير لدعواها لدى الباب العالى رسميا ولكن ان يعيد التذكير بها بصورة ودية ـ اذا ماظلت الشركة ترغـــب فى ذلك ـ وان يقترح ـ اذا مالاحت له الفرصة المناسبة ـ وجوب تحذيـــر واليى بغداد والبصرة من العواقب الجدية التى ربما ستعقب حادثـــة أخرى مثل حادثة الهجوم على السفينة" بلوس لنج " ، واعرب الوزير عـــن اعتقاده فى انه سيكون لمثل هذا التحذير ـ فى الظروف الراهنة ـ تأثيـــر اكبر مما لو كان قد قدم قبل زمن قصير مضى. (٢)

وقد اخذت الشركة ـ على مايبـدو ـ برأى وزير الخارجية ففي الرابـــع عشر من نوفمبر ١٩٠٨ (الثامن عشر من شوال ١٣٢٦هـ) أخبر السفيـــر

---

(١) IOR,R/15/5/7, Turkish Arabia, Oct. 1908,P.35.

(٢) Ibid., P. 35.

البريطاني في استانبول وزير الخارجية السير غراي بأنه اجتمع مع وزير الداخلية العثماني وابلغه أن شركة لنج تنازلت عن دعواها على أساس ان السلطات المحلية في بغداد والبصرة ستتخذ الخطوات لمنع تكرار حوادث مشابهة في المستقبل فرد عليه وزير الداخلية بأن والي بغداد الحالي موظف مخلص ونشيط وسوف لايثير - مثل سلفه - الاضطراب القبلي الذي نتج عنه الهجوم على السفينة واضاف ان النية تتجه لزيادة القوات المحلية في بغداد كي تتمكن من مكافحة الاضطرابات القبلية بنجاح [١]. وعند هذا الحد طويت صفحة الهجوم الذي تعرضت له تلك السفينة البريطانية، ولكن لتفتح صفحة جديدة أخرى .

اضطرابات سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م:

دخلت هذه السنة والقلق منتشر بين قبائل لواء العمارة بسبب سوء انتاج محاصيل الحبوب في ذلك الموسم، [٢] وهو الامر الذي دفع السلطات الحكومية لمنع تصدير الحبوب عبر ميناء البصرة في شهر يناير ١٩٠٩ [٣]، (محرم ١٣٢٧هـ) ولاريب أن ذلك القلق أضاف عاملا مساعدا للاضطرابات في بيئة مهيأة له أصلا، ولذلك فما ان حل شهر صفر/ مارس وهو الموعد السنوي لتلزيم المقاطعات وجباية الاموال الحكومية من الملتزمين حتى اندلعت موجة جديدة من الاضطرابات الخطيرة، تزامنت مع اتجاه الحكم الجديد

---

(١) IOR,R/15/5/7, Turkish Arabia, Dec.-1908,P.37.

(٢) حسين محمد القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣٥٢.

(٣) N.A.R.S.,RG 83,No.36,Am.Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Jan. 30,1909.

اتجاها مغايرا لما كان سائدا في العهد السابق ،فبعد أن كانت سياسة ذلك العهد هي اللجوء الى ترتيب تسويات مؤقته لانهاء الاضطرابات القبلية ، اتجهت الحكومة الجديدة الى استخدام القوة في قمع مثل تلك الاضطرابات وهو الامر الذي يتطلب توفر قوة حربية كبيرة وادارة ماهرة كما لاحظ نائب القنصل الامريكي في بغداد . (١)

ويبدو ان السلطات الحكومية مالت - انسجاما مع ذلك الاتجاه - للتشدد مع شيوخ القبائل وعولت على عدم تجديد التزامهم لبعض المقاطعات ، ففي الاراضي الواقعة جنوب مدينة العمارة كان صيهود المنشد شيخ البو محمد ملتزما لمقاطعة " المجر الكبير" (٢) لمدة ثلاث سنوات تنتهي في سنة ١٩١٠م (١٣٢٨هـ) ولكنه توفي في غضون هذا الوقت (٣) ،فكتب ابنه عبدالكريم الى والي البصرة محرم بك عارضا أن يدفع ما بذمة ابيه من متأخرات الاموال الحكومية عن السنة الاولى من سنوات الالتزام والبالغة حوالي ثمانية آلاف ليرة مقابل أن يحتفظ بالمقاطعة حتى نهاية أمد الالتزام ، فأقر الوالي طلبه رسميا أول الامر ، ولكن أحد مشايخ البو محمد المنافسين وهو" زبون البسر" قابل الوالي بعيد ذلك وتمكن من جعله يغير رأيه ويعلن عن نيته الغاء

---

(١) N.A.R.S., RG 84,No.614, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Cons. Gen. at Beirut, May, 13, 1909.

(٢) مقاطعة تقع على ضفاف جدول المجر الكبير الذي يتفرع من ضفة دجلة اليمنى على بعد تسعة عشر ميلا من مدينة العمارة ،راجع: لغة العرب،السنة ٨ ، ج ٣ ،اذار ١٩٣٠ ،ص ١٧١ .

(٣) تختلف المراجع في تاريخ وفاته ففي حين يقول الندواني" مرجع مر ذكره ، ص ١٣٠" انها حدثت سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م وهو خطأ واضح اذ مر علينا اشتراك صيهود في احداث سنة ١٣٢٦هـ،١٩٠٨م ،يقول الطاهر "العشائر العراقية ،ص ٢٩٥" انها حدثت في نهاية سنة ١٩٠٨م، ولكن العزاوي" تاريخ العراق ،ج ٨ ،ص ١٨٧" قال انها تمت في ١١ صفر ١٣٢٧هـ/ ٤ مارس ١٩٠٩م وروايته هي الارجح لما فيها من تحديد اولا ولانها تبدو منسجمة مع سياق الاحداث التي نحن بصددها ثانيا .

عقد الالتزام القائم. كما رفض الوالي نفسه من جانب آخر طلبا تقدم به فالح الابن الاخر لصهيود لتجديد عقدي مقاطعتين أخريين كان التزامهما ينتهي في هذه السنة اي سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ،وقد سببت مواقف الوالي استياء الاخوين ومن يؤيدها من قبيلة البو محمد (١).

أما في شمال مدينة العمارة فقد انتهى بنهاية سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م أمد التزام مقاطعة "كميت" (٢) ،وهو مسجل رسميا باسم كاتب غضبان بن بنيه واحد اتباعه ، بينما كان المتصرف الفعلي فيه هو أخاه "بلاسم بن بنيه" فتقدم لالتزام تلك المقاطعة احد شيوخ بني لام المنشقين على غضبان وهو "فهد الغضبان" يسنده في ذلك الشيخ خزعل ، شيخ المحمرة الذي وضع بساتين نخيله في "السراجي" قرب البصرة ضمانا لتسديد فهد ماقد يترتب عليه من أموال للحكومة نتيجة لذلك الالتزام. وكان هدف الشيخ خزعل من ذلك أمرين الاول هو أن يثأر لنفسه من غضبان الذي ساعد في العام السابق عشائر الحويزة في ثورة قامت بها ضد خزعل ، والثاني هو ان يخلق المتاعب للسلطات الرسمية في ولاية البصرة التي رفضت مؤخرا ان تسجل باسمه اراضي زراعية اشتراها قرب البصرة ، كما عرقلت عمليات بناء عقارات كثيرة يقوم بها

---

(١) PRO, FO 424/219, No. 20, Cons. Crow to Sir G. Lowther, March 31, 1909.

(٢) مقاطعة تقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة على بعد حوالي ثلاثين ميلا شمال مدينة العمارة وبها قرية بنفس الاسم وهي سوق للقبائل المحيطة بها . راجع :

لوريمر مرجع مر ذكره ،القسم الجغرافي ،ج ٣ ،ص ١٢٨٩

في مدينة البصرة متذرعة بمخالفة ذلك لقوانين البلدية . (١)

أدى كل ذلك الى لجوء بني لام والبو محمد للضغط على الحكومة من خلال وسيلتهم المعهودة وهي التعرض للسفن المارة في نهر دجلة ،ففي ليلة السابع عشر من مارس ١٩٠٩ (الرابع والعشرين من صفر ١٣٢٧هـ) وحين وصلت " خليفة" سفينه شركة لنـج الي" كميت" وهي منحدرة في طريقها من بغداد للبصرة اطلق عليها أتباع غضبان النار ،ويبدو أنهم كانوا يقصدونها بالذات اذ انهم لم يتعرضوا لسفينة تركية مرت قبلها بثلاث ساعات (٢) . وحين عادت السفينة نفسها قافلة من البصرة الى بغداد هوجمت أربع مرات في المنطقة الواقعة بين قلعة صالح والعمارة على أيدى البو محمد هذه المرة (٣) . وقد ذكر القنصل العام والمقيم السياسي البريطاني في بغداد والذى كان على ظهرها قادما لمقرعمله ان الحامية العثمانية الموجودة على السفينة والتي تضم اثنى عشر جنديا تصرفت بكفاءة في صد تلك الهجمات الاربع بالرد على مصادر النيران مما مكن السفينة من اجتياز منطقة الخطر بسلام رغم اصابتها بثلاث وعشرين طلقة . (٤)

---

(١) PRO,FO 424/219,No.20, Cons. Crow to Sir G. Lowther, March 31, 1909.

(٢) PRO, FO 424/219, No. 18, Cons. Crow to Sir G. Lowther, March 20, 1909.

(٣) N.A.R.S., RG. 84, No. 42, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const. March 31, 1909.

(٤) PRO, FO 424/219, No. 50/492, Cons. Gen. Ramsay to Sir G. Lother, March 31, 1909.

تصاعدت بعد ذلك حوادث مهاجمة السفن فلم تسلم منها اية سفينة مرت في المنطقة المضطربة ، وكان اكبر تلك الحوادث من نصيب الباخرة العثمانية" بغداد" حين أطلقت عليها النار في الثالث والعشرين من مارس (الاول من ربيع الاول) فقتل اثنان من ركابها وجرح سبعة آخرون رغم الجهود التي بذلت لصد ذلك الهجوم من قبل الحامية العسكرية التي كانت على ظهرها والمزودة بمدفع صغير سريع الطلقات (١) . وحين غادرت السفينة نفسها البصرة في طريق عودتها لبغداد في السادس من ربيع الاول / الثامن والعشرين من مارس وكان من بين ركابها خبير الري البريطاني المشهور السير وليم ولكوكس W.Willcocks أنقطعت أخبارها نتيجة لقلع القبائل لخطوط البرق بين البصرة والعمارة فلم يعرف شيء عن مصيرها الا في الخامس من أبريل (الرابع عشر من ربيع الاول) اذ علم انها وصلت الى مدينة العمارة وانضمت الى ثلاث سفن اخرى بريطانية وعثمانية محتجزة هناك لعدم تمكنها من مواصلة رحلاتها سواء نحو بغداد او نحو البصرة التي ظل فيها عدد أخر من السفن في وضع مماثل . (٢)

ولم تمر تلك الحوادث دون رد فعل بريطاني ، فحالما سمع القنصل البريطاني في البصرة بحادث اطلاق النار الاول على السفينة "خليفة" اجتمع بوالي البصرة وشكا له من خطورة الوضع ،وقد اجابه الوالي بأنه وضع القارب الحربي "آلوس" تحت تصرف متصرف لواء العمارة لاستخدامه في حماية الملاحة النهرية ، كما اعلن له استعداده لان يضع على ظهر كل

(١) N.A.R.S.,RG 84, No. 42, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 31, 1909.

(٢) PRO, FO 424/219, No. 272, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, April 15, 1909.

سفينة بريطانية بعض الدرك بأمرة ضابط لحمايتها خلال رحلاتها [١] ، وعلق القنصل على ذلك العرض بقوله ان تلك القوات القليلة هي كل ما يستطيع الوالي الاستغناء عنه الآن نتيجة لاضطراب الامن حول مدينة البصرة نفسها بسبب الهجمات التي يشنها انصار الشيخ خزعل على معارضيه في تلك الانحاء [٢]

ويبدو أن سلامة الملاحة قد أثارت قلق نائب القنصل الامريكي في بغداد أيضا ، فقد كتب لسفارة بلاده في استانبول في السادس والعشرين من مارس (الرابع من ربيع الاول) معترفا بأن السلطات المحلية اتخذت كل طاقتها من وسائل لحماية الملاحة ولكن ذلك لم يمنعه من القول بأنه اذا لم تتخذ تلك السلطات خطوات ايجابية على الفور فأن الوضع ربما يصبح خطيرا جدا ، واضاف بأنه بقدر ما في توقف الملاحة النهرية من تأثير على المصالح التجارية الامريكية فانه يطالب السفير بتقديم احتجاجات قوية الى الباب العالي . [٣] فرد عليه السفير الامريكي بعد أربعة أيام وأعلمه بأن السفارة البريطانية قد قامت بالفعل بالتحرك الضروري لدى الباب العالي ، واضاف قائلا : طالما ان المصالح الامريكية لا تبدو معرضة للخطر بصورة مباشرة فانه لا يعتقد بأن من الضروري للسفارة الامريكية ان تحذو حذو زميلتها البريطانية . [٤]

---

(١) PRO,FO 424/219, No. 18, Cons. Crow to Sir G. Lowther, March 20, 1909.

(٢) PRO, FO 424/219, No. 20, Cons. Crow to Sir G. Lowther, March 31, 1909.

(٣) N.A.R.S. , RG 84, No. 42, Am. Vice. Cons. at Bag . to Am. Amb. at Const., March 31, 1909.

(٤) N.A.R.S., RG 84, No. 1052, Am. Amb. to Am. Vice cons. at Bag. , March 30, 1909.

وقد شغل الرسميون البريطانيون بموضوع اخر وهو سلامة الرعايا الاجانب المسافرين على ظهور السفن المحتجزة في مدينة العمارة والذين بلغ عددهم اكثر من الفي مسافر، فرغم ان المقيم السياسي البريطاني في بغداد كان يعتقد أن مدينة العمارة كانت آمنه ،الا انه اقترح على السفارة البريطانية في استانبول أن يسمح له بمحاولة الحصول لنفسه من القبائل على حق المرور الآمن بسفينة المقيمية "كوميت" ليذهب الى العمارة ويخرج الرعايا البريطانيين منها ،ولكن السفير البريطاني رأى في ذلك الاقتراح مخاطرة غير ممكنه التطبيق عمليا ، ولجأ بدلا عنه الى الاتصال بالسلطات العثمانية العليا حول الموضوع حيث أخبره الصدر الاعظم حسين حلمي بأن المعلومات التى وصلته تدل على عدم وجود خطر يهدد حياة المسافرين المحتجزين في العمارة . (١)

وفي غضون ذلك كانت السلطات المحلية في العراق تتخذ الاجراءات اللازمة لحشد قواتها لمواجهة الوضع المتردى في لواء العمارة ، ويبدو أن أول خطوات ذلك الحشد قد تمت قبل حوادث اطلاق النار على السفن ،اذ أرسلت بعض الوحدات العسكرية من البصرة للعمارة في الرابع عشر من مارس ١٩٠٩م (٢) (الحادي والعشرين من شهر صفر ١٣٢٧هـ) أما بعد وقوع تلك الحوادث فقد بادرت قيادة الفليق السادس الى استدعاء الاحتياط للالتحاق بالخدمة في ولاية البصرة ، وامرت عشر كتائب من الجند بالاستعداد للحركة من بغداد للعمارة. ويبدو ان ما أخر تلك الحركة هو عدم توفر وسيلة النقل

---

(١) PRO, FO 424/219, No. 272, Sir G. Lowther to Sir E. Grey April, 15, 1909.

(٢) PRO, FO 424/219, No. 18, Cons. Crow to Sir G.Lowther, March 20, 1909.

اللازمة ، ولذلك فكر والي بغداد بأستغلال السفينة الوحيدة المتبقية في بغداد حينئذ وهي السفينة البريطانية" بلوص لنج " فأتصل بالمقيم البريطاني وطلب اعارته تلك السفينة لنقل القوات والذخيرة الى العمارة. وقد أبدى المقيم استعداده لتلبية الطلب شريطة حصوله على ضمان من السلطات العثمانية ضد ماقد تتعرض له السفينة من اضرار ولكن الوالي رفض تقديم الضمان المطلوب. ويبدو ان ذلك الشرط كان حجة تذرع بها المقيم لرفض طلب الوالي حرصا منه على التزام جانب الحياد بين الطرفين المتصارعين. (١)

ورغم تلك الاستعدادات فلم تبادر القوات الحكومية بعدها على الفور لحسم الموقف في لواء العمارة ، وقد أدى ذلك لانتشار أشاعات في بغداد تفيد بأن محمد فاضل باشا الداغستاني قائد الفيلق السادس المرابط في العراق قد تقاضى رشوة مقدارها الف ليرة ذهبية من غضبان وذلك من اجل ان يبالغ في تقاريره التي يرفعها للحكومة المركزية في قوة ذلك الزعيم القبلي ويشير الى ضرورة سوق قوة مؤلفة من عشرين الف رجل اذا اعتزمت الحكومة سحقه. (٢) ولكن تلك الاشاعات تناقض مايمتاز به ذلك القائد من سمعة طيبة ومايحظى به من أحترام عام ، وهذا ما يجعلني أتردد في قبولها ، وأميل الى الاعتقاد بأن السبب في تردد القيادة العسكرية في مباشرة العمليات ضد القبائل هو مارواه نائب القنصل الامريكي في بغداد من ان الصدر

---

(١) PRO,FO 424/219, No. 272, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, April, 15,1909.

(٢) PRO,FO 424/219,No. 18,Cons. Crow to Sir G. Lowther, March 20, 1909.

(٣) PRO,FO 424/ 216 , No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9, 1908.

الاعظم هو الذى شل حركتها حين القى على عاتقها مسئولية أى صدام يقع بين القوات الحكومية والقبائل ، ولذلك ظلت القيادة تنتظر وصول تعليمات جديدة من استانبول . (١)

ويجدر هنا التعرف على السبب الذى جعل السلطات العليا فى استانبول تتردد فى اصدار الاوامر لقيادة الفيلق فى بغداد ،فالسفير الامريكى هناك علل ذلك بنفور الباب العالى من اللجوء للعنف ،وامتدح ذلك الاتجاه بقوله انه لأمر منطقى لا يدعو للشجب كليا تجربة سياسة ميالة للاسترضاء تحقق نفس الاهداف المتوخاة . (٢) ولكن مالدى من شواهد تدعونى للتحفظ ازاء وجهة النظر تلك ،اذ لم يكن الباب العالى ميالا للاسترضاء فى البداية ، بل كان اتجاهه الحقيقى هو التشدد مع القبائل وهذا ما أدى ـ ضمن عوامل أخرى ـ الى وجود الحالة الراهنة ـ وأميل الى تفسير موقف الباب العالى بانشغاله فى غضون ذلك الوقت بالهياج السياسى فى العاصمة نفسها (٣) وهو الهياج الذى ارتبط بمحاولة الانقلاب على الحكومة الدستورية الاتحادية وانتهى بعزل السلطان عبد الحميد الثانى وتنصيب السلطان محمد رشاد محله . (٤)

---

(١) N.A.R.S.,RG 84, No. 42, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 31, 1909.

(٢) N.A.R.S.,RG 84, No. 1052, Am Amb. at Const. to Am. Vice Cons. at Bag., March 30, 1909.

(٣) PRO,FO 424/214,No. 272, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, April 15, 1909.

(٤) Sina AKsin , 31 Mart Vakasi Uzerinde bir Inceleme (13 - 27 Nisan 1909,), Doktora Tezi, Istanbul University, P. 286.

ولم يطل انتظار القيادة العسكرية في بغداد لاوامر استانبول كثيرا ، اذ وصلت تلك الاوامر فتحركت القوات ، ولدينا عن ذلك التحرك شهادة من ثلاثة بريطانيين احدهم السير وليم كلوكس راقبوا وقوع الاحداث في مسرحها بأعينهم اذ كانوا على ظهور السفن التي تحركت من مدينة العمارة في الساعة التاسعة من صباح الرابع من ابريل ١٩٠٩ (الثالث عشر من ربيع الاول ١٣٢٧ هـ) وهي السفينة "بغداد" وتقل ثلاثمائة وخمسين جنديا ، و"بصره" وتقل مائة وخمسين جنديا ومعهما قارب المدفعية "ألوس". وكان هدف تلك القوة هو الالتقاء في موقع "أبي سدره" على الجانب الايسر من نهر دجلة جنوب العمارة مع قوات عريبي باشا الوادي أحد مشايخ البو محمد المؤيدين للحكومة (١). وأميل الى الظن بأن تحرك تلك القوة بذلك العدد كان استجابة لزعم كان يردده عريبي وأدلى به لربان احدى السفن البريطانية العاملة في دجلة وفحواه انه قادر على سحق التمرد بقوته الخاصة اذا ماعززت بخمسمائة جندي نظامي فقط . (٢)

وفي الساعة العاشرة من صباح نفس اليوم بدأ الصدام بين الطرفين حين اطلق حوالي مائتي رجل من البو محمد نيران بنادقهم على السفن الثلاث من خنادق أقاموها على طول الجانب الايمن لنهر دجله عند المنطقة التي يتفرع فيها جدول المجر الصغير ،فردت السفن على اطلاق النار بالمثل واخذت تتحرك في المنطقة جيئة وذهابا لمدة ساعة للتأكد من اخماد مصادر النيران ، ورغم ذلك كله لم تحدث اصابات بين المقاتلين لان افراد

---

(١) PRO, FO 424/219,No. 50/492, Cons. Gen Ramsay to Sir G. Lowther , May 18, 1909.

(٢) PRO, FO 424/219, No. 18, Cons. Crow to Sir G.Lowther, March 20, 1909.

القبائل لم يجرءوا قط على رفع رؤوسهم خارج الخنادق ، بل كانوا يطلقون النار في الهواء وكذلك كان الجند يردون عليهم بنفس الطريقة ، ومع ذلك فقد هرب قارب المدفعية "ألوس" عائدا للعمارة. (١) ولعل هذا هو السبب الذى جعل احدى الصحف المحلية تصب جام غضبها على ربانه متهمة أياه بالجبن بل وبالتواطوء مع القبائل. (٢)

وقد وصلت السفينتان الباقيتان في حدود الساعة الواحدة ظهرا الى المكان المحدد للقاء عريبي وقواته التي ظهر انها لا تزيد على ثمانمائة رجل وذلك عكس ماكان شائعا من قدرته على حشد اثنى عشر الف رجل ، وبعد وصولهما توقفتا هناك حيث التحق بهما مرة ثانية القارب "ألوس" تصحبه السفينة "حميديه" وعلى ظهرهما تعزيزات مكونة من مائة وخمسين جنديا ، وباتت كلها هناك ليلة تخللها بعض القنص . وفي حوالى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى قامت السفن بنقل عريبي ورجاله الى الضفة اليمنى من نهر دجلة ، وبعدها اخذت سبعة مدافع مركزة على ظهور السفن تقصف قلعة واقعة على جدول المجر الكبير على بعد ثلاثة الاف وثمانمائة ياردة من النهر ، ولقد كان القصف مركزا والتصويب جيدا حتى لقد شوهد افراد القبائل يهربون من القلعة ومن الخنادق نحو الخلف ، وظل القصف مستمرا طوال النهار وحتى الساعة الخامسة مساء ، حيث حولت المدافع وجهتها صوب قرية وجسر يمتد فوق جدول المجر الكبير على بعد حوالى ميلين ونصف من نهر دجله الى ان جاءت الساعة السادسة والنصف مساء فتوقف القصف ، ولكن القنص ظل شديدا من جانب القبائل المتمركزة على الجانب الايمن لنهر

---

(1) PRO,FO 424/219,No. 50/492, Cons. Gen. Ramsay to Sir G. Lowther , May 18,1909.

(٢) الرقيب ،السنة ١ ،العدد ١٩ ، ٨ جمادى الاولى ١٣٢٧/ ٢٦ مارس ١٩٠٩م، ص ٢ .

دجلة فأمر القارب" آلوس" بالتوجه لازاحتها . (١)

وفي حدود الساعة السابعة والنصف من صباح السادس من ابريل (الخامس عشر من ربيع الاول) كانت القبائل هي البادئة بأطلاق النار من بساتين النخيل القريبة فردت السفينة " بصرة" بقصف البساتين فأضطرمن كان مختبئا فيها الى الانسحاب ولكنهم أصطدموا مع بعض رجال عريبي الذين غنموا بعض الخيول والاغنام ،ونجحوا في احراق قريتين كبيرتين جدا من الاكواخ التي وجدوها مليئة بالقتلى والجرحى حسب اقوالهم. وقد تبع كل ذلك انزال الجنود من السفينة" بغداد " لمهاجمة خنادق البو محمد ، وحين وصلوا الى بعد ٢٥٠٠ ياردة منها بدأوا يطلقون النار وهم يتقدمون الى ان وصلوا الى مسافة خمسمائة ياردة من هدفهم فأنبطحوا أرضا لانهم اصبحوا ضمن مرمى بنادق العدو . وعندها انزل الجنود من السفينة"بصره" لتعزيز المهاجمين بينما صدر الامر ل" آلوس" بالانحدار في جدول المجر الكبير ولكن ربانه رفض الوصول به الى نقطة معينة تمثل مفتاح الموقف. (٢)

وفي خلال ذلك كله أستمر اطلاق النار كثيفا جدا الى ان انتصف النهار فشن هجوم على الجناح الايمن للقوات الحكومية ولكن الجند استطاعوا صده وظل الموقف لصالح القوات الحكومية عموما الى ان جاءت الساعة الثالثة والنصف ظهرا فهب فجأة ثمانمائة رجل اغلبهم من بني لام من خنادقهم وكرروا الهجوم على الجناح الايمن للقوات الحكومية ،لقد بدأوا وهم عراة تماما الا ما يسترعوراتهم بالزحف كالقطط الحذرة لمسافة خمسمائة ياردة ، ثم

---

(١) PRO, FO 424/219, No. 50/492, Cons. Gen. Ramsay to Sir G.Lowther, May 18, 1909.

(٢) Ibid.

اطلقوا صيحة مدوية واحدة وهبوا واقفين ونشروا راياتهم المطوية ليستظل بكل واحدة منها خمسة وعشرون رجلا منهم رافعين بنادقهم فوق رؤوسهم ، ثم انصبوا على الجند الذين ولوا الادبار على الفور ، والقى خمسة وعشرون منهم بنادقهم ، ولكن بعضهم اظهروا قدرا من الشجاعة حين استداروا الى الخلف وهم هاربون نحو السفن واطلقوا النار على المهاجمين ، وقد تحرج نتيجة لذلك الانكسار موقف السفينة" بغداد" اذ لم يكن على ظهرها في تلك اللحظة الا خمسة وعشرون جنديا ولكن المهاجمين اتجهوا ـ لحسن الحظ ـ نحو السفينة الثانية" بصره" التي كان على ظهرها عدد كبير من الجند مما مكنها من صد الهجوم واتاحة الفرصة للسفن بالانسحاب متراجعة لمدينة العمارة في الساعة السادسة والنصف من مساء ذلك اليوم ، وكانت خسائر القوات الحكومية خلال كل تلك المعارك طفيفة اذ لم تزد عن قتيل واحد وعشرين جريحا وستة مفقودين اعادت القبائل خمسة منهم الى العمارة في اليوم التالي بعد أن كستهم ملابس نظيفة. (١) وقد برر قائد تلك القوة مظهر بك انسحابه على تلك الصورة في برقية بعثها الى قيادة الفليق في بغداد فعزاه الى نفاذ فحم البواخر وذخيرة الجند وطالب بزيادة القوات العاملة في لواء العمارة الى أربعة الاف جندي لتتمكن من انجاز المهمه المنوطة بها . (٢)

وقد علق المقيم السياسي البريطاني في بغداد على هزيمة القوات الحكومية بقوله :ـ" اخشى الا يجد أصدقاء الحكومة التركية شيئا مشجعا في تلك الاحداث اذ ان قوة من اربع سفن وستة مدافع جبلية ومدفعا أصليا واحدا

---

(١) Ibid.

(٢) الرقيب ،السنة١ ،العدد١٣ ، ٢٤ ، ربيع الاول ١٣٢٧هـ/ ١٥ نيسان ١٩٠٩ ،ص٢ .

من نوع كروب Krupp يطلق من جانب السفينة بصورة رائعة ، وستمائة وخمسين جنديا هاجموا موقعا للعرب يومين متتاليين ، اطلق خلالهما المشاة المسلحون ببنادق ماوزر Mauser كل ذخيرتهم تقريبا على مسافة تتراوح بين الفين وخمسمائة والف يارده حيث كانوا خارج مرمى العدو المسلح ببنادق مارتيني Martinis ثم هربوا في ذعر على ظهور سفنهم ولم تخسر تلك القوة في النهاية الا قتيلا واحدا وعشرين جريحا وستة مفقودين وحين هرب الجند كان في حزام كل منهم خمس طلقات على الاقل . ويبدو أن الضباط لم يظهروا رغبة في الاستبسال كما اظهروا قلة في الكفاءة ، بينما كان الجند غير مدربين اطلاقا ، اذ أمر الضباط المسئولون عدة مرات بأيقاف اطلاق النار ولكن الرجال لم يصغوا لهم ، ولهذا يبدو أن كل الذخيرة تقريبا استهلكت على عدو غير مرئي خارج المرمى ، وحين شن العرب هجومهم عبر أرض مكشوفة كانت مع الجند طلقات قليلة باقية فهربوا ولقد قيل أن العرب كان معهم في مخيمهم جنود فارون من الخدمة العسكرية فأخبروهم ان النفخ في الابواق يعني طلبا لجلب الذخيرة وهذا هو السبب في اختيارهم اللحظة المناسبة لشن هجومهم - وحين شن الهجوم كان هنالك ذعر على ظهور السفن كما هو الحال بين الجند ، فقد انطلقت السفينة" بصره " من ضفة النهر بينما كان بعض الجند يهمون بالصعود اليها فتركوا يتخبطون في الماء بينما ابتعدت السفينة . وفي السفينة " بغداد " كان افراد الطاقم مصابين بالرعب أيضا ، فسمح الكابتن دن Denne لنفسه بالنزول الى الضفة وفك الحبال ، وبعد أن قام بذلك ذهب الى قمرة الربان لقيادة السفينة تاركا احد الضباط ليخبره حين يصعد الجميع الى السطح ، ولأن القمرة كانت مغلقة فلم يكن باستطاعته رؤية مايجري ، فرمى الضابط المكلف بالمراقبة خشبة المعبر واخبره بأن الجميع قد صعدوا . ولحسن الحظ رأى السير وليم ولكوكس بعض الرجال الجرحى

وكل المشتتين- وهم من اتباع عريبي بصورة رئيسية - لا زالوا يتدفقون في طريقهم نحو السفينة ،فأخبر الكابتن دن فألتقطت السفينة كل الجرحى والمشتتين أضافة الى أولئك الذين تركتهم " بصره" حين انطلقت بصورة غير نظامية. ولقد كان الحرس الموجودون على ظهر" بغداد" مخبولين تماما من الرعب اذ كانوا يطلقون النار بصورة متواصلة على الارض الممتدة امامهم حيث لم يكن هنالك عدو ،وترتب على ذلك فقدانهم لتماسكهم كلية لانهم توهموا ان التراب المتطاير من جراء وقوع رصاص بنادقهم على الارض هو دخان بنادق العدو، ورغم انهم اعترفوا بخطأهم حين اوضح لهم الامر الا انهم لم يكفوا من اطلاق النار لان الضجة - كما قالوا - ترعب العدو"(١).

ولم تتوقف قيادة الفيلق السادس في بغداد خلال ذلك كله عن ارسال التعزيزات الحربيه الى العمارة ففي السابع من أبريل (السادس عشر من ربيع الاول) غادرت بغداد قوة تتكون من حوالى ستمائة رجل واربعة مدافع(٢)، ويبدو أن الخطة الحربية الجديدة كانت تهدف الى تأمين المنطقة الواقعة شمال مدينة العمارة من خلال توجيه تلك القوة من بغداد وقوة أخرى تتجه من العمارة شمالا فتلتقي القوتان في منتصف الطريق بين بغداد والعمارة ،وعلى هذا تحركت في الثالث عشر من ابريل (الثاني والعشرين من ربيع الاول) السفينتان" بصره" و" بغداد" من العمارة نحو الشمال وهما تقلان خمسمائة جندى ،فوصلتا الى" كميت " ووجدتاها مهجورة من سكانها

---

(١) PRO, FO 424/219,No. 50/492 , Cons. Gen. Ramsay to Sir, G, Lowther, May 18, 1909.

(٢) PRO,FO 424/219,No. 272/Sir G. Lowther to Sir E. Grey April., 15, 1909.

وأنزلتا هناك ملتزمها الجديد " فهد الفضبان " ورجاله ولكنهم عادوا سراعا الى ظهر السفينة" بغداد لخوفهم من هجوم قد يشنه عليهم " بلاسم البنيه " اخو غضبان من حصن قريب يسيطر على المنطقة. فتحركت السفينتان نحو الشمال والتقتا قرب الكوت بالسفينة " رصافه" التي كانت تقل القوة القادمة من بغداد بقيادة يوسف باشا ، ومن هناك عادت السفينة"بصرة" تقل الجند مع" رصافة" بينما واصلت " بغداد " طريقها تحمل المسافرين الى بغداد . (١)

وعلى الجانب الاخر فأن النصر المبدئي الذى حققته القبائل لم يقعدها عن مواصلة التحرك ،اذ انها بادرت لشن هجوم على عريبي ومن يؤيده من البو محمد في مقاطعة الكحلاء لمعاقبته على وقوفه مع القوات الحكومية في المعركة السابقة فجرت بين الطرفين معركة خرج منها عريبي مهزوما (٢) . ثم التفتت بعد ذلك لتحركات القوات الحكومية في شمال مدينة العمارة فحركت جزءا من قوتها نحو الشمال لمواجهتها (٣) ،ولكنها لم تستطع الصمود بوجه يوسف باشا وقواته التي استولت على" كميت " في العشرين من أبريل (التاسع والعشرين من ربيع الاول) وأقامت فيها " فهد الفضبان" ورجاله (٤) ،ثم واصل

---

(١) PRO,FO 424/219,No.50/492,Cons. Gen. Ramsay to Sir G. Lowther , May 18, 1909.

(٢) Ibid.

(٣) PRO,FO 424/219,No.272,Sir. G. Lowther to Sir E. Grey, April 15 1909.

(٤) PRO,FO 424/219,No. 27,Cons. Crow to Sir Lowther, May 7, 1909.

يوسف باشا طريقه فوصل العمارة وبهذا تأمن الطريق بينها وبين بغداد وعند ذاك رأى الزعماء المعارضون وهم غضبان البنيه وفالح وعبدالكريم الصيهود ان تيار الاحداث بدأ يتجه ضدهم فتقدموا الى ولاية البصرة بعروض سلام لم تلق القبول نظرا لسير العمليات الحربيه لصالح القوات الحكومية ، وتركت الولاية ليوسف باشا أمر اتخاذ قرار بشأنها . (١)

وفي حين كانت قوات يوسف باشا تتقدم باتجاه العمارة غادرت تلك المدينة في العشرين من ابريل (التاسع والعشرين من ربيع الاول) ثلاث سفن متجهة نحو الجنوب وهي تقل ستمائة جندى وكان هدفها هو المجر الكبير حيث انضم لها هناك عريبي واتباعه ، بينما تأهب المعارضون لملاقاتها يقودهم عبدالكريم الصيهود ، وقد بدأت الصدامات بين الطرفين بقصف مدفعي من جانب القوات الحكومية استمر طيلة أربعة أيام ، قام بعده عبدالكريم بأخذ زمام المبادرة في شن الهجوم في الاول من مايو ١٩٠٩ (العاشر من ربيع الاخر ١٣٢٧هـ) وكان هجومه مركزا على عريبي ومن معه حيث التحم الجانبان في قتال عنيف خسر عريبي خلاله ثلاثمائة قتيل من رجاله ،في حين انسحبت القوات الحكومية الى السفن واقتصرت مساعدتها لعريبي على اطلاق نيران اسلحتها من بعد ولهذا لم تتكبد اية اصابات بين صفوفها . ورغم ما الحقه عبدالكريم بخصمه من خسائر فادحة الا ان القوات التى كانت معه لم تكن على مايبدو - كافية للسيطرة على الموقف ولذلك طلب النجدة من أخيه فالح الذى كان في اثناء المعركة في قرية "الحفيرة" ،وقد بادر فالح الى

---

(١) PRO,FO 424/219,No.23,Cons.Crow to Sir. G. Lowther, April 29,1909.

انجاد أخيه علي الفور على رأس عدد كبير من اتباعه بعد أن أحرق الاكواخ التي تتكون منها تلك القرية. (١) وهدفه من تلك الخطوة على ما اعتقد هو بث الحماس في نفوس رجاله واشعارهم بالا ملجأ لهم اذا لم ينتصروا في المعركة ولكن ذلك لم ينفع في الحيلولة دون ترجح كفة القوات الحكومية والقوى القبلية المؤيدة لها فأستطاعت تحقيق نصر بارز نقلت أخباره لولاية البصرة برقيات من يوسف باشا ومتصرف العمارة ووكيل قائمقام شطرة العمارة أفادت بأن غضبان البنية قد قتل بينما فر أخواه فالح وبلاسم ومعهما عبد الكريم وفالح الصيهود الى الاهوار الواقعة قرب الحويزة في الاراضي الفارسية، وان أتباعهم أخذوا يسلمون انفسهم باعداد كبيرة حيث يجرى عقاب من يثبت تورطه منهم في الاحداث الماضية ، كما اشارت تلك البرقيات الى ان النهر اصبح آمنا ومفتوحا للملاحة وان الاصلاحات جارية في اسلاك البرق ،كما تتخذ الاجراءات اللازمة لتعزيز "الشبانه". (٢)

ولم تصدق تلك البرقيات فيما زعمته من مقتل غضبان ،اذ انه عبر مع عدد كبير من اتباعه الحدود الدولية بين العراق وفارس وسرعان ما انهمك هناك في صراع مع خصمه الشيخ خزعل على اكتساب ولاء القبائل القاطنة هناك (٣) ،بينما لجأ حليفاه فالح وعبد الكريم الصيهود الى حمى الشيخ خزعل الذى سمح

---

(١) PRO,FO 424/219,No.27,Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 7, 1909.

(٢) Ibid. ، والشبانة كلمة فارسية تعني في الاصل الحراس الليليين ،راجع: Wilson, A.T., Loyalties, Mesopotamia 1914-1917,New York,1969,p.66.
ولكن الكلمة استعملت في العراق بما يدل على قوات حفظ النظام الراجلة او المحمولة بالقوارب ،راجع: Dickson,Kuwait...,p.168.

(٣) الندواني ،مرجع مر ذكره ،ص ١٣١ .

لها بالاقامة في نواحي الحويزة. (١) ولا شك أن مغادرة اولئك الزعماء المعارضين للواء العمارة كان نصرا واضحا للقوات الحكومية ساعدتها فيه عدة عوامل منها التفوق في التسليح وخاصة في المدفعية ، وما وفرته لها السفن من سرعة الحركة وتوفير الامدادات من مؤن وذخيرة ،اذ كانت السفينة " كاظمي" تواصل خلال العمليات التردد بين البصرة والعمارة محملة بالامدادات رغم ماكانت تتعرض له من اطلاق نار مما سبب خسائر كثيرة بين صفوف الجند من ركابها . (٢) ومن الطريف الاشارة هنا الى ان السفن لجأت الى وسيلة مبتكرة للوقاية من الرصاص وهي ربط حزم كثيفة من الصوف على جوانب السفينة كي تكون جنة لها من الرصاص المنهمر تحول دون وصوله لركابها . (٣)

وهنالك عامل آخر شديد الاهمية ساهم في انتصار القوات الحكومية الا وهو وقوف بعض الشيوخ الموالين الى جانبها ،فبالاضافة الى دور عريبي الذي مر بنا تفصيلا وقفت عشيرة الازيرق الى جانب القوات الحكومية نتيجة لعدائها السابق لغضبان (٤) وقد جمل الدور الكبير الذي قامت به القبائل المؤيدة القنصل البريطاني في البصرة يقول : أن أغلب العمل انجز على ايدي العرب الموالين بينما لم تشارك القوات الحكومية في القتال

(١) الطاهر ،المشائر العراقية ،ص ٢٨٢ .

(٢) PRO,FO 424/219,No.23,Cons. Crow to Sir G. Lowther, April 29, 1909.

(٣) الرقيب ،السنة ١ ،العدد ١٦ ، ١٥ ربيع الاخر ١٣٢٧هـ/ ٦ مايو ١٩٠٩ ، ص ٢

(٤) PRO, FO 424/219, No. 27, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 7, 1909.

الا في موقعين اثنين فقط. (١) وقد علق المقيم السياسي البريطاني في بغداد على الاداء المنخفض للقوات الحكومية خلال العمليات الاخيرة فقال أن تلك العمليات كشفت عن عدم وجود انضباط ولا مقدرة ادارية بين صفوف الرتب العليا في الفيلق السادس ، في حين لم تكن للجنود ثقة في ضباطهم الذين كانوا اما مرتشين - كما يتهمون بصراحة في بعض الحالات - وليسوا واثقين في قواتهم ، ففي نهاية العمليات حين عبر المعارضون من الضفة اليمنى لنهر دجلة الى الضفة المقابلة في طريقهم للهرب كانت السفن تستطيع مهاجمتهم ومنعهم بسهولة ولكنها لم تتحرك الى ان عبروا وابتعدوا . وختم المقيم تعليقه بالقول :- " أن الفيلق السادس في الحقيقة يعاني من نقص في نواحي الانضباط والتنظيم والتدريب والروح المعنوية لدرجة انه ليس أفضل الا قليلا من غوغاء مسلحين ، وما افضليته تلك الا لكونه يمتلك بنادق حديثة وذخيرة مع عدد من المدافع الجيدة ". (٢)

ومن المفيد أن أذكر هنا أن السلطات الرسمية العثمانية كانت تتعرض في أثناء العمليات الحربية لضغط متواصل من عدة جوانب ، ففي حين كان اهالي مدينة العمارة ساخطين ويصبون جام غضبهم ضد محمد باشا قائد الفيلق السادس لأنه - حسب زعمهم - قد خانهم من اجل الرشاوى (٣) ، كان التجار في مدينة البصرة متذمرين حتى أن " الدفتردار" الذي كان يتولى شئون الولاية بالوكالة بعد سفر واليها السابق محرم بك أبرق - بناء على

---

(١) Ibid.

(٢) PRO,FO 424/219,No.50/492,Cons. Gen. Ramsay to Sir G. Lowther, May 18,1909.

(٣) Ibid.

طلب المجلس الاداري في الولاية - الى الصدر الاعظم في السادس والعشرين من أبريل ١٩٠٩م (الخامس من ربيع الثاني ١٣٢٧هـ) مطالبا بعزل يوسف باشا عن قيادة القوات العاملة في العمارة لأن عدم فعاليته شجعت العرب كثيرا ، ومشيرا الى التوقف التام للتجارة في البصرة والى ان القنصل البريطاني قدم لـه شكاوى متكررة بسبب توقف الملاحة النهرية. (١) .

وقد انتهت تلك الازمة بأنتهاء العمليات في العمارة وتأمين الملاحة في نهر دجلة اذ عادت السفن التجارية الى حركتها المعتادة ووصلت اول سفينة قادمة من البصرة الى بغداد في الحادي عشر من مايو (العشرين من ربيع الاخر) بعد توقف دام قرابة الشهر والنصف،(٢) أرتفعت خلالها الأسعار في بغداد واصيب النشاط التجاري فيها بالشلل (٣) ،وبعودة الملاحة في نهر دجلة الى سابق عهدها زال آخر مظهر من مظاهر الاضطراب في لواء العمارة ، ولكن لا يمكن القول - رغم ذلك - أن جذور الاضطراب قد استؤصلت نهائيا ، فلا يعدو ماتحقق ان يكون استعادة للمظهر الخارجي للنظام هناك من خلال وجود أعداد كبيرة من القوات على حد قول نائب القنصل الامريكي في بغداد (٤) اذ بلغت القوات العاملة هناك في الثالث عشر من ابريل (الثاني والعشرين من ربيع الاول) الفين وخمسمائة رجل وستة عشر

---

(١) PRO,FO 424/219,No. 23,Cons. Crow to Sir G. Lowther , April 29, 1909.

(٢) N.A.R.S., RG 84,No. 610,Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Cons. at Colombo, May 11, 1909.

(٣) N.A.R.S., RG 84, " Breif Resume of Bagdad's Trade in 1909", p.l.

(٤) N.A.R.S., RG 84,No.47,Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., May 13, 1909.

مدفعا (١) ثم مالبثت ان وصلت الى ثلاثة الاف ومائتي جندى بعد أرسال تعزيزات جديدة عن بغداد بعد أربعة أيام من ذلك التاريخ .(٢)

وتجدر الاشارة هنا الى أن الاوضاع الامنية كانت قد تدهورت في مدينة البصرة وضواحيها خلال فترة الاضطرابات في العمارة ، حتى لقد تفاقم الأمر في اوائل ابريل (أواسط شهر ربيع الاول) مما أضطر القنصل البريطاني في البصرة لأن يطلب من حكومته أرسال سفينة حربية بريطانية كي توفر الحماية اللازمة للرعايا الاجانب في المدينة. (٣) وقد استجابت حكومته للطلب وارسلت السفينة سفنكس Sphinx فأدى وصولها الى طمأنة خواطر أولئك الرعايا ، كما أن الوضع في المدينة تحسن في اواخر ابريل (أوائل ربيع الثاني) نتيجة لتقدم العمليات الحربية في منطقة العمارة حتى لم يعد يقع في ضواحي البصرة حوادث ذات اهمية تذكر كتلك التي وقعت سابقا (٤). ومما ساعد على استتباب الهدوء في البصرة. وصول واليها الجديد عارف بك الماردينى الذي مكنته عودة الملاحة في نهر دجلة من مغادرة بغداد الى مقر عمله في الرابع من مايو (الثالث عشر من ربيع الاخر) (٥).

---

(١) PRO, FO 424/219, No. 272, Sir G. Lowther to Sir E. Grey April 15, 1909.

(٢) PRO,FO 424/219,No. 50/492,Cons. Gen. Ramsay to Sir G. Lowther , May 18, 1909.

(٣) PRO, FO 424/219,No. 272,Sir G. Lowther to Sir E. Grey April 15, 1909.

(٤) PRO, FO 424/219,No. 23,Cons. Crow to Sir G. Lowther, April 29, 1909.

(٥) PRO, FO 424/219,No. 27, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 7, 1909.

ويبدو أن أزمة اعقبت وصول ذلك الوالي ونشأت بينه وبين السلطات العسكرية في لواء العمارة ممثلة في الفريق يوسف باشا ،اذ لفت انتباهي ماجاء في احدى الجرائد المحلية من دعوة لذلك الوالي للتعاون مع القادة العسكريين وتذكيرله بأنه ماكان يستطيع الوصول الى مقرعمله لولا جهودهم في تأمين طريق الملاحة، (١) وفي العدد التالي انتقلت الجريدة نفسها من التلميح للتصريح فأشارت الى وجود خلاف بين المدنيين والعسكريين ودعت والي البصرة والفريق يوسف باشا الى الاتحاد والتعاون فيما بينهما لمحق المتمردين. (٢) والغريب ان تلك الجريدة لم تشر الى أسباب ذلك الخلاف ،كما أن مابين يدي من الوثائق الاجنبية سكتت عن ذلك الامر كلية ، ولم يبق الا ماروا‌ه احد الباحثين من ان سبب ذلك الخلاف هو ميل الوالي لنزع سلاح القبائل ومعارضة يوسف باشا لذلك الاتجاه خشية من ان يؤدي الى ثورة واسعة بين القبائل ،وقد ترجحت وجهة نظر القائد اخر الامر فلم تجر أية محاولة من ذلك القبيل . (٣)

هذا ومن جانب آخر قامت سلطات الولاية بوضع يدها على المقاطعات التي كانت ملزمة للشيوخ المعارضين الفارين ،ولكنها اعادت منحها لشيوخ أخرين من اقربائهم الموالين ،فقد منحت التزام المقاطعات التي كانت بعهدة فضبان الى عمه " شبيب بن مزبان" وابن عمه" جوي بن لازم"(٤) ،كما منحت

(١) الرقيب ،السنة ١ ،العدد ١٧ ، ٢٢ ربيع الاخر ١٣٢٧هـ/ ١٣ مايس ١٩٠٩م ،ص ٢

(٢) الرقيب ،السنة ١ ،العدد ١٨ ، ٢٩ ربيع الاخر ١٣٢٧هـ/ ٢٠ مايس ١٩٠٩م، ص ٤ .

(٣) محمود ، مرجع مر ذكره ،ص ١٤١ .

(٤) IOR, L/p+s/10/212 , No. P. 1953/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of March 1913 , p. 7 . وجوي تعني قوي اذ اعتاد العراقيون في لهجتهم العامية قلب القاف جيما في بعض الاحيان فيقولون مثلا جاسم بدلا من قاسم وجليل بدلا من قليل.

راجع:

لغة العرب ،السنة ٤ ،ج ٣ ،أيلول ١٩٢٦ ،ص ١٤١ .

التزام الاراضي التي صادرتها من آل صيهود الى ابن عمهم عريبي باشا الوادى وشيوخ صغار آخرين من البو محمد(١) وقد عارضت احدى الصحف المحلية ذلك الاجراء وانتقدته انتقادا مرا ، واوضحت ان سلطات الولاية تجاهلت عروض التزام مغرية قدمها منافسون آخرون من اهالي اللواء ومن المزارعين وفضلت ان تمنح تلك المقاطعات للشيوخ الموالين لقاء بدلات هزيلة. (٢)

ويمكن القول عند هذا الحد أن اضطرابات سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م قد انتهت بعد أن استطاعت الحكومة ان تفرض بقوة السلاح الأمن والنظام في ربوع لواء العمارة لفترة مؤقته استمرت الى نهاية تلك السنة ، ولكن حتى خلال هذه الفترة القصيرة فأن عوامل الاضطرابات كانت كامنه ، وتبرز فوق السطح أحيانا مسببة بعض الحوادث مثل اقدام بعض القبائل على قطع الخط البرقي الذى يربط بغداد بالبصرة ، مما أثر على الاعمال التجارية حتى أضطر التجار الوطنيون والاجانب المقيمون في البصرة للتقدم بشكاوى الى الوالي الذى أخبر الوكيل القنصلي الامريكي هناك في التاسع عشر من نوفمبر ١٩٠٩م (السادس من ذى القعدة ١٣٢٧هـ) بأنه سيرسل خلال أيام حملة عسكرية لاصلاح الخط ومعاقبة الذين خربوه اذا كان ممكنا . (٣)

الوضع في لواء العمارة خلال سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م :

دخلت تلك السنة والانتاج الزراعي في لواء العمارة على حالة من السوء كالسنة السابقة ، الامر الذى جعل السلطات الحكومية تمد اجل قرارها

(١) PRO, FO 424/226, No. 43, Act. Cons. Mathews to Sir G. Lowther , Aug. 10, 1911.

(٢) الرقيب، السنة ١ ، العدد ٢٠ ، ١٤ جمادى الاولى ١٣٢٧هـ/ ٤ حزيران ١٩٠٩م، ص ٢ .

(٣) N.A.R.S., RG 84 , " Privet Letter", Am. Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag., Nov. 20, 1909.

القاضي بحظر تصدير الحبوب حتى شهر جمادى الاخرة/ يونية من السنـة نفسها (١) . ولا ريب ان ذلك أوجد في صفوف القبائل بعض القلق ، والذى زاد في تصاعده سبب آخر يتصل بمشروع ضم ملكية بواخر الادارة النهرية الحكوميـة الى شركة لنج ، والذى كان مدار نقاش حاد في استانبول وبغداد خـلال شهر ذى الحجة ١٣٢٧هـ/ديسمبر ١٩٠٩م(٢) . فقد وصلت الى قبائـل العمارة اخبار محرفة عن المشروع فهمت منها أن كل الاراضى الواقعـة على نهر دجلة ستنقل ملكيتها مع البواخر الحكومية الى البريطانيين مما دفـع ببعض العشائر الصغيرة لان ترفع راياتها و " تهوس "(٣) معارضة لمثل ذلـك الاجراء ، وهو الامر الذى جعل العاملين في شركة لنج يعبرون خلال شهـر يناير ١٩١٠م (محرم ١٣٢٨هـ) عن مخاوفهم من احتمال تجدد الاضطرابات في نهر دجلة خلال الشهرين التاليين ، فلجأوا من اجل مواجهة ذلـك الاحتمال الى تصفيح سفنهم بالواح من الحديد وقاية لها من النيـران المتوقعة . (٤)

ولقد صدق ذلك التوقع الى حد ما ، ففى الثانى من فبراير ١٩١٠م (العشرين من محرم ١٣٢٨هـ) وحينما كانت السفينة" حميديه" تمر جنـوب الكوت رأت أربعة جموع ضخمة من أفراد القبائل يزحفون تحت راياتهـم ملوحين ببنادقهم قادمين من جهة الحدود الفارسية (٥) ، ولم تك تلك الجموع

---

(١) القهواتى ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٥٢ .

(٢) برو ، مرجع مر ذكره ، ص ص ١٧٨ - ١٨٧ .

(٣) هوس يهوس فعل مستعمل في اللهجة العامية العراقية للدلالة على القيام بحركات مخصوصة يصحبها ترنم بالفاظ حماسيه وذلك عند الهياج المصاحب للغضب او الفرح او الحزن ، وقد وردت بمعنى قريب من هذا في المعاجم ، راجع : فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٤) N.A.R.S., RG 84, No. 11, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const. , Jan. 21, 1910.

(٥) N.A.R.S., RG 84, No. 12, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Feb. 8, 1910.

سوى جموع غضبان البنيه التي كانت متجهة لمهاجمة المنشقين على زعامته من بني لام في قرية تقع الى الشرق من الكوت. ويبدو ان أنباء الهجوم قد وصلت لتلك القرية قبل فترة كافية فأستعدت لمواجهته بأستقدام عدة مئات من بني لام المقيمين قرب العمارة لشد أزرها ، وبوضع خطة للمعركة المنتظرة على اساس انقسام القوات المدافعة عن القرية الى قسمين ، يذهب أصغرهما للقاء غضبان ، بينما يختبيء الباقون في كمائن تمتد على الطريق . وقد نفذت الخطة بنجاح اذ أصطدم القسم الاول بالفعل بقوات غضبان في ليلة السادس من فبراير (الرابع والعشرين من محرم) ثم انسحب مسرعا متظاهرا بالهزيمة ، وانطلت الخدعة على غضبان ورجاله فطاردوا خصومهم المندحرين حتى وصلوا في اعقابهم الى موضع الكمائن ، فثار عليهم المختبئون فيها وجرت معركة عنيفة أسفرت عن مقتل ثلاثمائة من رجال غضبان ، مما أضطره للتراجع الى قواعده خلف الحدود الفارسية متخليا عما كان قد أزمعه من مهاجمة السفن البريطانية المارة في نهر دجلة كما فعل في العام السابق - ونتيجة لتلك الهزيمة ساد الاعتقاد في بغداد أن تلك السفن ستكون آمنه لبعض الوقت على الاقل . (١)

ولم تقف السلطات الحكومية ازاء تلك الاحداث مكتوفة الأيدي ، بل بادرت ولاية بغداد - من اجل تجنبب أي احتمال بالتعرض للملاحة - الى تعزيز الحراسة في المدن الواقعة على نهر دجلة الاسفل ، والاحتفاظ بقوة حربية في تلك المنطقة أستعدادا لمواجهة ماقد ينشأ من مفاجأت ، كما اتخذت الاستعدادات لوضع قارب صغير مزود بمدفع سريع الطلقات ليقوم

---

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 13, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const. , Feb., 24, 1910.

بالدورية بصورة مستمرة في تلك المنطقة. (١) وقد طمأنت كل تلك الاجراءات الاوساط المهتمة بالملاحة في نهر دجلة ونشرت بينها قناعة بأن حوادث اطلاق النار على السفن لن تتكرر خلال تلك السنة. (٢)

وقد ساهم وصول حسين ناظم باشا الى منصبه الجديد في ولاية بغداد يوم الخامس من مايو ١٩١٠م (الخامس والعشرين من ربيع الثاني ١٣٢٨هـ) في زيادة الاستقرار في لواء العمارة، ويحسن لنا لذلك الحدث من أهمية كبيرة ان نلم هنا بتفاصيلة ،اذ تعددت الاراء حول سبب تعيينه في ذلك المنصب فقد اعتقد المستر مارلنغ Marling القائم بالاعمال البريطاني في استانبول ان الامر كان مكيدة مدبرة من قبل جمعية الاتحاد والترقي، هدفها التخلص من خطر وجوده في العاصمة حيث كان يتمتع بحب جنود وضباط حاميتها من ناحية، ولتدمير سمعته وطرده من مركزه فيما بعد حين يفشل في معالجة مشاكل العراق المعقدة من ناحية أخرى (٣). بينما اعربت السفارة الامريكية هناك عن اعتقادها بأن اسناد ذلك المنصب اليه عائد الى الرغبة في تنظيم القوات الحكومية في ولايات البصرة وبغداد والموصل. (٤) ويرى البعض

---

(١) N.A.R.S., RG 84,No. 12, Am.Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Feb. 8,1910.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 79, Am. Cons. at Bag. to Am. Cons. Gen. at Beirut, Feb. 25, 1910.

(٣) IOR,L/p+s/10/188, No. 43/62, Mr. Marling to Sir E. Grey, Nov. 23, 1910.

(٤) N.A.R.S., RG 84,No. 12,Am. Emb. at Const. to Am. Cons. at Bag., July 7, 1910.

أن تعيينه كان تنفيذا لخطة الحزم التي قررت جمعية الاتحاد والترقي وحكومتها اتباعها في الولايات. (١) ومهما يكن سبب تعيينه فقد وصل ناظم باشا لمقرعمله مزودا بصلاحيات واسعة لادارة ولايته ، كما منح أيضا حق الاشراف على ولايتي البصره والموصل وخاصة فيما يتعلق بالأمن العام باعتباره قائدا للفيلق السادس المرابط في الولايات الثلاث. (٢) ويبدو أن ناظم باشا قد درس قبل توجهه لمقرعمله الجديد مشكلات العراق الرئيسة ، ووضع الخطوط العامة لخطة عمله هناك ، وكانت المشكلة القبلية من أهم تلك المشاكل التي افرد لها حيزا واسعا من تفكيره ،فالى اين قاده ذلك التفكير؟

ذلك مادلنا عليه المقيم السياسي البريطاني في بغداد حين وصف الحال في بغداد بعد حوالي شهرين من وصول ناظم باشا بقوله :-" أن مقدرة ناظم باشا ورجاله منذ وصولهم هنا استثنائية ،ويبدو أن لديهم الان المثابرة والهدف الراسخ معا . أن تقدم سياستهم في مجال التنظيم العسكري وتطويع القبائل - وهما مشكلتان مترابطتان جدا -سيكون أمرا جديرا بالمراقبة . والخطوط الرئيسة لتلك السياسة واضحة ، فهي تنص بصورة جلية على أن يظل القسم الاعظم من القوة العسكرية في المستقبل متمركزا في بغداد. حيث ينال أعلى درجة من التدريب، وان يعتمد حفظ النظام في الالوية في الاحوال الاعتيادية على قوة مطورة من الدرك . ان السياسة المسالمة المتسامحة تجاه القبائل املتها - دون ريب - الرغبة في كسب الوقت

---

(١) برو ، مرجع مر ذكره ،ص ٢٠٣ .

(٢) العزاوي ،تاريخ العراق ،ج ٨ ،ص ص ١٩٠ - ١٩١ وأنظر أيضا برو، مرجع مر ذكره ،ص ٢٠٤ وأنظر أيضا Longrigg, Op.cit.,P. 5.

اللازم للتطوير الضروري للجيش والدرك ... وفي نفس الوقت - وكما لم يفعل اسلافهم قط - فأنهم أدركوا أن المحاولة وبذل الجهد الفوري مع كل المشاكل القائمة سيؤدي فقط الى اطالة أمد الوضع المتأزم في كل مكان - واذا ما أدركت القبائل اتجاه الامور وهيأت أنفسها للاستفادة منه فأن اللعبة المنتظرة التي رسمتها الحكومة ستتطلب اعصابا قوية وسيطرة كبيرة على النفس من أجل انجازها ويمكن أن يقال لصالح سياسة ناظم باشا أنها - بصراحة - قوية وجدية وأنها الوحيدة التي تعد بمخرج من هذا الطريق المسدود". (١)

واذا كانت تلك هي السياسة المقررة في شقها النظري ،فأن اولى الخطوات العملية التي أتبعت لتنفيذها كانت استفتاء علماء الدين حول شرعية القتال بين القبائل. (٢) وقد صيغ الاستفتاء على شكل سؤالين وجههما ناظم باشا الى أولئك العلماء وهما :-

١ - هل تعتبر أعمال السلب والنهب التي تقوم بها القبائل "غزوا" ؟

٢ - هل يحق للحكومة معاقبتها على تلك الاعمال ؟

وفي حين كان رد علماء السنة نفيا على السؤال الاول وايجابا على السؤال الثاني ،كانت اجابات علماء الشيعة مختلفة نوعا ما ،" فمن بين علماء الشيعة الذين استفتوا فأن السيد محمد اسماعيل (الصدر)المجتهد الاكبر في

---

(١) IOR,L/P+s/10/188,Summary of Events in Turkish Iraq during the month of June 1910,P.9.

(٢) الاسدي ،مرجع مر ذكره ،ص ١٥٦ .

كربلاء والسيد محمد باقر (طباطبائي) والشيخ محمد (مازندراني) من كربلاء أيضا ، ردوا بأن القتل والسلب ليسا غزوا وان من يستطيع منع اعمال كهذه ملزم بفعل ذلك. ورد محمد (القزويني) بأنه في حالة ارتكاب قبيلة عربية لاعتداءات ضد قبيلة اخرى فيلزم نصحها ثم تهديدها ثم يلجأ للقوة باعتبارها السبيل الوحيد المتبقي . وكانت فتوى الملا كاظم (الخراساني) والشيخ عبدالله (المازندراني) ذات مضمون يقول ان القتل والنهب ليسا غزوا وان قتل المسلمين على ايدي المسلمين جريمة شنيعة... أرسلت الفتاوى المقتبسة آنفا الى كل الزعامات القبلية في الولاية مرفقة برسائل نصح وتحذير من الوالي... ربما غاب عن ناظم باشا ان الفتاوى الشيعية التي روج الدعاية لها كانت مراوغة بشكل ما في عبارتها خاصة تلك التي استحصلت من النجف والتي يمكن تفسيرها بأنها تعني أن قتل العرب على يد الجنود الترك جريمة شنيعة". (١) ورغم ذلك فقد عادت تلك الفتاوى بالفائدة المرجوة اذ أنها أدت الى تهدئة القبائل. (٢)

وكانت الخطوة العملية الاخرى التي أقدم عليها ناظم باشا هي محاولة أسترضاء شيوخ القبائل وكسب ثقتهم اذ اطلق سراح بعضهم الذين وجدهم محتجزين في بغداد بمجرد اعطائهم كلمة شرف بأن يظلوا مطيعين للحكومة في المستقبل ، كما أستدعى الشيوخ من كل صوب الى بغداد لتقديم احتراماتهم للوالي وتلقي أوامره الخاصة بضرورة حفظ النظام في

---

(١) IOR,L/P+s/10/188, Summary of Events in Turkish Iraq during the Months of April and May 1910,pp 7 -8.

(٢) العزاوي ،تاريخ العراق ،ج ٨ ،ص ص ١٩٩ - ٢٠٠

ديارهم. (١) وكانت السلطات تحرص خلال وجود اولئك الشيوخ على اطلاعهم على قوة الوحدات العسكرية الموجودة في بغداد فدعوهم الى حضور التدريبات والاستعراضات العسكرية التي تجريها تلك الوحدات (٢) التي كانت كل الجهود تنصب حينئذ على تحديثها وتنظيمها واخضاعها لمزيد من التدريب.(٣)

ويبدو أن سياسة ناظم باشا القبلية تلك لم تصادف هوى في نفس والي البصرة حينئذ سليمان نظيف بك ، الذى أستدعي الى بغداد بعد وصول ناظم باشا اليها ومكث فيها المدة الواقعة بين الحادى عشر الى الثلاثين من مايو ١٩١٠ (الاول الى العشرين من جمادى الاولى ١٣٢٨هـ) وقد علق المقيم السياسي البريطاني في بغداد على ما دار بين الواليين خلال تلك المدة فقال :- "ان انطباعا منتشرا هنا مفاده ان العلاقات بين الواليين كانت أقل ودا الى حد كبير عند فراقهما مما كان عليه الحال عند لقائهما أولا ويعزى ذلك لخلافات بينهما في الرأى حول السياسة التي يجب أن تتبع في ولاية البصرة. واذا لم اكن مخطئا فأن سياسة الاسترضاء التي يعتزم ناظم باشا بصورة جلية أن يتبعها للوهلة الاولى مع القبائل العربية لابد انها كانت بالضرورة بغيضة له." (٤) أي لسليمان

---

(١) IOR,L/p+s/10/188, Summary... April and May 1910, P. 8.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 172, Am. Cons. at Bag. to Am. Emb. at Const., Sept 8, 1910.

(٣) علي جودت ، ذكريات علي جودت ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٨ .

(٤) IOR, L/p+s/10/188, Summary... April and May 1910,p.7.

نظيف ، ويبدو لي ذلك منسجما مع ماصرح به المذكور لجريدة محلية عقب احدى مقابلاته مع ناظم باشا ، وحين سئل عن الحالة الامنية في ولايته فأجاب بأنه يعول على استكمال الفيلق السادس لاستعداداته قريبا وعندها تستطيع الدولة ان تفرض سطوتها هناك . (١) وهذا يدل بوضوح على انه كان عكس صاحبه يميل لاعتماد القوة لا التراضي وسيلة للتعامل مع القبائل :

ويبدو أن اعتراضات والي البصرة وتحفظاته لم تحل بين ناظم باشا وبين مواصلة سياسته التي وضح انها صادفت نجاحا ملحوظا في فترة قصيرة مما لفت انظار المراقبين الدبلوماسيين في بغداد ،حتى لقد قال عنها المقيم السياسي البريطاني في العراق انها سياسة واعدة بالخير ،(٢) بينما علق القنصل الامريكي في بغداد على ماحدث خلال الاشهر الاربعة التي مضت بعد وصول ناظم باشا الى بغداد بقوله :- اذا كان هدف الحكومة المركزية من تعيين ناظم باشا في منصبه هو تركيز جهوده على تنظيم القوات وقمع الاضطرابات القبلية فأنه قد حقق تقدما جديرا بالثناء في هذا المجال مما جعل الاعتقاد السائد عموما في بغداد بأن القبائل لن تقوم بأية أضطرابات في المستقبل القريب نتيجة للاخبار التي تصلها عن تنظيم القوات الحكومية وتسليحها . (٣) واذا انتقلنا من الأسس العامة لسياسة ناظم باشا الى تطبيقاتها في لواء العمارة فنجد أن ناظم باشا يستدعي ابرز شيوخ القبائل في لواء العمارة لزيارته في بغداد (٤) ، ويأمر بسحب أغلب

---

(١) صدى بابل ،السنة١ ،العدد ٤١، ١٨ جمادى الاولى ١٣٢٨ هـ ،ص ٢

(٢) IOR,L/p+s/10/188, No. 736/37, Cons. Gen. Lorrimer to Sir G. Lowther, Aug. 22, 1910.

(٣) N.A.R.S.,RG 84,No. 172,Am. Cons.at Bag. to Am. Emb. at Const., Sep. 8,1910.

(٤) الرقيب،السنة ٢ ،العدد ١٣٢، ٢٥ جمادى الاخرة ١٣٢٨هـ/ ٣ تموز ١٩١٠ م ،ص ٢.

القوات الحكومية الموجودة في ذلك اللواء . (١) وقد أدى كل ذلك الى هدوء الوضع هناك فلم يرد خبر عن وقوع أي اضطراب ذي بال خلال مدة ولايته القصيرة التي استمرت طوال سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م والاشهر الاولى من السنة التالية.

تطورات الاحداث بين سنتي ١٣٢٩ - ١٣٣٢هـ/ ١٩١١ - ١٩١٤م

لم يكد ناظم باشا يغادر مقر ولايته في التاسع عشر من ربيع الاول ١٣٢٩هـ/ الحادي والعشرين من مارس ١٩١١م (٢) ، حتى كانت عوامل القلق الكامنة قد بدأت تفعل فعلها بين قبائل لواء العمارة ، فما أن حل الشهر التالي حتى كان التوتر هناك واضحا للعيان. (٣) وذلك مؤشر يدل - كما لاحظ مراقب مطلع - على أن سياسة التهدئة لا يمكن أن تنفع حين تكون أسباب عدم الاستقرار عميقة لدرجة يصعب استئصالها . (٤) ولم يتحول ذلك التوتر الى شيء ملموس الا في شهر شعبان / أغسطس من نفس السنة حين غادر "عبد الكريم الصيهود" أحد مشايخ البو محمد منفاه في الهويزه على رأس حوالي ألف رجل ، اغلبهم من قبيلته مع عدة مئات انضموا لهم من قبيلة" بني طرف" العربية المتوطنة في الحويزة ، وكان اولئك الرجال جيدي التسليح اذ يحمل كل واحد منهم بندقية من نوع مارتيني عدا أربعمائة منهم كانوا

(١) IOR,L/p+s/10/188, Summary.... June 1910,p.6.

(٢) العزاوي ،تاريخ العراق ،ج ٨ ،ص ٢٠٠ وأنظر أيضا Longrigg,op.cit.:, p.51.

(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ،ص ٢٨٢ .

(٤) Logrigg,op.cit.,p.55.

يحملون بنادق ماوزر من طراز حديث، وتتوفر لدى الجميع كمية كبيرة من الذخيرة تتجاوز مائة وخمسة وسبعين الف طلقة. (١)

اتجه عبد الكريم على رأس تلك القوة الكبيرة عبر الحدود الدولية، ومن خلال الأهوار الى المنطقة الواقعة على نهر دجلة جنوب العزير، ويبدو أن هدفه كان تهديديا لا هجوميا ،فخلال الايام الواقعة بين الثالث الى الثامن من اغسطس (السابع الى الثاني عشر من شعبان) لم تقم قواته بأكثر من نهب عدة سفن شراعية محملة بالحبوب واحراق اثنتين منها قدرت اثمان حمولتهما بخمسمائة ليرة عثمانية، وقد رجح وكيل القنصل البريطاني في البصرة أن تلك الاعمال تمت بدون معرفة عبد الكريم، ومال الى تصديق ما اعلنه المذكور من انه لا يستهدف قطع الطريق. (٢) ولكن تلك العمليات أدت على أية حال الى توقف السفن القادمة من بغداد الى البصرة في مدينة قلعة صالح(٣) بعد أن أرسلت لها برقية تحذير من البصرة . (٤)

لقد وصلت أخبار تحركات عبد الكريم تلك الى والي البصرة جلال بك في اليوم الاول لوقوعها ، حيث تصادف أن كان وكيل القنصل البريطاني في البصرة مجتمعا به، فأخبره الوالي بأن ستمائة من قطاع الطرق الفرس عبروا الحدود الدولية وتوغلوا في الاراضي العثمانية حتى نهر دجلة قرب

---

(١) PRO,FO 424/226, No. 43, Acting Cons. Mathews to Sir G. Lowther, Aug. 10,1911.

(٢) Ibid.

(٣) N.A.R.S., RG84, No. 367,Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., Aug. 14,1911.

(٤) PRO,FO 424/226,No. 43, Acting Cons. Mathews to Sir G. Lowther , Aug. 10, 1911.

المزير ولم يضف لذلك أية معلومات أخرى . وفي اليوم التالي عاد وكيل القنصل للاجتماع به مره أخرى وحثه على اتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية الارواح والممتلكات في نهر دجلة ، واقترح عليه أن تقوم أحدى سفن شركة لنـــج البريطانية الموجودة في البصرة بنقل قوة استطلاع حكومية الى المزير لتبيـــن حقيقة الموقف ، وقد قبل الوالي الاقتراح بعد تردد . (١)

وغادرت فعلا في الخامس من اغسطس (التاسع من شعبان) السفينـــة "بلبول" البصرة ، وعلى ظهرها حوالي ستين جنديا بأمرة ضابط برتبـــة عقيد ، وحين وصلت السفينة الى منتصف المسافة بين القرنة والمزير استعـان القائد بأحد الشيوخ المحليين لايصال رسالة الى عبد الكريم الصيهود تخبـــره بأن جميع مطالبه ستلبى اذا لم يتعرض للملاحة في نهر دجلة . ويبـــدو ان تأثير تلك الرسالة كان سريعا ، اذ واصلت السفينة بلبول بعدها طريقهـا الى المزير دون تعرضها لاى حادث وابرقت بعد وصولها هناك الى قلعـــة صالح بأن الملاحة قد تأمنت في النهر ، فأنطلقت اثر ذلك السفن المتوقفـــة هناك ووصلت الى البصرة في الثامن من أغسطس (الثاني من شعبان) وقبـل ذلك بيوم واحد يبدو أن الوالي أراد تعزيز القوة الاستطلاعية فأرسل فـــي أثرها السفينة الحربية" مرمريس" ولكنها لم تستطع التقدم ابعد من القرنـــة نظرا لضحالة المياه في نهر دجلة في تلك الفترة . (٢)

وكانت القضية التي حركت عبد الكريم هي المطالبة بأستعادة مقاطعـــة الكحلاء التي اعتادت عائلته التزامها بأستمرار منذ مايقرب من خمسين سنـــه

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

ولكن سياسة النظام الدستوري الجديد الهادفة الى اضعاف قوة الزعماء القبليين الكبار، وماتبعها من احداث سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩ م التي أدت الى اعتبار ال صيهود خارجين على القانون، جعلت السلطات الحكومية في الولاية تمنح التزام تلك المقاطعة لابن عمهم الموالي لها عريبي باشا الوادي ولشيوخ صغار آخرين بالرغم من أن آل صيهود تركوا لدى متصرف العمارة وديعة مالية مقدارها الفين وسبعمائه وخمسين ليرة عثمانية بعد التفاهم معه على ان تلزم تلك المقاطعة لهم دون سواهم. (١)

وتنفيذا لوعد قائد القوة الاستطلاعية لعبد الكريم، فقد حمل معه عند عودته للبصرة في الثامن من اغسطس (الثاني عشر من شعبان) كاتب عبد الكريم، الذي قابل الوالي وعرض عليه مطلب سيده، فوعده الوالي بأنه سيسعى الى تقسيم مقاطعة الكحلاء بين ملتزمها الحالي عريبي وعائلة صيهود. وقد اعتبر وكيل القنصل البريطاني في البصرة ذلك الحل أمرا ملائما وسيؤدي اذا مانفذ الى اعادة الموقف في نهر دجلة الى طبيعته. (٢)
ولكن الامر لم يسر حسبما أراد الوالي، اذ وصلت الاخبار الى البصره في العاشر من أغسطس (الرابع من شعبان) بأن الاوامر قد صدرت بطرده

---

(١) Ibid. ، ولم يوضح وكيل القنصل البريطاني أمر تلك الوديعة، فلا أدري كيف يكون ال صيهود خارجين على القانون ومنفيين ويتعاملون مع المتصرف، ولا كيف وعدهم المتصرف بمنحهم التزام تلك المقاطعة وهو يعرف وضعهم تجاه الدولة، اللهم الا أن تكون تلك الوديعة قد قدمت قبل وقوع أحداث سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، او أن تكون "الوديعة" رشوة قدمت سرا للمتصرف من اجل أن يسعى لاصدار العفو عنهم ثم يرتب بعد ذلك أمر الالتزام.

(٢) Ibid.

من منصبه ، ورجح الوكيل القنصلي الامريكي في البصره أن ذلك الطرد كان نتيجة للمعارضة القوية التي ابدتها السلطات العليا في استانبول لطريقته في معالجة المشكلة ، واضاف ان كل شيء الآن غير مؤكد وربما انفجرت الاضطرابات في اية لحظة اذا لم يكن بأمكان الحكومة ارسال قوة كافية لارهاب عبد الكريم. (١) ولكن وكيل القنصل البريطاني تشكك في جدوى أرسال مثل تلك القوة لأن اية عمليات حربية ضد عبد الكريم ستكون صعبة نظراً لان المنطقة الممتدة بين العزير والحويزه منطقة أهوار تناسب طرائق العرب في القتال . (٢)

ولا يبدو أن طرد ذلك الوالي قد أدى الى يأس عبد الكريم من امكانية التفاهم مع الحكومة ، أذ أرسل للسلطات في الولاية عارضا أن يقوم بدفع متأخرات بدلات الالتزام السابقة المتبقية في ذمته للحكومة اذا أعيدت له مقاطعة الكحلاء التي سيدفع الفي ليرة زيادة في بدل التزامها على المبلغ الذي يدفعه ملتزمها الحالي ، ولكن عرضه هذا لم يلق ردا شافيا بأنتظار وصول والي البصرة الجديد . (٣) وربما كان من العوامل التي جعلت السلطات لا تتجاوب مع ميل عبد الكريم للتفاهم معها هو وصول والي بغداد الجديد جمال بك الى مقرعمله في رمضان ١٣٢٩هـ/ سبتمبر ١٩١١م مخولا بالاشراف على ولايات العراق الثلاث. (٤) فقد كان اتجاه جمال بك هو التشدد مع

---

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 367,Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice. Cons. at Bag., Aug 14, 1911

(٢) PRO,FO 424/226,No. 43,Acting Cons. Mathews to Sir G. Lowther , Aug. 10, 1911.

(٣) N.A.R.S., RG 84,No. 371,Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., Sept. 10,1911.

(٤) العزاوي ،تاريخ العراق ،ج ٨ ،ص ٢١٠.

القبائل والسعي لتحصيل مابذمتها من متأخرات الاموال الحكومية ، وقد تخوف نائب القنصل الامريكي في بغداد من أن يؤدى ذلك الاتجاه الى زيادة اضطرابات القبائل واقلاق الامن العام في البلاد ، واشار الى أن الحكومة المركزية وعدت في فرمان تعيين الوالي الذى قرئ في بغداد بأنها ستزوده فور طلبه بعدد من الزوارق الآليه الضرورية لتأمين الملاحة في نهرى دجلة والفرات واحكام السيطرة على القبائل ، وتشكك نائب القنصل في أن يؤدى ذلك الوعد الى ارعاب القبائل الى حد يجعلها تتجنب المشاكل . (١)

وفي غضون ذلك عمد عبدالكريم الى الضغط على السلطات في ولاية البصرة لاقناعها بالاستجابة لمطالبه فقد أرسل في الرابع عشر من أكتوبر ١٩١٠م (الحادى والعشرين من شوال ١٣٢٩هـ) مهددا بأنه سيوقف الملاحة في دجلة في المنطقة الواقعة بين المزير والقرنه اذا لم يلب طلبه . ولقد كان رد السلطات - كدأبها في الاسابيع الماضية - هو تملقه محاولة لاسترضائه ، كسبا للوقت بأنتظار وصول زوارق الدورية الجديدة والتى وصل اثنان منها بالفعل ، وهذا ماجعل الوكيل القنصلى الامريكي في البصرة يعلق قائلا :- " اذا صدق ظني فستكون لنا عودة للاضطرابات القديمة . واذا أستعمل الترك زوارقهم الجديدة بأعتدال فستكون النتيجة مفيدة ولكن الخطر على اية حال يتمثل في انهم ، ربما اثاروا القبائل الاخرى حين يستغلون تحسن مركزهم في النهر للتنقيب عن النزاعات القديمة والاستئساد على الشيوخ ". (٢)

---

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 501, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Cons. Agent at Basra, Sep.2, 1911.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 376, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., Oct. 15, 1911.

هذا وبينما كانت سلطات ولاية البصرة مشغولة بمشكلة عبد الكريم الصيهود تجدد في محرم ١٣٣٠هـ/ يناير ١٩١٢ م نشاط غضبان في المنطقة الواقعة الى الشمال من مدينة العمارة ،اذ انطلق من مقره الآمن أسفل التلال الفارسية وشن غارة على قطعان الماشية العائدة لابن عمه الموالي للحكومة " جوى بن لازم" فأستاقها وكرعائدا ، ولكن جوى قام بمطاردة المغيرين واستعاد الماشية المنهوبة. وهكذا فأن المقيم السياسي البريطاني في بغداد الذى كان يقوم بجولة في تلك المنطقة وجد الضفة اليسرى لنهر دجلة بين العمارة والكوت تموج بالحركة من جراء تحرك جماعات مسلحة عديدة من المدافعين العائدين الى قراهم او المحتفلين بأنتصارهم عن طريق اداء" الهوسات" أو رقصات الحرب. وقد أضطرت السلطات في لواء العمارة اثر ذلك الى اقامة مفرزة صغيرة من القوات الحكومية في كميت لحمايتها والمنطقة المجاورة لها من أية غارات مشابهة. وكان متصرف العمارة الذى استلم مهام منصبه مؤخرا مكتئبا كثيراً للحالة المضطربة في اللواء على حد قوله للمقيم ،ولكنه عاد وكتب لذلك المقيم في الرابع والعشرين من يناير (الرابع من صفر) بأن ارسال المفرزة الى كميت كان ذا تأثير جيد حيث أخذت الحال تتحسن يوما بعد يوم. (١)

ولكن الحال جنوب العمارة لم تتحسن بل أخذت تزداد سوءاً قريبا من هذا الوقت ،اذ اقدم عبد الكريم الصيهود على تنفيذ تهديداته السابقة ، فأوعز لانصاره في الاسبوع الاول من فبراير (أواسط شهر صفر) بعرقلة الملاحة في نهر دجلة ، فقاموا بسلب حمولة ثلاث سفن شراعية قرب العزير

---

(١) IOR,L/p+s/10/212,No. P- 1093/1912, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of Jan.1912,p.1.

والحاق أضرار بسفينتين اخريين. وازاء ذلك أضرت السلطات في ولاية البصرة للتحرك على الفور لمواجهة الوضع وذلك بارسال السفينة الحربية "مرمريس" يصحبها زورق آلي مسلح للقيام بحراسة النهر في المنطقة الواقعة بين القرنة والعزير، كما لجأت لوضع مفرزة من الجند على ظهور السفن لحمايتها خلال مرورها في تلك المنطقة - وقد أدت تلك الاجراءات الى السيطرة على الوضع، رغم انه روى بعدها أن النار اطلقت في تلك المنطقة على سفينتين تجاريتين عائدتين للادارة النهرية الحكومية.(١) ويبدو أن ذلك الحادث كان منفصلا عن تحركات عبد الكريم فقد أفاد القنصل الامريكي في بغداد بأن بدايته كانت أرسال قوة من الدرك لجباية الضرائب المستحقة على بعض القبائل عنوة فواجهتها تلك القبائل بنار حامية أدت الى مقتل عدد من أفرادها ، وعلق القنصل على ذلك بقوله أن أحداثا من هذا القبيل تعد مألوفة تماما في هذا الوقت من السنة وهو موعد تلزيم المقاطعات الزراعية.(٢)

ويبدو ان أستمرار مشكلة عبد الكريم كل هذه المدة وتصاعد حدتها في الاونة الاخيرة جعل سلطات ولاية البصرة تميل الى الحزم وتقرر حسم المشكلة عن طريق القوة فأرسلت في أوائل مارس (الاسبوع الثاني من ربيع الاول) حملة حربية لمحاولة أخماد حركته . وكانت الحملة تتألف من السفينة "مرمريس" وزورقي مدفعية صغيرين ، تواكبها قوة قبلية تسير في

---

(١) IOR,L/p+s/10/212,No. 1575/1912, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of Feb. 1912,p.1.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 63, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Feb. 8, 1912.

الطريق البرى المحاذي للنهر ، وبرافقها قائمقام القرنه باعتباره ضابطا سياسيا. ولكن تلك الحملة أخفقت في تحقيق هدفها على مايبد و وعادت د ون ان تشتبك مع عبدالكريم ، وهذا ماحمل المقيم السياسي البريطاني في بغداد على القول بأنها لم تكن الا نسخه معدله فقط من الدوريات التي اعتادت السلطات تسييرها في النهر. (١)

ولقد دفع ذلك الاخفاق والي البصرة لمحاولة الوصول الى حل للمشكلة عن طريق التفاهم ، فمنح الأمان لاحد المقربين من عبدالكريم واستقدمه للبصرة ليكون واسطة بينه وبين عبدالكريم على مايبد و ، كما أرسل الى الحكومة المركزية في استانبول ينصحها بأصدار العفو عن عبدالكريم وانصاره. ولكن جهات نافذه في الولاية سعت لعرقلة خطة الوالي فقد القت السلطات القضائية في البصرة القبض على الشخص الذى منحه الوالي الامان ووضعته رهن الاعتقال وذلك مادفع الوالي حسن رضا باشا الى رفع استقالته الى السلطات العليا في استانبول ومغادرة البصرة الى العمارة في السادس من مايو ١٩١٢م ، (التاسع عشر من جمادى الاولى ١٣٣٠هـ) حيث ظل هناك ينتظر الرد على استقالته . وقد وصله الرد برقيا من وزير الداخلية ويقضي بقبول نصيحته بالعفو عن عبدالكريم وانصاره وايقاف أية ملاحقات قانونية ضدهم ، وبناء عليه اطلق سراح الشخص المعتقل في البصرة وعدل الوالي عن استقالته. (٢)

---

(١) IOR,L/p+s/10/212,No. 2325 A, Summary of Events in Turkish Iraq for the months of March and April 1912, P.1.

(٢) IOR,L/p+s/10/212, No. 2840/1912, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of May 1912, P.4.

أدت تسوية مشكلة عبدالكريم الصيهود على تلك الصورة الى هدوء الاحوال في لواء العمارة خلال الفترة المتبقية من سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م، ولكنه هدوء موقت كالعادة . اذ ماكادت السنة الجديدة تبدأ ويقترب موعد القيام بتلزيم المقاطعات الزراعية واستيفاء بدلاتها المالية حتى بدأت عوامل القلق والاضطراب تطفو على السطح مجددا . وقد سرع في ذلك قيام السلطات الرسمية في ولاية البصرة بارسال قوة حكومية على ظهر السفينة "برهانيه" في الثلاثين من يناير ١٩١٣م (العشرين من صفر ١٣٣١هـ) الى العمارة. وكان هدفها أجبار ملتزمي المقاطعات من شيوخ القبائل على دفع مابذمتهم من متأخرات مالية مستحقة للحكومة بعد أن أظهروا ميلا لعدم الاذعان طوعا لطلبات السلطات المختصة بهذا الشأن. [1] وقد روى المقيم السياسي البريطاني في بغداد خبرا عن وجود " تواطوء" بين القبائل المختلفة في الفرات الاوسطوالمنتفق والعمارة على عدم دفع الضرائب المستحقة للحكومة. [2] واذا صدق ذلك الخبر فهو يدل على حدوث تطور خطير يتمثل في اتجاه القبائل للتكتل ضمن حركة منسقة هدفها مناوأة الحكومة والوقوف بوجهها . ولكني أشك في صحة هذا الخبر، اذ لوكان صحيحا لا شبعته الوثائق البريطانية والامريكية الموجودة بين يدي بحثا لاهميته الكبيرة ، ولترتبت عليه نتائج واسعة النطاق ، وهي نتائج لم أر لها أثرا أبدا ، ثم أن ممارسات القبائل طوال تاريخها تظهر انها تميل غالبا الى الفردية في كل تعاملاتها مع السلطات الحكومية ،رغم أن تلك القبائل

---

(١) IOR,L/p+s/10/212,No.P-1213/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for Jan. 1913,P. 5.

(٢) IOR,L/p+s/10/212, No. P-2358/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of April 1913,P.1.

جميعا تشترك في النفور من دفع الضرائب للحكومة كما مر بنا .

وفي غضون ذلك عاد غضبان البنيه شيخ بني لام المنفى الى التحرك ،اذ أخبر متصرف العمارة بضرورة تلزيم بعض المقاطعات له ، وعرض مقابل ذلك أستعداده لدفع مائة ألف ليرة من اجمالي المتأخرات المالية المتراكمه بذمته للحكومة والبالغة مائة واثنين وستين الف ليرة ، واعلن أن رفض طلبه سيؤدي به الى القيام بثورة تنهب خلالها مدينة العمارة ومدنا أخرى ، ويستولي على مدينة البصرة ويغلق نهر دجلة بوجه الملاحة . (١) ولم تحدد الوثيقة البريطانية التي روت تلك الواقعة وقت حدوثها بالضبط ولا وسيلة الاتصال بين غضبان والمتصرف ولا الرد الذي قدمه الاخير ، وان كان يظهر انه الرفض أو التجاهل لذلك الطلب وما رافقه من تهديدات مبالغ فيها بصورة فاضحة ، يدل على ذلك التحرك التالي الذي أقدم عليه غضبان .

وكان ذلك التحرك هو محاولة الاستعانة ببريطانيا للضغط على الحكومة العثمانية وحملها على الاستجابة لطالبة . فقد حضر سرا الى القنصلية البريطانية في البصرة فالح البنيه أخو غضبان ، فقابل القنصل وعرض عليه مطالبه وأخيه وهي الحصول على عقود التزام بعض المقاطعات لمدة خمس عشرة سنة ، واعاد عليه ماسبق تقديمه للمتصرف من عروض وتهديدات . (٢) ولا شك ان اشارة ذلك الموفد الى امكانية اللجوء الى ايقاف الملاحة النهرية في دجلة كانت تحذيرا مبطنا الى السلطات البريطانية ان هي لم تبادر الى الضغط

---

(١) PRO,FO 424/238,No. 16,Cons. Crow to Sir G. Lowther, March 15,1913.

(٢) PRO, FO 424/237, No. 137,Sir G. Lowther to Sir E. Grey, March 14, 1913.

على سلطات الولاية لاجابة طلباتهم ،وان كان قد تجنب بلباقة أن يقول ذلك صراحة واكتفى بالقول أن الايقاف سينصب على السفن الحكومية فقط . وقد فهم القنصل تلك الاشارة وهذا ماجعله يهتم بنقل رأى ربان احدى سفن شركة لنج وهو أن فضبان واخاه يمكن أن يسببا ازعاجا للسفن المارة فى نهر دجله من خلال اطلاق النار عليها ولكن لا يبدو من المحتمل أنهما يستطيعان اعاقة الملاحة بشكل خطير. (١)

وقد حاول القنصل ان يتقنع فالحا باللجوء الى التفاوض المباشر مع السلطات الحكومية العثمانية لحل المشكلة ، ولكن فالحا أستبعد ذلك اذ ليس لديهم من يدافع عن مصالحهم فى استانبول ،فى حين ان التفاوض مع السلطات المحلية لاطائل من ورائه اذ جرب سابقا دون جدوى ،ولذلك فأنهم سوف يلجأون للقوة لتحقيق مطالبهم اذ كان ذلك ضروريا ، (٢) وقد تخوف القنصل من تنفيذ ذلك التهديد لأن فضبان وأخاه لديهما قوة كبيرة فهما يمثلان اربعمائة وستين شيخا فرعيا من شيوخ قبيلة بنى لام. ومن الطريف ان نذكر هنا ان فالحا لجأ من اجل اقناع القنصل بقضيته الى تضخيم قوتهما هو واخيه ،فزعم انهما احتلا بالفعل تسع مقاطعات من الاراضى الحكومية الواقعة على نهر دجلة ، وانهما نجحا فى قتل عمهما شبيب بن مزبان الذى نصبته الحكومة شيخا لبنى لام بعد هرب فضبان سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م. (٣) ولكن المقيم السياسى البريطانى فى بغداد نفى للقنصل ذلك الزعم كلية ، مما جعل الاخير يعلق قائلا : ان فالحا

---

(١) PRO,FO 424/238,No. 34, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 31, 1913.

(٢) PRO,FO 424/238,No. 16, Cons. Crow to Sir G. Lowther, March 15, 1913.

(٣) PRO,FO 424/237,No. 155, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, March 22, 1913.

ربما بالغ في دعواه كما يفعل العرب في بعض الأحيان . (١)

وفي حين كان فالح يجرى تلك الاتصالات في البصرة خلال شهر ربيع الثاني ١٣٣١هـ/مارس ١٩١٣م، وصلها المقيم السياسي البريطاني عائدا من الهند ، ثم توجه منها لمقرعمله في بغداد عن طريق دجله عبر لواء العمارة فلاحظ أن السلطات الحكومية في اللواء كانت حينئذ تعزز وضع احد الشيوخ المعارضين لغضبان وهو ابن عمه" جوى بن لازم" اذ كانت سرية من الفرسان تعسكر قرب قلعته في "علي الشرقي" (٢) يعاونها عدد من افراد الدرك ، وعلق المقيم على الوضع في اللواء عموما بقوله :- "ان الانطباعات العامة التي كونتها منذ رجوعي من الهند وحتى وصولي بغداد هي ان سلامة نهر دجلة في أراضي بني لام مهددة رغم انها لم تعكر لحد الآن . . . ان سكان المنطقة عموما يعطون اهمية اقل للترك الذين يميلون نحو مسالمة القبائل اكثر من ذى قبل ، ان المشاعر المعادية للعثمانيين - رغم انها تظهر بارزة للعيان أحيانا - الا أنها ليست واسعة الانتشار او خطيرة ". (٣)

ومهما يكن أمر تلك المشاعر العامة ،فأن غضبان وأخاه يأسا على مايبدو من احتمال تدخل السلطات البريطانية لصالحهما كما كانا يؤملان ،فمالا خلال شهر رجب/ يونية الى التفاهم مع السلطات العثمانية وحرصا على طلب رضاها . الأمر الذى جعل المقيم السياسي البريطاني في بغداد يعرب

---

(١) PRO,FO 424/238,No. 27, Cons. Crow to Sir G.Lowther, May 9, 1913.

(٢) اصل الكلمه علي الشجري وهو احد احفاد الحسن بن علي رضي الله عنهما حيث دفن في تلك البقعة ،وقد حرفها العامة الى علي الشرجي أي الشرقي على عادتهم في قلب القاف جيما احيانا . ونمت حول المدفن مدينة صغيرة الى الشمال من مدينة العمارة وعلى ضفة دجلة اليسرى . راجع : لغة العرب،السنة ٨ ،ج ٣ ، اذار ١٩٣٠ ،ص ١٧٢ .

(٣) IOR,L/p+s/10/212,No. P-1953/1913,Summary... March 1913,P. 8.

عن اطمئنانه على سلامة الملاحة في نهر دجلة ويقول انه نتيجة لميلهما ذاك فليست هنالك خشية فورية من اضطرابات جدية يمكن ان يقوما بها وتهدد الملاحـة .(١) ومن الطريف ان نذكر هنا أن عمهما شبيب بن مزبان الذى زعم فالح انه قتـل على ايديهما قد دعم سعيهما من اجل الحصول على رضا السلطات الحكومية (٢) ، التي كان موقفه تجاههما قد تغير بعض شيء واصبح اكثر اقترابا من موقـف ابني أخيه . (٣)

ولا يبدو ان تلك السلطات قد رحبت على الفور باتجاه غضبان الجديد ، الامـر الذى جعله يواصل الضغط عليها من خلال اثارة المشاكل مع خصومه القبليين الموالين لها ، فقد شن فى شهرسبتمبر ١٩١٣م (شوال ١٣٣١هـ) غارة علـى قرية فهد الغضبان فنشب بين الطرفين قتال عنيف قرب علي الغربي ذهـب ضحيته عدد كبير من القتلى من الجانبين . وحينما علم متصرف العمارة سـرى بك بالحادث أستأجر باخرة من البواخر التجارية العاملة فى نهر دجلـة وكاد أن يتقدم بها على الفور يقود قوة غير كافية بهدف معاقبة غضبان لـولا أن والي البصرة تدارك الأمر فمنعه من التحرك نحو غايته . (٤) ويظهر أن المتصرف ، وهو احد اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، كان لا يرى سبيلا غير القوة يمكـن اتباعه في التعامل مع القبائل ، فقد اقترح على السلطات العليا فى استانبـول

---

(١) IOR,L/p+s/10/212,No. 3105/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for June 1913,P. 3.

(٢) PRO,FO 424/238,No.34,Cons. Crow to Sir G.Lowther,May 31 ,1913.

(٣) IOR,L/p+s/10/212,No.P-1953/1913, Summary... March 1913,P.7.

(٤) IOR,L/p+s/10/212,No. 4691/1913,Summary of Events in Turkish Iraq during Sept. 1913,P.1.

خطة للسيطرة على قبيلة بني لام خاصة وقبائل العمارة عامة. وكانت الخطة تقضي باقامة حصون صغيرة في انحاء مختلفة من الديار القبلية يوضع في كل واحد منها مدفع يقوم على تشغيله خمسة عشر رجلا ، على أن ترتبط تلك الحصون ببعضها بخطوط برقية لاسلكية . وقد علق المقيم السياسي البريطاني على ذلك الاقتراح بقوله ان مقترحه رجل بليد الذهن ،اذ ان عددا صغيرا من افراد القبائل يضطجعون في الخنادق يمكن ان يحاصروا تلك الحاميات في حصونها فيشلونها عن الحركة ويجيعونها حتى تستسلم لهم مع اسلحتها . (١)

وفي نفس الوقت الذى كان فيه غضبان يشن الغارات على منافسيه فأنه استمر في مساعيه للحصول على عفو الحكومة ورضاها ، ففي اواخر سنة ١٩١٣م (أوائل سنة ١٣٣٢هـ) قام عبدالقادر باشا الخضيرى احد كبار تجار بغداد ببذل مساعيه الحميده بين الحكومة وغضبان. وهو الأمر الذى علق عليه المقيم السياسي البريطاني في بغداد بقوله :- " ان اهالي العمارة يرعبهم بصورة كبيرة أن ينال غضبان العفو ويسمح له بالعيش ثانية قرب دجلة ،اذ يتبع هذا الشيخ حاليا ثلاثمائة وخمسون بيتا فقط ، ولكن بمجرد عودته فسيزداد مناصروه ، وسيكون من المحتمل نشوب قتال واضطراب على النهر حين يعود بنولام الى سالف عهدهم. ومن غير المعروف من الذى استخدم عبدالقادر وسيطا ولكن من الثابت انها ليست الحكومة. وربما كان غضبان قد قدم المال للسيد طالب زعيم البصرة فقام هو بدوره بطلب مساعدة عبدالقادر الذى روى انه انضم للقوميين مؤخرا". (٢)

---

(١) IOR,L/p+s/10/212,No. P- 5054/1913, Summary of Events in Turkish Iraq during Oct. 1913,P.1.

(٢) IOR,L/p+s/10/212,No. P- 1916/1914, Summary of Events in Turkish Iraq during Nov. and Dec. 1913 and Jan. 1914,P.2.

ورغم مخاوف اهالي العمارة فقد افلح عبدالقادر باشا في مسعاه على ما يبدو ، اذ اصدرت الحكومة عفوها عن غضبان وسمحت له بالعودة الى لواء العمارة في صفر ١٣٣٢هـ/ يناير ١٩١٤م.[١] وليس من قبيل المصادفات أن الاضطرابات كثرت في لواء العمارة كثرة واضحة بعد عودته. فرغم انه ليس لدى مايدل على أن غضبان تدخل فيها مباشرة في هذه الفترة المبكرة ، الا انه ليس من المستبعد أن يكون قد اذكى نار تلك الاضطرابات من وراء الستار من اجل زعزعة نفوذ الشيوخ الذين كانوا قد نافسوه سابقا ووقفوا الى جانب الحكومة ضده. ومن تلك الاضطرابات القتال الذى حدث في مارس (ربيع الثانى) من نفس السنة بين اهالى قرية الشيخ سعد واهالى على الغربى وهو القتال الذى أضطر متصرف العمارة الى التوجه نحو سرحه بقارب مدفعية صغير للتحقيق فى الأمر ومحاولة تهدئة الموقف .[٢]

وقد تفاقم الموقف بصورة اكثر فيشهر ابريل ١٩١٤م(جمادى الاولى ١٣٣٢هـ) فبالاضافة الى تجدد القتال فى على الغربى وسقوط ضحايا جدد خلاله تجاوزوا اثنى عشر قتيلا وخمسة وعشرين جريحا ، كان الوضع في لواء العمارة عموما مضطربا جدا ، حتى أن الملاحة فى نهر دجلة قد تعرضت لبعض المضايقات حين اطلقت النار على احدى السفن التجارية فقتل ربانها واثنان من المسافرين علىظهرها ، مما جعل بعض ربابنة

---

(١) لغة العرب، السنة٣ ،ج ٧ ،صفر ١٣٣٢هـ/ كانون الثانى ١٩١٤ ، ص ٣٩٢ .

(٢) IOR, L/p+s/10/212,No. 2097/1914, Summary of Events in Turkish Iraq during Feb. and March 1914,P.9.

السفن يتقدمون في منتصف أبريل (أخر جمادى الاولى) بطلب لولاية البصرة من أجل توفير حراسة لسفنهم اثناء رحلاتها في النهر، ولكن وكيل الوالي رد بعد تبادل البرقيات مع لواء العمارة بأن الحراسة غير ضرورية.(١)

ولم يطل بقاء غضبان وراء الستار كثيرا ، بل انه هتك ذلك الستار في شهر مايو(جمادى الثانية) وخرج بنزاعة مع منافسيه الى العلن ، فهاجم قريبه فهد الفضبان وابن أخيه جوى بن لازم(٢) ، الذي خاض بدوره في نفس الشهر أيضا معركة مع قريب أخر منافس له على التزام بعض المقاطعات. (٣) ولا أستبعد أن يكون ذلك المنافس من أنصار غضبان ،أو أنه قد استجاب لتحريضه على خوض ذلك النزاع . وقد حاول والي بغداد جاهدا الحيلولة دون تطور النزاع المذكورعن طريق أرسال التعزيزات الحربية برا ونهرا الى المنطقة المعنية. (٤) ولكن ذلك لم يحل دون وقوع الصدام بين الطرفين المتنازعين فأضطر الوالي عندها الى استقدام زعمائهما الى بغداد ووضعهم جميعا تحت الاقامة الجبرية. (٥)

---

(١) IOR,L/p+s/10/212,No.P-2492/1914,Summary of Events in Turkish Iraq during April 1914,P.3.

(٢) IOR,L/p+s/10/212,No. P- 2937/1914,Summary of Events in Turkish Iraq during May 1914,, P. 2.

(٣) لغة العرب،السنة٣ ،ج ١١ ،جمادى الاخره ١٣٣٢هـ/آيار ١٩١٤م ، ص٦١٣.

(٤) IOR,L/p+s/10/212,No. P-2937/1914,Summary... May 1914, P.1.

(٥) IOR,L/p+s/10/212,No.P- 4029/1914,Summary of Events in Turkish Iraq for the months of June and July 1914,P.1.

وهكذا وبعد أن تم التعرف عن قرب على الاحداث القبلية في لـــــــواء العماره ، يمكن القول أن صورة الوضع بملامحها الاساسية لم تختلف عما مــر في التمهيد السالف، حتى لكأن نظام السلطان عبد الحميد لم يسقط وكــأن الحكومة الاتحادية لم تقم. اذ لم تأت الحكومة الجديدة بشيء ايجابــي لمعالجة المشكلة القبلية في هذا اللواء ، واغمضت عينيها عن السبب الاساسي لتلك المشكلة والمتمثل في نظام التزام الاراضي الزراعيه ، فلم تذكر المصادر والمراجع أنها قامت بأى أجراء يمس هذا الموضوع من قريب أو بعيد . والاكثر من هذا أنها أضاعت من يدها فرصة نادرة كان يمكن أن تكون الخطوة الاولــى التى تخطوها في سبيل المعالجة الجذرية لتلك المشكلة . وقد لاحـــت تلك الفرصة حين تغير وضع ملكية أغلب اراضى اللواء بعد عزل السلطان عبدالحميد فأصبحت تلك الاراضى "أميرية" بعد أن كانت "سنية".

هذا وفي نفس الوقت ، فأن السلطات الجديدة أستمرت في سياســة فرض بدلات التزام عالية على الملتزمين الذين لم يكونوا يجدون بدا من دفــع القسط الاول منها عند رسو الالتزام عليهم ، ولكنهم يأخذون بالممانعــة في دفع بقية الاقساط عند حلول موسم الجباية في السنوات التالية ، فلا تجــد السلطات أمامها عند ذاك سوى طريقين : اما تجريد حملات حربية مكلفــة ماديا وغير مجدية فعليا ، أو تدوير تلك الاقساط المستحقة في سجلاتهــا الرسمية باعتبارها متأخرات يجب على الملتزمين دفعها يوما ما ، ولا تفلــح في استيفائها غالبا .

ويلاحظ على الحكومة الجديدة أنها جاءت معها بميل واضح لانتهــاج أسلوب القوة في التعامل مع قبائل اللواء ، وهو أسلوب أتيح لها أن تطبقــه بشيء من النجاح خلال أحداث سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م. ولكنه نجاح قلل من أهميته أمران : اولهما أن السلطات الحكومية أعتمدت في تحقيقه علــى

مساعدة قوى قبلية مؤيدة لـها ،مما فرض عليها مكافأة تلك القوى فيما بعد فكأنها والحالة هذه لم تزد على أن طردت شيوخا معارضين واحلت شيوخا آخرين محلهم. وقد أدى ذلك الى تأجيج نار المنافسات والصراعات الداخلية فى صفوف القبائل ،ولم تسلم السلطات من شرور تلك النار المتطاير. وثانيهما أن ذلك النجاح المحدود لم يؤد الى أستئصال شأفة الشيوخ الكبار المعارضين ، فهم وان أزيحوا عن ساحة الصراع الرئيسة الا أنهم استمروا يشنون الغارات ويعكرون صفو الامن في ربوع اللواء. ويلاحظ أيضا أن ذلك النجاح كان آخر جهد حربى واسع قامت به السلطات الحكومية فى لواء العمارة ،فكأنه كان ذبالة سراج توهج قبل الانطفاء.

ولا يحسن هنا اغفال الاشارة الى ظاهرة تكررت مرارا خلال الاحداث التى مر وصفها ، وهي تضارب الاتجاهات والاهواء بين السلطات الحكومية المختلفة من مدنية وعسكرية . مما يدل على تراخي قبضة الحكومة المركزية على موظفى ولاياتها ، وهم موظفون لم يكن مسلك بعضهم فوق مستوى الشبهات. وقد أنعكس كل ذلك على الوضع العام فى لواء العمارة ،فعم القلق وكثرت الصدامات الدموية بين القوى القبلية ، وزادت مناوأة تلك القوى للسلطات الحكومية ، وتكرر التعرض للملاحة فى نهر دجلة ،مما فتح الباب لتدخلات دولية سببت للدولة الكثير من الحرج .



قبائل المنتفق بين سنتي

١٣٢٦-١٣٣٢هـ/١٩٠٨-١٩١٤م

تطور أوضاع لواء المنتفق حتى اوائل ١٣٢٨هـ/١٩١٠م :

وقع انقلاب جمعية الاتحاد والترقي في جمادى الثانية ١٣٢٦هـ/ يوليه ١٩٠٨م. وقد تصادف وقوعه مع رداءة الموسم الزراعي في لواء المنتفق ذلك العام، حتى أضطرت السلطات الحكومية الى منع تصدير الحبوب من اللواء في اكتوبر ١٩٠٨م (رمضان ١٣٢٦هـ) والى حين صدور اشعار آخر.(١) ولكن ذلك الوضع السيء لم يحل دون اصرار السلطات المحلية على جباية الضرائب من قبائل اللواء بعد أن امتنع بعضها عن اداء ما هو مقرر عليه منها. (٢) وهكذا تهيأت فرصة الصدام لأول مرة بين النظام الجديد والقبائل التي لا يهمها- على حد قول أحد شيوخها للقنصل الامريكي في بغداد - شيء من أمور الحكومة العثمانية، فلا يعنيها من يكون السلطان ولا يشغلها أمر الدستور طالما أن الحكومة لا تطالبها بالضرائب. (٣) أما وقد طالبتها الحكومة بها فلا مفر من الصدام.

ويبدو أن ذلك الصدام كان متوقعا قبل حدوثه بفترة على أية حال، فقد كتب القنصل الامريكي في بغداد في اواسط شهر أغسطس ١٩٠٨م (رجب ١٣٢٦هـ) قائلا :- أن قتالا صغيرا يدور في لواء المنتفق ولكنه لم يصل الى غايته القصوى بعد. (٤) وسرعان ما تمهد السبيل للوصول الى هذه

---

(١) N.A.R.S.,RG 84, No. 29, Am.Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Oct. 28, 1908.

(٢) محمود، مرجع مر ذكره، ص ١٤١.

(٣) N.A.R.S., RG 84,No. 15,Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const. , March, 14,1910.

(٤) N.A.R.S., RG 84, No. 448, Am. Cons. at Bag.to Am. Cons. Gen. at Beirut , Aug. 14, 1908.

الغاية حين لجأت السلطات الحكومية الى الاستعانة بسعدون باشا آل سعدون في جمع الضرائب من قبائل المنتفق. [١] ويبدو أن ذلك الاختيار تم بترشيح والحاح من متصرف اللواء الاميرلاى مظهر بك أستجابت له الحكومة المركزية فعينت سعدونا معاونا للمتصرف وسمى بأسم" مصلح الغراف". [٢] وهذا يدل على أن سعدونا أستطاع نيل ثقة رجال العهد الجديد في هذه الفترة المبكرة [٣] ، بعد أن كانت علاقته متوترة مع السلطات المحلية في الفترة التي سبقت وقوع الانقلاب كما مر سابقا.

ولا شك ان اختيار الحكومة لسعدون من اجل تلك الغاية كان اختيارا غير موفق، فهي تعلم مابينه وبين بعض قبائل اللواء من اضغان وحزازات ، ولعلها اختارته لهذا السبب بالذات ، فما دام أن الهدف هو قسر تلك القبائل على دفع الضرائب فلن تجد من يصلح لهذه المهمة خيرا منه ، وهذا مؤشر آخر يدل على ان الاتجاه المبكر للنظام الجديد هو التعامل مع المشكلة القبلية عن طريق القوة . ولقد كان سعدون عند حسن ظن من اختاروه اذ اتبع سياسة العنف والقسوة تجاه القبائل، [٤] التي كان رد فعلها

---

(١) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ١٤٢ .

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٥ ، والغراف نهر يتفرع من دجله قرب مدينة الكوت ويجرى نحو الجنوب الشرقي مسافة مائة وعشرين ميلا تقريبا ليصب في نهر الفرات وهو يسمى احيانا بـ" شط الحى" وتحمل المنطقة الواقعة على ضفافه الاسم نفسه ، راجع :
لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٢ ، ص ٨٨٩ .

(٣) Dickson, The Arab of the Desert, P. 556. وأيضا الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٧٨ .

(٤) Ibid.

هو التحفز لمواجهته. وكانت اولى المتحفزين عشيرة "الأزيرق"(١) التي تقطن الأراضي المجاورة لمدينة الناصرية مباشرة، فساق سعدون نحوها اتباعه ومن صحبهم من القوات الحكومية ووقع القتال بين الطرفين في شهر رمضان ١٣٢٦هـ/اكتوبر ١٩٠٨ م حيث دارت الدائرة خلاله على سعدون ومن معه. ولكنه لم ييأس بل اعاد الكرة ثانية فكان الفوز حليفه هذه المرة مما رفع من شأنه في اعين قبائل اللواء فزاره شيوخها وقدموا خضوعهم له.(٢)

ولم يستفد سعدون والسلطات المحلية في اللواء من تلك الفرصة في العمل على تأليف قلوب القبائل واقناعها بدفع الضرائب المستحقة، ولكنه مال الى استخدام القوة التي أتيحت له في تصفية الحسابات القديمة مع ابناء عمه ومن يؤيدهم في منطقة الغراف. وكانت خطوته الاولى في هذا السبيل أن طلب وبتأييد من والي البصرة، (٣) ابعاد ابن عمه فالح باشا عن الغراف، فأستجابت الحكومة لطلبه ونفي فالح الى البصرة مع ولده عبدالله، ولكنه أسر لابنه الآخر عبدالكريم بضرورة السعي لاستقطاب ولاء القبائل وحشدها لمجابهة سعدون مااستطاع الى ذلك سبيلا. وقد نفذ عبدالكريم أمر والده وأستطاع أن يضم الى جانبه عشائر عبوده(٤) والبوسعد(٥)

---

(١) عشيرة من العشائر المكونة لثلث الاجود من اتحاد قبائل المنتفق وهي تقيم في مقاطعة البطنجه شمال مدينة الناصرية، راجع: الطاهر، العشائر العراقية، ص ص ١٧٠ - ١٧٣.

(٢) الطاهر، مرجع ذكره، ص ٣٦٥.

(٣) Glubb, Arabian Adventures, P.42

(٤) عشيرة اصلها من قبيلة ربيعة ولكنها انضمت لثلث الاجود من قبائل المنتفق ونالت حظوة لدى زعماء ذلك الاتحاد من آل سعدون، راجع: العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ٩٩.

(٥) عشيرة صغيرة تسكن الى الشرق والجنوب الشرقي من مدينة الشطرة، وهي احدى عشائر ثلث الاجود ايضا، راجع: الطاهر، العشائر العراقية، ص ص ٢١٢ - ٢١٣.

وبني زيد (١) . وتصدى الجميع لقوات سعدون ومظهر بك الزاحفه نحو مدينة الشطرة ،فجرت بين الطرفين معركة عنيفة انتهت بأنتصار سعدون والقوات الحكومية ودخولهم تلك المدينة . (٢)

وصادف أن توفي في هذه الاثناء فالح باشا في البصرة (٣) ،وتمكن ابنه عبدالله من مغادرة البصرة والعودة الى الغراف (٤) ،فأستعد على الفور لخوض جولة جديدة من الصراع مع خاله سعدون . واستنفر عشائر آل حميد (٥) وبني زيد والبوسعد وعبودة ، بينما وقفت عشائر بني ركاب (٦) وخفاجه (٧) وبعض البدور والبوشمخي (٨) مع سعدون في الجانب المقابل (٩) . ويشير

(١) مجموعة عشائرية كبيرة تقطن في المناطق الواقعة جنوب الشطرة ،وهي منتمية الى ثلث الاجود ،راجع:الطاهر ، العشائر العراقية ،ص ص ٢١٨ - ٢٢٢ .
(٢) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٦ .
(٣) روى ديكسون(The Arab of the Desert,P.56) والطاهر (العشائر العراقية ،ص ٧٨) أن وفاته تمت في ربيع سنة ١٩٠٨م ،بينما روى العزاوي (تاريخ العراق ،ج ٨ ،ص ١٨٨) انها حدثت في سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م ، وارجح الرواية الاخيرة لاننا عرفنا أن الاحداث التي سبقت نفيه الى البصرة قد حدثت في رمضان ١٣٢٦هـ/أكتوبر ١٩٠٨م .
(٤) ذكر غلوب(Arabian Adventures,P.42.) أن عودته تمت قبل وفاة والده ، ولكن ما أورده الطاهر واثبت في المتن هو الارجح حسبما اكدته المصادر القبليه المروية ويؤيده سياق الاحداث.
(٥) مجموعة عشائرية تقطن الضفة اليسرى من نهر الغراف وتنتمي لثلث الاجود راجع: الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ١٨٨ .
(٦) اتحاد عشائري يقطن الضفة اليمنى لنهر الغراف في المنطقة الممتدة بين الشطرة والحي ، وينتمي لثلث الاجود ، راجع: الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ص ٢٠٩ - ٢١١ .
(٧) قبيلة عربية قديمة متوزعة في عدة انحاء من العراق ،واصبح الجزء المتوطن منها في المنتفق يدخل فيعداد عشائر ثلث الاجود ، ويقيم في المنطقة الممتدة بين الشطرة والناصرية ، راجع : العزاوي ،عشائر العراق ،ج ٤ ، ص ٨٦ .
(٨) احد افخاذ عشيرة عبودة ،راجع العزاوي ،عشائر العراق ،ج ٤ ،ص ١٠٢ .
(٩) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٦ .

وقوف تلك العشائر الى جانب سعدون تساءولا لا يمكن تجنبه عن السر الكامن وراءه مع ما روى عن قسوة سعدون على العشائر وتصميمه على استيفاء ما بذمتها للحكومة من ضرائب . ولا أجد لذلك الموقف تفسيرا الا من خلال ترجيح احد فرضين ،اولهما أن ما نسب الى سعدون من قسوة فى معاملة العشائر مبالغ فيه بعض الشئ وثانيهما ان تلك القسوة انصبت على العشائر التى ناصبته العداء وتمسكت بالولاء لبنى عمه المنافسين . ويجد الافتراض الأخير ما يؤيده فى رواية مراقب معاصر عن اتباع سعدون لسياسة تقريب بعض الشيوخ على حساب البعض الآخر (١) ، ولا بد أن يكون الولاء هو معيار عملية التقريب والابعاد . كما لا يجب هنا اغفال أثر التنافس والحزازات بين شيوخ العشائر فى دفعهم لعقد التحالفات الآنية مع هذا الطرف او ذاك .

ولم تكن عملية الاستقطاب تلك الا تمهيداً للنزال بين الخصمين عبد الله وسعدون والذى لم يطل انتظاره ،فنشب القتال بين الجانبين فى شوارع مدينة الشطرة نفسها وادى الى قتل عدد من جنود وضباط القوة الحكومية . (٢) وقد أضطر قائدها المتصرف مظهر بك الى التخلى عن " معاونة" سعدون والاحتماء مع قواته داخل الثكنة العسكرية " القشلة " تاركا المدينة وسكانها تحت رحمة الاطراف القبلية المشتبكة فى قتال وحشى أستمر ثمانية ايام بلياليها . (٣) وانتهى القتال بأن ترجحت الكفة ضد سعدون وانصاره فأضطروا لاخلاء المدينة والانسحاب الى موقع قريب(٤) ، حيث

(١) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٥ .

(٢) Glubb, Arabian Adventures, P.42.

(٣) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٦ .

(٤) محمود ،مرجع مر ذكره ،ص ١٤٢ .

تعزز موقفهم هناك بأنضمام مقاتلي " الشويلات " (١) و" قراغول " (٢) ، ولكن ذلك لم يمنع عبدالله الفالح ومناصريه من متابعة سعدون والاشتباك معه في معركة ثانية كانت نتيجتها هزيمته أيضا وانسحابه الى موقع جديد . وهناك أخذ يلم شمل أنصاره أستعدادا لخوض جولة ثالثة من الصراع ، كادت ان تقع فعلا لولا أن شيوخ العشائر في المعسكرين أجروا اتصالات سرية فيما بينهم بعد أن أدركوا الا ناقة لهم ولا جمل في الصراع الدائر بين الخصمين اللدودين . وقد انتهت تلك الاتصالات بالاتفاق على أن ينسحب كل شيخ مع اتباعه الى ديارهم ، فنفذ الاتفاق وأضطر سعدون بعدها لمغادرة المنطقة فعبر الفرات الى الشامية . (٣)

ومما لا ريب فيه أن تلك الاحداث كانت الصدمة الاولى التي تلقتها الحكومة على أيدي قبائل المنتفق في العهد الدستوري الجديد . وقد أظهرت تلك الاحداث خطأ سياسة الاعتماد على القوة وحدها في التعامل مع القبائل التي لا يمكن أن تستكين بسهولة كما أن كل تلك الزوبعة لم تحقق للحكومة أي نفع ، فلقد نسي الهدف الاصلي الذي جاءت القوة من اجله وهو جباية الضرائب ، وتحول الهدف الى تصفية ثارات قديمة وصراع على النفوذ كان الخاسر الاكبر فيه هو الحكومة فبالاضافة الى الضربة الموجعة التي لحقت بهيبتها في المنطقة كان تخلي مظهر بك عن سعدون بالشكل الذي مر قد

---

(١) فخذ من عشيرة ال حميد ، راجع : الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ١٩٢ .

(٢) فخذ من عشيرة ال حميد ايضا ، راجع الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٠٨ .

(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٧ .

أثار نقمة الاخير على الحكومة ،حتى أنه صرح للقنصل البريطانى فى البصـــرة في شهرابريل ١٩٠٩م (ربيع الاول ١٣٢٧هـ) بأنه ينوى مقاتلتها قريبــــا ، وقد قدر القنصل بهذه المناسبة مايستطيع سعدون حشدة من القوات بحوالـــى خمسة آلاف رجل . (١) ولم تكسب الحكومة بالمقابل وذ المنتصرين الذيـــــن تجاهلوا وجودها في الغراف كليا فأصبح الأمر والنهى من تلك المنطقة بيـــد عبدالله الفالح ونصيره الاول " خيون العبيد " شيخ عشيرة العبودة .(٢) وقـــد أضطرت سلطات ولاية البصرة ازاء ذلك كله ولعدم قدرتها على اتخاذ أي اجراء الى قيد ضرائب السنوات الخمس الماضية دينا في ذمة من لم يدفعها مـــن القبائل (٣) ؛ ومن الغريب انه فى أثناء وقوع تلك الحوادث الخطيرة أختلـــف موقفا واليى بغداد والبصرة ففى حين منح الاول تأييده لعبد الله الفالـــح منح الآخر تأييده لسعدون . (٤) وكفى بهذا دليلا واضحا على الحالة المزرية التى تردت فيها الادارة فى الولايات حتى أصبحت الحزازات والضغائن الشخصية تطغى على المصلحة العامة للدولة .

ولم تغب الحالة السيئة للاوضاع فى لواء المنتفق عن ملاحظة الصحف الصادرة حينئذ فكتبت احدها تقول :- " يعجز القلم عن تعداد مـا احـاط باللـــواء

---

(١) PRO,FO 424/219, No. 23,Cons. Crow to Sir G. Lowther, April 29, 1909.

(٢) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٦ .

(٣) محمود ،مرجع مر ذكره ،ص ١٤٢ .

(٤) Glubb, Arabian Adventures, P.42.

المذكور . من البلايا والرزايا وسوء الأمنية والمضايقة وقلة الواردات وكثرة النهب والسلب . ومع الأسف كأن الحكومة نائمة عن سماع مايقع فيه او انها قاطعة أملها من اصلاحه ، فياعجبا هل لا تسأل عن واردات هذا اللواء التي كانت نحو المائة ألف ليرة حال كون سعر الاطعمة (١) تصف سعرها الحالي ، فكيف تنازلت الواردات الى الثلاثين مع مضاعفة السعر ولماذا يبقى نحو النصف ـ أي نصف الثلاثين ـ بقايا ؟ (" (٢) ، واضافت بعد ذلك مقترحة أن تعالج المشكلة بتعزيز الجيش ونزع اسلحة القبائل وتعيين مسئولين للواء من ذوي الأمانة والمقدرة . ويتبين مما كتبته تلك الصحيفة ومن كتابات مشابهة في صحف أخرى أن المشكلة القبلية كانت تؤرق لا السلطات الرسمية فحسب وأنما القطاع المتنور من الرأي العام المحلي أيضا . كما تدل تلك الكتابات على ان ما أشرت اليه من اتجاه حكومة الانقلاب الى استخدام القوة في تعاملها مع القبائل كان يلقى في هذا الوقت قبولا كبيرا في ذلك القطاع ، واذا ما كان ثمة اعتراض على ذلك الاتجاه فهو عدم الجد في تطبيقه بحزم وسرعة .

ويبدو أن ما دفع تلك الصحيفة لأيراد ذلك التعليق الحاد هو أن السلطات لم تبادر الى التحرك السريع بعد أحداث الشطرة السابقة لأسترداد هيبتها في لواء المنتفق عموما ومنطقة الغراف خصوصا . اذ فقدت السلطات الحكومية كل سيطرة لها على الاوضاع هناك حتى أنها اعتذرت في أبريل ١٩٠٩م (ربيع الاول ١٣٢٧هـ) عن توفير الحماية لاحد الرعايا الاميركان

---

(١) المقصود بالاطعمة هنا هو المنتجات الزراعية . من الحبوب.

(٢) الرقيب ، السنة ١ ، العدد ٥ ، ٤ صفر ١٣٢٧هـ/ ٢٥ شباط ١٩٠٩ ، ص ٣ .

الذى كان يرغب بالسفر من الكوت الى الناصرية عن طريق الغراف واعلنت عدم مسئوليتها عن ضمان سلامته؛ (١) والحق ان انعدام الأمن فى الشهور الاولى من تلك السنة لم يكن حكرا على منطقة الغراف التى تعد نائية نسبيا، بل امتد الى مركز الولاية نفسها حيث أخذ المسلحون يشنون الغارات تحت سمع وبصر السلطات على بعض منازل مدينة البصرة فيسلبون ويقتلون على هواهم، مما دفع بأفراد الجاليات الاجنبية المقيمة هناك الى مطالبة قناصل دولهم بالتدخل لدى الحكومة العثمانية وحثها على اتخاذ الاجراءات الحاسمة التى تطمئنهم على أرواحهم واملاكهم. (٢) وفى هذا دليل واضح على الاعياء العام الذى أحاط بسلطات الولاية.

ويمكن من ناحية ثانية تفسير سكوت السلطات الحكومية عن اتخاذ أى أجراء لمعالجة الوضع المتردى فى لواء المنتفق بأنشغالها الشديد حينئذ بمعالجة الاضطرابات القبلية فى لواء العمارة على الصورة التى مرت آنفا، فلم تشأ أن تفتح جبهة ثانية، أولم تمكنها طاقاتها المحدودة من ذلك. ولكنها ماكادت تفرغ من العمارة حتى اتجهت بأنظارها لمعالجة الوضع فى المنتفق وباتباع نفس المبدأ الذى طبق فى العمارة وهو استخدام القوة، فجمعت بعض الوحدات العسكرية تحت قيادة مصطفى باشا ووجهتها فى سبتمبر ١٩٠٩ (رمضان ١٣٢٧هـ) من الكوت الى منطقة الغراف لاخضاع قبائلها وجمع الضرائب المتأخرة المتراكمة بذمتها. (٣) ولم تظهر القبائل مقاومة

---

(١) N.A.R.S.,RG 84, Telegram from Am. Vice Cons. at Bag. to Dr. Blunt(an American missionary)at Kut.,Apr.15, 1909.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No,291, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag., Feb. 10, 1909.

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. 19-A, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., April 7, 1910.

لتلك القوة بل قدمت خضوعها لمصطفى باشا واستجابت لما طلبه من تهديم بعض القلاع (١) وجباية بعض الاموال . (٢) ولا شك أن سبب هذا الموقف غير المتوقع عائد لما تناهى الى علم القبائل من نجاح القوات الحكومية في اخضاع قبائل لواء العمارة ، وما اقدم عليه مصطفى باشا من اجراءات عنيفة في المحطة الاولى التي توقف فيها وهي " الحي " (٣) .

وبعد أن أمن مصطفى باشا الوضع في منطقة الغراف اتجه نحو مركز اللواء في مدينة الناصرية ، ووجه اهتمامه حال وصوله هناك لمعالجة مشكلة عشيرة

---

(١) تسمى تلك القلاع بلهجتهم المفاتيل جمع مفتول الذى هو برج مبني من الطين ذو درج داخلي لولبي الشكل كأنه مفتول فتلا ، ويستخدم ذلك البرج للمراقبة واطلاق النار من فتحات معدة في جدرانه ، راجع: لغة العرب، السنة ١ ،ج ٧ ، محرم ١٣٣٠ هـ/كانون الثاني ١٩١٢م،ص ٢٨٠ .

(٢) الطاهر ،العشائر العراقية ، ص ٣٦٧ ،وقد روى الشبيبي في ملحقه ان وصول مصطفى باشا للغراف قد تم في شهر ذى الحجة سنة ١٣٢٧هـ ، ولست أشك في أن ذلك سهو، يدل على ذلك انه نفسه يعود في الصفحة التالية فيذكر عزل المذكور ووصول خليفته يوسف باشا الى الغراف في السابع عشر من نفس الشهر ، ولا يعقل أن تتم كل تلك الاحداث خلال مدة لا تتجاوز اسبوعين ، وعلى هذا رجحت رواية شاهد العيان الامريكي التي تنص على ان وصول مصطفى باشا قد حدث في رمضان ١٣٢٧هـ .

(٣) N.A.R.S., RG 84, No.19- A . ، والحي مدينة صغيرة تقع على نهر الغراف على بعد ثلاثين ميلا من مدينة الكوت ، وهي مركز قضاء تابع لسنجق المنتفق . راجع :

لوريمر ، مرجع مر ذكره القسم الجغرافي ،ج ٢ ،ص ص ٩١٨ - ٩١٩ .

الأزيرق التي كان دأبها القيام بعمليات النهب والسلب[١] ،الأمر الذي جعل أهالي مدينة الناصرية يقدمون له عند وصوله الشكاوى ضد مضايقاتها ،فقرر حسم الأمر بأجلاء تلك العشيرة قسرا عن الاراضي المجاورة لتلك المدينة وقد تقدم على رأس قواته لتنفيذ عزمه ،ولكن تلك العشيرة واجهته بخطة ذكية هي الانسحاب أمامه عن بعض القرى التي كان يدخلها ويحرقها حتى اذا أنهكت قواته انكفأت عليه وهزمته هزيمة قاسية[٢] ، جعلت أحد المراقبين الاجانب المطلعين على الوضع يبدي عجبه مما حصل نظرا للفارق الكبير في تسليح الطرفين[٣] . ولكن ربما كانت الكثرة العددية قد تفوقت على جودة تسليح القوات الحكومية ، اذ انضمت الى عشيرة الأزيرق اثناء القتال عشائر حكام[٤] والعساكره[٥] والحسينات[٦] فكبدت جميعها القوات الحكومية خسائر فادحة في الأرواح[٧] ،واضطر مصطفى باشا للتراجع الى مدينة الناصرية حيث ظل محاصرا فيها .[٨] في الوقت

---

(١) محمود ،مرجع مر ذكره ،ص ١٤٢ .

(٢) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٧ .

(٣) N.A.R.S.,RG 84,No.19-A,Am.Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Apr.7, 1910.

(٤) احدى العشائر التي تنتمي لثلث بني مالك من اتحاد قبائل المنتفق وتقيم على جانبي نهر الفرات في قضاء سوق الشيوخ ،راجع العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٣٨ .

(٥) عشيرة صغيرة تنتسب في الأصل الى قبيلة كعب ولكنها منضوية لثلث بني مالك ، وتقطن على ضفة نهر الفرات بين الناصرية وسوق الشيوخ ،راجع : العزاوي ،عشائر العراق ،ج ٤ ،ص ٥٩ .

(٦) عشيرة تنتسب في الاصل لفخذ بني حسين من قبيلة الضفير ولكنها انضوت لثلث بني مالك وتقيم حول مدينة الناصرية ،راجع: العزاوي ، عشائر العراق ،ج ٤ ،ص ٩٦ .

(٧) محمود ،مرجع مر ذكره ،ص ١٤٣ .

(٨) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٧ .

الذي أخذت السلطات الحكومية فيه تستعد لمواجهة ذلك الوضع الخطير فأستدعى والى بغداد الاحتياطي واستعد للقيام بحركة متناسقة ضد قبائل المنتفق ،(١) كانت اولى خطواتها هي عزل مصطفى باشا وتعيين يوسف باشا بدله. وقد تحرك الأخير على رأس خمسة افواج من الجند وسرية مدفعية (٢) ، فمر بالكوت ثم اتجه نحو الشطرة فوصلها في السابع عشر من ذي الحجة ١٣٢٧هـ/ الحادي والثلاثين من ديسمبر ١٩٠٩م. (٣)

ومن المنطقي الأفتراض بأن يوسف باشا كان سيتجه على الفور لمعاقبة عشيرة الازيرق وحليفاتها على ما فعلته بقوات مصطفى باشا ، ولكنه فضل على مايبدو ان يوطدالأستقرار في منطقة الغراف أولا باعتبارها طريق أمداداته. ويظهر أنه سلك سبيل الاقناع للوصول الى تلك الغاية اول الأمر ،اذ انه حال وصوله الى مدينة الشطرة جمع شيوخ المنطقة وجعلهم يقسمون على وضع أنفسهم رهن اشارة الحكومة. (٤) . ولكن أحد المعاصرين المطلعين ذكر أن هدفه من استمالة اولئك الشيوخ لم يكن الرغبة في توطيد السلم بالمنطقة بل كان ضمهم الى جانبه لمقاتلة شيخ عشيرة عبوده خيون العبيد ، ولذلك فلم يستجب له منهم الا من كان مغاضبا للمذكور(٥) ، وليس بين يدي مايشير الى السبب الذي جعل يوسف باشا يعتزم ذلك العزم ،اذ لم تتعرض قواته حين أخترقت منطقة الغراف لاية مقاومة سواء من جانب خيون اوغيره ،

---

(١) N.A.R.S., RG 84, " Bagdad Annual Report for 1909", P.6.

(٢) N.A.R.S., RG 84,No.19-A,Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Apr. 7,1910.

(٣) الطاهر، العشائر العراقية ،ص ٣٦٨.

(٤) N.A.R.S., RG 84,No. 19-A, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Apr. 7, 1910.

(٥) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٨.

كما أن الشيخ المذكور لم يسهم في الاحداث الاخيرة التي أدت الى الحاق الهزيمة بمصطفى باشا . ويجعلني كل هذا أميل الى الظن بأن يوسف باشا أدرك الا سبيل لتحقيق غايته في السيطرة على منطقة الغراف الا بإضعاف نفوذ خيون الذي تزايد بشكل كبير بعد أحداث سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨ م التي مر ذكرها .

وفي سبيل الوصول الى تلك الغاية ، لجأ يوسف باشا الى وسيلة جربها بنجاح قبل ذلك في لواء العمارة ، وهي استغلال تنافس الشيوخ المعهود على الأراضي وتحريضهم على ضرب بعضهم البعض[1] ، اذ انه استمال الى جانبه عليوي الخافور شيخ آل عواد [2] بأن اعطاه مقاطعة الصديئة العائدة لخيون . ولكن خيون رفض بالمقابل أخلاء تلك المقاطعة وتحصن فيها مع بعض العشائر المؤيدة له استعدادا للمقاومة [3] ، ولذلك

---

(1) N.A.R.S., RG 84, No. 19-A,Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Apr. 7, 1910.

(٢) فخذ من عشيرة عبودة ويقال انهم ينتسبون في الأصل الى قبيلة العزة ، راجع: العزاوي ،عشائر العراق ،ج ٤ ،ص ١٠٣ .

(٣) محمود ،مرجع مر ذكره ،ص ١٤٤ ، ولكن روايته يشوبها بعض الغموض ، اذ قال أن خيون العبيد كان ملتزماً ثانويا لتلك المقاطعة من ملتزمها الاول الشيخ عبدالله الفالح السعدون ،وان يوسف باشا عزله ووضع الالتزام بالمزايدة فرسى على عليوي الخافور وشريك له بزيادة قدرها تسعمائة ليرة عن المبلغ الذي كان يدفعه خيون . فاذا كان خيون مجرد ملتزم ثانوي فلا وجه لتدخل يوسف باشا اذ ان علاقة السلطات الرسمية تكون في هذه الحالة مع الملتزم الاول ،ثم ان الزيادة التي تحققت في بدل الالتزام تذهب الى عبدالله الفالح ، فليس من المعقول أن يخلق يوسف كل تلك المشكلة من اجل مصلحة الأخير الذي سنرى عما قليل انه كان يؤيد حليفه خيون ، الا اذا كان المقصود هنا أن يوسف باشا فسخ التزام عبدالله الفالح ومنحه لعليوي الخافور ، وهو أمر ليس هناك ما يؤيده .

قرر مجلس ادارة اللواء تأديبه ومن يشايعونه [١] . ولكن يوسف باشا لم يبادر على ماعهدو الى تنفيذ ذلك القرارعلى الفور بل أدرك قلة قواته وعدم قدرتها على أداء تلك المهمة ،فأخذ يلح على القيادة العسكرية في بغداد لارسال التعزيزات اللازمة له دون أن يستجيب له أحد . [٢]

وعندما يئس يوسف باشا من الاستجابة لطلباته بادر الى التصرف بما تحت يده من قوات. ولدينا شاهد عيان على ماجرى هو القس الامريكي المبشر جون فان أيس Van Ess الذى سجل مشاهداته في تقرير قدمه للقنصل الامريكى في بغداد ومما جاء فيه :- " أرسل يوسف باشا في ١٢ مارس ١٩١٠ خمسة عشر دركيا لمهاجمة قلعة عيون واستخلاص المكان للخافور [٣] ،فأسيئت معاملة اولئك الدرك واعيدوا من حيث أتوا . وفى صباح اليوم التالى ١٣ مارس [٤] وضع يوسف باشا فوجين من الجند ومدفعين فى الخنادق خارج الشطرة ،وعلى جناحه الايمن وضع مائتى فارس تركى ،ووضع بين المشاة والفرسان عددا من البوشمخى وهى عشيرة صغيرة سلاحها مائتان وخمسون بندقية. ولقد كان

---

(١) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٨.

(٢) N.A.R.S.,RG 84,No. 18, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 24, 1910.

(٣) قالت جريدة الرقيب " السنة ٢ ،العدد ١٠٢ ،٢٠ ربيع الاول ١٣٢٨هـ / ٣١ مارت ١٩١٠ ،ص ١ " ان مهمة تلك المفرزة كانت استطلاعية واميل لترجيح ذلك اذ لا يعقل أن تكون مهمتها هجومية وهى تتألف من خمسة عشر دركيا فقط .

(٤) قال الشبيبى فى ملحقه" الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٨" ان تحرك يوسف باشا ذاك تم فى ١٤ ربيع الاول ١٣٢٨هـ وهو مايوافق ٢٦ مارس ١٩١٠ ،والترجيح هنا لاقوال شاهد العيان اعلاه الذى كان يسجل ملاحظاته اولا بأول.

يوسف باشا يتوقع ان يواجه " السناجر" لوحدهم [١] ،ولكن في خلال ساعة واحدة جاء خمسةالاف من الاعراب على الاقل [٢] من كل الاتجاهات لمساعدة السناجر. وبعد ساعة من اطلاق النار من جانب الجند [٣] ،هجم العرب فتراجع الجند أزاء النيران الكثيفة . وفي هذه اللحظة تظاهر الجناح الايسر للعرب بالهرب أمام الفرسان الترك الذين تحول أنتباههم نتيجة لذلك نحو اتجاه آخر، وفي هذه اللحظة ايضا دحر البوشمخي وهربوا متخلين عن القوات التركية ،فأحاط العرب المتحالفون بالفوجين وصبوا عليهما نيرانا كثيفة ،وقتل الرائد عبدالقادر أفندي واحد النقباء وملازمان اثنان وواحد وثلاثون جنديا وجرح أربعة وثلاثون آخرون من القوات التركية ، وتخلى الجنود الترك عن النظام وهربوا متراجعين الى الشطرة. [٤] وطوال نهار ١٣ مارس أخذ الترك الذين تمركزوا في الشطرة مرة أخرى يصبون نيرانا غزيرة على أطراف المدينة من منارة المسجد ومن ثكناتهم . وبعد أن حل الليل تجمعت القوات العربية ثانية وهاجمت المدينة من جهة غير محمية وواصلت طول الليل اطلاق النار بالرغم من ان القوات التركية لم تقاسي منه الاقليلا

---

(١) ألفخذ الرئيسي من عشيرة عبودة ويكون الشيخ العام للعشيرة من هذا الفخذ عادة. راجع: العزاوي ،عشائر العراق ،ج ٤ ،ص ١٠١.

(٢) قدر القنصل الامريكي في بغداد القوات الحكومية المشاركة في تلك المعركة بستمائة جندي بينما قدر عدد العرب بحوالي عشرة الاف رجل ، راجع: N.A.R.S., RG 84, No. 18 .

(٣) روى الشبيبي في" الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٨" أن القوات الحكومية أستمرت تطلق النيران دون أن ترد عليها القبائل حتى الظهيرة حين شنت القبائل هجومها المضاد .

(٤) روى الشبيبي" المصدر نفسه ،ص ٣٦٨" أن القوات الحكومة تركت في ساحة المعركة ايضا مدفعين أستولى عليهما العرب.

لاحتمائها خلف جدران طينية. وعند طلوع نهار ١٤ مارس بدأ نهب السوق واستمر ذلك طوال النهار ، ولقد قام السناجر والبوشمخي باكثر النهب ، ويقال ان الجنود الترك ساعدوهم أيضا - وفي حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر أمر يوسف باشا قواته بالكف عن اطلاق النار ، وفور تنفيذ ذلك تقريبا انسحب معظم العرب المسلحين من الشطرة ، ولكن النهب أستمر - على أية حال - حتى وقت متأخر من الليل ، وقد نهبت بضائع تصل أقيامها الى حدود ثلاثمائة ألف دولار. (١) وفي اليوم التالي أخبر خيون يوسف باشا بأنه سيتوقف عن الهجوم وعن مزيد من النهب اذا مامنح العفو، واشترط شرطا آخر هو طرد البوشمخي من الشطرة. ولكن يوسف باشا رفض الاستجابة لهذين الشرطين ، ومع ذلك اعلنت الهدنة لمدة ثلاثة أيام. وقد علم بأن عشيرة تدعى بني ركاب كانت في طريقها لمساعدة الحكومة ولكنها أوقفت بأمر من السلطات . (٢)

وواصل فان ايس تقريره قائلا :- "لقد غادرت الشطرة في ١٦ مارس تحت حماية أدلاء قبليين ، ولاحظت في كل مكان نوايا العرب العدائية ضد الحكومة والتي تهدف أن يصبحوا مستقلين ، وانني واثق من ان كل القبائل

---

(١) قدر القنصل الامريكي في بغداد قيمة المنهوبات بين أربعمائة وخمسين الى ثمانمائة وخمسة وسبعين الف دولار ، راجع: N.A.R.S.,RG84,No.18 بينما قدرها المقيم السياسي البريطاني في بغداد بستين ألف ليرة عثمانية ، راجع : IOR,L/p+s/10/188,Summary...April and May , 1910. P.5.

(٢) يبدو من المستغرب أن ترفض السلطات الحكومية تلك المساعدة في وقت هي فيه أحوج ماتكون لاية قوة تقف بجانبها ، واذا صحت تلك الرواية ، فربما أراد يوسف باشا أن يؤجل الاستفادة من تلك القوة حتى يتم استعداداته للجولة القادمة ، او لعله تخوف من اشتراك تلك العشيرة في نهب المدينة.

متحدة بقوة وعازمة على طرد الحكومة التركية. (١) ويخطط الترك الان لجلب قوات اكبر لمحاولة أخضاع العرب ، ولكن هذه المهمة كبيرة وتتطلب برأيي ستة عشر ألف جندي على الاقل ، ويجب أن يكون اولئك الجنود من اجزاء أخرى من الدولة مثل الاناضول والبانيا وسوريا. (٢). ان السلطة التركية مثار السخرية في كل مكان عدا المدن ، ولكن بدءا من منتصف الطريق بين الناصرية والبصرة فأن كل شيء هادئ والطرق آمنه. لقد سمعت بأن يوسف باشا سيحاكم أمام مجلس عسكري وأن الامور ستظل في وضعها الراهن حتى وصول ناظم باشا والي بغداد الجديد". (٣)

---

(١) لاأدري ما الذي قصده فان أيس بكلمة "الاستقلال ،فاذا كان ماقصده هو الاستقلال بالمعني السياسي المحدد الذي نعرفه الآن ، فذلك مجرد وهم يعكس بلا شك أحلام ذلك المبشر المتحمس ،فالاستقلال بمعناه ذاك كان بعيدا عن أذهان القبائل . أما اذا كان المقصود بالاستقلال هو ابعاد تدخل السلطات الرسمية في الشئون القبلية وخاصة مايتعلق منها بالارض والضرائب فذلك أمر مؤكد كما سبق وعرفنا . ولكن أرجح ان فان أيس قصد المعنى الاول بدليل تصويره للاحداث وكأنها صراع بين العرب والترك وما زعمه من اتحاد القبائل وعزمها على طرد الحكومة " التركية" ، وهو زعم يكفي لتفنيده ما أورده هو نفسه عن اشتراك بعض العشائر الى جانب القوات الحكومية .

(٢) يبدو ان فان أيس" استعار" ، ذلك الرأي من جريدة الرقيب" السنة ٢ ، العدد ٢٠٠١٠٢ ربيع الاول ١٣٢٨هـ/ ٣١ مارس ١٩١٠م ،ص١ " ، اذ انها كتبت قبل أن يرسل تقريره بأسبوع واحد تطالب بأستقدام قوات حكومية من ولايات أخرى لمواجهة الاضطرابات القبلية لان الاوهام سيطرت على نفوس جنود الفيلق السادس المرابط في العراق وأصبحت تسبب لهم ما يشبه الرعب عند صدامهم مع القبائل .

(٣) N.A.R.S.,RG84,No.19-A,Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Apr. 7, 1910.

خرج يوسف باشا وقواته من ثكناتهم بعد انسحاب المهاجمين فحصنوا المدينة واحاطوها بالمتاريس خوفا من عودة العشائر للهجوم عليها ، خاصة وان تلك العشائر ظلت ترابط حول المدينة وتتبادل أطلاق النار باستمرار مع القوات الحكومية الموجودة فيها . (١) ويبدو أن الحصار الذى ضربته العشائر حول الشطرة كان محكما فقد عزلت المدينة تماما عن المدن المجاورة مثل مدينة الحى التى كانت ترابط فيها كتيبة واحدة من المشاة ، ومدينة الناصرية التى كانت فيها تسع كتائب مشاة ، ولكن القوات الموجودة في هاتين المدينتين لم يتيسر لها نجدة الشطرة لان افراد العشائر سيطروا على الطرق المؤدية اليها . (٢) وقد أضر ذلك الحصار وماسبقه من احداث بأهالى الشطرة مما جعلهم ينقمون على يوسف باشا ويرفعون الى ولاية البصرة شكايات تحمله مسئولية ماحاق بهم من مصائب . (٣)

وتبرز أمامنا هنا مرة ثانية ظاهرة التناقض بين موقفى والبى البصرة وبغداد ، ففى حين تلقف الاول الشكايات التى وصلته ضد يوسف باشا فأستنكر ما أقدم عليه من اجراءات بحجة انه لم يحطه علما بها ،أتصل الثانى بالناصرية برقيا ووعد بأرسال التعزيزات اللازمة ليوسف باشا . (٤) وقد نفذ بالفعل وعده تلك فأرسل على الفور عددا من الجند وعدة مدافع آلية حديثة من بغداد الى منطقة الغراف (٥) ، كما أشار المقيم السياسى البريطانى فى

---

(١) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٩ ،وجعل الشبيبى فى ملحقه مدة الحصار الذى فرض على الشطرة مائة يوم كاملة ، وهو تحديد مبالغ فيه كما سيكشف لنا تسلسل الاحداث التالية.

(٢) IOR,L/p+s/10/188,Summary... April and May 1910,P.5.

(٣) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٩ .

(٤) محمود ،مرجع مر ذكره ،ص ١٤٥ .

(٥) N.A.R.S., RG 84,No. 19,Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 29, 1910.

بغداد الى تعزيزات اخرى أرسلت من العمارة والبصرة عبر نهر دجلة الى الكوت ومنها لمنطقة الغراف سالكة ذلك الطريق الطويل لتجنب المرور عبر طريق الناصرية - الشطرة الذى تسيطر عليه العشائر . واعرب ذلك المقيم عن اعتقاده بأن الحكومة رغم كل تلك التعزيزات لن تكون قادرة على التحرك المؤثر فى مناطق المنتفق حتى حلول فصل الخريف حيث تنخفض مياه الفيضانات التى كانت طاغية حينئذ في ذلك الجزء من البلاد . (١)

ولم يصدق توقع المقيم اذ مالت السلطات العثمانية لحسم المشكلة بشكل سريع، ولعل الذى قوى لديها ذلك الميل انهيال البرقيات على وزارة الداخلية في استانبول من والبى بغداد والبصرة والتى تطالب بانزال أقصى العقوبات بمثيرى الفتن (٢) . وعلى هذا صدرت الاوامر بتشكيل قوة بقيادة محيى الدين باشا وتوجيهها نحو الغراف لفك الحصار عن قوات يوسف باشا والتعاون معها فى سحق حركة العشائر. وبالفعل تقدمت تلك القوات من الكوت على ظهر السفينتين" فرات " و " رصافه" ووصلت فى العشرين من مايو ١٩١٠ م (العاشر من جمادى الاولى ١٣٢٨ هـ) الى قرية " البوطيان " (٣) حيث أنزل الجنود هناك وسرعان ماشن عليهم ابناء العشائر الكامنون هناك هجوما مفاجئا ثبت الجند أمامه وصدوه بصورة قوية ثم دمروا القرية بعد نهبها

---

(١) IOR,L/p+s/10/188, Summary... April and May 1910,P.5.

(٢) برو، مرجع مر ذكره ،ص ٢٠٣ .

(٣) ينتمى البوطيان لفخذ " عبودة العرب" من عشيرة عبودة ،راجع : العزاوى ،عشائر العراق ،ج ٤ ،ص ١٠٣ .

وتقدمت القوة بعدها نحو قرية " البونجيم" (١) فدمرتها أيضا بعد أن طردت سكانها ، وهناك جددت عشيرة عبودة الهجوم بعد أن انضمت لها فـــرق من بني زيد والبوسعد ، ولكن المهاجمين سرعان ماتخاذلوا وهربوا من الميدان بعد قتال أستمر ساعة واحدة عززت خلاله القوات الحكومية من السفينتيـــن المرافقتين . وقد أنفتح الطريق بعد تلك المعركة لمحيي الدين وقواتـــه فدخلوا مدينة الشطرة واحدثوا فيها دمارا كبيرا . (٢) وروى القنصـــل الامريكي في بغداد أن تلك المعركة التي أشترك فيها الألاف من ابناء القبائل قد جرت في الخامس عشر من مايو (الخامس من جمادى الاولى) وليس فـــي العشرين من مايو (العاشر من جمادى الاولى) كما روى المقيم ، واضاف أن القوات الحكومية تكبدت فيها خسائر كبيرة ، فرغم أن السلطات الرسميـــة لم تعلن عن تفاصيل خسائرها الا أن وصول باخرة تحمل ستين جريحا الـــى بغداد يمكن أن يدل على حجمها . (٣)

عزز ذلك الانتصار من مركز السلطات الحكومية في المنطقة حتى مالـــت بعض العشائر لهجر حلفائها السابقين وتقديم خضوعها للحكومة ، ومنهــــا عشيرة بني زيد التي جاء شيوخها الى يوسف باشا في الحادي والعشريـــن من مايو (الحادي عشر من جمادى الاولى) فأقنعهم بالتعاون مع أنصــــار الحكومة من البوشمخي لقتال المعارضين . (٤) ويبدو أن ذلك هو ماحـــدث

---

(١) فخذ من عشيرة عبوده ينتسبون في الاصل لقبيلة شمر ، راجع: العزاوي : عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١٠٣ .

(٢) IOR,L/p+s/10/188, Summary ... June 1910,P.5.

(٣) N.A.R.S.,RG84,No.11 Am . Cons. at Bag. to Am. Amb.at Const., May 26, 1910.

(٤) IOR,L/p+s/10/188, Summary... June 1910, P. 6.

بالفعل فقد خرجت القوات الحكومية والعشائر الموالية لها وأشتبكت مع قوات العشائر المعارضة في قتال عنيف جدا ، التحم المتقاتلون في بعض مراحله في معارك بالسلاح الابيض،ترجحت بعدها كفة الموالين للحكومة فتمكنوا من احراق عدد من القرى الصغيرة ، كما تمكنت كتيبتان من الجند من تدمير قلعة عليوي الخافور" كبير المتمردين" ،وقيل ان الخسائر بالارواح التي تكبدتها العشائر خلال ذلك كله كانت ضخمة (١) . ويلفت الانتباه هنا وصف المقيم السياسي البريطاني لعليوي الخافور بأنه" كبير المتمردين" في الوقت الذي عرفنا فيه سابقا أن هذا الشخص نفسه كان سبب تأزم المشكلة حين أراد يوسف باشا أخذ مقاطعة الصديفة من خيون واعطاءها لـه ، ولكن يبدو أن عامل العصبيه القبلية لديه تغلب على عامل المصلحة ، فأنضم الى عشيرته حين رأى القوات الحكومية تنكل بها .

وهكذا أستطاعت القوات الحكومية أن تفرض سيطرتها على منطقة الغراف بعد أن حققت نصرا واضحا لم يحل بينها وبين تحقيقه أطلاع العشائر على نواياها وتحركاتها من خلال تواطؤ بعض موظفي البرق مع تلك العشائر وامدادهم أيها بالمعلومات المطلوبة (٢) . ولا شك أن لتفوق القوات الحكومية على العشائر في مجالي التسليح وسرعة الحركة بالبواخر أثرا كبيرا في تحقيق ذلك النصر الذي يجب ألا ننسى مساهمة العشائر الموالية في صنعه . أما في الجانب المقابل فقد كانت العشائر المعارضة تعاني من الحاجة للذخيرة والمؤن ، ومما زاد في تلك الحاجة أن اتباع سعدون باشا الذي كان

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

مقيما في الشامية أستولوا خلال ذلك على خمسة وعشرين صندوقا من الذخيرة وكمية من التمور كانت مرسلة للعشائر المعارضة فسلموها للقائد العسكري في مدينة الناصرية (١) . ويبدو أن تلك الامدادات أرسلها عبدالله الفالح السعدون على حد قول " الرقيب " التي حملته مسئولية الاحداث التي وقعت في منطقة الغراف ووصمته بالخيانة وطالبت الحكومة بقطع دابره. (٢)

ولقد كان لحوادث الغراف تأثيرات أمتدت الى بقية مناطق لواء المنتفق ، فقد ذكر المقيم السياسي البريطاني في بغداد أن حوض الفرات الاسفل كان في أثناء جريان تلك الحوادث في حالة قلقة جدا ، وفي أواسط أبريل ١٩١٠ (اوائل ربيع الثاني ١٣٢٨هـ) تطور الموقف هناك بشكل خطير حين هاجمت عشيرة حكام مدينة سوق الشيوخ . وعلى الرغم من أن سلطات اللواء أرسلت طابورا من القوات الحكومية لمعالجة الأمر الا أن المواصلات بين ذلك المكان و " هور الحمّار " (٣) أصبحت غير ممكنة . وعلق المقيم على تلك الاحداث قائلا انها ربما كانت نتيجة غير مباشرة لنقص هيبة السلطات

---

(١) Ibid.

(٢) الرقيب ، السنة ٢ ، العدد ١٢٠ ، ٢٠ جمادى الاولى ١٣٢٨هـ / ٢٩ مايس ١٩١٠ ، ص ١ .

(٣) بحيرة تصب فيها الافرع الخمسة التي يتفرعها نهر الفرات بعد مدينة سوق الشيوخ ، وتمتد نحو مدينة القرنة في الجنوب بطول ١٣٠ كلم وعرض ٤٨ كلم ، راجع:
جاسم محمد الخلف ، جغرافية العراق ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ص ١٧٩ - ١٨٠ .

العثمانية الذى نجم عن نكبة الشطرة (١) . وقد مر بنا كيف ثأرت القوات الحكومية من مرتكبيها ولم يتجاوز الأمر مرحلة الثأر الى مرحلة معالجة عوامل الاضطراب السائدة فى ذلك اللواء البائس. أما الوكيل القنصلى الامريكى فى البصرة فقد أعرب عن اعتقاده بأن أستقرار الأمور فى اللواء يعتمد كثيرا على ماسيبديه الوالى الجديد ناظم باشا من مقدرة على توجيه مسيرة الأحداث (٢) .

ناظم باشا وقبائل المنتفق

ربيع الثانى ١٣٢٨ - ربيع الاول ١٣٢٩هـ/مايو ١٩١٠ - مارس ١٩١١م .

مر فى الفصل الاول الظروف التى تم فيها تعيين حسين ناظم باشا لولاية بغداد وقيادة القوات فى العراق ، والأسس العامة التى وضعها لمعالجة المشكلة القبلية. ولقد وصل الوالى الجديد لمقر عمله بينما كانت القوات الحكومية تواصل بنجاح عملياتها الحربية ضد العشائر المعارضة فى منطقة الغراف ، تلك العمليات التى توجت بأنتصار واضح للحكومة ، مما جعل قبائل لواء المنتفق ترسل لناظم باشا معلنة استعدادها مستقبلا لدفع الضرائب الحكومية المقررة عليها (٣) . ويبدو أن ذلك العرض سهل عليه تطبيق المبدأ الرئيسى من مبادئ سياسته الا وهو جمع القوات الحكومية فى بغداد فأصدر أوامره بسحب القوات الموجودة فى لواء المنتفق . (٤)

---

(١) IOR,L/p+s/10/188, Summary... April and May 1910,P.5.

(٢) N.A.R.S., RG 84,No. 326,Am. Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag., May 21, 1910.

(٣) Ibid.

(٤) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٣٦٩ .

وقد ترتب على سحب القوات في المنتفق لجوء السلطات الى اتباع طريقة جديدة في استيفاء الضريبة المقررة على المنتجات الزراعية من الحبوب التي تشكل اغلبية انتاج اللواء ، اذ أمر وكيل متصرف المنتفق القائمقامين ومدراء النواحي التابعين له في شهر يونية ١٩١٠م (جمادى الاخرة ١٣٢٨هـ) بأبلاغ القبائل في مراكزهم أن الحكومة لن تستوفى تلك الضريبة منها مباشرة في المستقبل ،بل سوف تستوفيها من التجار الذين يشترون الحبوب من القبائل ويرسلونها للبصرة لغرض التصدير ،فعند مرور السفن العائدة لهم والمحملة بالحبوب في مدينتي القرنة والحي تقوم السلطات الحكومية هناك بحصر حمولة كل سفينة واستيفاء الضريبة المقررة عليها وتزويدها بشهادة عدم معارضة كي تواصل سيرها (١) . ولا شك أن ذلك الاجراء أتسم بشيء من البراعة ، فهو يجنب الحكومة مؤونة الاحتكاك مع القبائل التي كانت تتهرب دائما من دفع تلك الضريبة ،ويجعل تلك القبائل تحرص على التفاهم مع التجار على خصم تلك الضريبة من السعر الذى يدفعونه لمنتوجاتها الزراعية والا فأن التجار سيمتنعون عن الشراء ، كما أن الجزء المخصص من تلك المنتوجات لاستهلاك القبائل غذاءا أوعلفا سيصبح معفوا من أية ضريبة وفي ذلك بعض التخفيف من اعباء حياتها .

ورغم مافي ذلك الاجراء من البراعة الا أن مبرره الاساسي هو ضعف سيطرة السلطات الحكومية في ذلك اللواء بعد انسحاب القوات طبقا لخطة ناظم باشا ، وقد صور القنصل البريطاني في البصرة الاوضاع التي اعقبت ذلك الانسحاب تصويرا مأساويا حين كتب في الخامس والعشرين من يونية ١٩١٠م (السادس عشر من جمادى الآخره ١٣٢٨هـ) :- " أن يوسف باشا الذى كان مسئولا

---

(١) IOR,L/p+s/10/188, Summary... June 1910,P.6.

عن (الاصلاحات) هناك أعيد أستدعاءه لبغداد ، ولقد سحبت كافة القوات ولم تترك الا كتيبة من" النيشانجي" فقط ،فأصبحت السلطة التركية هناك معدومة القوة تماما ولا يمكن ان تجمع الايرادات الحكومية. ولم يعد بأمكان البواخر والصنادل والقوارب أن تسير في نهر الفرات الا اذا رافقها حماة من العرب والا اذا دفعت (مراضاة) لأي من رجال القبائل الذي يعترضون مرورها ويقررون فرض الاتاوة عليها . ان قائمقام الرديف أثناء انحداره في النهر هوجم على ايدي العرب واهين حين اسقط طربوشه ومزقت ملابسه وسلب وبصق عليه. واوضح معاون المدعي العام في الناصرية ،الذي وصل هنا للتو، أن الحكومة اصبحت موضع سخرية العرب وان الموظفين يهانون علنا في الشوارع من قبل الرجال العرب ونسائهم أيضا . فبينما كان متصرف الناصرية بالوكالة يمر منحدرا في النهر بقاربه تجاري بصحبه موافق عربي قذف بالاحجار واطلقت عليه النار من الضفتين ، ان منظر الطربوش أصبح شيئا مقيتا وغير مسموح به خارج أي من المدن ،ومن يغامر بلبسه يتهجم عليه ويسخر منه ، لذا أستقال العديد من الموظفين من مناصبهم. ولأن الحامية التركية سحبت من سوق الشيوخ فقد أنزل العلم من فوق الثكنات اذ لم يعد هذا العلم يوفر الحماية. قيل بأن المتأخرات من الضرائب التي تطالب بها الحكومة تقدر بأكثر من ثلاثمائة الف ليرة تركية عن الفترة منذ سنة ١٣٠٠ وحتى هذا التاريخ ".

وأضاف القنصل في نفس تقريره قائلا :ـ" غادر الوالي الى المنتفق هذا اليوم للتباحث مع الشيوخ ، وقد فهمت أن العرب خارج السيطرة تماما ، وحتى لو امكن اعادة الشيوخ أنفسهم للصواب فأن افراد قبائلهم ستاءون كلية من سوء الادارة المستمر في اللواء وسوف لن يطيعوا رؤساءهم. ان السبيل الوحيد أمام الترك ، كما يبدو لي ،هو التنازل عن تلك المتأخرات الكبيرة

من الضرائب والتي كان جزء كبير منها بلا ريب قد دفع فعلا ولكنه أختلس، وارسال موظفين نظيفي الايدى لتنفيذ خطط عادلة مستندين الى قوة طواري، تفرض تنفيذ أوامرهم عند الحاجة ". (١) فلا غرابة والحالة تلك أن قال أحد المعاصرين أن هيبة الدولة في لواء المنتفق انتهت تماما بانسحاب قوات يوسف باشا (٢).

ولمواجهة ذلك الوضع المتردى ومحاولة ايجاد مخرج منه، سافر والي البصرة سليمان نظيف بك الى لواء المنتفق في السادس عشر من جمادى الآخرة ١٣٢٨هـ/ ٢٥ يونيه ١٩١٠م عن طريق نهر الفرات فمر في سوق الشيوخ ومكث فيها يوما واحدا ثم غادرها للناصرية حيث مكث فيها خمسة أيام ثم توجه للشطرة ومكث هناك ثلاثة أيام، وكان برنامجه اليومي خلال وجوده في المدن الثلاث مزدحما بلقاءات مستمرة مع شيوخ القبائل والعشائر (٣). ويبدو أن نتائج تلك اللقاءات كانت مشجعة لدرجة جعلته يبرق الى ناظم باشا قبل ان يختتم زيارته ليعلمه أن قبائل اللواء قدمت له طاعتها وخضوعها (٤)، فما هي النتائج الفعلية التي تمخضت عن تلك الجولة ؟.

لقد سجل القنصل البريطاني في البصرة تلك النتائج حين كتب في الرابع عشر من يوليه ١٩١٠م (السادس من رجب ١٣٢٨هـ) قائلا :-" عاد الوالي

---

(١) PRO,FO 424/224,No. 38, Cons. Crow to Sir G. Lowther, June 25, 1910.

(٢) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٣٦٩.

(٣) الرقيب، السنه ٢، العدد ١٣٩، ١٤٠ رجب ١٣٢٨هـ/ ٢١ تموز ١٩١٠م، ص ١.

(٤) IOR,L/p+s/10/188, Summary of Events in Turkish Iraq during the month of July 1910, P.5.

من المنتفق في الثالث من الشهر الجاري،بينما وصل للناصرية موسى كاظم أفندي الذي عين مؤخرا متصرفا للمنتفق. لقد زار الوالي سوق الشيوخ والناصرية والشطرة وعقد اجتماعات مع الشيوخ العرب، كما قيل أن الصلوات أقيمت على قبور الجنود الذين قتلوا في الصدام مع العرب . تعهد الشيوخ بدفع العشور عن سنتي ١٣٢٥ و١٣٢٦ ، وحفظ الطرق مفتوحة ،وإعادة بنادق الماوزر التي سلبت من الجند ، وقد سمعت بأن أثنتي عشرة بندقية منها أعيدت بالفعل . كما قدم بعض الشيوخ تعهدات مكتوبة تنص على تنفيذ تلك البنود واعلان خضوعهم للحكومة العثمانية ، وشكلت لجنة للتحقق من الأضرار والمنهوبات التي تكبدها أهالي الشطرة نتيجة لهجمات العرب. يبدو الوالي متفائلا ، وقد أخبرني شخصيا برضاه عن نتائج زيارته ، كما أخبر زميلي الروسي بأنه ليس لتركيا من الرعايا من هم أفضل من عرب المنتفق. وقد علمت من مصادر أخرى بان الاجراءات التي أتخذت ستكون غير ذات نفع لأن العرب لن يصفوا لشيوخهم"(١) ولا أدري أن كان حديث سليمان نظيف بك هذا عن افضلية عرب المنتفق يعني انه قد غير موقفه الذي مربنا سابقا والداعي الى أستخدام الشدة مع القبائل(٢) أم انه كان مضطرا لتقبل الامر الواقع الذي فرضه تصميم ناظم باشا على خطته.

هذا ومن ناحية أخرى ،فأن ناظم باشا طبق في المنتفق الركن الأخر من اركان خطته وهو الاجتماع برؤساء القبائل وممارسة تأثيره الشخصي عليهم ،

---

(١) PRO, FO 424/224, No. 45, Cons. Crow to Sir G.Lowther, July 14, 1910.

(٢) راجع الفصل الاول ،ص ١٤٤.

فقد وصل لبغداد فى أوائل شعبان ١٣٢٨هـ/اغسطس ١٩١٠م مزيد باشا السعدون فقابل الوالى ، وتبرع قبل أن يقفل راجعا بمبلغ خمسمائة ليرة مساهمة منه فى جهود تطوير الفيلق السادس. (١) ثم تلاه أبن أخيه عبدالله الفالح السعدون فقابل الوالى أيضا ثم حذا حذو عمه بالتبرع بخمسمائة ليرة للفيلق وخمسين ليرة لبناء احد المستشفيات بعد أن كان قد تبرع قبلها بثلاثمائة ليرة للاسطول . (٢) وجاء بعدهما دور سعدون باشا السعدون فوصل بغداد فى رمضان ١٣٢٨هـ/ سبتمبر ١٩١٠ وأهتم به ناظم باشا اهتماما كبيرا ، جعل القنصل الامريكى فى بغداد يصف زيارته بأنها مهمة جدا لانها المرة الاولى التى يزور فيها بغداد ، ثم بالغ القنصل بعض الشىء حين أضاف بأن المذكور كان فى الماضى يؤكد دائما على أن مركزه لا يقل اهمية عن مركز الوالى وان من واجب الأخير ان يقوم بزيارته بنفسه باعتباره أبرز السكان . (٣) ويلاحظ هنا أن مقابلات ناظم باشا قد أقتصرت على أولئك الرجال الثلاثة من آل سعدون دون سواهم من مشايخ المنتفق ، ولا يمكن تفسير ذلك الا بأحد أحتمالات ثلاثة ، اولها أن الوالى قد اعاد الاعتراف بزعامة تلك الاسرة لاتحاد قبائل المنتفق

---

(١) صدى بابل ،السنة ٢ ،العدد ٥٢، ٦ شعبان ١٣٢٨هـ،ص ٢ .

(٢) صدى بابل ،السنة ٢ ،العدد ٥٤، ٢٠ شعبان ١٣٢٨هـ،ص٢ ، والطريف أن جريدة الرقيب" السنة ٢ ،العدد ١٥٣، ١٩ شعبان ١٣٢٨هـ،ص٣ " وصفت عبدالله الفالح بمناسبة وصوله لبغداد بأنه" الكريم الكامل الذى عرف العموم فضله وكرمه وخدمته واخلاصه لحكومته وطاعته لها . . . " ،متناسيه انها وصمته قبل ثلاثة أشهر فقط بالخيانه وطالبت السلطات بقطع دابره .

(٣) N.A.R.S., RG 84,No. 172, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Sep. 8, 1910.

بعد أن كان ذلك الاعتراف قد سحب رسميا بعد أحداث سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨٨١م كما عرفنا ، وثانيهما أن مشايخ الثلاث ذلك الاتحاد ورؤساء عشائره قـــد تجنبوا الذهاب الى بغداد لحذرهم الموروث من التعامل المباشر مـــع السلطات الحكومية ، وثالثها أن أولئك الزعماء الثلاثة قد زاروا الوالي الجديـــد بمبادرة من انفسهم ، واذا أستبعدنا الاحتمال الاخير لكوننا نعرف ان ناظم باشا كان هو الذى يبادر حسب خطته لدعوة الشيوخ المختلفين للقائـــه فأن الاحتمال الاول يبدو لي هو المرجح اكثر من غيره .

وليس بين يدى أي شيء محدد يشير الى طبيعة محادثات ناظم باشـــا مع أولئك الشيوخ الثلاثة ، مما يجعلنى أميل الى الظن بأنها لم تخرج عـــن اطار العموميات التى عرفناها والخاصة بالحث على طاعة الدولة والاخلاص لهـا ، اذ لم تنقل المصادر مايدل على أية اجراءات عملية تمخضت عنها ، وأن كانـت بعض المراجع قد أشارت الى ان ناظم باشا بعد ختام مقابلاته العديـــدة مع سعدون قد عينه متصرفا للواء المنتفق (١) . ولابد وأن لهذا القول سنـــدا من الواقع ، اذ سبق أن عرفنا أن موسى كاظم أفندى قد عين متصرفا لذلـــك اللواء وانه أستلم مهام منصبه قريبا من هذا الوقت . ثم أن أمرا مثل ذاك لوحدث لذكرته الوثائق ، ولما اغفلته الجرائد الصادرة فى بغداد والتى تابعـــت نشر أخبار زيارة سعدون ، فقد اكتفت " صدى بابل" وهي اكثر تلك الجرائـــد أهتماما بنقل تفاصيل تلك الزيارة ، بالقول عند سفره :- " ومما بلغنا مـــن همته انه سيبذل غاية سعيه في انتشار الامن فى تلك الانحاء ويحصل علـــى سعادة تلك البلاد مما يأتي بخير جزيل للحكومة ولحضرته ان شاء الله" (٢) .

---

(١) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٧٨ ، وايضا :
Dickson, The Arab of the Desert, P. 556.

(٢) صدى بابل ، السنه ٢ ، العدد ٦٤ ، ٢٥ شوال ١٣٢٨ هـ ، ص ٢ .

ورغم كل ذلك فقد مال احد الباحثين الى ترجيح ان نـاظم باشا قد انـاط بسعدون مهمة أخضاع قبائل المنتفق والعمل على نزع سلاحها ونشر نفـوذ الحكومة في مناطق غرب الفرات (١) ،ولا تبدو لي الاسس التي تبنى عليهـا ذلك الترجيح مقنعة بشكل كاف .

وجدير بالذكر هنا أن الخطوط العريضة لسياسة ناظم باشا القبليـة قد تعرضت لهجوم مرير من بعض الاوساط المحلية الساخطة التي اعـدت لذلك الغرض كتيبا طبع في القاهرة ووزع سرا في بغداد على نطاق واسـع خلال شهرأغسطس ١٩١٠م (٢) ، (شعبان ١٣٢٨هـ) ومما جاء في ذلـك الكتيب :ـ" لقد استدعى ناظم باشا بعضا من الزعماء والشيوخ العرب لمجلسه وهدد هم ثم اعادهم لديارهم ،والواقع ان شخصا عسكريا ذا ذكاء محدود مثل ناظم باشا لا يستطيع أن يتصرف بطريقة أخرى ،فلو كان رجلا حكيما لسأل الزعماء عن سبب قتالهم ثم فكر في بعض الوسائل لمنعه كما يفعل الطبيب الجيـد حين يسأل المريض اولا ثم يفحصه ويشخص مرضه ويصف له الدواء . . . كمـا طلب من الزعماء العرب أيضا دفع الضرائب الحكومية ولم يسألهم عما اذا كانـت تلك الضرائب تجبى بصورة عادلة أم لا ولم يسألهم عن زراعتهم ،وعـن محاصيلهم . . . ولقد أمر العرب أيضا بجمع بنادقهم وتسليمها له ،وذلك أمـر مستحيل التنفيذ لان ناظم باشا لم يشرح للعرب أسباب الأمر ولم يضمـن لهم الحماية اذا ماسلموا اسلحتهم ثم تعرضوا بعد ذلك للهجوم. . . كمـا انه لم يستعلم من العرب عن اسباب قتالهم وغزواتهم المتبادلة وبذلك يحاول

---

(١) محمود ،مرجع مر ذكره ،ص ١٦٢ .

(٢) IOR,L/p+s/10/188, No. 736/37, Conf. Gen. Lorrimer to Sir G. Lowther, Aug. 22, 1910.

ازالة أسباب الاضطراب ونشر السلام والأمن بين القبائل ،فلوانه فعل ذلك لكان من حقه الامر بجمع السلاح وتسلمه العرب اياه لانهم لن يكونوا بحاجة اليه ... ". (١)

ورغم ماهو ظاهر في ذلك النقد من قسوة جرها سخط شديد ،الا أنني لا أملك الا الاقرار بأن هنالك شيئا من الحقيقة في ثناياه. فلو أنعمنا النظر في سياسة ناظم باشا لوجدنا أن هدفها الاساسي هو ايجادفترة من الهدوء تكفي لتطوير الجيش واعداده لقمع ماقد يقع مستقبلا من الأضطرابات القبلية ، وما اتخذ من اجراءات عدا ذلك لم تكن الا وسائل مساعدة للوصول الى ذلك الهدف ، بحيث يمكن القول أن كل ماكان ناظم باشا يأمل الوصول اليه هو هدنة طويلة مع القبائل ، وليس حلا جذريا لمشكلتها ، اذ تجاهلت الاجراءات التي أقدم عليها جذر المشكلة الاساسي وهو نظام ملكية الاراضي الزراعية ، كما ظلت مشكلة متأخرات الضرائب المتراكمة في ذمة القبائل عاملا كامنا يمكن أن يؤجج فتيل الصدام في أي وقت . ومهما يكن الحال فقد أدت سياسة ناظم باشا الى تهدئة الوضع في لواء المنتفق حتى أن فترة ولايته خلت من أية حوادث خطيرة بين القبائل والحكومة او بينها وبين بعضها .

أوضاع المنتفق خلال سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م:

لم تكد هذه السنة تبدأ حتى أضطربت الاوضاع من جديد في ولاية البصرة ،ولم يكن مركز الولاية نفسه بعيدا عن تلك الاضطرابات ،اذ شهدت مدينة البصرة وضواحيها خلال شهر يناير ١٩١١م (محرم ١٣٢٩هـ) غارات تشنها مجموعات قبلية صغيرة بهدف السرقه عن طريق الاكراه تحت تهديد

---

(1) Ibid., Enclosure No.1

السلاح مما أضطر السلطات الى استقدام تعزيزات من الدرك من بغداد(١).
أما لواء المنتفق فقد كان مسرحا لأضطراب أكثر خطورة بطله سعدون باشا
ال سعدون ، وقد مر بنا كيف تمت هزيمته في معارك الغراف خلال سنة
١٣٢٦هـ/١٩٠٨م فعبر الفرات الى الشامية. ويبدو أن تلك الهزيمة
كانت كافية لاقناعه بالكف عن التدخل نهائيا في شئون قبائل المنتفق القاطنه
في الجزيرة ، فقصر نشاطه على الشامية جاعلا هدفه فرض سيطرته على قبائلها ،
والتصدي لمن يعارض خططه فيها . لذلك دأب على شن "الغزوات "
على "الرولا" في تخوم بلاد الشام خلال سنتي ١٣٢٦و١٣٢٧هـ/ ١٩٠٨ و
١٩٠٩م (٢) ، ودخل في صراع طويل مع شيخ الكويت مبارك الصباح توجه
بأنتصاره البارز عليه في وقعة " هدية" في ربيع الاول ١٣٢٨هـ/ مارس ١٩١٠(٣)
ولقد كانت ذراعاه الضاربتان في كل تلك الوقائع هما قبيلة" الظفير" (٤) وعشيرة
البدور.

كانت قبيلة الظفير طوال الفترة الماضية مخلصة لسعدون اخلاصا
كبيرا (٥) ، ولكن ذلك الاخلاص انقلب في مطلع هذه السنة الى حالة من

---

(١) N.A.R.S.,RG 84,No. 330, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag., Feb. 4, 1911.

(٢) النبهاني ،مرجع مر ذكره ،ص ص ١٢٩-١٣١ وأيضا Glubb,War in the Desert,P.115 والرولا فخذ كثير العدد من بطن ضنا مسلم من اتحاد قبائل عنزه في شمال شبه الجزيرة وبلاد الشام ،راجع:-

Musil, A., The Manners and Customs of the Rwala Bedouins, New York, 1928,P.46.

(٣) السعدون ،مرجع مر ذكره ،ص ص ١٢٥ - ١٤١.

(٤) قبيلة بدوية تقطن على حافة الصحراء غرب الفرات في المنطقة الممتدة بين السماوة شمالا والزبير جنوبا ، وهي تتكون من وحدات عشائرية " تظافرت " فيما بينها ، راجع : Dickson,Kuwait...,P.158.

(٥) لغة العرب ،السنة ١ ،ج ٣ ،رمضان ١٣٢٩هـ/ ايلول ١٩١١م ،ص ١١٣.

العداء المستحكم ، ولم تعط المصادر سببا واضحا له ، فالوكيل القنصلي الامريكي في البصرة مثلا رده الى استياء الظفير من قلة ماخصصه لهم سعدون من الغنائم الوفيرة التي تم الحصول عليها في معركة هديه سالفة الذكر ، مماجعلهم يقررون عدم الوقوف الى جانبة مستقبلا (١) . ورغم ما في هذه الرواية من وجاهة ظاهرة الا أنني لا أستطيع قبولها دون أبداء بعض التحفظ ، فتلك المعركة حدثت في ربيع الاول ١٣٢٨هـ/مارس ١٩١٠م واستمرت بعدها علاقات التحالف قائمة بين سعدون والظفير شهورا طويلة أخرى ، فالمقيم السياسي البريطاني في بغداد وصف الظفير في شهر ذي القعدة ١٣٢٨هـ/نوفمبر ١٩١٠م بأنهم حلفاء سعدون (٢) . كما أن الخلاف بين الطرفين لم يظهر الا في مطلع السنة التالية ، فلا يعقل أن يكون الظفير قد كتموا أستياءهمولم يظهروه الا بعد تلك المدة الطويلة . هذا ومن جانب آخر فقد روى النبهاني أن سبب الخلاف صدام عرضي وقع بين أحد افخاذ تلك القبيلة وأبن لسعدون (٣) ، وتوحي رواية احد المعاصرين بصحة ذلك التعليل اذ كان السبب على حد قوله طفيفا ولكن اطماع سعدون ضخمته (٤) ،

---

(١) N.A.R.S., RG 84,No. 357,Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., May 15,1911.
هذا وتفيد الروايات الشفهية القبلية المتداولة بأن سعدون ترك كل غنائم وقعة هدية للذين قاتلوا معه ، ولم يستصف لنفسه الا ماغنم من السلاح فقط .

(٢) IOR,R/15/5/25,No. 1000/1910,P.R. in Turkish Arabia to the P.A. in Kuwait, Nov. 15, 1910.

(٣) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٣٨ .

(٤) لغة العرب ، السنة ٢ ، ج ٨ ، ربيع الاول ١٣٣١هـ/ شباط ١٩١٣م ، ص ٣٦٢ .

غير أن غلوب وهو عميق المعرفة بشئون قبائل الصحراء العراقية جعل ذلك الخلاف أمرا محتما مهما كان سببه المباشر ،فتلك القبيلة وان كانت معتادة دائما على تقديم ولائها على البعد لشيخ المنتفق الا أنها ألفت التحرر في صحرائها من كل قيد ،فلا يمكن قسرها على تقديم الخضوع والاذعان على الدوام لذلك الشيخ الذى أصبح يعيش بينها خاصة وهو يتصف بشيء من العجرفة . (١)

وبغض النظر عن السبب المباشر الكامن وراء ذلك الخلاف ،فأن مظاهرة أخذت تبرز للسطح ، وكان أولها مفارقة تلك القبيلة لسعدون ،اذ ارتحلت عن الموضع الذى كان نازلا فيه خلال شهر محرم ١٣٢٩هـ/ يناير ١٩١١م (٢). ويبدو انه قد ترتب على ذلك الرحيل تأزم الموقف لدرجة خطيرة مما دفع أمير حائل ابن رشيد لبذل مساعيه الحميدة بين الطرفين فأقترح عليهما تسوية تعهد الطرفان بقبولها (٣). ولكنها لم تنفذ بعد أن رحل ابن رشيد عائدا لدياره ، وقد اختلفت المصادر في سبب عدم تنفيذها ،فعلى حين قالت الروايات العربية أن ذلك عائد لتنكر الظفير لاهم شروط التسوية المتفق عليها وهو خضوعهم المطلق لسعدون (٤) ، قال الوكيل السياسي البريطاني في الكويت أن السبب هو طمع سعدون وغطرسته ، مما ادى الى

---

(١) Glubb, War in the Desert, P. 72.

(٢) لغة العرب،السنة ١ ،ج ٣ ،رمضان ١٣٢٩هـ/أيلول ١٩١١م ،ص ١١٣.

(٣) IOR,R/15/5/25, No. C-25/C- 26, Extract from Kuwait News for week ending 5th April 1911.

(٤) خزعل ،مرجع مر ذكره ،ج ٢ ،ص ص ٢٤٠ - ٢٤١.

تألب الظفير ضده وهزمهم على قتاله ،وهو الامر الذي حاول سعدون تجنبه فرحل نحو الشمال ،ولكنهم تابعوه لانهاك قواه قبل مهاجمته ، خاصة وانهم سيطروا على الابار الواقعة على طريقه ومنعوه من الورد ثلاثة أو أربعة أيام حتى أضطر للتوقف منهكا من أثر العطش ، وعندها هاجمه الظفير واستطاعوا اكتساحه لان انعامهم كانت ريا بينما أمض العطش أنعامه ،ففر تاركا أمواله واثقاله غنيمة لهم بعد أن قتل من رجاله من لم يستطع الهرب. (١)

ولم يركن سعدون بعد تلك الهزيمة للهدوء ،بل اخذ يتحين الفرصة للثأر ، وسرعان ماتهيأت تلك الفرصة حين أقترح عليه أحد انصاره من سكان " الزبير" (٢) وهو " محمد العصيمي" (٣) أن يرسل بعض قواته الى اطراف الزبير لمضايقة قوافل الظفير التي ترد ها للامتيار (٤). وقد روى الوكيل القنصلي الامريكي في البصرة أن تلك القوافل لا تأتي بغرض الامتيار فقط وانما كانت تقوم بتجارة واسعة ، وانها كانت تصحب عادة بحماية مسلحة من أفراد

---

(١) IOR,R/15/5/25, No. C-25/C-26, Extract from Kuwait News for Week endking 5th Apr. 1911.

(٢) مدينة تقع في الصحراء على بعد ١٨ ميل جنوب غرب مدينة البصرة ،وهي المحطة الاولى في الطريق الممتد بينها وبين الكويت ونجد ،وهي سوق البدو في تلك المنطقة ،وسميت بالزبير لوجود قبر الزبير بن العوام رضي الله عنه فيها ،راجع: لغة العرب،السنة ٨ ،ج ٤ ،نيسان ١٩٣٠ ، ص ٢٥٤.

(٣) محمد بن براك العصيمي ،رجل من اهالي الزلفي في نجد ،ارتحل للعراق ، وعمل وكيلا لدى مزعل باشا السعدون احد مشايخ المنتفق ، واحتمى بعد وفاة الاخير بسعدون باشا نتيجة لخلاف ثار بينه وبين السيد طالب النقيب زعيم البصرة ، راجع : جريدة الجزيرة ،السنة ٢٠ ، العدد ٣٩٥٦ ، ١٩ شوال ١٤٠٣ هـ،ص ٨.

(٤) خزعل ، مرجع مر ذكره ،ج ٢ ،ص ٢٤١ وانظر ايضا لغة العرب،السنة ١ ، ج ٣ ،رمضان ١٣٢٩ هـ/ ايلول ١٩١١م،ص ١١٥.

القبيلة بموجب اذن خاص نالوه من السلطات الحكومية وقد علل سبب أقـــدام سعدون على التعرض لها ـ اضافة الى رغبته بالثأر ـ بحاجته الى المؤن لاعاشة رجاله المسلحين الذين كانوا محتشدين للصدام مع الامير عبد العزيز آل سعود (١) وكان الامير قد قام في غضون هذا الوقت بغزوة على اطراف العراق هدفهـــا الثأر من سعدون لما وقع في معركة هدية سالفة الذكر. (٢)

استجاب سعدون ـ على أية حال ـ لتلك النصيحه ، فأرسل قوة بقيـــادة ابن أخيه " يوسف بن عبد الله " ،أخذت تتعرض لقوافل الظفير، ولكنها مالبثـــت أن ضيقت الخناق خلال شهر جمادى الاولى ١٣٢٩هـ/مايو ١٩١١م علـــى مدينة الزبير نفسها حتى أنقطعت السبل بينها وبين مدينة البصرة وغلت فيهـــا الاطعمة غلاء فاحشا (٣) ،فهاج سكان المدينة وأضطرت سلطات الولايــــة الى ان ترسل اليها نجدة مؤلفة من حوالي مائة جندي وعدة مدافع ميدان (٤). وفيما كانت هذه الاحداث تجرى على ابواب مركز الولاية كان سعدون قد تورط في نزاع آخر اكثر خطورة في لواء المنتفق .

وقد تعددت الاقوال حول الاسباب الكامنه وراء ذلك النزاع ،فأشـــار بعضها الى ان سعدونا حاول باعتباره موظفا حكوميا تجريد قبائل المنتفـــق

---

(١) N.A.R.S., RG 84, No.357,Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., May 15, 1911.

(٢) السعدون ،مرجع مر ذكره ،ص ص ١٣٧ - ١٤١.

(٣) لغة العرب،السنه ١ ،ج ٣ ،رمضان ١٣٢٩ هـ/ ايلول ١٩١١م،ص ١١٥ وايضا خزعل،مرجع مر ذكره ، ج ٢ ،ص ٢٤١.

(٤) N.A.R.S., RG 84,No.357,Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., May 15, 1911.

من سلاحها الامر الذى أدى الى هياجها ضده متشجعة بأخبار هزيمته الاخيرة على ايدى الظفير بينما أستغل خصومه اولاد فالح باشا السعدون الفرصة فأججوا نيران ذلك الهياج (١) . ولقد تحفظت سابقا على القول بأن سعدون تولى منصبا رسميا ، ومرجع تحفظى ذلك بقاؤه طيله الفترة الواقعة بين بداية سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م وبداية سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م فى الصحراء ولا يعقل ان يمارس موظف مهام منصبه وهو هناك . واشار البعض الآخر الى أن وصول ناظم باشا والاستبشار الذى أظهرته اسرة ال سعدون بقدومه ومقابلاته مع زعمائها وما أشيع بين القبائل من انه منح تأييده لهم جعل تلك القبائل تتخوف من ال سعدون عموما ومن سعدون باشا خصوصا (٢) . ولا يمر هذا القول بدون تحفظ مثل سابقه ، اذ أن ناظم باشا وصل فى ربيع السنة السابقة ومقابلاته مع زعماء ال سعدون تمت فى الصيف التالى ، فلماذا أنتظرت القبائل الى ربيع السنة التالية كى تعبرعن مخاوفها ؟ ثم اذا كانت القبائل قد تخوفت من ال سعدون عموما فلماذا أختصت سعدونا وحده بسخطها بينما سلم منه صاحباه اللذان قابلا ناظم باشا قبله وهما مزيد باشا وعبدالله الفالح ؟

وعلى هذا فأنى أميل الى اعتبار هزيمة سعدون على ايدى الظفير هى السبب فى تأليب العشائر ضده ، اذ كشفت عن ضعف موقفه فأحس اعداءه

(١) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٧٩ و انظر أيضا Dickson, The Arab of the Desert, P. 556.

(٢) لغة العرب ، السنه ١ ، ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩هـ/ ايلول ١٩١١م ، ص ١١٢ ، وايضا غزعل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .

أن الفرصة مواتية لتصفية حسابات ضغائنهم القديمة معه ، واول من تلقف تلك الفرصة عشيرة البدور ، تلك العشيرة التى مرت علاقة سعدون بها فى فترات مد وجزر ، فقد عرفنا انه كان على خلاف معها فى الفترة السابقة لسنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، ولكنه تمكن بعد ذلك - على مايبدو - من ازالة أسباب الخلاف حتى اصبحت تلك العشيرة - مخلصة أو مضطرة - من القوى التى يعتمد عليها فى معاركه ، ولم يلبث هذا الخلاف ان تجدد ثانية فى أواخر سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م ، واستفحل أمره نتيجة للموقف الذى اتخذه البدور من النزاع الذي نشب بين سعدون والظفير ، اذ انهم وقفوا الى جانب الظفير (١). وقد علل الوكيل القنصلى الامريكى فى البصرة سبب اتخاذهم لذلك الموقف بتضامنهم مع الظفير فى الاعتراض على قسمة غنائم معركة هدية. (٢) ولكننى اعتقد ان الامر اعمق من ذلك ، فبؤرة ذلك الصراع الطويل الذى كان يخمد تارة وينشط تارة أخرى هى فيما يبدو الرغبة فى الاستحواذ على الارض ، اذ قام سعدون بعد أن نال العفو السلطانى سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م بانشاء قلعة وضع فيها بعض اتباعه فى " المائعة " وهى ديرة البدور الواقعة على ضفاف نهر الفرات شمال مدينة الناصرية. (٣)

قرر البدور حسم أمر تلك القلعة فحاصروها ، ولكن سعدونا سارع حين وصله الخبر الى ايفاد ابنه الاوسط "عجمى" لمعالجة الأمر ، فأستطاع فك

---

(١) IOR,R/15/5/25; No. C-25/C-26, Extract from Kuwait news for Week ending 5th April, 1911.

(٢) N.A.R.S., RG 84,No.357Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., May 15, 1911.

(٣) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ٥١ .

الحصار من القلعة واتخذها مقرا لاقامته ، ولم يجد البدور ازاء ذلك الا التظاهر بالاذعان بعد أن اتفقوا سرا على السعي لاغتيال عجمي عند أول فرصة سانحة والسيطرة بعد ذلك على القلعة . ولكن خبر المؤامرة وصل لعجمي فأخذ يحتاط حتى لا يؤخذ على حين غرة واصبح يقابل زياراتهم له بريبة وشك (١) . وفي هذا الجو المسمم بالكراهية والظنون جاء تسعة من زعماء البدور لزيارته في ١٢ ديسمبر ١٩١٠م (عيد الاضحى سنة ١٣٢٨هـ) فقام باعتقالهم ثم قتلهم صبرا ، (٢) بعد أن أصر والده على ذلك . (٣) وعلى الرغم مما تبع ذلك الحادث من قتال محدود سواء بين عجمي والبدور في الماثعة او بين سعدون وبينهم في الصحراء (٤) ، الا أن الصراع لم ينفجر على نطاق واسع بين الطرفين في هذا الوقت .

ولا ريب أن فقد البدور لابرز شيوخهم قد أدى الى تأخير ظهور رد فعلهم الى ان تتوفر لهم قيادة بديلة ، كما أن أستمرار سعدون محتفظا بقوته ومكانته قد ساهم في ذلك التأخير. ولكن انباء هزيمة سعدون على أيدى

---

(١) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ص ١٤١ - ١٤٤ .

(٢) PRO,FO 424/226,No.34,Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911.

هذا وتختلف الروايات في عدد اولئك الشيوخ المقتولين ، ففي حين قال النبهاني " مرجع مر ذكره ج ١٠ ، ص ١٤٢ " أن من اعتقلوا كانوا سبعة قتل ستة منهم ، قالت لغة العرب " السنة ١ ، ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩هـ ، ص ١١٦ " أن القتلى كانوا سبعة ووافقها فياض " مرجع مر ذكره ، ص ٥٠ " على ذلك ، ولكن العزاوي " عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٩٥ " جعل عدد القتلى خمسة فقط .

(٣) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٤٢ .

(٤) IOR,R/15/5/25,No. 109/111 of 1911, Extracts from Kuwait News for Week ending 14th Feb. 1911.

الظفير سرعان ما أنتشرت ،فقرر البدور اغتنام الفرصة للثأر لقتلاهم ،سيما وان والي البصرة لم يصغ لمطالبهم بمعاقبة سعدون على جريمته الشنعاء متأثرا بما القاه في روعه محمد العصيمي وكيل سعدون فى البصرة من ان القتلى كانوا يحرضون على اشعال فتن ذات عاقبة وخيمة على الحكومة. (١) وقد جعل هذا الموقف قبائل المنتفق تميل الى تصديق ما نشر بينها من روايات عن مساندة الحكومة لسعدون ومن عزمها على أرسال القوات لمعاونته ضدها ،لذلك تحركت وفرضت الحصار على عجمي ومن معه في قلعة الطائمة . (٢) ولم يقتصر ذلك التحرك على البدور فقط بل كانت الثورة ضد سعدون شاملة لاغلب عشائر المنتفق في جانبي الشامية والجزيرة ، الأمر الذى أضطره لطلب تدخل السلطات الحكومية لفك الحصار عن القلعة وايصال المؤن للمحاصرين فيها . (٣)

أستجاب والي البصرة لطلب سعدون فجهز حملة مؤلفة من السفينة المصفحة " فرات " والقارب المصفح " برتجي " وتقلان ثلاثة مدافع وحوالى مائة وتسعين جنديا يقودهم الرائد علي أفندى . وقد غادرت تلك الحملة البصرة عن طريق نهر الفرات في ١٧ مايو ١٩١١م (التاسع عشر من جمادى الاولى ١٣٢٩هـ) وكان الهدف المحدد لها هو حماية مدينة الناصرية

---

(١) PRO,FO 424/226,No.34,Acting Cons Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911.

(٢) N.A.R.S., RG 84,No. 360, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., June 20, 1911.

هذا وفي حين حدد الوكيل القنصلي الامريكي هوية المحاصرين في القلعة بأنهم عجمي وأتباعه ،ذكر وكيل القنصل البريطاني في البصرة في المصدر السابق المذكور اعلاه أن سعدونا نفسه كان ضمن المحاصرين ولكنه تمكن من الخروج من القلعة واتجه الى الخميسية. وهذا يخالف ايضا المعروف المتواتر من الروايات الشفهية القبلية.

(٣) لغة العرب ،السنة ١ ،ج ١ ،رجب ١٣٢٩ ،ص ٣٤ وأيضا خزعل ،مرجع مر ذكره ،ج ٢ ،ص ٢٤٤ .

وفك الحصار عن قلعة الماعمة ، وقبل ان تصل تلك الحملة الى وجهتها تعرضت لهجوم شن عليها شمال مدينة سوق الشيوخ أسفر عن سقوط قتيلين وسبعة جرحى من جنودها ،بينما قتل سبعة من المهاجمين . ولكن الحملة رغم ذلك واصلت سيرها واستطاعت ان تخترق الحصار وتنزل المؤن في قلعة المائعة. ولم تلبث سلطات الولاية أن عززتها فأرسلت في السادس من يونيه (السابع من جمادى الثانية) السفينة المصفحة " رصافه" وهي تقل أربعة مدافع ومائة جندى أرتموا حال وصولهم في اتون القتال الذى كان متواصلا بين القوات الحكومية والعشائر. (١)

هذا وبعد أن كان سعدون مقيما منذ هزيمته على يد البدور في " الحماديات "على حافة الصحراء" ،عاد وانتقل بعد حدوث التطورات الآنفة الذكر في المائعة الى مركز اللواء في الناصرية ،وما أن سمعت العشائر بذلك حتى اتجهت بجموعها لمحاصرة تلك المدينة (٢) ،فوفقت في احكام الحصار حولها ابتداءً من التاسع عشر من يونيه (٣) ، (العشرين من جمادى الثانيه) في الوقت الذى سرت فيه روح التخاذل في صفوف القوات الحكومية المحاصرة هناك ، فأخذ ضباطها يرفضون الامتثال لأوامر قيادتهم بالخروج من المدينة لمواجهة المحاصرين ، لانهم لا يريدون التضحية برجالهم في

---

(١) PRO,FO 424/226,No.34,Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911.

(٢) لغة العرب، السنه١ ،ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩هـ/ايلول ١٩١١م ،ص ١١٥ و١١٩ وايضا فياض، مرجع مر ذكره ،ص ٥٢ .

(٣) PRO,.FO 424/226,No. 34, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911.

قتال يجرى من جانب واحد .(١) وإزاء ذلك أضطر اهالى المدينة لاخذ زمام المبادرة فشكلوا من بينهم وفدا ذهب لمفاوضة روساء العشائر الذين اعلنوا أن مطلبهم هو أخراج سعدون من المدينة والا فأنهم سيضطرون لتخريبها وقتل من فيها .فطلب الوفد منهم مهلة ثلاثة أيام لتدبير الأمر ،وقد جرت بعد عودة الوفد محاولة لتحسين الوضع الدفاعي في المدينة مما اغضب العشائر(٢). فشنت هجوما على المدينة في الثاني والعشرين من يونيه (الثالث والعشرين من جمادى الثانيه) ،ولكن القوات الحكومية تمكنت من صده بالتعاون مع مدفعية السفن الثلاث " فرات " و " رصافة" و " برنجي". (٣) وهكذا لم يجد سعدون بدا من مغادرة المدينة الى حيث يقيم ابن عمه مزيد باشا على مقربة منها (٤) ، بعد أن أمنت له الحماية في الطريق عشيرة " ال ابراهيم ". (٥)

ومن المفيد الاشارة هنا الى تكرار ظاهرة التضارب في مواقف السلطات الحكومية المكلفة بمعالجة المشكلة ،ففي حين كانت سياسة والى البصرة هي اعطاء سعدون كل مابطاقته من مساندة ،كانت الأوامر التى أرسلتها القيادة العسكرية

---

(١) PRO,FO 424/226,No. 95, Sir G. Lowther to Sir E.Grey, Aug. 23,1911, Inclosure No. 2.

(٢) خزعل ،مرجع مر ذكره ،ج ٢ ،ص ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٣) N.A.R.S., RG 84, No.363,Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., July 12, 1911.

(٤) PRO,FO 424/226, No. 34, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911.

(٥) خزعل ،مرجع مر ذكره ،ج ٢ ،ص ٢٤٥ ،وآل ابراهيم عشيرة تنتمي لثلث بني مالك من الاثلاث المكونه لاتحاد قبائل المنتفق ،وهي تقطن في الاراضى الواقعة حول مدينة الناصرية. راجع :-
العزاوى ،عشائر العراق ،ج ٤ ،ص ص ٣٧ - ٣٨.

في بغداد الى قائد القوات في الناصرية توصي بعدم اثارة العشائر والعمل من اجل تهدئة الخواطر ،وقد أستبعد وكيل القنصل البريطاني في البصرة احتمال تحقيق مثل هذا الهدف مالم تكف السلطات المدنيه عن مناصرة سعدون (١) .
ولكن توقعه كان بعيدا عن الواقع بعض الشيء ،فقد أدى خروج سعدون من الناصرية الى انفراج في الوضع المتأزم وتم التوصل الى هدنة لمدة شهرين بين القوات الحكومية والعشائر (٢) ، رفع على اثرها الحصار المفروض حول المدينة .
ومما سهل الوصول الى تلك الهدنه نقص الذخيرة لدى العشائر يقابلة في الجانب الحكومي نقص الفحم اللازم لتشغيل السفن . (٣)

وفي الوقت الذى كانت فيه تلك الاحداث تجري على مسرح المواجهة بين سعدون والقوات الحكومية من جانب والعشائر من جانب أخر، لم تكن الاحوال في المناطق الاخرى للواء المنتفق بأحسن مما كانت عليه هناك. فقط استغلت العشائر الصغيرة فرصة الاضطراب الكبير وانشغال الحكومة بمعالجته لتحصيل الاتاوات من كل السفن المارة في نهر الفرات ونهب بعضها وقتل ملاحيها (٤).
ولذلك أصبحت الملاحة في ذلك النهر خطرة بل وشبه مقطوعة خلال شهري

---

(١) PRO,FO 424/226,No. 34, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911.

(٢) N.A.R.S., RG 84,No.363, Am.Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., July 12, 1911.

(٣) PRO,FO 424/226,No.35,Acting Cons. Mathhews to Mr. Marling, July 8, 1911.

(٤) N.A.R.S., RG 84, No. 363,Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., July 12, 1911.

مايو ويونيه (جمادى الاولى والثانية)[١] وحين ظلت هذه الحالة قائمة حتى شهر سبتمبر (رمضان) أضطر "اغا جعفر" صاحب امتياز تشغيل السفن التجارية بين البصرة وبغداد فى نهر الفرات الى سحب سفنه جميعها من ذلك النهر[٢]. والأخطر من انقطاع الملاحة فى نهر الفرات فى دلالته ماجاء فى رسالة وصلت لوكيل القنصل البريطانى فى البصرة وافادت أن العشائر المحيطة بمدينة الشطرة أرسلت لموظفى الحكومة هناك تطلب منهم أن يجعلوا لها حصة من رواتبهم طالما انها هى التى تسمح لهم بالاستمرار فى اعمالهم ، وعلقت الرسالة على ذلك الطلب بالقول رغم انه تهديد فقط الا انه يظهر المدى البعيد الذى يفصل الحكومة عن هدفها المتمثل فى اخضاع القبائل.[٣]

هذا ومن جانب آخر فأن الهدنة التى عقدتها القوات الحكومية مع العشائر لم تكن شاملة لقلعة الطائعة على مايبدو. فقد استمر القتال بين عجمى ابن سعدون وأنصاره فى تلك القلعة من جانب وبين البدور وحلفائهم من جانب آخر ، الأمر الذى جعل السلطات الحكومية تبعث برسالة قوية الى عجمى تحمله مسئولية مايجرى هناك ، ولكنها لم تستطع ان تفعل أكثر من ذلك لانها لم تكن تملك الوسائل الكافية لوضع حد لتلك الحالة[٤]. ويجدر

---

(١) PRO,FO 424/226,No. 34, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911.

(٢) N.A.R.S., RG 84,No.371,Am.Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., Sep. 10, 1911.

(٣) PRO,FO 424/226, No. 95, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, Aug. 23, 1911, Inclosure No. 2.

(٤) N.A.R.S., RG 84, No. 363, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., July 12, 1911.

التساؤل هنا عما اذا كانت تلك الرسالة موءشرا يدل على تحول في موقف السلطات الحكومية تجاه سعدون . الظاهر ان الأمر كان كذلك بدليل رضوخ تلك السلطات لطلب العشائر وموافقتها على اخراجه من الناصرية ، كما أن التطورات التالية ستكشف المزيد من الدلائل الاكثر وضوحا ،فاذا كان الامر كذلك ، فما هي الدواعي الكامنه خلف ذلك التحول ؟

لعل السلطات الحكومية لاحظت العداء الشديد الذى اظهرته اغلب قبائل المنتفق لسعدون ،وادركت المأزق الكبير الذى وضعت نفسها فيه من جراء مساندتها له . فقد جرت عليها تلك المساندة عداء القبائل ولم تؤد بالمقابل الى نجاح سعدون في فرض سيطرته على معارضيه . هذا بينما بذل أولئك المعارضون مساع حثيثه للتفريق بين موقفهم من سعدون وموقفهم من الحكومة . وقد تمثلت تلك المساعى في العرائض التى والوا تقديمها للسلطات الرسمية ومنها عريضة موءرخةفي ٢٦ مايو ١٩١١م (السابع والعشرين من جمادى الاولى ١٣٢٩هـ) وقعها لفيف من روءساء عشائر المنتفق وقام بتقديمها نيابة عنهم الى والى البصرة أغا جعفر صاحب السفن العاملة في نهر الفرات (١) . وقد تضمنت تلك العريضة شكواهم من المعاملة السيئة التى كانوا يلقونها على يد سعدون ومن اقدامه على ذبح روءسائهم البارزين كما تضمنت أتهامه بأستيفائه منهم سنويا الاموال الحكومية من عشور وزكاة واستئثاره بها لنفسه . واشارت العريضة الى ان المذكور كان يسعى للاستقلال عن الدولة ، وبرر موقعوها حصارهم لقلعة الطائفة بكونه اجراء

---

(1) PRO,FO 424/226,No. 34, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911.

يهدف لحماية أنفسهم بعد أن أتضح لهم ميل موظفي اللواء لجانب سعدون . وطالبوا الوالي بأتخاذ تلك القلعة ثكنة عسكرية حكومية او هدمها ، وتعهدوا مقابل ذلك بدفع جميع الضرائب المستحقة عليهم للحكومة وحماية الطرق وعدم التعرض للتجارة. (١) كما قدمت عريضة أخرى الى واليي بغداد والبصرة وقعها أربعة عشر شيخا شرحوا فيها تطور علاقتهم بآل سعدون عموما وسعدون باشا خصوصا ، وشكوا من انحياز سلطات اللواء لسعدون . وطالبوا بأخلاء قلعة الطائمة ، والا فأنهم سيضطرون للاتحاد مع الظفير ومبارك الصباح شيخ الكويت. وشددوا على ضرورة تعيين موظفين غير منحازين في لواء المنتفق قبل أن تسوء الاوضاع وتصبح ولاية البصرة مسرحا للاجانب . (٢)

كما تعرضت السلطات المركزية في استانبول من جانب آخر لضغط مماثل ، عبرت عنه مذكرة قدمها أربعة من نواب بغداد والعمارة والمنتفق الى رئاسة مجلس المبعوثان شرحوا فيها الوضع المضطرب الذى تعيشه القبائل العراقية عموما ، وعزوه الى نقل ناظم باشا المتعجل من العراق قبل أن يتمكن من تنفيذ خططه الاصلاحية ، الأمر الذى سبب يأس القبائل من الحكومة

---

(١) PRO,FO 424/226, No. 43, Mr. Marling to Sir E. Grey, July 26, 1911 Inclosure No.2.
يتضح من اسلوب هذه العريضة والعريضة التالية أن كاتبهما ذو وعي سياسي مما يدل على انه من أوساط المتعلمين لا من القبائل ، وقد استخدم كل مهارته لاثارة سخط السلطات على سعدون ، ورغم ان ماذكره عن سعي المذكور للاستقلال عن الدولة كان من باب التهويل ،الا انه يدل على ان طموحات ذلك الرجل كانت كبيرة ومعروفة للملأ .

(٢) راجع نص العريضة في : لغة العرب السنة ١ ،ج ٣ ،رمضان ١٣٢٩هـ/ايلول ١٩١١م ،ص ١١٨ . ولعل اشارة موقعي العريضة للاجانب كانت تهديدا مبطنا بامكانية اتصالهم بالبريطانيين ،يرجح ذلك ماذكروه عن التحالف مع الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت الذى كان حينئذ عدوا لسعدون من ناحية ، وحليفا لبريطانيا من ناحية أخرى.

ولجوئها الى العصيان ، وخاصة في لواء المنتفق الذي سمي " دار الحرب " نتيجة تكرار حوادث العصيان فيه . وختم النواب الاربعة مذكرتهم بالمطالبة بتعيين واليين لبغداد والبصرة يطلعون على احوال القبائل ويتكلمان اللغة العربية ، واختيار موظفين للولاية من ذوي الاخلاق والتجربة . (١)

ولعل ذلك كله هو الذي دفع السلطات العليا في الدولة نحو اعادة النظر في سياستها المتبعة في لواء المنتفق ، فشكلت لجنة لهذه الغاية مؤلفة من ثلاثة اعضاء عسكريين هم العقيد عزت بك والرائد احمد أفندي والملازم حسين حلمي وثلاثة اعضاء مدنيين هم المدعي العام لمحكمة استئناف البصرة ومتصرف لواء العمارة وقائمقام قضاء القرنة ، وقد باشرت اللجنة مهمتها حين وصلت للبصرة في الثالث عشر من تموز ١٩١١م (السادس عشر من رجب ١٣٢٩هـ) فعقدت عدة اجتماعات توصلت اثرها الى قرار مفاده بأنه لن تتحقق الا فائدة قليلة من قيامها بزيارة لواء المنتفق المضطرب مادام سعدون باشا مطلق السراح . وقد علق وكيل القنصل البريطاني في البصرة على ذلك القرار بقوله :- أن وجود سعدون قرب مدينة البصرة أمر معروف ولكن اللجوء الى القوة لاعتقاله أمر لم يجر التفكير فيه لان اللجنة أخذت في الاعتبار عاملين ، أولهما أن حامية البصرة العسكرية كانت تتألف حينئذ من مائتي جندي فقط يعيشون في ضائقة مادية نتيجة لتأخر دفع رواتبهم شهرا كاملا ، وثانيهما أن أخبار اعتقال سعدون - اذا عرفت - فستجلب بضع مئات من رجال القبائل الغاضبين والمسلحين جيدا الى داخل مدينة البصرة نفسها . (٢)

---

(١) راجع نص المذكرة في : صدى بابل ، السنة ٢ ، العدد ٩٣ ، ٤ شعبان ١٣٢٩هـ/ ٣٠ تموز ١٩١١م ، ص ٢ .

(٢) PRO,FO, 424/226,No. 38, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling , July 28, 1911.

ويجدر قبل الالمام بما فعلته اللجنة لتطبيق قرارها المذكور ،التوقف قليلا للتعرف على كيفية وصول سعدون الى جوار مدينة البصرة ، فقد مر سابقا انه غادر مدينة الناصرية وحل ضيفا على ابن عمه مزيد باشا . ويبدو انه فكر هناك في المصير الذي آل اليه ، فهداه تفكيره الى وضع المسئولية على قبيلة الظفير لانها هي التي جرأت عليه بقية القبائل ،لذلك غادر مضارب ابن عمه وعبر نهر الفرات الى الشامية بهدف الانتقام من تلك القبيلة (١) . ولكن وكيل القنصل البريطاني في البصرة تشكك في ذلك واعرب عن اعتقاده في أن اتجاهه نحو الظفير لم يكن الا مظاهرة قوة هدفها التضليل ،اذ انه حين وجد نفسه عاجزا عن جمع قوة كافية لمواجهة العشائر الثائرة ضده ، غادر اللواء على رأس الف وخمسمائة رجل من اتباعه واتجه بهم نحو الزبير تحت ستار السعي لملاحقة الظفير . (٢)

وقد جر ذلك التحرك سعدونا الى حتفه ،اذ تصادف أن وصل في الثالث من يوليه (السادس من رجب) الى مدينة البصرة نائبها في مجلس المبعوثان السيد طالب النقيب قادما من استانبول (٣) . وحينما علم سعدون بذلك كتب اليه باعتباره صديقا له يسأله أن كان هنالك أي مانع يحول بينه

---

(١) لغة العرب، السنة ١ ، ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩ هـ / ايلول ١٩١١م ، ص ١١٩ .

(٢) PRO,FO 424/226, No. 39, Acting Cons Matthews to Mr. Marling, July 28, 1911.

(٣) PRO,FO 424/226, No. 35,Acting Cons. Matthews to Mr. Marling , July 8, 1911.

وبين زيارة البصرة ،فجاء الرد ترحيبا بزيارته للبصرة ونفيا لوجود أى خطر يهدد سلامته هناك (١) . ويبدو أن غاية سعدون من الذهاب للبصرة كانت هى السعى للحصول على مساعدة الوالى (٢) ، وهذا يدل على ان سعدونا لم يكن ملما بتغير موقف السلطات الحكومية تجاهه . وروى الوكيل القنصلى الامريكى فى البصرة من جانب آخر أن السيد طالب هو الذى بادر الى دعوة سعدون لزيارة البصرة وضمن له سلامته هناك (٣) . وربما لم يكن هنالك تعارض بين الروايتين السالفتين اذ يحتمل أن تكون مصادر معلومات الوكيل قد نقلت له الشق الثانى مما حدث أى تأكيدات السيد طالب واغفلت الاشارة الى ماسبقها .

وتختلف رواية وكيل القنصل البريطانى فى البصرة بعض الشيء عن الروايتين السابقتين معا ، فقد ذكر أن والى البصرة علم فى الخامس عشر من يوليه (الثامن عشر من رجب) بأقتراب سعدون باشا من الزبير حين جاءته الشكاوى من تلك المدينة اثر مناوشة وقعت بين سعدون وخصومه بالقرب منها ، فأستغل الوالى الفرصة ووجه الدعوة لسعدون للحضور الى البصرة لمقابلته ،ولم يلب سعدون الدعوة على الفور بل كتب الى السيد طالب

---

(١) لغة العرب، السنة ١ ، ج ٣ ،رمضان ١٣٢٩ / ايلول ١٩١١م، ص ١١٩ وأيضا خزعل ، مرجع مر ذكره ،ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٢) النبهانى ،مرجع مر ذكره ،ج ١٠ ،ص ١٤٥ .

(٣) N.A.R.S., RG 84,No.47/28, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag., Dec.,9,1912.

يخبره بعزمه على النزول في ضيافته خلال وجوده في البصرة. وذلك هو ماحصل بالفعل حين دخل المدينه في العشرين من يوليه (الثالث والعشرين من رجب) تاركا اتباعه في قرية صغيرة تبعد عدة ساعات الى الشمال. وفي عصر اليوم التالي ذهب الى السراى بدعوة من الوالي ، ولكنه أخبر عند وصوله بأن الوالي ينتظره على ظهر السفينة الحربية " مرمريس" ،فلم يساوره الشك لكونه ضيف السيد طالب من ناحية ولانه متمتع بعطف السلطات الحكومية من ناحية أخرى. وتوجه الى السفينة وبصحبة "حرس شرف" مكون من رائد الدرك وأربعة من رجاله ،وحين صعد الى ظهر السفينة ظل هناك ساعتين ينتظر دون نتيجة مقابلة الوالي فضجر واراد المغادرة ولكنه أخبر بأنه سيظل ضيف الوالي في الوقت الحاضر . وكانت التعليمات الصادرة لطاقم السفينة تقضي بحراسته حراسة مشددة ومنع أى اتصال بينه وبين الشاطىء. وفي الثاني والعشرين من يوليه (الخامس والعشرين من رجب) نقل من مرمريس الى السفينة التجارية العائدة لاغا جعفر "سعودى" حيث غادرت به على الفور الى بغداد . ولم يكن أختيار تلك السفينة قد تم اعتباطا بل قصد منه الايحاء بأن سعدونا قد اعيد للناصرية لان سفن اغا جعفر كانت تعمل في نهر الفرات وتمر بالناصرية . (١)

---

(١) PRO,FO 424/226,No. 39, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, July 28, 1911.

وهناك رواية تناقض تماما ماجاء في المتن ، فهي تقول ان السيد طالب وصل بالسفينة مرمريس الى سوق الشيوخ ، ودعا هناك سعدونا لوليمة على ظهر السفينة التي ماكاد ان يصعد اليها حتى تحركت به على الفور الى البصرة حيث سلم للسلطات هناك . راجع : الطاهر ،العشائر العراقية ، ص ٨٠ وأيضا Dickson, The Arab of the Desert, P.557.

وصل سعدون بغداد وظل فيها ،رهن الاعتقال في احد المنازل [١] ، الى أن ارسل في الخامس والعشرين من شعبان ١٣٢٩هـ/العشرين من اغسطس ١٩١١م تحت الحراسة المشددة الى مدينة حلب لمحاكمته هناك [٢] ، بتهمة اختلفت المصادر في تحديدها . ففي حين قال احد المعاصرين المطلعين انها كانت الاغارة على مدينة الزبير وسلب مواشيها [٣] ، قال الوكيل القنصلي الامريكي في البصرة انها كانت التسبب في اثارة الأضطرابات في لواء المنتفق [٤] . وتبدو التهمة الاخيرة اكثر منطقية وانسجاما مع تسلسل الحوادث من سابقتها ولكن سعدونا تنصل -على مانقلته عنه احدى الجرائد - من المسئولية عنها وعزا أضطرابات لواء المنتفق الى تهاون الحكومة مع القبائل التي أنتشرت بينها الاسلحة على نطاق واسع ،والى تعيين موظفين غير اكفاء لادارة اللواء . [٥] وقد طالبت تلك الجريدة على أية حال بمحاكمته محاكمة عادلة لاتؤثر فيها اقاويل ذوي المقاصد سواء كانوا معه او ضده .[٦]

---

(١) N.A.R.S.,RG 84,No. 471,Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Cons. Agent at Basra, Aug. 9,1911.

(٢) لغة العرب،السنه١ ،ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩هـ/ايلول ١٩١١م،ص١٢٠ .

(٣) سليمان فيضي ،في غمرة النضال ،بغداد ،١٩٥٢ ،ص ١٠٥ .

(٤) N.A.R.S., RG 84,No. 365,Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., July 25, 1911.

(٥) صدى بابل ،السنه٢ ،العدد ٩٦، ٢٥ شعبان ١٣٢٩هـ/ ٢٠ آب ١٩١١م، ص ٢ .

(٦) صدى بابل ،السنه٣ ،العدد ١٠٧، ١٣ ذى الحجة ١٣٢٩هـ/ ٥ تشرين الثاني ١٩١١م،ص ٣ .

ولم يقدر لتلك المحاكمة أن تتم ،اذ توفى المتهم في الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩١١م (الثالث من ذى الحجة ١٣٢٩هـ) نتيجة لاصابته بـ " سكتة دماغية وهبوط في القلب " حسب رواية والى حلب للقنصل البريطاني هناك (١) ، ونتيجة لاعطائه السم كما هو معتقد عموما (٢). وهكذا خلت ساحة لواء المنتفق من ذلك الرجل ذى الطباع العنيفة والشجاعة الفائقة الذى جردته غطرسته من اصدقائه واحدا اثر الاخر (٣) . وقد لاحظ الوكيل القنصلي الامريكي في البصرة أن الراحل كان عظيم المساعدة للحكومة العثمانية خلال السنوات القليلة السابقة ، وبدون خبرته ومساعدته ربما وجدت السلطات المحلية نفسها متورطة في مشاكل أسوأ من تلك التى واجهتها مؤخرا . (٤)

أما وقد ختمت صفحة تلك الحياة المليئة بالنشاط المتدفق والصراع العنيف ،فلابد من وقفة أمام سؤال يفرض نفسه عن الهدف الذى كان يحرك ذلك الرجل ويدفعه لخوض تلك المعامع ،فلا يعقل أن تكون كل تحركاته مجرد زوابع هوجاء دون هدف مايكمن وراءها جميعا . وليس هناك من يصور هذا الهدف اكثر من الشاعر الذى لازم سعدونا واصبح لسان حاله الذى عبر في قصائده الكثيرة عن ارائه واهدافه ، الا وهو الشاعر النبطي

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. P-600/1912, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of Dec. 1911, P.1.

(٢) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ٨٠ وأيضا Dickson, The Arab of the Desert, P.557.

(٣) Glubb, War in the Desert, P. 72.

(٤) N.A.R.S., RG 84, No. 365, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., July 25, 1911.

المشهور " محمد بن عبدالله العوني "(١) . فلقد أظهرت تلك القصائد بوضوح أن سعدونا كان يسعى لاحياء مشيخة أبائه واجداده وفرض الاعتراف بها والخضوع لها مجددا على قبائل المنتفق (٢) ،التي رفضت من جانبها بأصرار العودة الى الاوضاع التي كانت سائدة قبل سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨١م. تلك الاوضاع التي كانت تسبب أزدواجا مربكا في السلطة بين الحكومة العثمانية وآل سعدون ،عبر عنه الشاعر القبلي بلهجته الدارجة اوضح تعبير حين قال :-" الله بلانا بلوتين مابين أفندم ومحفوظ ". (٣) وهكذا لم يكن هنالك بد من أصطدام الازدواجين وصراعهما فترة من الزمن صراعا عنيفا ، لم يحسمه الا تدخل السلطات الرسمية بصورة نهائية ضد احد طرفيه. وقد أتسم موقف تلك السلطات حيال ذلك الصراع بشيء كثير من التناقض، فبعد أن كان هدفها الذي سعت اليه أعواما طويلة وصادفت فيه نجاحا كبيرا كما مر هو تحطيم أسس تلك المشيخة ، نجدها في فترة بحثنا تقف في أحيان كثيرة الى جانب سعدون المطالب بأحياء المشيخة وفرض سيطرتها من جديد ، ثم لم تلبث في أخر الأمر أن حجبت تأييدها عنه بل واوردته موارد التهلكة. واعتقد أن مرد ذلك التناقض هو المبدأ النفعي الكامن وراء تحركات تلك السلطات ،فهي مع سعدون حين تقدر أن وقوفها معه يحقق لها بعض الفائدة ،وهي ضده حين تنتفي تلك الفائدة او تكاد .

---

(١) شاعر من اهل بريده ،نشأ في فترة الاضطراب السياسي في نجد التي اعقبت وفاة الامام فيصل بن تركي آل سعود سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م ، واتصل في حدود سنة ١٣١٩هـ/١٩٠٢م بسعدون ،وظل ملازما له ولابنه عجمي من بعده ،ثم انتقل بعد سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م لآل رشيد في حائل . توفي سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م. راجع: محمد سعيد كمال " جامع وناشر"، الازهار النادية في اشعار البادية ،ط٦ ،الطائف ،بدون تاريخ ،ج ٥ ، ص ص ١-٦ .

(٢) كمال ،مرجع مر ذكره ،ج ٥ ،ص ٤٨ ،ومابعدها .

(٣) فياض، مرجع مر ذكره ،ص ٥٣ . وترمز كلمة" أفندم " للموظف التركي ،بينما ترمز كلمة " محفوظ" للشيخ من ال سعدون .

وتحسن العودة الآن لمتابعة اعمال اللجنة الحكومية التي مر انها وصلت للبصرة وعلقت مباشرة اعمالها الى ان يعتقل سعدون ، ولذلك فما أن اعتقل المذكور في الحادى والعشرين من يوليه (الرابع والعشرين من رجب) حتى غادرت البصرة في اليوم التالي الى الناصرية لتقصي الحقائق على الطبيعة في لواء المنتفق . وقد علق وكيل القنصل البريطاني في البصرة على سفرها قائلا :- انه مالم تعمل تلك اللجنة بأعتدال ولباقة وتحجم عن مناقشة أمور مثل جمع الاسلحة النارية ودفع متأخرات الضرائب فأن العداء الذى أظهر مؤخرا لسعدون وانصاره سيتحول نحو السلطات بصورة مكشوفة ، واضاف أن الوقت الذى ستتوقف فيه الفوضى في الفرات الادنى مازال بعيدا ، وان سياسة ترضية تبدو هي الطريقة الوحيدة الممكنة أمام السلطات لاستعادة قدر من الهدوء هناك [١] .

دققت اللجنة بعد وصولها في الاوضاع السائدة في لواء المنتفق ، وتوصلت الى تشخيص السبب الاساسي الكامن وراء كل الأضطرابات التي مرت على ذلك اللواء ، الا وهو مشكلة الارض الزراعية ، والمتمثلة في وضع عدد قليل من الشيوخ المتنفذين لايديهم على الاراضي التي كانت تعتبر ملكا مشاعا للقبيلة ، واوصت باعادة توزيع الاراضي الزراعية توزيعا عادلا والدخول في علاقات مباشرة مع افراد القبائل دون حاجة الى وساطة الشيوخ [٢] . وعلى الرغم من سلامة التشخيص وصواب العلاج المقترح من الناحية النظرية ، فأن السلطات الحكومية

---

(١) PRO,FO 424/226, No. 39, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, July 28, 1911.

(٢) الطاهر ،العشائر العراقية ،ص ص ٧٩ - ٨٠ وأيضا Dickson, The Arab of the Desert, P. 557.

لم تضعه موضع التنفيذ على مايبدو ، اذ لم أجد لذلك أثرا في المصادر والمراجع التي بين يدي . ولعل ذلك عائد الى ان الظروف الموضوعية السائدة حينئذ وابرزها قوة جذور النظام القبلي وضعف قوة الحكومة لم تكن تسمح بالاقدام على خطوة جذرية مثل تلك .

ولم تقف الجهود الحكومية عند حد ايفاد تلك اللجنة الى لواء المنتفق فحسب ، بل أن السلطات لجأت في الوقت نفسه الى تعزيز وضعها العسكري في ذلك اللواء . فأرسلت كتيبتين من الجند تتألفان من حوالي ١٤٠٠ رجل الى منطقة الغراف وكتيبتين أخريين تضمان حوالي ١٥٠٠ رجل الى مدينة الناصرية ، كما أرسلت لمتصرف المنتفق في الحادي والعشرين من يوليه (الرابع والعشرين من رجب) أوامر برقية تقضي بأعتقال عجمي بن سعدون الذي كان مايزال محاصرا في قلعة الطائعة.(١) ولكن عجمي أستطاع الافلات فأكتفت السلطات الرسمية بأصدار قرار يعتبره خارجا على القانون (٢) . وقد أدى انتهاء مشكلة قلعة الطائعة الى هدوء الاوضاء تدريجيا في لواء المنتفق حتى أن السلطات وجدت في السابع والعشرين من نوفمبر ١٩١١م (الخامس من ذي الحجة ١٣٢٩هـ) انه لم تعد هنالك ضرورة لبقاء الفوج الذي وضع في تلك القلعة فحسب منها الى البصرة على ان يتلوه سحب عدة كتائب أخرى من ذلك اللواء . (٣)

---

(١) PRO,FO 424/226,No. 39,Acting Cons. Matthews to Mr. Marling , July 28, 1911.

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٨٠ وايضا Dickson, The Arab of the Desert ,P. 557.

(٣) IOR,L/p+s/10/212, No. P-600/1912, Summary ... for the Month of Dec. 1911,P. 3.

التطورات فى لواء المنتفق بين سنتى ١٣٣٠ - ١٣٣٢هـ/ ١٩١٢ - ١٩١٤م

اتجهت الاحوال فى لواء المنتفق مع بداية سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م الى الهدوء فقد عين فى أولها متصرف جديد لادارة اللواء وهو المقدم فريد بك ضابط ركن لواء خيالة بغداد [(١)] ،فأثبت الرجل جدارة واضحة فى عمله الجديد جعلت اللواء يصبح اكثر هدوءا خلال الشهرين التاليين [(٢)] . ولكن ذلك الهدوء تعكر بعودة عجمي بن سعدون للظهور على الساحة مجددا بعد أن تغيب عنها بعض الوقت . ويحسن قبل الالمام بسر تغيبه ذاك القول أن وفاة والده بالشكل الذى مر قد اوجدت شيئا من التأثر العام فى صفوف قبائل المنتفق حتى تلك التى كانت معارضة له [(٣)] ، ولم يستطع عجمي أستثمار هذا التيار لفتح صفحة جديدة من العلاقات مع القبائل تؤدى الى تهدئة مخاوفها واستقطاب ولائها . ولكنه وجه همه الى الناحية المعاكسة مستجيبا لقاعدة الثأر القبلى المعروفة ، فأصبح هدفه هو استكمال مابدأه والده من سعى لمعاقبة قبيلة الظفير . وهو أمر وجد بعد خروجه من المائمة أن قواة الذاتية قاصرة عن تحقيقية ، فأتجه الى حائل واستنجد بأميرها سعود الرشيد[(٤)]

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. P-1093/1912, Summary.. for the month of Jan, 1912, P.1.

(٢) IOR,L/p+s/10/212, No. 2325 A, Summary... for the months of March and April 1912, P.2.

(٣) Longrigg, Op.Cit., P. 56; Dickson, The Arab of the Desert, P. 557.

(٤) يبدو ان استجابة ابن رشيد لطلب عجمي كانت وليدة عاملين ،اولهما التقاليد القبلية التى تلزم المستغاث به بنجدة المستغيث، وثانيهما وجود حلف واقعي بين ال رشيد وسعدون منذ أوائل سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م . راجع : السعدون ،مرجع مر ذكره ،ص ١٢٧ .

الذى هب لنجدته وسار معه على رأس قواته لطلاقة الظفير فى مارس ١٩١٢م (ربيع الاول ١٣٣٠هـ) ، وقد جرت بين الطرفين معركة عنيفة ، (١) تكبد فيها الظفير خسائر فادحة فى الارواح قدرها احد شهود العيان بألف وسبعمائة قتيل (٢) . ورغم ماقد يبدو فى هذا التقدير من مبالغة الا ان المرجح أن خسائر الظفير كانت كبيرة نظراً للتفوق العددى لاعدائهم ، فبالاضافة الى أتباع ابن رشيد من قبائل شمر فقد شارك فى المعركة أيضا قسم من قبيلة مطير ومن تبع عجمي من قبائل المنتفق (٣) .

وقد خدمت تلك المعركة بصورة غير مباشرة السلطات الحكومية فى اللواء خدمة كبيرة ، اذ أحست بعض العشائر بعدها بحاجتها الى الحماية الحكومية تجاه سطوة ابن رشيد وعجمى ، فبادرت الى استرضاء السلطات بدفع ماعليها من ضرائب (٤) . ويبدو أن ذلك قد دفع متصرف المنتفق فريد بك لاعادة النظر فى الموقف الحكومى من عجمى ، خاصة وانه آنس منه ميلا لجمعية الاتحاد والترقى التى كان المتصرف احد اعضائها النشطين (٥) ، فسعى نتيجة لذلك الى أصدار عفو حكومي عن عجمي ووفق فى مسعاه الذى ترافق أيضا مع مسعى مماثل بذله ابن رشيد لدى الاوساط الحكومية العليا فى استانبول (٦)

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. 2325,A; Summary... for the months of March and Apr. 1912,P. 13.

(٢) كمال ، مرجع مر ذكره ، ج ٥ ، ص ٨٧ .

(٣) IOR,L/p+s/10/212, No. P-2840/1912, Summary... for the month of May 1912,P. 11.

(٤) IOR,L/p+s/10/212,No. 2325 A, Summary... for the months of March and Apr. 1912, 13.

(٥) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٨١ .

(٦) لغة العرب ، السنة ٢ ، ج ٢ ، شعبان ١٣٣٠هـ/ آب ١٩١٢م ، ص ٧٤

ولا ريب أن مكانة عجمي في أوساط قبائل المنتفق قد تعززت من جراء النصر الذي حققه على الظفير ونيله للعفو الحكومي .

ولكن تلك المكانة اهتزت حين أقدم عجمي على عمل صدم الرأي العام القبلي وأجج نار النزاع القديم مع ابناء عمه الادنين . فقد تصادف أن نزل عليه مزيد باشا السعدون مناصرا له في صراعه مع الظفير(١) ، فوسوس له الشيطان أن يستولي على ثروة نزيله ، فأعتقله في اواخر اكتوبر ١٩١٢م (منتصف ذي القعدة ١٣٣٠هـ) ، وسلب ما معه من نقود قدرت بواحد وسبعين ألف ليرة . الأمر الذي جعل عبدالله الفالح ابن أخي المنهوب يعبأ قواته البالغة خمسة الاف رجل ويتبهيأ بالسير بها لمعاقبة عجمي واستعادة الاموال المنهوبة منه أن أمكن (٢) . وفي غضون ذلك استطاع مزيد باشا الافلات من قبضة خصمه واخذ يطوف بين العشائر يؤلبها على عجمي ويدعوها لمنازلته ، فالتفت حوله كل القوى الناقمة على عجمي (٣) . ولكن حظ الاخير أنقذه من المواجهة اذ تصادف أن سقط خصمه مزيد باشا عن ظهر ذلوله وتوفي بعد ستة أيام . (٤)

واذا كانت مشكلة عجمي مع اقربائه قد انتهت او جمدت على ذلك النحو ، فأن مشكلة المزمنة مع قبيلة الظفير ظلت حية بالرغم من النصر الذي ناله بالتعاون مع ابن رشيد ، ولذلك سعت السلطات الرسمية لانهاء تلك

---

(١) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٢٣٠ .

(٢) IOR,L/p+s/10/212,No. P-4798/1912, Summary of Events in Turkish Iraq for Oct. 1912, P.3.

(٣) لغة العرب ، السنة ٢ ، ج ١٠ ، جمادى الاولى ١٣٣١هـ / نيسان ١٩١٣م ، ص ٤٧٣ .

(٤) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٢٤٧ .

المشكلة ، فبذل قائمقام " السماوة "(١) مساعيه بين الطرفين خلال شهر أبريل ١٩١٣م (جمادى الاولى ١٣٣١هـ) حتى أستطاع أقناعهما بقبول تسوية لخلافاتهما (٢) . ولكن تلك التسوية لم تكن الا مجرد هدنه مؤقتة اذ ما أن حل شهر ديسمبر ١٩١٣م (محرم ١٣٣٢هـ) حتى اغار عجمي على مضارب تلك القبيلة في الصحراء الممتدة غرب مدينة البصرة (٣) . ثم تكرر الصدام مرة ثانية في شهر فبراير ١٩١٤م (ربيع الاول ١٣٣٢هـ) وكانت نتائجه هذه المرة لغير صالح عجمي (٤) . ويلاحظ هنا أن جريدة " الزهور " التي كانت تصدر في بغداد ناطقة بلسان الفرع المحلي لجمعية الاتحاد والترقي كانت تصف حينئذ القوى القبلية المناوئة لعجمي بعبارة " اعداء الحكومة " (٥)، مما يشير الى قوة التأييد الذي ناله عجمي من تلك الجمعية وهو أمر ستأتي تفاصيله في الفصل التالي .

ومن الجدير بالذكر هنا أن تتبع نشاط عجمي خلال الفترة الواقعة بين مغادرته قلعة الطاعة وقيام الحرب العالمية الاولى يظهر انه قصر ذلك النشاط على جانب الشامية غرب الفرات ولم يحاول التورط في احداث جانب الجزيرة الذي تقطنه اغلبية قبائل المنتفق ، حتى انه رفض في شهر

---

(١) مركز قضاء تابع لسنجق الديوانية ، يقع على نهر الفرات على بعد حوالي خمسين ميلا جنوب الديوانيه وسبعين ميلا شمال مدينة الناصرية ، راجع : لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٦ ، ص ص ٣١١٧-٣١٢٧ .

(٢) IOR,L/p+s/10/212,No. P-2785/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of May 1913,P.3.

(٣) IOR/L/p+s/10/212,No. P-1416/1914, Summary of Events in Turkish Iraq during Nov. and Dec. 1913 and Jan.1914,P.4.

(٤) IOR, L/p+s/10/212, No. P-2097/1914, Summary.. during Feb. and March 1914, P. 5.

(٥) لغة العرب ، السنه ٣ ، ج ١٠ ، جمادى الاولى ١٣٣٢هـ/ابريل ١٩١٤م ، ص ٥٥٨ .

اكتوبر ١٩١٢م (ذى القعدة ١٣٣٠هـ) تلبية طلب صديقة متصرف المنتفق فريك بك بالانضمام للقوات الحكومية التى قادها الى منطقة الغراف [١]. ولا ريب أن ذلك يعد اعترافا من جانب عجمي بالامر الواقع وهو فقدانه لاى نفوذ ذى شأن بين قبائل تلك المنطقة ، وحرصا من جانبه على عدم تكرار تجارب والده المريرة مع تلك القبائل . ولا يجب هنا اغفال ما أشار له البعض من وجود تقسيم واقعي لمشيخة المنتفق حينئذ ، ففى حين كان عبدالله الفالح يعتبر شيخا لأهل الجزيرة كان منافسه عجمي يعتبر شيخا لأهل الشامية. [٢]

ولكن يبدو أن عجمي لم ينل حتى فى جانب الشامية تأييدا واسعا من العشائر القاطنة هناك ، الامر الذى دفعه الى الاستعانة بقوى من خارج قبائل المنتفق لتعزيز موقفه تجاه خصومه. والامثلة على ذلك كثيرة منها ما ذكر عن استعانته بأبن رشيد ، ومنها ضمه لبعض اهالى القصيم وبعض قبيلة مطير برآسة ابن ماجد ، [٣] وضمه " الهزازنة " أيضا بعد أن قدمهم له محمد العصيمى [٤] ، ولعل ذلك هو العامل الذى جعله حريصا فى هذه الفترة على كسب ود شيخ الكويت مبارك الصباح [٥] ، وامير نجد عبدالعزيز آل سعود [٦]

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. P-4798/1912, Summary... for Oct. 1912, P.2.

(٢) Dickson, Kuwait...,P.218.

(٣) لغة العرب ، السنة٢ ، ج ٨ ، ربيع الاول ١٣٣١هـ/ شباط ١٩١٣م ، ص٣٦٢ والسنة٣ ، ج ٩ ، ربيع الثانى١٣٣٢ / اذار ١٩١٤ ، ص ٥٠٤.

(٤) صدى بابل ، السنة ٥ ، العدد ٢٢٦ ، ٤ ربيع الاخر ١٣٣٢هـ/ ١١ أذار ١٩١٤ ، ص ٢ والهزازنة من قبيلةعنزه ، كانوا أمراء الحريق فى جنوب نجد ، وتحركوا ضد الأمير عبدالعزيز ال سعود سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م فأخمد حركتهم وعفا عنهم ، ولكنهم عادوا للتحرك ثانية بعد ثلاث سنين نشتت شملهم هذه المرة. ، راجع أمين الريحاني ، الاعمال الكاملة ، المجلد الخامس ، تاريخ نجد الحديث ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ص ١٩٤ - ١٩٦.

(٥) لغة العرب ، السنة٣ ، ج ١٠ ، جمادى الاولى١٣٣٢هـ/ نيسان ١٩١٤ ، ص ٥٦٠

(٦) صدى بابل ، السنة ٥ ، العدد ٢٢٣ ، ٢٨ صفر ١٣٣٢هـ/ ٢٥ كانون الثانى ١٩١٤م ، ص ٣.

وهو يفسر وقوفه الى جانب النجديين حين نشب النزاع بينهم وبين سكان مدينة سوق الشيوخ فى نوفمبر ١٩١٣م (ذى الحجة ١٣٣١هـ) فأرسل رجاله يقاتلون معهم أهل تلك المدينة (١).

واذا ماتركنا عجمي ونشاطاته جانبا وأمعنا النظر فى اوضاع بقية القوى القبلية فى لواء المنتفق ، وجدنا أن الهدوء الذى ساد اللواء خلال الشهور القليلة التالية مباشرة لتعيين المتصرف فريد بك قد تبدد تدريجيا . ففى شهر سبتمبر ١٩١٢م (شوال ١٣٣٠هـ) سجن ذلك المتصرف أحد كبار عشيرة الحسينات بتهمة السرقة فتدخل شيخ تلك العشيرة فى الامر وطالب بأطلاق سراح المعتقل . وحين لم يتلق ردا على طلبه أخذ أفراد عشيرته بالتحالف مع عشائر البدور و " الغزى " (٢) والمساكرة يشنون غارات نهب وسلب فى المناطق المجاورة لمركز اللواء دون أن تكون للسلطات الرسمية القوة الكافية لايقافهم. (٣)

وكانت منطقة الغراف من ناحية أخرى مسرحا لأضطراب واسع بين عشائرها سببه النزاع على الاراضى كان خيون العبيد شيخ العبودة يؤجج نيرانه بمحاباة العشائر بعضها على حساب بعض (٤). بينما وقفت السلطات

---

(١) IOR,L/p+s/10/212,No. P-1416/1914, Summary... during Nov. and Dec. 1913 and Jan. 1914, P. 4.

(٢) عشيرة تنتسب أصلا لقبيلة الفضول النجدية ولكنها أنضوت تحت لواء ثلث الاجود من قبائل المنتفق بعد أن توطنت على الضفة اليمنى لنهر الفرات بين سوق الشيوخ والناصرية والدراجى ، راجع : الطاهر ،العشائر العراقية ، ص ١٨١.

(٣) IOR, L/p+s/10/212, No.P-4424/1912, Summary of Events in Turkish Iraq during the month of Sept. 1912,p. 1.

(٤) الطاهر ،العشائر العراقية ، ص ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

الرسمية موقف العاجز الى أن قرر متصرف الناصرية فريك بك أخيرا التحـــرك لمواجهة الموقف ،فقاد قواته نحو خيون في اكتوبر ١٩١٢م (ذي القعـــدة ١٣٣٠هـ) ، ولكنه مني بالهزيمة وخسر عشرين قتيلا من قواته . ولــــولا ماعانته المشائر من نقص حاد في الذخيرة لا قدمت بعد ذلك على حركـــات حربية واسعة حسب اعتقاد القنصل البريطاني في البصرة. [1] ويبـــــدو ان المتصرف لجأ بعد اخفاقه ذاك الى اللعبة المعهودة التي طالمـــا لجأ اليها اسلافه من قبل ، وهي ضرب القوى القبلية ببعضها . اذ أشـارت احدى الجرائد ـ في معرض أشادتها به ـ الى انه حين رأى كثرة عصيـــان القبائل أحتال للامر حتى القى العداوة بينها [2] . والغريب أن ينشـــر هذا الأمر الخطير على صفحات الجرائد دون أن تبادر جهة مسئولة الــــى تكذيبه او تبريره على الاقل وكأن الجميع يسلمون بصوابه .

وجاءت سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م بعامل جديد زاد من تردي الوضـــع وشيوع القلق العام ،اذ كان انتاج الحبوب في الموسم الزراعي المنصرم سيئـــا جدا لدرجة أستوردت معها الحبوب من الهند الى العراق [3] . ممـــــا ادى الى ارتفاع الاسعار المحلية للقمح من أربعة مجيديات تقريبا للوزنـــة الواحدة " ٢٢٠ر٧٤ باوند" في عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م الى ثمانية مجيديـــات في يناير ١٩١٣م ، (صفر ١٣٣١هـ) فمر القطر في ازمة غذائية شملت البشـــر

---

(1) IOR,L/p+s/10/212,No. P-4798/1912, Summary... for Oct. 1912, P. 2.

(2) لغة العرب ،السنة٢ ،ج ٥ ،ذي القعدة وذي الحجة ١٣٣٠هـ/تشريـــن الثاني ١٩١٢م ،ص ٢١٣ .

(3) N.A.R.S., RG 84, File No. 861-3, No. 66, Am. Cons. at Bag. to the Sec. of State, Jan. 14, 1913.

وقطعان الماشية (١) . ومما زاد في سوء الوضع الاقتصادي العام أن الانتاج العالمي من الحبوب كان خلال سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م وفيرا وخاصة في الحقول الروسية والامريكية فلم يستطع التجار العراقيون نتيجة لذلك تصدير ما أشتروه من حبوب الموسم الزراعي الجديد عدا كميات قليلة جدا صدرت الى جده ، الأمر الذي أدى الى ندرة كبيرة للنقود في البلاد (٢) . وقد أنعكست هذه الضائقة الاقتصادية على وضع الخزينة الحكومية المنهكه أصلا حتى أن رواتب الموظفين كانت في شهر سبتمبر ١٩١٣م (شوال ١٣٣١هـ) متأخرة الدفع شهرين ونصف الشهر عن موعدها المقرر. (٣)

وفي تلك الاثناء أيضا وقع في زاوية قصية من مسرح الأحداث حادث سياسي ترك بعض الأثر على الوضع القبلي سواء في لواء المنتفق او في بقية المناطق المجاورة ، الا وهو قيام الأمير عبدالعزيز آل سعود بأجلاء القوات الحكومية المتمركزة في سنجق الاحساء وذلك في مايو ١٩١٣م (جمادى الأخرة ١٣٣١هـ) . وعلق القنصل الامريكي في بغداد على تأثير ذلك الحادث بقوله :- " أن العرب في هذا الجزء من تركيا ربما وجدوا في نجاح ابن سعود في الاحساء مايشجعهم على العصيان ، ورغم انه ليس هنالك مايدل على ذلك لحد الآن ، الا أن خسارة الاحساء هي بلا شك ضربة فعلية لهيبة تركيا في هذا الجزء من البلاد سيكون لها تأثير على العرب هنا" (٤) . وشارك

---

(١) N.A.R.S., RG 84, File No. 861-3, No. 85, Am. Cons.at Bag. to the Sec. of State, April 12, 1913.

(٢) RG 84, File No. 610, " Foreign Trade of the Baghdad Consular District in 1913 ",P.5.

(٣) IOR, L/p+s/10/212, No. P-4691/1913, Summary ... Sept. 1913,P. 3.

(٤) RG 84, File No. 8oo, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., May 22, 1913.

القنصل البريطاني في البصرة زميله الامريكي في ذلك الاعتقاد حين قال :-
"أن احتلال الاحساء من قبل ابن سعود سيكون له - برأي السيد طالب -
انعكاس طبيعي على العرب في بغداد والبصرة ... ان من السابق
لأوانه في هذه المرحلة التنبؤ بتأثيره ، ولكن يتحتم على الاعتقاد بأن أخباره
ستسبب تأثيرا عميقا وواسع النطاق". (١)

ولرب سائل يسأل هنا عن موقف السلطات الحكومية العليا تجاه تردي
الاوضاع سواء بين قبائل المنتفق او في ولاية البصرة عموما ، فهل اكتفت
تلك السلطات بردود الافعال تجاه مايقع من حوادث ،أو انها حاولت القيام
بدور ايجابي فاعل يعالج أسباب الاحداث قبل وقوعها ؟ يبدو مما رواه
القنصل الامريكي في بغداد في شهر أبريل ١٩١٣م (جمادى الاولى
١٣٣١هـ) أن تلك السلطات حاولت القيام بذلك التحرك الايجابي ،اذ شكلت
لجنة أصلاحية برآسة لطفي بك معاون والي بغداد مهمتها اقتراح الاصلاحات
اللازمة أداريا وعسكريا في ولايات العراق الثلاث . وقد غادرت تلك
اللجنة بغداد الى البصرة عن طريق نهر دجلة مرورا بلواء العمارة ، وكان
برنامجها ينص على عودتها عن طريق نهر الفرات مرورا بلواء المنتفق
وقد علق القنصل على تشكيل تلك اللجنة وسفرها بقوله :-" يبدو أن الناس
هنا لا يولون تلك اللجنة الا القليل من الاهتمام او الثقة فهنالك شعور
بأن أفكار الترك عن الاصلاح سوف لن تمس الحاجات الحقيقية للبلد بالرغم
من ان تعيين اللجنة ربما كان نتيجة مباشرة لمطالب العرب باللامركزية .
أن المظلمة الرئيسية للعرب هي الضرائب الباهظة على الاراضي الزراعية

---

(١) PRO,FO 424/238, No. 30, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 18, 1913.

وكون العرب يتعذر عليهم واقعيا أن يكونوا ملاكا مستقلين آمنين في املاكهم. أن معظم الاراضي الزراعية في ولايتي بغداد والبصرة (عدا نجد) مملوكة للحكومة بصورة مباشرة ، والايجار الذي تتقاضاه الحكومة على هذا النوع هو خمسا الانتاج الزراعي تقريبا ... ويقتسم مناصفة بين الحكومة والملاكين الكبار ". (١) والغريب أن المقيم السياسي البريطاني في بغداد أعطى رواية مغايرة عن طبيعة عمل تلك اللجنة حين أشار الى تشكيلها من لطفي بك وجمال باشا مفتش الدرك ومعهما شخص ثالث وذكر سفرها الى البصرة في العاشر من ابريل ١٩١٣م (الثاني من جمادى الاولى ١٣٣١هـ) وحدد هدفها بأنه تنظيم الدرك والشرطة في ولايات العراق الثلاث (٢). وأميل أمام هذا التعارض في الروايتين الى ترجيح الرواية الأخيرة، اذ لم يصلنا شيء محدد من النتائج التي توصلت اليها اللجنة في مجال الاصلاح الاداري وخاصة في مجال اقتراح الحلول للمشكلة القبلية وهي المشكلة الاولى التي كانت تعاني منها ولاية البصرة، وان كان يبدو أن اللجنة او بعض اعضائها على الاقل قد تدخلوا في الصراعات المحلية التي كانت محتدمة في الولاية حينئذ كما سيتضح في الفصل التالي.

ويعزز من ترجيحي لرواية المقيم السالفة الذكر أن السلطات الحكومية العليا كانت سلبية تماما لدرجة تكاد تبلغ الاهمال المتعمد تجاه لواء المنتفق . فبالرغم من علمها بالاوضاع السيئة التي كانت سائدة هناك فقد

---

(١) N.A.R.S., RG 84, File No. 810, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., April, 1913.

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. P-2358/1913, Summary... for the month of April 1913, P. 3.

تركت اللواء دون متصرف مسئول طيلة أربعة أشهر كاملة الى أن عينت لـه في سبتمبر ١٩١٣م (شوال ١٣٣١هـ) متصرفا اتحاديا هو مصطفى نـادر بك (١). ولكن وصول ذلك المتصرف لم يحقق فائدة تذكر، اذ استمر الوضع في اللواء عامة مضطربا جدا خلال الاشهر الاخيرة من تلك السنة والاشهر الاولى من السنة التالية. وكانت منطقة الغراف هي بؤرة الأضطراب فقد أستمر القتال متواصلا قرب مدينة الشطرة بين العشائر المتصارعة ، ولم يلبث الشرر أن تطاير من ساحة الصدام تلك وبلغ مركز اللواء نفسه في شهر مارس ١٩١٤م (ربيع الثاني ١٣٣٢هـ) ،حين اطلقت النار على متصرف اللواء فجرح ونقل الى بغداد للمعالجة. (٢)

ويبدو أن ذلك الحادث قد تم انتقاما من المتصرف لتدخله في الصراع الدائر في منطقة الغراف بين خيون العبيد ومنافسة " سويلم الهواش" (٣) . فقد رمى ذلك المتصرف بثقله الى جانب الأخير مما أدى الى انتصاره على خصمه (٤). ولكن ذلك الانتصار لم يحسم الصراع في المنطقة ، اذ أستطاع خيون أن يلم شتات انصاره بسرعة واشتبك ثانية مع العشائر الموالية للحكومة بقيادة سويلم ،وحينما علم المتصرف بذلك أنسحب عائدا من

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. P-4691/1913, Summary... Sept. 1913,P.2.

(٢) IOR,L/p+s/10/212,No. P-2097/1914, Summary... Feb. and March 1914, P.4.

(٣) شيخ فخذ آل جهل من عشيرة عبودة التي يرأسها خيون. راجع: العزاوي ، عشائر العراق ،ج ٤ ،ص ١٠٢.

(٤) IOR,L/p+s/10/212, No. P-2492/1914, Summary ... April 1914, P. 3.

منطقة الغراف لمركز اللواء. (١) بينما أستمر القتال هناك طوال شهر أبريل ١٩١٤ (٢) ، (جمادى الاولى ١٣٣٢هـ) الامر الذى جعل السلطات الحكومية تحزم أمرها وتقرر حسم الامر عن طريق القوة ،فوالت ارسال التعزيزات الحربية الى المنطقة برا ونهرا خلال شهرى مايو(٣) ، (جمادى الثانية) ويونيه (رجب) من السنة نفسها (٤) . وجرت اثر استكمال الاستعدادات معارك طاحنه بين الطرفين تميزت بالكر والفر تعرضت خلالها مدينة الشطرة للقصف المدفعى من قبل المشائر بمدافع غنمتها من القوات الحكومية. وظل الموقف هناك على درجة كبيرة من السوء الى أن قامت الحرب العالمية الاولى واعلنت التعبئة العامة في الدولة العثمانية ، فأضطرت الحكومة الى التفاهم مع زعيم المعارضين خيون العبيد ، وسحبت اثر ذلك القوات الحكومية من منطقة الغراف لزجها فى ساحات القتال المنتظر. (٥)

وهكذا ،يظهر من الاستعراض الذى مر للاحداث القبلية في لواء المنتفق الحالة البالغة السوء التى كان ذلك اللواء يعيش فى ظلها . اذ كان القتال متواصلا في ربوعه ، بين القوى القبلية المتصارعة تارة ،وبينها

(١) الطاهر، المشائر العراقية ،ص ص ٣٧١ - ٣٧٤.

(٢) IOR,L/p+s/10/212,No. P-2492/1914, Summary... April 1914, P.3.

(٣) IOR,L/p+s/10/212, No. P- 2937/1914, Summary ... May 1914, P. 1.

(٤) IOR, L/p+s/10/212, No. P- 4029/1914, Summary... for the month of June and July 1914, P.1.

(٥) الطاهر،العشائر العراقية ،ص ص ٣٧٤ - ٣٧٨.

وبين القوات الحكومية تارة أخرى. في حين أظهرت السلطات الحكومية عجزا واضحا عن مواجهة الموقف ، رغم انها كانت خلال ذلك كله تتكبد خسائر فادحه سواء من جراء عطياتها الحربية ، او نتيجة لعدم قدرتها على استيفاء الاموال الحكومية ، او لتدهور حالة الزراعة عموما بسبب انشغال الزراع بالمشاكل القبلية.

الفصل الثالث

قبائل ولاية البصرة والنشاط السياسي

١٣٢٦ - ١٣٣٢ هـ / ١٩٠٨ - ١٩١٤م

شيوخ القبائل بين معارضي جمعية الاتحاد والترقي ومؤيديها خلال الفترة ١٣٢٦ هـ/ ١٣٢٩هـ/١٩٠٨ - ١٩١١م :

أمتاز اللواء الثالث في ولاية البصرة وهو "سنجق البصرة" عن لوائي العمارة والمنتفق بظاهرة بارزة هي ضعف الوجود القبلي فيه . وقد نتجت تلك الظاهرة عن عدة عوامل منها نوعية الزراعة الغالبة فيه ، وهي زراعة النخيل التي تتطلب أستقرارا دائما في أرض معينة للعناية المستمرة بمغروساتها ، الأمر الذي لم يترك لدى الفلاح وقتا فائضا يبدده في نشاطات أخرى ، فضعف نتيجة لذلك ارتباطه بالقبيلة وأزداد ارتباطه بالارض(١). كما نجحت اجراءات مدحت باشا المعروفة من ناحية ثانية في توزيع اراضي ذلك اللواء الى قطع صغيرة تناسب طبيعة الانتاج (٢) ، وهكذا أصبح افراد القبائل المستوطنون على ضفاف شط العرب يسعون للافلات من ارتباطاتهم القبلية والتهرب من سيطرة شيوخ قبائلهم . (٣)

وقد ساعد موقع ذلك اللواء الجغرافي بلا ريب على ترسيخ تلك الظاهرة ، اذ انه يقع في منطقة قريبة من البحر" الخليج العربي" تطل على العالم الخارجي بعكس اللوائين السابقين المعزولين في الداخل . ولابد أن ذلك ترك أثرا في زيادة الوعي الحضري بين سكانه ، خاصة وأنهم متصلون مباشرة بمركز الولاية والمدن الاخرى القريبه منهم ، والتي تشكل في نفس الوقت مصدرا

---

(١) العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٢) فاضل حسين ، مرجع مر ذكره ، ص ٤ . وعن اجراءات مدحت باشا راجع التمهيد الذى مر ، ص ٤٣ .

(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣١٦ .

للتأثير الحكومي عليهم ، وتساعد على توفير قدر اكبر نسبيا من الامن لهـــم . كما ان وقوع ذلك اللواء على طرق المواصلات النهرية والبحرية أدى الـــى تنمية تجارته وتصدير منتجاته الزراعية وأغلبها من التمور الى العالم الخارجي مع ماترتب على ذلك من زعزعة للتنظيم القبلي المستند الى اقتصاد الكفاف.(١)

وثمة عامل آخر كبير الأهمية، وهو انعدام الوحدة القبلية في ذلـــك اللواء، فأغلب سكان أريافه يتكونون من امتدادات عشائرية صغيرة ومتنوعـــة لقبائل كبيرة تقطن في مناطق أخرى خارج اللواء. (٢) والطريف ان الكثيـــر منهم كانوا يوالون من الناحية القبلية شيخ المحمرة شبه المستقل والتابع مـــن الناحية الشكلية لدولة فارس المجاورة (٣) . ولعل ذلك أدى الى نشـــر الهدوء في اغلب أرياف ذلك اللواء ، فشيخ المحمرة كان يحرص بلا ريـــب على بقاء اتباعه هادئين حتى لا تتعكر علاقاته مع السلطات الحكومية في ولاية البصرة، الأمر الذي يؤثر على وضع املاكه في مدينة البصرة وماحولهـــا ، ورغم ذلك هناك بعض الشواهد التي تدل على انه كان يلجأ أحيانـــا لاستغلال ذلك الوضع بصورة معاكسة، فهو يثير اتباعه من طرف خفي لخلـــق المتاعب للولاة حين يختلف واياهم حول تلك الاملاك . (٤)

---

(١) نظمي ، مرجع مر ذكره ، ص ١٦ .

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ص ٣١٦ - ٣٢٢ .

(٣) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ص ٢٢٢٧ - ٢٢٢٨ .

(٤) PRO,FO 424/219,No. 20,Cons. Crow to Sir G. Lowther, March 31, 1909.

ونتيجة لكل تلك العوامل مجتمعه ، فأن تاريخ هذا اللواء في فترة هذا البحث خلا خلوا بارزا من أي حادث قبلي ذي شأن . ولكنه بالمقابل كان مليئا بأحداث سياسية كثيرة أمتدت آثارها الى اللوائين المجاورين وجرت بعض شيوخ قبائلهما الى المشاركة فيها . وكانت أسباب تلك الحوادث مرتبطة بنشوء وتطور حركة معارضة لحكم جمعية الاتحاد والترقي اتخذت من مدينة البصرة مركزا لها . وليس من المهم هنا التوغل في تفاصيل نشوء تلك الحركة ونشاطاتها المختلفة ، ولكن المهم هو التعرف على عوامل التأثير والتأثر المتبادلة بينها وبين قبائل الولاية .

وقبل المباشرة في تتبع تلك العوامل ، يجدر القول بأن تلك الحركة المعارضة قد تمحورت حول شخصية السيد طالب النقيب " ١٢٧٩ - ١٣٤٨هـ/ ١٨٦٢ - ١٩٢٩م" . والسيد طالب سليل اسرة هاشمية ينتهي نسبها الى السيد احمد الرفاعي ، واشتهر بعض رجالها بين اتباع الطريقة الصوفية الرفاعية . (١) ولا ريب ان ذلك النسب الشريف قد اعطى لتلك الاسرة مكانة كبيرة ، زاد منها تداول زعمائها لنقابة الاشراف في البصرة ، ومن هنا حملت الاسرة لقب النقيب . وبالاضافة الى مكانة عائلته وثرائها ، كان السيد طالب ذا شخصية متميزة ، فهو مثقف يجيد بالاضافة الى اللغة العربية اللغات التركية والفارسية والانجليزية ، وهو واسع الطموح ، جسم النشاط ، ميال الى التسلط . وقد جره ذلك الى الاحتكاك مع السلطات العثمانية زمن السلطان عبد الحميد الثاني ، ولكن السلطان لم يلبث

---

(١) احمد نور الانصاري (القاضي) ، النصرة في اخبار البصرة ، تحقيق يوسف عز الدين ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ص ٧٤ - ٧٥ .

ان استدعاه الى استانبول فقربه وخلع عليه الرتب واعاده للبصرة . (١)

ولكن الحظوة التى تمتع بها السيد طالب لدى السلطان عبد الحميد لم تمنعه من التودد لجمعية الاتحاد والترقي بعد قيامها بأنقلاب سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. (٢) اذ انه انتمى مع انصاره لفرع الجمعية الذى فتح فى مدينة البصرة، ولكن ذلك الانتماء لم يكسبه ود زعماء الجمعية، اذ أنهم لم يثقوا بصدق ولائه لهم، الأمر الذى دفع طالبا للاتجاه نحو المعارضة تدريجيا (٣) . وقد تبلور ذلك الاتجاه أخيرا على شكل حركة معارضة كان هدفها الحقيقى غير المعلن هو انشاء كيان عربى فى البصرة، يتربع السيد طالب على قمته (٤) ، ويتحالف مع الامراء العرب المجاورين فى الكويت والمحمرة ونجد (٥) . وكانت تلك الحركة تتمركز فى مدينة البصرة وماحولها

---

(١) خير الدين الزركلى ، الاعلام، ط٣ ، بيروت ، ١٩٦٩، ج ٣ ، ص ص ٣١٥ - ٣١٦ ولمزيد من التفاصيل ، راجع :
حسين هادى الشلاه، طالب النقيب ودوره فى تاريخ العراق الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت لجامعة عين شمس سنة ١٩٧٠م.

(٢) Wilson, Op.Cit.,,P. 18.

(٣) التميمى ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٣ .

(٤) Wilson, Op.Cit., P. 18.

(٥) نظمى ، مرجع مر ذكره، ص ٤٩ .

لنأيها عن مركز الدولة من ناحية،(١) ولانها مركز نفوذ عائلته الاجتماعي والديني من ناحية أخرى.

وقد أدرك السيد طالب أن قواه الذاتية المستمدة من تأييد انصاره في مدينة البصرة وماحولها أضعف من أن تمكنه من مواجهة الاتحاديين او تحقيق اهدافه الطموحه فالجأته الحاجة الى البحث عن حلفاء أقوياء يستعين بهم. ولا ريب أنه أجال بصره فيما حوله فأدرك أن القوتين المهيأتين للتعاون معه هما القبائل والمشيخات العربية شبه المستقلة في الكويت والمحمرة. وهناك فيما يتعلق بالقبائل مايدل على ان السيد طالب كان مدركا لاهمية الاستفادة منها في مناوراته السياسية منذ فترة مبكرة، فحين نقم على الدولة لعزلها اياه من متصرفيه الاحساء أرسل من يحرض قبائل المنتفق ويحاول اثارتها ضد الدولة. (٢)

ويبدو أن السيد طالب رأى ان خير وسيلة يتبعها هي السعي لدمج هاتين القوتين وحشدهما معا لتأييد خططه، فرتب عقد لقاء في قصر الشيخ خزعل في الفيلية في شهر صفر ١٣٢٧هـ/مارس ١٩٠٩م، حضره معه ومع الشيخ خزعل كل من مبارك الصباح شيخ الكويت سعدون باشا وعدد من مشايخ القرنة والعمارة. (٣) ولم تورد المراجع تفصيلات عن اسماء

---

(١) Longrigg, Op.Cit.,P. 45.

(٢) محمد هليل الجابري، الحركه القومية العربية في العراق بين ١٩٠٨ - ١٩١٤م، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، ص ٣٩٠ وقد ولي السيد طالب متصرفية الاحساء سنة ١٣١٩هـ/١٩٠٢م، ولكنه سحب من عمله في أواخر السنة التالية، رغم انه لم يعزل رسميا الا في أواخر سنة ١٣٢٢هـ/اوائل ١٩٠٥م، راجع : لوريمر، مرجع مر ذكره، القسم التاريخي، ج ٣، ص ١٤٧٣.

(٤) النجار، مرجع مر ذكره، ص ١٣٨ وايضا التميمي، مرجع مر ذكره، ص ٣٤.

اولئك المشايخ الذين شاركوا فى اللقاء ولاعما دار فيه من ابحاث، ولم تشر الى وجود اية نتائج عملية تمخضت عنه . الامر الذى يدفع الى الاعتقاد بأن ذلك اللقاء كان أقرب شيئ لولمة اجتماعية تبادل خلالها المدعوون الحديث فى أمور عامة ثم تفرقوا كل لحال سبيله . ورغم ذلك فأن مجرد حدوثه لايخلو من دلالة بالغة الاهمية على وجود فكرة أدخال القبائل فى خضم اللعبة السياسية ، وعلى أستجابة بعض شيوخ القبائل لتلك الفكرة ولو الى حد ما .

ويناقض اشتراك سعدون فى ذلك المؤتمر مارواه البعض من انه أستغل قيام انقلاب ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م فتقرب الى جمعية الاتحاد والترقى حتى اصبح من كبار انصارها، وهو الامر الذى جره للصدام مع السيد طالب (١) . واذا أستبعدنا ماقيل عن الصدام جانبا اذ ان المصادر والمراجع لم تشر الى حدوث صدام بين الرجلين فى هذه الفترة على الاقل، تبقى بعد ذلك مسألة تقرب سعدون لجمعية الاتحاد والترقى وهو أمر ثابت كما مر بنا (٢) ، ولكنه انتهى سريعا . فقد اعقب خروجه من لواء المنتفق مهزوما أن توترت علاقاته مع السلطات الحكومية حتى كان فى شهر أبريل ١٩٠٩م(ربيع الاول ١٣٢٧هـ) يستعد للقيام بأعمال حربية ضدها (٣) ، وذلك هو ما دفعه للاشتراك فى لقاء القبلية على مايبدو .

---

(١) Dickson, The Arab of the Desert, P. 556.; Wilson, Op.Cit., 18.

(٢) راجع، الفصل الثانى ، ص ١٦٦

(٣) PRO, FO 424/219, No 23, Cons. Crow to Sir G. Lowther, April 29, 1909.

وفى الوقت الذى ابدى فيه السيد طالب اهتماما واضحا بأستقطاب القبائل الى جانبه ، نجد فى الجانب المقابل أن النظام الداخلى لجمعية الاتحاد والترقى الذى نشرته احدى الصحف الصادرة حينئذ فى عدة اعداد متوالية لم يتطرق من بعيد او قريب لتحديد الطرق الواجب اتباعها لمعاملة القبائل وكسب شيوخها وافرادها الى صف الجمعية عدا ماذكرته المادة الخامسة والاربعون من ذلك النظام التى تحدثت من واجبات نوادى الجمعية التى تفتح فى الاولوية والمراكز حيث قالت :- " ينبغى على النوادى أن يقوموا عند سنوح الفرص بأرشاد القرويين بحيث يؤلفون قلوبهم على محبة الدستور وينفرونهم من الاستبداد او أن يوالوا أرسال هيئات مخصوصة الى القرى للقيام بهذا الأمر الذى فيه سلامة الوطن ". (١)

وإذا انتقلنا من مجال الكتابات النظرية الى التطبيق العملى ، فأننى لم أجد - فيما بين يدى من مصادر ومراجع - مايشير الى انتماء احد من شيوخ القبائل انتماءا رسميا لجمعية الاتحاد والترقى ، مما يدعو للاعتقاد بأن علاقة اولئك الشيوخ بالجمعية -ان وجدت - لاتعدو أن تكون اتفاقا مصلحيا ، يطول او يقصر حسب الظروف المتغيرة . وقد ساعد على ذلك كون الجمعية فى هذه الفترة هى الحزب الحاكم فى الدولة ، فأحتكاك أى من اولئك الشيوخ مع السلطات الحكومية ينعكس بالنتيجة على موقفه من الجمعية . واذ عرفنا أن تلك الاحتكاكات كانت مستمرة تقريبا ، فلا يجب أن نتوقع وجود علاقة راسخة بينهم وبين الجمعية ، سيما وانهم لم يكونوا ليهتمون بأهداف الجمعية أو يفهمونها بصورة تجعل علاقتهم بها نتيجة لقناعة مبدأية .

---

(١) الرقيب ، السنة ٢ ، العدد ١٥٣ ، ١٩ شعبان ١٣٢٨هـ/ ٢٥ أغسطس ١٩١٠م ، ص ٣ .

وقد تجسد كل ذلك في مسلك سعدون تجاه الجمعية، ولم يكن موقف رفيقيه في لقاء الفيلية الشيخين خزعل ومبارك مختلفا كثيرا عن موقفه في هذا المجال، فقد اهتمت جمعية الاتحاد والترقي بأمر ذلك اللقاء وسعت الى تطويق ماقد يترتب عليه من نتائج بأن عينت احد اعضائها البارزين وهو سليمان نظيف بك واليا للبصرة " ١٣٢٧ - ١٣٢٨هـ/١٩٠٩-١٩١٠م ". وقد بادر الوالي الجديد الى الضغط على خزعل ومبارك حتى انضما رسميا الى فرع الجمعية في البصرة . (١) وكانت استجابتهما للضغط محكومة بلا ريب برغبتهما في تجنب ماقد يلحق بأملاكهما الواسعة في البصرة من متاعب، ولكن ذلك لم يعني واقعيا تخليهما عن تعاونهما الوثيق مع حليفهما السيد طالب كماسيأتي .

واذا كان اتفاق بعض شيوخ القبائل مع الجمعية اتى مصلحيا في اغلب الاحيان، فالقول نفسه ينطبق على معارضتهم لها . ومن الامثلة على ذلك ماحدث في ربيع الاول ١٣٢٧هـ/ أبريل ١٩٠٩ حين اقدم السلطان عبد الحميد على اقالة الوزارة الاتحادية وامر بتطبيق الشريعة بدلا من الدستور (٢) ، وهي الاحداث التي عرفت بـ " ثورة الرجعية " (٣) . فقد كان فضبان البنية شيخ بني لام في تلك الاثناء على خلاف شديد مع السلطات الحكومية فأغتنم الفرصة وابرق للسلطان معربا عن اخلاصه ومبينا ان العمليات

---

(١) النجار، مرجع مر ذكره، ص ١٣٨ .

(٢) Lewis, Op.Cit., P. 21.

(٣) ساطع الحصري، البلاد العربيه والدولة العثمانيه، ط٢، بيروت ، ١٩٦٠م ص ١١٠ .

الحربية التى يخوضها ضد القوات الحكومية هدفها تأييده فى سعيه الرامى الى ابطال المشروطية" الدستور"(١) . ومن نافلة القول بيان انه ماكان يهم غضبان أمر المشروطية الغيت أو بقيت ، بل كان يهمه كسب رضا السلطان متوقعا انتصاره فى معركته مع الجمعية . ولقد كان ذلك منه رهانا خاسرا ، اذ فشلت حركة السلطان فعزل من السلطنة ، ولم يحرك "مؤيدوه" فى العراق ساكنا ، اللهم الا بعض الهياج الذى حدث فى بغداد وخمد بشكل سريع .(٢)

ومن الامثلة كذلك ماحدث حين اشتدت المعارضة فى استانبول وبغداد فى اواخر سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م لمشروع نقل ملكية السفن النهرية الحكومية العاملة فى نهر دجلة الى شركة بريطانية ووصلت أخبار تلك المعارضة الى قبائل العمارة مصحوبة بأشاعة تفيد بأن الحكومة تنوى أيضا بيع كل الاراضى الواقعة على نهر دجلة الى البريطانيين ، فأدى ذلك الى احداث بعض الاضطراب بين القبائل القاطنة هناك(٣) . ولكن ذلك لايعنى أن تلك القبائل أضطربت استجابة لتأثيرات مباشرة من القوى السياسية المعارضة ، وانما يعنى انها أحست بخطر ماثل يهدد مصالحها

---

(١) الرقيب ، السنة ١ ، العدد ١٥ ، ٨ ربيع الآخر ١٣٢٧هـ/٢٩ نيسان ١٩٠٩م ، ص ٣ .

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 610, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Cons. at Colombo, May 11, 1909.

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. 11, Am. Cons. At Bag. to Am. Amb. at Const., Jan. 21, 1910.

المباشرة، فرفعت راياتها واخذت " تهوس " محذرة الحكومة الاتحادية من الاقدام على تلك الخطوة ، وكان ذلك منسجما مع موقف المعارضة السياسية في استانبول وبغداد انسجاما آنيا محضا .

وعلى ضوء كل مامر يمكن فهم الأسباب الكامنة وراء تحسن علاقة سعدون باشا بجمعية الاتحاد والترقي خلال صيف سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م ، وهو تحسن يدل عليه انه كان من بين الشيوخ الذين أموا بغداد لمقابلة الوالي الجديد ناظم باشا ، وهناك انفرد عنهم جميعا بزيارة نادي جمعية الاتحاد والترقي في تلك المدينة زيارة أثنى خلالها على الجمعية ثم تبرع ببعض المال لناديها . (١) وقد انعكس ذلك التحسن على معاملة الموظفين الحكوميين لسعدون ، فأخذوا يمنحون تأييدهم له ضد منافسيه القبليين بزعامة عبد الله الفالح ، (٢) والذين تباعدوا نتيجة لذلك عن الجمعية ومالوا لخصومها كما سنرى . وهذا مؤشر على بروز ظاهرة جديدة وهي أرتداء النزاعات القبلية التقليدية لمسوح سياسية ظاهرية .

وفي غضون ذلك ، لم يكف السيد طالب النقيب عن معارضته لجمعية الاتحاد والترقي . ولكن تلك المعارضة رغم نشاطها لم تأخذ صيغة تنظيمية محددة الا خلال شهر شعبان ١٣٢٩هـ/ أغسطس ١٩١١م ، حين أفتتح في مدينة البصرة فرع برأسته للحزب الحر المعتدل المعارض الذي كان قد تأسس

---

(١) صدى بابل ، السنة ٢ ، العدد ٦١ ، ١٢ شوال ١٣٢٨هـ ص ١

(٢) Dickson, The Arab of the Desert, p. 556.

في أستانبول في أواخر سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م. [١] ولقد حاول طالب أن يكسب لحزبه هذا التأييد في الالوية الأخرى ، فكتب رسائل الى وجهائها بهذا الشأن . [٢] ومما يلفت النظر في أمر تلك الرسائل أن من بين اسماء كل وجهاء لوائي المنتفق والعمارة الذين كتبت لهم لا نجد سوى اسماء اثنين من زعماء القبائل في لواء المنتفق هما عبد الله الفالح السعدون وخير الله شيخ ال حميد [٣] . ويدل ذلك دلالة واضحة على ان طالبا رغم حرصه على اكتساب القوة القبلية في الولاية الى جانبه الا انه كان يدرك صعوبة أجتذاب اغلبية شيوخ القبائل الى عمل سياسي حزبي في هذه الفترة .

ولكن حادثا وقع قريبا من هذا الوقت جذب بعض القوى القبلية تدريجيا الى ساحة الصراع السياسي والمنافسات الحزبية ، ذلك هو حادث القاء القبض على سعدون باشا حينما كان يحل ضيفا على السيد طالب في البصرة في رجب ١٣٢٩هـ/ يوليه ١٩١١م كما مر سابقا . وقد اتهم عجمي بن سعدون السيد طالب بالتواطوء مع السلطات الرسمية في ذلك الحادث . ويحسن التوقف هنا قليلا للتدقيق في أمر هذه التهمة لكونها الاساس الذي بنيت عليه أغلب حوادث هذا الفصل . وأول مايلفت الانتباه بهذا الخصوص هو ان المحامي سليمان فيضي الذي كان حينئذ الساعد الايمن للسيد طالب والمطلع على كل شئونه قد ذكر اتهام عجمي ولكنه لم

---

(١) التميمي ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٤ .

(٢) فيضي ، مصدر مر ذكره ، ص ٩٨ .

(٣) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٠٩ .

بنفسه (١) ، فهل عنى سكوته اقرارا ضمنيا بالتهمة المنسوبة لصديقه؟ ان جواب هذا السؤال يتطلب فحصا لما قالته المصادر المعاصرة الاخرى حول الامر .

وأول هذه المصادر هو القنصل الامريكي في بغداد الذي يبدو مقتنعا تماما بمسئولية السيد طالب عن القبض على سعدون ، فهو قد خدعه وجعله يأتي للبصرة حيث قبض عليه . (٢) ولكن زميله القنصل البريطاني في البصرة كان ذا قناعة مغايرة، فقد ذكر انه قام بعدة استفسارات عن القضية قادته لنتيجة مفادها أن طالبا لم يكن مطلعا بأي وجه على الظروف التي قادت الى اعتقال سعدون ولكنه أضاف أن وصمة العار الوحيدة التي يمكن أن تلحق بطالب حقا هي فشله في انقاذ ضيفه من براثن الحكومة بعد القاء القبض عليه ، وبالرغم من ان تلك المهمة كانت ـ حسب معلومات القنصل ـ خارج حدود طاقته فعلا فقد قيل انه فعل ما يستطيع لمساعدة ضيفه (٣) .

ولكن ذلك القنصل نفسه مالبث أن هز اليقين الذي توحي به روايته الاولى ، حين كتب قائلا أن زميله القنصل البريطاني في المحمرة قد أخبره بأن "الحجي ريس" كبير التجار في تلك المدينة والوثيق الصلة بالشيخ خزعل اعلمه بأن طالبا أوقع بسعدون لمصلحة صديقه مبارك

(١) [illegible]، مصدر مر ذكره، ص ١٠٥ .

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. M-467, Am. Cons. at Bag to Am. Amb. at Const., Dec. 7, 1912.

(٣) PRO, FO 424/238, No. 30, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 18, 1913.

الصباح شيخ الكويت[١] . وتبدو هذه الرواية منسجمة مع الجو العام للاحداث، اذ كان هنالك حلف وثيق بين طالب ومبارك من ناحية ، وعداء شديد بين سعدون ومبارك من ناحية أخرى . وهو عداء ان صفى ظاهريا بين الرجلين من خلال وساطة والى البصرة فى محرم ١٣٢٩هـ/ يناير ١٩١١م[٢] ، الا أن جذوره ظلت حية فى النفوس .

وهكذا فأن روايات القنصلين الامريكى والبريطانى لاتوصلنا الى يقين ثابت لا يتطرق اليه الشك حول صحة الاتهام المذكور . ولكن سكوت سليمان فيضى ومايكتنفه من دلائل منطقية تجعل الذهن أميل الى قبول ماروى عن مسئولية السيد طالب عن المصير الذى آل اليه سعدون . فالسيد طالب كان ذا طموح كبير ونزعة شديدة الوضوح للتفرد بالزعامة فى محيطه ، ولعل ذلك جعله يضيق بالمكانة القبلية التى كان يحتلها سعدون خاصة وانه فشل فى ضمه تحت لواء زعامته لميل سعدون الى التعاون مع جمعية الاتحاد والترقى كما رأينا . وعلى ذلك فربما بادر السيد الطالب الى أستغلال الفرصة التى سنحت بغضب الحكومة على سعدون ، فتواطأ معهم على أعتقاله كى ينفرد بالساحة من ناحية، ويقدم خدمة لحليفه مبارك الصباح من ناحية ثانية.

---

(١) PRO, FO 424/239, No. 39, Cons. Crow to Sir G. Lowther, June 20, 1913.

(٢) عبد العزيز الرشيد ، تاريخ الكويت ، بيروت ، ١٩٧١م، ص ص ١٨٦ - ١٨٩ .

الصراع بين عجمي وطالب ١٣٣٠ - ١٣٣١هـ/١٩١٢ - ١٩١٣م

عرفنا ان العلاقة بين عجمى والسلطات الحكومية تحسنت حين تولى فريد بك الاتحادى المتحمس متصرفية المنتفق ، ولم يكن ميل عجمي للتصافي مع تلك السلطات ومن رأسها جميعة الاتحاد والترقي رغم مسئوليتها المباشرة عن مصير والده ، الا نتيجة لاعتقاده بأن السيد طالب هو المسئول عن ذلك المصير ، ولأن طالبا كان يعارض تلك الجمعية فقد أضطر هو للارتماء في احضانهـا ووضع يده في يدها (١) . وهكذا اتخذت عادة الثأر القبلية المتأصلة مظهرا عصريا حين ترتبت بزى النزاع السياسي بين الحكم والمعارضة . ولكن ذلك الارتماء في احضان الجمعية لايعني ان عجمي قد انضم لها رسميا وأصبح احد اعضائها العاملين ، فليس هنالك مصدر واحد يشير الى هذا . ثم انه بطبيعة تكوينه القبلى غير معنى بفهم طبيعة تلك الجمعية ولا أدراك حقيقة اهدافها ، او هو غير مهيأ لذلك ، ولكنه مال اليها لانها الجهة الحاكمة التي قد تساعده في الوصول الى مبتغاه في الاقتصاص من عدوهما المشترك السيد طالب . وان كان تجب الاشارة في هذا المجال الى ان بعض المقربين من عجمي كانوا اعضاء عاملين في الجمعية وأبرزهم وكيله في مدينة البصرة ومستشاره المقرب محمد العصيمي (٢) .

وكما أدت مشاعر الحقد بعجمي الى الميل نحو الاتحاديين فأن منافسيه بزعامة عبد الله الفالح مالوا نتيجة لذلك الى الجهة المعاكسة فأصبحوا حلفاء

(١) Wilson, Op.Cit., P. 78; Dickson, The Arab of the Desert, P. 557.

(٢) IOR, L/p+ s/10/212, No. P-4798/1912, Summary... Oct. 1912, P. 2.

لطالب النقيب [١] . ولذلك فما أن سقطت الحكومة الاتحادية فى استانبول فى يوليه ١٩١٢م [٢] (شعبان ١٣٣٠هـ) وهو السقوط الذى لم يكن لـــــه رد فعل كبير فى العراق [٣] ، لانه كان مريحا ومرضيا لاكثر الطبقات [٤] ، حتى انقلب ميزان القوى المحلية فى ولاية البصرة فأرتفعت أسهم طالب وحليفـــه عبد الله الفالح بينما تحول عجمى الى صفوف المعارضة [٥] . وكان من الطبيعى ان تسحب الحكومة اعترافها به شيخا عاما لقبائل المنتفق وتمنح ذلك اللقـــب رسميا لمنافسة عبد الله الفالح حسب رواية القنصل الامريكى فى بغداد [٦] . ويستدل من تلك الرواية أيضا على أن السلطات الحكومية عادت فى هذا الوقت الى الاعتراف الرسمى بمشيخة ال سعدون على قبائل المنتفق بعد أن كـــان ذلك الاعتراف قد الغى بعد احداث سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م.

وقد جعل عجمى - بعد أن اصبح معارضا - يتحين الفرص لمضايقـــة الحكومة واشعارها بقوته . فقد أرسل وكيله فى البصرة محمد العصيمـــــى

---

(١) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٨١.

(٢) Lewis, Op.Cit.,P. 224.

(٣) N.A.R.S., RG 84,No. M-C-327,Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Sept. 6, 1912.

(٤) IOR, L/p+s/10/212, No. P-3602/1912, Summary of Events in Turkish Iraq for July 1912, P.1.

(٥) Longrigg, Op.Cit., P. 56.; Dickson, The Arab of the Desert, P. 558.

(٦) N.A.R.S., RG 84, No. M-467, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Dec. 7, 1912.

في سبتمبر ١٩١٢م (شوال ١٣٣٠هـ) برقية الى وزير الداخلية والى عدة صحف في أستانبول مفادها أن عجمي مستعد للزحف نحو العاصمة على رأس خمسين ألف رجل اذا ماجرت أية محاولة رجعية هدفها النيل من الدستور[١]. ورغم مافي تلك البرقية من تهويل واضح ، الا انها تركت صدى واسعا أثار اهتمام المحافل السياسية والصحف في العاصمة، مما جعل وزير الداخلية يبرق الى سلطات ولاية البصرة للتحقيق في أمرها[٢]. وقد تلقفت تلك السلطات الفرصة فأصدرت قرارا يعتبر عجمي لصا لسلبه ثروة مزيد باشا السعدون ويحظر على القرويين تزويده بالمؤن كما سحبت صديقه فريد بك من متصرفية المنتفق[٣]. ولايبدو اتخاذ تلك الاجراءات غريبا اذا عرفنا أن طالب النقيب كان في هذا الوقت يدير ولاية البصرة بالوكالة لعدم وجود وال فيها[٤].

ولم يركن عجمي ازاء تلك الاجراءات للهدوء ، بل انه رد عليها بتصعيد الضغط على الحكومة في نوفمبر ١٩١٢م (ذي الحجة ١٣٣٠ هـ) فقد وصلت الاخبار الى مدينة البصرة بأنه يتقدم نحوها على رأس اربعة عشر ألف رجل من اتباعه[٥] ، الامر الذي نشر الرعب هناك في يومي الخامس والعشرين والسادس والعشرين من نوفمبر (الخامس عشر والسادس عشر من ذي الحجة) فأغلقت الاسواق ومكاتب البنوك ، وهربت العوائل المسيحية

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. P-4798/1912, Summary... Oct. 1912,P.2.

(٢) صدى بابل ، السنة ٤ ، العدد ١٥٥ ، ١٧ شوال ١٣٣٠هـ/ ٢٩ أيلول ١٩١٢م، ص ٣ .

(٣) IOR,L/p+s/10/212,No. P-688/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for Dec. 1912, P.2.

(٤) IOR,L/p+s/10/212, No. P-311/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for Nov. 1912,P.3.

(٥) N.A.R.S., RG 84, No. M- 450, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Dec. 2, 1912.

من مدينة البصرة الى ضاحية العشار، كما جلب الموظفون المسيحيون العاملون في الشركات الاجنبية عوائلهم للاحتماء بمكاتب تلك الشركات ، بينما لجـأ البعض الاخر منهم الى قنصليتي روسيا واميركا الواقعتين على الطريق المؤدى للعشار[1] ، حيث أستضاف الوكيل القنصلى الامريكى أربعين شخصا منهم.[2]

واثر ذلك أتخذت الاستعدادات للدفاع عن مدينة البصرة ،فأستدعى السيد طالب مؤيديه من فلاحي بساتين النخيل الواقعة الى الجنوب من المدينة الذين لبوا دعوته بأعداد كبيرة. ولكن دخولهم للمدينة لم يؤد الى تهدئة مخاوف سكانها اذ أخترقوا الشوارع وهم " يهوسون " ويطلقون نيران بنادقهم في الهواء . وقد أدى ذلك الى اثارة القلق رغم عدم وقوع أية اصابات نتيجة لاطلاق النار على تلك الصورة. ولم يطل بقاء أولئك المسلحين في المدينة كثيرا ،اذ أصدرت لهم الاوامر بمرافقة جنود الحامية وافراد البحرية ومدفعين جبليين الى الصحراء الواقعة خلف المدينة أستعدادا لصد الهجوم المتوقع.[3] فتحرك الجميع في السادس والعشرين من نوفمبر (السادس عشر من ذى الحجة) مما ادى الى تهدئة مخاوف سكان المدينة ،كما زاد من تهدئتهم وصول السفينة الحربية البريطانية سفنكس Sphinx في اليوم التالى ومرابطتها هناك.[4]

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. P- 311/ 1913, Summary... Nov. 1912, P. 2.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 47/ 28, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag,, Dec. 9, 1912.

(٣) IOR, L/p+s/10/212,No. P-311/1913, Summary... Nov. 1912,P.3.

(٤) N.A.R.S., RG 84, No. M- 450, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Dec. 2, 1912.

وقد أدى هذا الاطمئنان الى عودة المسيحيين الى منازلهم خاصة بعد أن اكد لهم السيد طالب بأن لاشيء سيحدث (١) .

وقد وصل صدى تلك الاخبار الى بغداد مضخما بعض الشيء في الخامس والعشرين من نوفمبر (الخامس عشر من ذي الحجة) ، حين أنتشرت في اوساط تلك المدينة اشاعة رائجة تفيد بأن عجمي قد هاجم مدينة البصرة على رأس الفي فارس من اتباعه ، في نفس الوقت الذي كان فيه شيوخ بني لام يزحفون نحوها أيضا . واثر ذلك ذهب والي بغداد ومعه قائد الفيلق علي رضا باشا الى دائرة البرق ، وظلا فيها حتى منتصف الليل في اتصال برقي مستمر مع استانبول ، وكانت نتيجة تلك الاتصالات هي تعيين علي رضا باشا وكيلا لولاية البصرة ، حيث توجه لمقر عمله الجديد في السابع والعشرين من نوفمبر (السابع عشر من ذي الحجة) على ظهر السفينة " موصل" ترافقه كتيبتان من الجند تضمان أربعمائة رجل ومدفعي ميدان (٢). وقد علل نائب القنصل الامريكي في بغداد هذا التحرك السريع من جانب السلطات بخوفها من أن تؤدي أية أضطرابات تقع في مدينة البصرة الى انزال البحرية البريطانية هناك حيث لايمكن زحزحتها فيما بعد (٣)

وفي خضم تلك الاستعدادات الحربية في البصرة وبغداد فتح باب الاتصالات مع عجمي ، حين أرسلت له رسالة من ولاية البصرة . ورغم انه لم يرد على تلك الرسالة فورا (٤) ، الا انها مع ماسبقها من أستعدادات دفاعية

---

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 47/28, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag. , Dec. 9, 1912.

(٢) IOR,L/p+s/10/212, No. P- 311/1913, Summary ... Nov. 1912,P.2.

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. M- 467, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Dec. 7, 1912.

(٤) IOR, L/p+s/10/212, No. 311/1913, Summary... Nov. 1912, P. 3.

قد أدت على مايبدو الى الحد من حماسته (١)، فلم يقع الهجوم المتوقع لذلك سحبت القوات الحكومية من مواقعها في الصحراء وتفرق المسلحون القرويون وعادوا الى قراهم في التاسع والعشرين من نوفمبر (٢) (التاسع عشر من ذي الحجة) وهكذا فحين وصل وكيل الوالي الجديد الى مقر عمله في الثالث من ديسمبر (الثاني والعشرين من ذي الحجة) وجد مدينة البصرة في حالة طبيعية ولكن ذلك لم يمنعه من معاودة الاتصال بعجمي فأرسل بعض الرسل الى مخيمه ، وعادوا برده على رسالة الولاية وفحواه انه اقترب من مدينة البصرة بهدف توزيع اتباعه من قبيلة بني مالك وغيرهم على المراعي الخاصة بهم . ولكنه لم ينس أن يقول انه سمع بأن الولاية أصدرت الاوامر الى القرويين بعدم تزويده ورجاله بالمؤن باعتباره لصا . وقد حذر الرسل العائدون من تلك المهمة سلطات الولاية بأن تظل متيقظة من احتمال هجوم مفاجئ قد يشنه عجمي طالما ظل مقيما بالقرب من البصرة (٣) .

ولكن هل كان عجمي يهدف فعلا من حركته تلك الهجوم على مدينة البصرة ؟ لقد أجاب القنصل البريطاني في البصرة على ذلك السؤال بالايجاب فقد اعتقد أن عجمي اعتزم - انتقاما لمصير والده - توجيه ضربة مباغتة للبصرة مستغلا ضعف حاميتها التي لم تكن تزيد حينئذ عن ثلاثمائة رجل فقط

---

(١) N.A.R.S., RG 84, No. M-450, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Dec. 2, 1912.

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. P-311/1913, Summary... Nov. 1912, P.3.

(٣) IOR,L/p+s/10/212, No. P- 688/1913, Summary... Dec. 1912, P.2.

بضمنهم كل قوات الشرطة والدرك والبحرية (١) . وفي حين وافق القنصل الامريكي في بغداد على ان هدف عجمي هو الثأر لوالده من السيد طالب (٢) ، وزاد الوكيل القنصلي الامريكي في البصرة على ذلك بتحديده شكل الثأر المطلوب وهو القبض على السيد طالب (٣) ، فأن الدبلوماسيين الامريكيين أبديا الشك في أن يكون هدف عجمي اقتحام مدينة البصرة . فذكر اولهما أن مصادر موثوقة روت له أن قوات عجمي لم تزد على ألفي فارس كان يخيمون على بعد عدة ساعات الى الغرب من مدينة الزبير التي تبعد بدورها عشرين ميلا جنوب غرب مدينة البصرة ، واضاف أن السيد طالب ربما أستغل تلك الواقعة من اجل أن يصبح واليا للبصرة . (٤) اما ثانيهما فرغم انه قد انطلت عليه بعض التهويلات التي روجت في البصرة ، فصدق أن قوات عجمي تتألف من اربعة عشر ألف رجل ، وان انصار طالب الذين استقدمهم للدفاع عن المدينة يقدرون بأثني عشر ألف رجل ، الا ان اللعبة كلها لم تنطل عليه حين أستدرك قائلا أن كل الأمر على مايبدو كان مظاهرة اعدها السيد طالب بهدف أن يظهر لاستانبول قدرته على حماية البصرة بنفوذة ورجاله . (٥)

---

(١) IOR,L/p+s/10/212,No.P-311/1913,Summary... Nov.1912,P.3.

(٢) N.A.R.S.,RG 84,No.M-467, Am. Cons. at Bag. to Am.Amb. at Const., Dec. 7, 1912.

(٣) N.A.R.S.,RG 84,No. 47/28,Am. Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag. , Dec. 9,1912.

(٤) N.A.R.S. RG 84, No. M- 467,Am. Cons.at Bag. to Am. Amb. at Const., Dec. 7,1912.

(٥) N.A.R.S., RG 84,No. 47/28,Am. Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag. , Dec. 9, 1912.

وتدفع كل الدلائل المتجمعة الى ترجيح رأي الدبلوماسيين الامريكيين، فالتدقيق في كل تفاصيل الحكاية منذ بدأت يظهر أن الأمر لم يكن اكثر من مسرحية مثل جانبا منها عجمي ، بينما مثل الجانب الآخر خصمه السيد طالب ، في دورين مستقلين من حيث الاعداد ، متكاملين من حيث الاداء والتنفيذ . فلقد تضايق الاول من الجفاء الذي أظهرته له الحكومة بعد أنقلاب شعبان ١٣٣٠هـ/ يوليه ١٩١٢م، ثم زاد ضيقه حين وصفته باللصوصية في ذي القعدة/ اكتوبر من السنة نفسها ، فقرر القيام بمظاهرة قوة تحمل الحكومة على تعديل موقفها منه ،وتنذر - من خلال التلويح بقميص الثأر القديم - طالبا بالكف من مضايقته . والدليل على ذلك هو ان عجمي لم يتقدم الى مدينة البصرة ، بل ولم يصل لمسافة قريبة جدا منها بالرغم من ضعف حاميتها . فلو كان ينوي مهاجمتها حقا لاقدم على ذلك بغتة ، او تقدم وناوش القوات المدافعة عنها على الأقل .

ولقد تلقف السيد طالب من جانب آخر تلك الفرصة السانحة كي يقوم بمظاهرة مضادة . فضخم انباء تحركات عجمي ،وبالغ في قوته ،وأستدعى انصاره من فلاحي البساتين ،وجعلهم يدخلون المدينة" يهوسون" ويطلقون النار ،واشاع أن عددهم اثنا عشر الفا ، وذلك لاظهار قوته أمام حلفائه الحاكمين في استانبول . بينما هو متأكد خلال ذلك من ان الخطر الحقيقي بعيد تماما من مدينة البصرة ، بدليل التطمينات التي اعطاها للمسيحيين في ذروة الأزمة ، وتسريح انصاره بعد مرابطتهم ثلاثة أيام في خطوط الدفاع التي أقيمت خلف مدينة البصرة ،رغم انه لم يستجد شيء يستدعي ذلك التسريح ،فالخطر - اذا ما كان هنالك أي خطر - لازال كما هو . والطريف أن المقيم السياسي البريطاني في بغداد شبه طالبا وعجمي في نزاعهما برجلين

يصطرعان حول تمثال لتركي مترنح لم يسقط بعد . (١)

وتحسن العودة الآن لمتابعة سير الحوادث، لنجد أن الوضع سيطـر عليه بعض الجمود عدة أسابيع، فعجمي باق في مخيمه في الصحراء، وطالب يتمتع بتأييد الحكومة في مدينة البصرة. ولكن ذلك الجمود سرعان ماتبدد حين اسقط الاتحاديون حكومةالائتلافيين فيأستانبول بأنقلاب عسكري قادة أنور بك في يناير ١٩١٣م(٢) (محرم ١٣٣١ هـ) ورغم أن ذلك الانقلاب قوبل ببرود وعدم مبالاة في العراق عموما (٣) ، الا أن النتائج التي ترتبت عليه في البصرة كانت سريعة . فقد تبودلت الادوار بين الخصوم، فأصبح عجمي نصيرا للحكومة التي اعادت الاعتراف به رئيسا رسميا اعلى لقبائل المنتفق (٤) ، في حين اصبح السيد طالب وانصاره من المعارضين . (٥)

ولمواجهة هذا الواقع الجديد ،لجأ السيد طالب الى تدبير بارع أستهدف منه حل فرع جمعية الاتحاد والترقي في مدينة البصرة، مقابل حل فرع حزب الحرية والائتلاف المشكل برأسته والذي كان قد حل في مطلع سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م محل الحزب الحر المعتدل السابق (٦). ولذلك

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. P- 3105/1913, Summary ... June 1913, P.1.

(٢) Lewis, Op.Cit.,P. 225.

(٣) IOR,L/p+s/10/212, No. P-1213/1913, Summary... Jan. 1913,P.3.

(٤) Longrigg,Op.Cit.,P. 56.

(٥) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٢ ٨ وأيضا Dickson,The Arab of the Desert,p.558.

(٦) التميمي، مرجع مر ذكره ،ص ص ٣٥ - ٣٧ .

جمع في منزله في السادس والعشرين من يناير ١٩١٣م (السابع عشر من صفر ١٣٣١ هـ) عددا كبيرا من وجهاء مدينة البصرة من اعضاء الحزبين معا ووجههم لصياغة مضبطة وقعوها جميعا وختموها بأختامهم واقسموا على تنفيذها . وهي تنص على انهم وجدوا الخلافات الحزبية قد وضعت الدولة العثمانية على حافة الدمار ، فقرروا منذ هذه اللحظة الا يقفوا الى جانب جمعية الاتحاد والترقي او معارضيها ، بل سيكرسون جهودهم كلها لخدمة الدولة بدون اختلاف حزبي (١) . ولا ريب أن الاتحاديين من البصريين تقبلوا ما اوحى به السيد طالب اذعانا لا اقتناعا ، اذ ان سكان مدينة البصرة كلهم كانوا يخشونه ولا يجرأون على رفض أي طلب من طلباته مهما كان استبداديا (٢) . وما أن تم للسيد طالب تنفيذ الشق الاول من خطته حتى بادر الى تنفيذ الشق الثاني منها ، فشكل في العشرين من ربيع الاول ١٣٣١هـ / الثامن والعشرين من فبراير ١٩١٣م جمعيه سماها "الجمعية الاصلاحيه" ، ضمت نفس اعضاء حزبه السابق . (٣)

وضعت الجمعية الجديدة برنامجا لعملها مكونا من سبع وعشرين فقرة كانت اهمها الفقرة التي تطالب الحكومة المركزية بأن يكون الوالي المعين لولاية البصرة مواطنا عراقيا مطلعا تماما على اوضاع القبائل المحلية وعاداتها (٤) . كما طالب ذلك البرنامج بوجوب توزيع بعض الاراضي الحكومية

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No.P- 1213/1913, Summary... Jan. 1913,P. 5.

(٢) N.A.R.S.,RG 84, No. M-467, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Dec. 7, 1912.

(٣) فيضي ، مصدر مرذكره ، ص ١٣٠ .

(٤) Zeine N. Zeine, The Emergence of the Arab Nation, 3rd. edit., New York, 1973, P. 95.

على القبائل كي تقوم بزراعتها ، وباعفاء الفلاحين من الخدمة العسكرية الالزامية لمدة عشرين سنة (١). ويدل كل ذلك على أدراك طالب وانصاره لأهمية المشكلة القبلية في ولاية البصرة من ناحية ، وعلى استمرار حرصه على اجتذاب تأييد بعض القبائل لقضيته من ناحية أخرى سيما وانه متورط في نزاع مع قوة قبلية كبيرة هي عجمي وانصاره . ولقد روى القنصل الامريكي في بغداد انه سمع بأن السيد طالب كان يطوف حينئذ على الشيوخ محاولا توحيدهم خلفه (٢) . ولعل القنصل الامريكي لم يقصد المعنى الحرفي للطواف ، اذ ليس هناك مايشير الى مغادرة طالب لمدينة البصرة وزيارته لاى من الشيوخ في هذا الوقت . ولكن فالح البنية أحد مشايخ بني لام روى للقنصل البريطاني في البصرة أن طالبا كتب له ولاخيه غضبان رسالة تطلب منهما مناصرته باعتباره زعيمهم وممثلهم ، وتقترح عليهما أن يوقع مشايخ بني لام مضبطة بهذا المعنى ، ولكن بني لام رفضوا الاستجابة لذلك الطلب لأن اهدافهم واغراضهم مختلفة ولانهم يفضلون العمل مستقلين (٣) .

وقد نشطت تلك الجمعية على أية حال في معارضة الحكومة الاتحادية الجديدة ، وتركزت معارضتها على القانونين اللذين اصدرتهما الحكومة في ربيع الثاني ١٣٣١هـ/مارس ١٩١٣م لاعادة تنظيم ادارة الولايات العثمانية واعطاء اهالي كل ولاية قدرا من المشاركة في ادارة ولايتهم من خلال انتخابهم

---

(١) N.A.R.S., RG 84, File No. 800, Am. Cons. at Bag. to Am. Charge d'Affaires at Const., Sept. 25, 1913.

(٢) N.A.R.S., RG 84, File No. 810, Am. Cons . at Bag. to Am. Amb. at Const., March 17, 1913.

(٣) PRO, FO 424/238, No. 16, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 18, 1913.

لجمعية محلية تساعد الوالي المعين من قبل الحكومة المركزية (١) . فقد احتج طالب ومناصروه على اعطاء الوالي حق اعلان الاحكام العرفية ، وعلى رآستـه للجمعية التي أرادوا لها ان تكون مستقلة وتتمتع بحق أستدعاء الوالي وبقية الموظفين للادلاء أمامها بالمعلومات المتعلقة بشئون الولاية ، وان يكون لها أيضا حق وضع خطط الاصلاح المطلوبة في الولاية ، كما الحوا على أن يكون توطين القبائل في اراضي معينة واجب التنفيذ طبقا للخطة التي تقدمها الجمعية للولاية . (٢)

صاغ السيد طالب مذكرة تضمنت تلك الاعتراضات والمطالب ، ورفعها الى الباب العالي بعد أن وقعها وجهاء مدينة البصرة (٣) . وقد روت الاخبار الصحفية المتداولة حينئذ أن بعض رؤساء العشائر قد وقعوا تلك المذكرة أيضا ولكنها لم تحدد اسماء أولئك الرؤساء (٤) . ورغم ان المصادر لم تشر الى مشاركة أي من الشيوخ في توقيع تلك المذكرة ، فليس من المستبعد أن يكون قد وقعها فعلا بعض شيوخ العشائر الصغيرة المحيطة بمدينة البصرة المتأثرين بنفوذ السيد طالب أو التابعين لصديقة الشيخ خزعل . ومهما يكن الحال ، فقد رد وزير الداخلية العثماني على تلك المذكرة ، رافضا

---

(١) Ahmed, Op.Cit., PP.134-135.

(٢) PRO, FO 424/238, No. 26, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 8, 1913.

(٣) PRO, FO 424/237, No. 11, Cons. Crow to Sir G. Lowther, Feb. 24, 1913.

(٤) لغة العرب ، السنة ٢ ، ج ١٠ ، جمادى الاولى ١٣٣١هـ/ نيسان ١٩١٣م ، ص ٤٧٥ .

ماحوته من اعتراضات ومصرا على وجوب المباشرة في انتخاب الجمعية، الأمر الذي قوبل بالرفض من قبل السيد طالب وانصاره مالم تتم الاستجابة لمطالبهم[١]. وقد هيأ ذلك التناقض في وجهات النظر الفرصة الاولى لاختبار القوة بين الحكومة والوطنيين العرب في البصرة، وهو الاختبار الذي لايمكن القول بأنه حسم وقتذاك، حسب تعبير المقيم السياسي البريطاني في بغداد[٢].

ويبدو أن محاولة حسم ذلك الاختبار قد تطلبت تدخل طرف آخر في ساحة الصراع، ذلك هو عجمي، الخصم التقليدي للسيد طالب، فليس مجرد صدفة أن يعاود عجمي تحركه بأتجاه مدينة البصرة في هذا الوقت بالذات. وكانت أول الانباء عن تحركه قد عرفت حين زار فالح البنيه أحد مشايخ بني لام القنصل البريطاني في البصرة في الثاني عشر من مارس ١٩١٣م (الثالث عشر من ربيع الاخر ١٣٣١هـ) واخبره بأنه قدم للتو من زيارة قام بها لمخيم عجمي في" تل المقير"[٣] على مسيرة ثلاثة أيام من البصرة حيث وجد معه حوالي تسعة الاف فارس، واكد للقنصل بأن عجمي سيهاجم مدينة البصرة قريبا ثأرا لوالده من السيد طالب[٤]. ثم تلا ذلك وصول رسائل من عجمي لعدد كبير من وجهاء مدينة البصرة وشيوخ العشائر ومختاري القرى الواقعة جنوبها[٥]. وكان النص الموحد لتلك الرسائل هو:-" نخبركم

---

(١) PRO,FO 424/238,No. 26,Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 8, 1913.

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. P- 2785/1913, Summary... May 1913, P.2.

(٣) اطلال مدينة أور السومرية المشهورة، والتل هو بقايا" الزقورة" او المعبد المرتفع المبني من الطابوق الذي وضعت بينه طبقات من القير ليتماسك، ولذلك سماه العامة" المقير"، راجع:
Young, Gavin ,Iraq: Land of Two Rivers, London,1980,P.147

(٤) PRO,FO424/238,No.16,Cons.Crow to Sir G.Lowther,March 15, 1913.

(٥) PRO,FO 424/238, No. 26, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 8, 1913.

أنه قد بلغنا وتحقق لدينا ماجرى من الأغتشاش وبث الفساد بالبصرة من بعض المفسدين بما ينافـــي رضى الله تعالى ورضى الحكومة الدستورية . وقـــد وجهنا الهيئة التفتيشية [كذا] وحسب خدمتنا لدولتنا راجعنا المقامـــات العاليه بذلك وحالا موجهين لهذا الطرف منتظرين أوامر الحكومة ومستعدين لتأديب كل مفسد وتأمين الوطن ، هذا والسلام". (١)

وفي الوقت الذي أستلمت فيه هذه الرسائل ،كانت بعض التغييـــرات الادارية تجرى في مدينة البصرة . فقد وصلها الوالي الجديد علاء الديـن بك في الثاني من مايو ١٩١٣م (الخامس والعشرين من جمادى الاولى ١٣٣١هـ) كما وصلها بعد ذلك بأربعة أيام فريد بك متصرف المنتفق السابق الذي عين قائدا لحاميتها العسكرية ، وقد سبب تعيينه لهذا المنصب قلق السيد طالب واتباعه ، لكونه اتحاديا متطرفا ذا ميول معادية للعرب . ولكن الوالي أثناء المأدبة التكريمية التي أقامها له طالب طمأن الحضور بأن فريد بك لـــن يتدخل في ادارة الولاية وان عمله سيقتصر على واجباته العسكرية فقـــط . وفيما يتعلق بعجمي وجه له الوالي رسالة تطلب عدم اقترابه من مدينـــة البصرة وتقترح عليه - اذا ما اراد اظهار ولاءه للدولة - أن يتوجه لهـــا وحده دون أن يصحب معه اتباعه . ونظرا لما حل بوالده سنـــة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م حين قبل دعوة مشابهة فلم يكن من المرجح ان يستجيب عجمي لذلك الاقتراح على حد قول القنصل البريطاني في البصرة (٢) .

---

(١) صدى بابل السنة ٤ ، العدد ١٨٩ ، ٢٥ جمادى الاخرة ١٣٣١هـ/ ١حزيران ١٩١٣م ، ص ٢ .

PRO, FO 424/ 238, No. 26, Cons. Crow to Sir G.Lowther, (٢) May 8, 1913.

ولم يستجب عجمي لذلك الاقتراح بالفعل ، بل بادر بالاقتراب على رأس رجاله من البصرة ، فقد أرسل متصرف المنتفق أخبارا بأن عجمي وصل الى قرية " الفبيشية " الواقعة على بعد حوالى عشر ساعات شمال غرب البصرة (١) . وفي نفس الوقت تحرك أنصاره في مدينة الزبير يقودهم وكيله محمد العصيمي بعد أن أنضم لهم شيخ المدينة " محمد المشري" (٢) . وقد هجم الجميع في الرابع من مايو (السابع والعشرين من جمادى الاولى) على المفرزة الحكومية فشتتوها وسيطروا على المدينة ، التي أرسل مديرها للولاية يخبرها بأن حياته مهدده بالخطر ، ويطالبها بأرسال النجدة . فأرسلت له الولاية لجنة من ضباط الاركان لاجراء التحقيقات التي أظهرت ان محمد العصيمي هو سبب المشكلة . ثم أرسلت أثر ذلك قوة من خمسين جندى أدى وصولها الى استقرار النظام هناك (٣) . ويثير تحرك انصار عجمي هذا تساءولا لايمكن اغفاله عن سر اقدامهم على مضايقة السلطات الحكومية في الوقت الذى كان فيه عجمي يتمتع بتأييد تلك السلطات. وحيث أن المصادر والمراجع خلت مما يوضح ذلك السر ، فأن الظن يتجه الى أن أولئك الانصار قد استغلوا قوة موقفهم نتيجة تحرك عجمي فحاولوا تصفية بعض الخلافات المحلية مع خصومهم من انصار السيد طالب في المدينة ، الأمر الذى جرهم للاحتكاك مع القوة الحكومية الصغيرة الموجودة فيها .

---

(١) Ibid.

(٢) خزعل ، مرجع مر ذكره ، ص ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٣) PRO, FO 424/238, No. 26, Cons. Crow to Sir G.Lowther, May 8, 1913.

أما عن عجمي ،فقد فتح اقترابه من البصرة الباب أمام اتصالات سياسية واسعة ، ففي حين أرسل هو يستدعي بعض وجهاء مدينة البصرة لمقابلته في مخيمه ،اقدم السيد طالب على القيام بمحاولة جريئة أستهدفت اقناع عجمي بأنهاء العداء بينهما والانضمام الى جماعته. (١) وعلى الرغم من اننا لا نعرف تفاصيل تلك المحاولة ، الا ان اقدام طالب عليها ربما عكس شعوره بضعف موقفه. وهو ضعف يبدو انه كان محسوسا للمراقبين حتى أن المقيم السياسي البريطاني في بغداد علق عليه بقوله :ـ" لقد كونت انطباعا هنا في بغداد بأن قضية السيد طالب لايبدو انها تتقدم كثيرا للأمام بالرغم من ثراء عائلته ونفوذها وصفتها الدينيه وبالرغم من ذكائه ومعرفته با لعالم وثقافته الانجليزية الى حد ما ،فبدون تأييد شيوخ القبائل العربية لايستطيع أن يحقق الا القليل ، ورغم أن بعض الشيوخ يمكن أن يصبحوا تحت رعايته موءقتا فلا يبدو محتملا أن من هم اكثر اهمية من بينهم سيطيعونه طويلا او حتى يحترمون رغباته . ربما يرى السيد نفسه في احلامه والصولجان بين يديه ،ولكنه يجب أن يدرك في تحركاته الواعية أن هنالك رجالا في البلاد أكثر منه قوة كعجمي يستعدون مثله أيضا للامساك بذلك الصولجان ... ولن يجد الترك صعوبة في المحافظة على وضعهم في البصرة بتحريك الشيوخ ضد السادة او تحريك شيخ ضد آخر". (٢)

وفي حين كان السيد طالب يحاول التفاهم مع عجمي ،فأنه لم يغفل عن اتخاذ مايلزم من الاحتياطات ،اذ أرسل لاتباعه في القرى المحيطه

---

(١) Ibid.

(٢) IOR,L/p+s/10/212, No. P- 2785/1913, Summary... May 1913, P. 3.

بمدينة البصرة كي يكونوا مستعدين للتحرك عند أول اشارة اذا ماتعرضت البصرة لتهديد فعلي من قبل خصمه (١) اما عجمي فواصل في تلك الاثناء تقدمه حتى وصل في حدود الثامن عشر من مايو (الحادي عشر من جمادى الثانية) الى قرية" الشعيبه" (٢) الواقعة على مسافة ساعة واحدة من مدينة البصرة حيث أرسل من هناك يطلب من الوالي الشخوص لمقابلته لأن لديه مايود قوله له شخصيا ولا يستطيع كتابته . فأوفد له الوالي مدير الشرطة يرافقه عدد من الدرك للاطلاع على مالديه ،فأخبر عجمي ذلك الموفد بأن الذي أمره بالتوجه نحو البصرة هو لطفي بك الذي زار الناصرية مؤخرا (٣) ،ثم سلمه رسالةالى الوالي. وقداقترح الوالي بعد الاطلاع عليها اعطاء عجمي وساما ومكافأة ماليه أغراء له بالسلوك الحسن . ولكن وجهاء البصرة اعترضوا على ذلك الاقتراح متعللين بأن ولاء عجمي للحكومة سيكون اكثر بروزا لو عاد الى المنتفق بدلا من بقائه قريبا مع اتباعه وهو الامر الذي يهدد مدينتهم. وقد علل القنصل البريطاني في البصرة ميل الوالي الىإستخدام وسائل ودية في اقناع عجمي بالانسحاب بأنه نتيجة لعدم وجود قوات حكومية كافية لاجباره على الطاعة . واضاف ان عجمي كان قد وعد الوالي بالانسحاب ولكنه لم يف بوعده بل ظل مقيما في مكانه على رأس قواته المؤلفة من

---

(١) PRO, FO 424/238, No. 26, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 8, 1913.

(٢) قرية صغيرة تبعد ميلين عن مدينة الزبير وحوالى ستة عشر ميلا عن مدينة البصرة ،راجع: لغة العرب، السنة ٨ ،ج ٤ ،ابريل ١٩٣٠م ، ص ٢٥٤ .

(٣) معاون والي بغداد ورئيس اللجنة التي مر ذكرها في الفصل الثاني . راجع ص ٢٢٨ .

الف وخمسمائة رجل . (١)

ولم يخل اقتراب عجمي من البصرة من فائدة تعود على الحكومة ،اذ انه خفف من غلواء السيد طالب في معارضته لها ،فتغيرت نبرته ابتداء من الثاني عشر من مايو (الخامس من جمادى الثانيه) واخذ يعلن بأنه وجد الوالي الجديد ميالا للتفاهم، وبأن مطالب العرب سيسعى اليها من طريق الاعتدال (٢) . ولعل هذا التغير هو السبب الذى جعل وزير الداخلية يبرق له شاكرا أياه على المعلومات التي قدمها فيما يتعلق بتحركات عجمي الاخيرة ،ومعربا عن امله في ان المذكور سيقنع بالابتعاد عن مدينة البصرة طوعا . وقد أدى ذلك الاقتراب أيضا الى زيادة قلق طالب على سلامته الشخصيه مما دفعه لجلب عدد كبير من اتباعه المسلحين لحراسة مسكنه . كما أرسل له صديقه الشيخ خزعل خمسين مسلحا آخرين للغاية نفسها ، فضرب الجميع طوقا محكما حول مسكنه بل وانتشروا في الردهات والممرات داخله . وحين لاحظ القنصل البريطاني ذلك اثناء زيارته له في منزله سأله عن السبب الحقيقي للرعب العام الذى ساد المدينة نتيجة لاقتراب عجمي . فرد عليه السيد طالب بأن رغبة عجمي بالنهب ربما دفعته فجأة للاغارة في الليل او النهار على المدينة بفرسانه الذين سينهبون أي منزل او متجر او بنك ثم يعودون بسرعة الى الصحراء كما جاءوا بعد أن يقوموا بأطلاق النار على مدة اشخاص في الشوارع . وفي أثناء الحديث جاء

PRO,FO 424/238, No. 30, Cons. Crow to Sir G. Lowther,(١) May 18, 1913.

IOR,L/p+s/10/212,No.P-2785/1913, Summary... May (٢) 1913,p.3.

ثلاثة من انصار السيد طالب وانتحوا به جانبا . ثم عاد طالب ليقول للقنصل بأن اولئك الرجال رجعوا للتو من مقابلة الوالي الذي وجدوه غير راغب او غير قادر على ابعاد عجمي . واضاف ان الوالي اخبرهم بأنه يترك لطالب حرية استقدام اتباعه للقيام بحماية المدينة . ثم قال طالب بأنه يستطيع أن يجمع ثلاثين الف رجل من أجل تلك الغاية (١) . ولاشك أن ذلك القول كان مبالغة واضحة أقدم عليها طالب بهدف تضخيم قوته في عين القنصل ، فهو في ذروة اشتداد أزمته تلك مع عجمي لم يستطع أن يجمع اكثر من الف رجل (٢) .

ومقابل محاولة السيد طالب أسترضاء السلطات الحكومية ،فأن عجمي استمر يؤلب تلك السلطات عليه ،فقد ابرق في اواخر مايو (جمادى الاخره) الى الصدر الاعظم والى وزيرى الحربية والداخلية معللا القلق السائد في المنطقة حاليا بنفوذ السيد طالب المدمر ومكائده . وذكر أن الوالي لم يأخذ بنصحه ويقمع طالبا مما اعطاه الفرصة كي يقنع ابن سعود بالعمل على انتزاع الاحساء . ثم أضاف بأنه اخلاصا منه للحكومة فقد جمع قبائله ووضعهم تحت السلاح من اجل مساعدة القوات الحكومية ضد المتمردين في البصرة . كما أمر ابن رشيد بالالتحاق به على رأس قبائله لقصم ظهور اعداء الدولة وليقوم الجميع بأسترداد الاحساء . وعاد في ختام برقيته الى التأكيد على ان كل المتاعب هي من نتائج مكائد السيد طالب الشائنة التي منها اتفاقه مع القناصل الاجانب على ايجاد الحالة الراهنة التي ستنتهي بالثورة ،

---

(١) PRO,FO 424/238, No. 30, Cons. Crow to Sir G.Lowther, May 18, 1913.

(٢) خزعل ،مرجع مر ذكره ،ص ٢٦٦ .

ودعا الى نفيه من البصرة (١) .

وفي حين كان كل من الخصمين حريصا على كسب ود السلطات الحاكمة وتحريضها ضد خصمه ،فأن تلك السلطات لم تتخذ موقفا صريحا تجاه مايجري ، ورغم ذلك فأن القنصل البريطاني في البصرة كتب قائلا :ـ" انني ميال للاعتقاد بأن ظهور الشيخ [عجمي] بجوار البصرة مرتب سلفا من قبل السلطات العثمانية ،فهي غير مضطربة البتة منه ، ولا تبدو لي جهودها لابعاده جهودا صادقة . ربما اعتبرته قوة معادلة وأملت في استخدامه ضد الطموحات السياسية العربية ،او لتحويل انتباه الوجهاء عن خطط اللامركزية والحكم الذاتي عن طريق تشجيع الاعتقاد العام بأن زعيم المنتفق موشك على مهاجمة المدينة . ان السيد طالب على علاقة سيئة بعجمي بصورة جلية ولا يصفح احدهما عن الآخر ، ويبدو أن هدف وغرض أنصار كل واحد منهما هو الابقاء على الزعيمين متباعدين" (٢) .

وازاء تهاون السلطات المحلية في ابعاد عجمي ،لجأ السيد طالب الى قواه الذاتية لعلها توصله لهذه الغاية . ففي اوائل يونيه (اواخر جمادى الثانية) شن هجوم من قبل بعض العرب المقيمين على ضفاف النهر على قاعدة عطيات عجمي في الفيشية . (٣) وكانت القوة المهاجمة تتألف من

---

(١) PRO,FO 424/238,No. 34, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 31, 1913.

(٢) Ibid.

(٣) IOR,L/p+s/10/212, No.P-3105/1913, Summary... June 1913,p.1.

مائتي " مشحوف " (١) تقل حوالي ألف رجل ، هاجموا ذلك الموقع الواقع على ضفة الهور ، واصطدموا مع القوة التي تركها عجمي لحمايته ، فقتلوا خمسة من افرادها ، ونهبوا ماوصلت اليه ايديهم من المتاع الموجود هناك . وقد أدرك عجمي على الفور أن ذلك الهجوم من تدبير السيد طالب فأبلغ والي البصرة بالامر واجتج لديه ضد مرتكبيه . (٢)

وفي غضون ذلك لم تنصب جهود عجمي على اغراء السلطات بالسيد طالب فقط بل سعى أيضا الى اغراء مؤيديه من أفراد العشائر القاطنين في البصرة بالانفضاض عنه ، فعمل على اقناع بعض علماء الدين الشيعة في النجف بأصدار فتاوى تدين السيد طالب ، وقد صادف سعيه في هذا السبيل نجاحا واضحا (٣) . وكان من نتائج ذلك انسحاب " سالم الخيون " شيخ بني أسد من جانب السيد طالب وانضمامه الى جانب عجمي بعد أن اوعز له بذلك أحد رجال الدين في البصرة (٤) . كما حاول عجمي في هذا السياق أستجلاء موقفي حليفي طالب الرئيسيين وهما الشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح فأرسل لهما في السابع من يونيه (الثاني من رجب) مستفسرا عن موقفهما اذا ما أقدم على قتل السيد طالب. فكان ردهما هو انهمايساندان حليفهما . وقد قام الشيخان أثر ذلك بتحذير طالب من الخطر المحدق به

---

(١) قارب خشبي دقيق الطرفين يتسع لخمسة الى عشرة رجال ، راجع : لغة العرب ، السنة ٢ ، ج ٣ ، رمضان ١٣٣٠ هـ ، ص ص ٩٣ - ١٠٣ .

(٢) خزعل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٣) IOR,L/p+s/10/212,No. P- 3105/1913, Summary... June 1913,p.1.

(٤) خزعل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

ونصحاه بمغادرة البصرة ، وكاد أن يستجيب لذلك بالفعل لولا انه تراجع آخر الأمر خشية من ان يفقد هيبته بين انصاره اذا ما غادر المدينة في هذه الظروف الحرجة [1] .

وبالاضافة الى محاولة عجمي ترتيب أموره مع الجهات المحلية ، فقد توجه بأنظاره لمعرفة موقف السلطات البريطانية التي كانت مهتمة بمتابعة تطورات الوضع وقلقة من انعكاساتها على مصالحها ورعاياها في البصرة . وقد دفعها ذلك لاستقدام السفينة الحربيه الرت Alert التي القت مراسيها في البصرة وظلت مرابطة هناك منذ الرابع من مايو [2] (السابع والعشرين من جمادى الاولى) . كتب عجمي الى المبشر الامريكي الأب جون فان ايس رسالة أخبره بأنه لايستطيع أن يعود أدراجه مخافة تعريض سمعته بين العرب للخطر ، كما انه لايستطيع أن يظل حيث هو بلا حراك لان النفقات المالية التي يتحملها تبلغ مائة ليرة يوميا ولأن صبر أتباعه بدأ ينفذ ، وذلك فأن السبيل الوحيد المتبقي أمامه هو التقدم ومهاجمة البصرة وهو ماسيتم قريبا جدا . وختم عجمي رسالته بأن طلب منه مقابلة القنصل البريطاني والتعرف على موقف حكومته اذا ماهاجم البصرة ونجح في هجومه . وقد نقل فان ايس هذا الاستفسار للقنصل البريطاني الذى رفض الرد عليه [3] . ويعكس ذلك الرفض موقفا بريطانيا متحفظا ازاء تحرك عجمي ، بل هو أقرب مايكون الى المعارضة الصريحة كما سنرى .

---

(١) PRO, FO 424/239, No. 39, Cons. Crow to Sir G. Lowther, June 20, 1913.

(٢) PRO, FO 424/238, No. 26, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 8, 1913.

(٣) PRO, FO 424/239, No. 39, Cons. Crow to Sir G. Lowther, June 20, 1913.

ولم يكن أنتظار عجمي بلا نتيجة كما توقع، فقد أوشكت ساعة العمل على الاقتراب، حين اتفق مع القائد فريد بك على ان يتوجه أخوه حمد مع بعض أتباعه الى مدينة البصرة. وقد اتخذت الاستعدادات اللازمة قبل وصولهم فأشترى سالم الخيون في اواسط يونيه (الاسبوع الثاني من رجب) منزلا بستمائة وخمسين ليرة واستأجر منزلا ثانيا واعدهما لسكنى حمد واتباعه. وحين سمع القنصل البريطاني بتلك الاستعدادات وماقيل من تستر فريد بك عليها، قابل الوالي ولفت نظره بصورة غير سمية للامر واوضح له أن هناك مزاعم تشير الى مساعدة فريد بك لعجمي في مكائده، وان من المرجح أن يسبب عمل كهذا مشكلة في المدينة. فرد عليه الوالي منكرا معرفته بأي شيء يتعلق بالمنزلين المذكورين وبمسلك فريد بك. ولكنه أضاف أن البصرة مدينة مفتوحة يمكن للناس أن يأتوها ويذهبوا منها كما يشاءون. وهكذا لم تفلح جهود القنصل في التأثير على نشاط فريد بك الذي أرسل بعدها رجالا وبغالا الى الزبير لمرافقة حمد بن سعدون وخمسين من اتباعه المسلحين، حيث وصلوا البصرة في ١٩ يونيه (الرابع عشر من رجب) وحلوا في المنزلين المعدين لهم. (١)

وكان قد سبق وصول حمد واتباعه حدث آخر أثر على الموقف. اذ وصل الى البصرة من المنتفق في الخامس عشر من يونيه (العاشر من رجب) المنافس الرئيسي لعجمي وهو عبد الله الفالح السعدون واخوه عبد الرزاق وابن عمه ابراهيم المزعل. وقد علق القنصل البريطاني في البصرة على وصول هاتين الجماعتين للمدينة بقوله :- " اذا ماسمح هكذا لهاتين الزمرتين المتنافستين من عائلة ال سعدون بالاقامة في البصرة فيبدو من المرجح أن يحدث في

---

(١) Ibid.

أية لحظة تصادم بين اتباعهما المسلحين الذين يقال انهم الآن يتبادلون نظرات التهديد ويصوبون البنادق على بعضهم البعض. ويختال الاتباع المسلحون لكل جانب في الشوارع بدون معارضة، وهم يحملون اسلحتهم حتى حين يدخلون الى السراي. ولقد نبه الوالي لهذه الحالة التي هي تهديد واضح للأمن العام ولكنه تجاهلها ولم يتخذ أية خطوات لمواجهتها. وهناك اشاعة عامة تفيد بأن اتباع عجمي ينشرون رواية تقول أن بعض الناس هنا يريدون تسليم المدينة لـ " الكفار الاجانب" ، أن العنصر المتعصب صغير في البصرة ولكن روايات كتلك لا يمكن ان تخدم غاية نبيلة، وربما أثرت على الطبقات الجاهلة وحرضتها على الاخلال بالأمن العام. وقد علم بأن الوالي رجا فريد بك عدة مرات أن يبعد عجمي عن المنطقة المجاورة، ولكن القائد أعار أذنا صماء لتلك الالتماسات، وتلمح بعض الاوساط الى انه تسلم مالا من عجمي ... ولا تبدو السلطات بصدد اتخاذ اجراءات لطمأنة العموم من طريق القيام بالسيطرة على الموقف الذي يصبح اكثر خطورة يوما بعد يوم، واستمرار تلك العناصر المزعجة في المدينة يسبب عدم استقرار عميق وسخطا على الحكومة المحلية. وتحت هذه الظروف يبدو من غير الحكمة للوالي أن يغمض عينيه عن الموقف، او ان يجعله يتفاقم من جراء عجزه عن ممارسة سلطاته. وطبقا لمعلوماتي فأن القائد العسكري فريد بك ملوم كثيرا، وبالرغم من انه ربما كان من الصعب اثبات اي شيء محدد ضده فيبدو انه بلا ريب مصدر الأذى الاساسي". (١)

---

(١) Ibid.

وفي حين وصل حمد واتباعه الى البصرة ،غادرها فريد بك في ١٩ يونيه ١٩١٣م (الرابع عشر من رجب ١٣٣١هـ) على ظهر الباخرة الحربية "مرمريس" الى الفاو تحت ستار تفتيش المراكز العسكرية الواقعة على ضفة نهر شط العرب. وقد صحب معه في سفرته تلك كلا من بديع نوري بك متصرف المنتفق وعبد الله الفالح السعدون. ولم تطل زيارة القائد ومرافقيه كثيرا ، اذ عادوا في اليوم التالي ، والقت باخرتهم مراسيها في العشار عند مغيب الشمس فنزل منها القائد يتبعه مرافقوه (١) . وفجأة ظهر أربعة من العرب المسلحين كانوا مختبئين في خربة مجاورة واخذوا يطلقون النار على الموكب (٢) ، من مسافة قريبة فسقط القائد ميتا لفوره بينما جرح المتصرف واحد أفراد الدرك جروحا بليغة أودت بحياتهما فيما بعد ، ولم يصب عبد الله الفالح بسوء . وقرب منتصف الليل تكرر اطلاق النار نتيجة صدام وقع خطأ بين بعض اتباع حمد وسالم الخيون الذين كانوا يبحثون عن الجناة في البساتين المجاورة ودورية من القوات الحكومية كانت تقوم بالمهمة نفسها (٣) . وترتب على ذلك القاء الدورية القبض على أربعة من أولئك الاتباع . (٤)

والغريب أن المدينة أصبحت في اليوم التالي هادئة تماما ، ولم يلفت نظر القنصل البريطاني فيها سوى مراسيم تشييع القائد القتيل في موكب عسكري اخترق

---

(١) Ibid.

(٢) فيضي ، مصدر مر ذكره ، ص ١١٣ .

(٣) PRO,FO 424/239, No. 39, Cons. Crow to Sir G.Lowther, June 20, 1913.

(٤) PRO,FO 424/239,No. 40, Cons. Crow to Sir G. Lowther, June 27, 1913.

شوارعها في الصباح الباكر، مما جعله يعتقد أن النتيجة المباشرة للحادث تبدو وكأنها تهدئة الهياج العام في المدينة واخماد القلق الذي عمها خلال الاسابيع القليلة الماضية . ولاريب أن ذلك كان نتيجة لتحرك السلطات المركزية في استانبول تحركا سريعا أعقب الحادث مباشرة لمواجهة الموقف وتشجيعها الوالي على تبني موقف اكثر نشاطا بعد أن ظل دوره لحد ذاك تعوزه الحيوية . وقد أمده ذلك التشجيع بالقوة فأخضع المدينة لحراسة القوات الحكومية بينما لزم مسلحو المنتفق منازلهم لا يبرحونها . ثم أستدعى حمد السعدون الى السراي وامره بمغادرة المدينة على الفور ، وحين رفض حمد الاستجابة للامر أخبره بأنه استلم اوامر من استانبول لمعاملته كعاص اذا ما ظل في المدينة . وعندها أضطر حمد للمغادرة مع حليفه سالم الخيون واتباعهما تحت حراسة حكومية . وفي نفس الوقت أرسل الوالي رسالة الى عجمي في مخيمه بالشعيبة يأمره فيها بالرحيل حالا تنفيذا لاوامر برقية وصلته من وزير الداخلية . (١)

وقد تلكأ عجمي في تنفيذ تلك الاوامر ، مما جعل الوالي يقترح في السادس والعشرين من يونيه (الحادي والعشرين من رجب) أرسال قوات عسكرية لاجباره على الرحيل . ولكن محمد فاضل باشا الداغستاني المفتش العام للقوات العسكرية في العراق رفض الاستجابة لذلك الاقتراح (٢) . وفي اثناء ذلك كان عجمي يحاول من خلال فالح البنيه أحد مشايخ بني لام كسب تعاطف القنصل البريطاني في البصرة مع قضيته ،ربما من اجل أن يضغط

---

(١) Ibid.

(٢) IOR,L/p+s/10/212,No.P-3105/1913, Summary ... June 1913, p. 2.

بذلك على السلطات الرسمية التي أخذ يشعر بتغير موقفها نحوه . ولكن محاولته تلك قوبلت بالصد حين أخبر القنصل فالحا بأن علي عجمي الاستجابة لاوامر وزير الداخلية التي لاتشجع الحكومة البريطانية أحدا على مخالفتها . (١)

ونعود الآن الى حادثة الاغتيال ،فنجد انها سببت تضاربا في الاراء حول هوية مرتكبيها . ففي الايام القليلة التي تلتها كان البعض في البصرة يعزو سببها الى الموقف العدائي الذي اتخذه القائد القتيل تجاه السيد طالب . بينما عزاه آخرون الى غضب بعض الشيوخ الذين قدموا من مناطق الفرات الى البصرة في العشرين من مايو (الثالث عشر من جمادى الاخرة) فطردهم فريد بك وعاملهم معاملة سيئة . كما أن البعض ذكر اسمي شيخي الكويت والمحمرة باعتبارها مخططين للجريمة أو مؤيدين لها . وقد علق القنصل البريطاني في البصرة على تلك الروايات بالقول انه لم يستلم بعد تأكيدا لاي منها ، ولكن ذلك لايمنعه من الاستنتاج بأن فريد بك كان يتآمر مع بعض آل سعدون من اجل اهدافه الخاصة فذهب ضحية لطيشه (٢) . ولكن ذلك القنصل توصل في وقت لاحق الى قناعة حول هوية مرتكبي الحادث حين ذكر أن الرأي الشائع في البصرة هو أن فريد بك كان يسعى بتوجيه من جمعية الاتحاد والترقي لتدمير زمرة طالب تدميرا كليا . ولكن طالبا أخذ زمام المبادرة فقتل الممثلين الرئيسيين في تلك المسرحية المأساوية دفاعا

---

(١) PRO,Fo 424/239,No. 40, Cons. Crow to Sir G. Lowther, June 27, 1913.

(٢) Ibid.

عن نفسه قبل أن تتاح لهما الفرصة لتنفيذ برنامجهما المعد (١) . وقد اتفق القنصل الامريكي في بغداد مع رأى زميله البريطاني حين قال أن المفهوم عموما في بغداد والبصرة هو أن الجريمة ارتكبت بتحريض من السيد طالب الذي تجاهله فريد بك وحاول أن يكف يده عن التدخل في الاداره الحكومية.(٢)

ومن المفيد الاطلاع هنا على رأى السيد طالب نفسه فيما حدث ،فقد قام بزيارة القنصل البريطاني في البصرة ،مصطحبا معه عبدالله صائب عضو محكمة البداءة في البصرة والمسئول عن التحقيق في القضية . وقدم الاثنان للقنصل رواية طويلة عما حدث،يمكن اجمالها كمايلي :- أن العقيد عزت بك القائد العسكري الجديد في البصرة أدلى بشهادة تفيد بأن فريدبك أرسل للبصرة لقتل السيد طالب واثنى عشر رجلا من انصاره . وان الذى كلفوه بتلك المهمة هم كل من نجاتي بك رئيس محكمة استئناف بغداد ورئيس فرع جمعية الاتحاد والترقي فيها وعادل بك وزير الداخلية السابق وطلعت بك وزير الداخلية وقتذاك وجمال بك الحاكم العسكرى لاستانبول وعزمي بك مدير الأمن العام هناك ، حيث وعدوه جميعا بتعيينه واليا للبصرة وقائدا لقواتها اذا مانجح في مهمته . وقد تحرك عجمي بعد وصول فريد بك للبصرة وكتب لوجهائها ورؤساء عشائرها بأنه جاء بناء على طلب متصرف المنتفق ولطفي بك مفتش الدرك اللذين بلغاه بأوامر أستانبول . وحين طلب الوالي من فريد بك أبعاد عجمي ،رفض فريد الاستجابة بل وبعث قائد الدرك هجراني بك الى عجمي ليطلب منه الاقتراب اكثر من البصرة ، وحين عاد هجراني حمل معه

---

(١) PRO,FO 424/239, No. 43, Cons. Crow to Mr. Marling, July 19, 1913.

(٢) N.A.R.S., RG 84, File No. 800, Am. Cons. at Bag. to Am. Charge d'Affaires at Const., July 28, 1913.

مائة ليرة من عجمي . ثم جلب فريد بك للبصرة بمساعدة سالم الخيون حمد واتباعه الاربعمائة الذين وزعوا على أربعة بيوت في المدينة . وفي حين ذهب فريد بك الى الفاو بحجة زيارة منارة أرشاد السفن هناك كان هدفه هو تحذير العشائر المقيمة على طريقه من التحرك نحو البصرة اذا حدثت فيها أضطرابات . كما أرسل في يوم مغادرته عاطف أفندي قائد درك لواء المنتفق لمقابلة عجمي . وفي اليوم التالي التقى عاطف وهجراني وأربعة من رجال سالم الخيون في احدى المقاهي المنعزلة ورتبوا لجريمة تستهدف حياة عبد الله الفالح ، وحين أقدموا على التنفيذ أخطأ الرماة عبد الله واصابوا القائد ومرافقيه . واثر ذلك منع هجراني الحرس من مطاردة القتلة وارسل من ينذر حمدا وسالما واتباعهما بعدم الخروج من المنازل . ولكن دورية عسكرية نجحت في اعتقال القتلة وهم ثلاثة من اتباع سالم وأحد عبيد حمد . وواصل طالب وصاحبه روايتهما بالقول انه وجدت بين حاجيات فريد بك أوراق ظهر منها أن الخطة كانت تقضي بتجميع بعض الرجال المسلحين قرب منزل السيد طالب ليطلقوا النار بأتجاهه فيرد عليهم حرس المنزل بالمثل فتستدعي القوات الحكومية للتدخل ، حيث تتقدم نحو المنزل وتعتقل السيد طالب حيا أو ميتا . وفي نفس الوقت تتوزع قوات أخرى على منازل اثني عشر رجلا من انصار طالب فتقتلهم على الفور ومن بينهم ابن عم عجمي سمير العبد الله السعدون وقريبه عبد الكريم الفهد السعدون . كما وجدت في حقيبة متصرف المنتفق القتيل بديع نوري بك مسودة برقية أرسلت الى وزير الداخلية يخبره فيها بوصوله للمنتفق ومقابلته لعجمي حسب الاتفاق الذي تم في استانبول ، وان عجمي تحرك اثر ذلك نحو البصرة على رأس ألف وخمسمائة فارس، وان القبائل قد حشت من قبل المجتهد المعروف

الشيخ باقر (١) على مساندة عجمي ،كما ان والي البصرة أخطر بتحرك المذكور بصورة مناسبة تجنبا لوقوع أي سوء فهم ، ومضى بديع نوري في برقيته يقول أنه سيتوجه الى البصرة بنفسه اذا أقتضت الضرورة ، واقترح لزيادة الاستيثاق من عجمي أن يمنح وساما ورتبة عسكرية وراتبا شهريا مقداره ثلاثمائة ليرة تركية . وختم طالب وصاحبه روايتهما بالقول أن مراسلات سرية أخرى بين الشيخ باقر وقائمقام سوق الشيوخ وموظفين أخرين وجدت أيضا (٢) .

وبغض النظر عما في تلك الرواية من تفاصيل تختلف بعض الشيء معما مربنا سابقا مثل تقدير قوات حمد التي دخلت البصرة بأربعمائة رجل وان أسكانهما قد جرى في أربعة منازل ،فأن هناك بعض الملاحظات على تلك الرواية . اولها أن فريد بك قد أنتدب بالفعل لمهمة تتعلق بالقضاء على معارضة السيد طالب وانصاره ،فقد حدث مرة قبيل مغادرته بغداد للبصرة أن كان يلعب الورق في أحد النوادي وهو ثمل ،فألقى أوراق اللعب من يده فجأة وتساءل بصوت مسموع عن المدة التي سيسمح له السيد طالب ببقائهما على قيد الحياة (٣) . ويتعارض خوفه على حياته هذا مع ماوراه سليمان فيضي من انه أخذ يتردد بعد وصوله للبصرة على منزل السيد طالب حتى انه ثمل ذات ليلة وبات هناك (٤) . فمن الغريب أن يخشى فريد على حياته

---

(١) الارجح انه الشيخ باقر بن علي آل حيدر ،أحد مجتهدي الشيعة الذي كان يسكن في سوق الشيوخ ،راجع : لغة العرب ،السنة ٥ ،ج ٩ ،أذار ١٩٢٧ ،ص ٥٣٨ .

(٢) PRO,FO 424/239, No.43, Cons. Crow to Mr. Marling, July 19, 1913.

(٣) IOR,L/p+s/10/212, No. P-4691/1913, Summary... Sep. 1913,p.3.

(٤) فيضي ،مصدر مر ذكره ،ص ١٠٩ .

وهو في بغداد من السيد طالب ثم لايلبث ان يأخذ بالتردد عليه بل والمبيت في داره ، الا أن يكون الأمر كله عملية خداع هدفها تطمين الخصم قبل الانقضاض عليه .

أما عن تحرك عجمي نحو البصرة فقد عرفنا سابقا أنه بدأ قبل وصول فريد لها بحوالي اسبوعين ؛ ولكن ذلك لاينفي احتمال وجود أتفاق بين الرجلين ، يزحف بموجبه الاول نحو هدفه زحفا بطيئا أنتظارا لوصول الآخر الذي سرع بخطوات التواطوء بينهما . وهو تواطوء أعترف به عجمي نفسه ، حين ابلغ على لسان رسوله فالح البنيه القنصل البريطاني في البصرة بأنه استدعى بالفعل من قبل فريد بك والوالي وقائد الدرك من أجل تنفيذ قتل السيد طالب ، وان اولئك الثلاثة أبلغوه بأنه سيكافأ لقاء هذه الخدمة باعطائه أملاك بعض أقاربه المنافسين له . واضاف الرسول ان عجمي دفع فوق ذلك بعض الرشاوى فنال فريد بك الف ليرة ونال الوالي سبعمائة ليرة بينما نال قائد الدرك مائة ليرة . (١)

ويتعارض ماورد اعلاه حول دور الوالي في تلك المؤامرة مع مامر بنا سابقا ، ومع ماذكره السيد طالب وصاحبه عن طلب الوالي من فريد بك أبعاد عجمي عن البصرة . ولكن روايتهما لاتبرئ الوالي كلية ، فقد ذكرت في موضع آخر أن متصرف المنتفق أخطره بصورة مناسبة بما سيجرى . والحق أن موقف الوالي من تلك الاحداث انتابه غموض كبير ، دفع المقيم السياسي البريطاني في بغداد للقول انه يبدو بصورة الذي لايدري كيف يتصرف تجاه الاحداث(٢) .

---

(١) PRO,FO 424/239, No. 40, Cons. Crow to Sir G. Lowther, June 27, 1913.

(٢) IOR,L/p+s/10/212, No. P-2785/1913, Summary... May 1913, P.3.

ويلوح لى أن الوالي المذكور رغم اطلاعه على المؤامرة باعتباره عضوا في جمعية الاتحاد والترقي ، الا انه لم يمحضها تأييده الصادق ، ولذلك اتسمت تصرفاته حيالها بالتردد الواضح .

ويأتي بعد ذلك تصوير السيد طالب وصاحبه للجريمة وكأنها كانت نتيجة غير مقصودة لمؤامرة رتبها عجمي للتخلص من منافسه عبد الله الفالح ، وساهم في اعدادها قائدا الدرك عاطف وهجراني . وهو تصوير تكتنفه شكوك كثيرة ، فاذا كانت مصلحة عجمي تقتضي موت عبد الله فما مصلحة ضابطي الدرك في ذلك ؟ واذا أفترضنا أنهما مرتشيان ، فهل كان من اللازم القيام بمحاولة أغتيال عبد الله الفالح وهو بصحبة فريد بك ؟ وهل كان محض صدفة أن ينجو الشخص المقصود ويقتل بدلا عنه اثنان من كبار الموظفين على حد ملاحظة المقيم السياسي البريطاني في بغداد (١) ؟ لقد كانت تلك قصة مختلقة من أساسها ، اذ اعترف بعد فترة طويلة أحد المساهمين في التخطيط للجريمة واقر بأنها تمت بأيعاز من السيد طالب وعلى أيدي بعض اتباعه (٢) . بل أن نائب الوكيل القنصلي الامريكي في البصرة علم في حينه بأن السيد طالب زار فريد بك قبيل مصرعه واخبره بأنه مطلع على نواياه تجاهه ، وطالبه بمغادرة البصرة على الفور والا فأنه سوف يقوم بالاقدام على الخطوة الاولى (٣).

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. P-3800/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for July 1913, p.2.

(٢) فيضي ، مصدر مر ذكره ، ص ص ١٠٨ - ١١٤ .

(٣) N.A.R.S.,RG 84, File No. 800, No. 32, Am. Acting Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag., Aug. 6, 1913.

ولابد هنا من وقفة عند الدور الذى لعبه عبد الله الفالح في الاحداث السالفه واول مايلفت النظر هنا هو سبب قدومه للبصره . وهو أمر تتضارب حوله الروايات ففي حين روى البعض أن عداءه لعجمي هو الذى دفعه للمبادرة من تلقاء نفسه بالقدوم الى البصرة لنصرة السيد طالب [1] . روى البعض الآخر أن بديع نورى هو الذى اقترح على فريد بك الاستعانة بعبد الله على تنفيذ خطة القضاء على السيد طالب ،فأقر فريد بك الاقتراح . ولكن عبد الله بعد أن وصل للبصره واجتمع بالرجلين رفض بأصرار المشاركة في خطتهما ، واعلن لهما أعتزازه بصداقة السيد طالب . وازاء ذلك طلبا منه أن يمكث في البصرة بضعة أيام أخرى ، وكان غرضهما من هذا الطلب أن يحاولا مرة ثانية اقناعة بالتعاون معهما [2]

واذا كانت الرواية الاولى تبدو واضحة الضعف في ذاتها ،اذ لايعقل أن يتطوع عبد الله بأمر قد يجره للصدام مع خصمه في ساحة تبعد كثيرا عن مصادر قوته ، فأن الرواية الثانية لاتسلم كذلك من بعض المطاعن . اذ كيف يقترح المتصرف جمع عبد الله وعجمي في تنفيذ خطة واحدة وهو يعلم مابينهما من تنافس مرير ؟ وما الحاجة أصلا لاشراك عبد الله في تلك الخطة في حين أن القوات الحكومية وتلك التى اعدها عجمي كانت كافية لتنفيذها ؟ وهكذا يبدو أن قدوم عبد الله لم يكن تطوعا ،بل هو استدعى بالفعل ،ولكن لسبب غير الذى ذكره سليمان فيضي . ذلك السبب هو تخطيط فريد بك لتوجيه لطمة الى الشيخ مبارك الصباح حليف السيد طالب. اذ لاحظ المستر نافارا Navarra مسئول محطة البرق في الفاو ، أن فريد بك وبديع نورى وعبد الفالح قاموا اثناء زيارتهم لتلك المدينة في التاسع عشر من يونية (الرابع عشر

---

(١) خزعل ، مرجع مر ذكره ،ج ٢ ،ص ٢٦٧ .

(٢) فيضي ، مصدر مر ذكره ،ص ١١٠ .

من رجب) بمسيرة طويلة عبر بساتين نخيل تعود ملكيتها للشيخ مبارك وكانت في الأصل مطوكة لفالح باشا السعدون ، والد عبد الله . وقد سمع نافارا فريد بك وهو يقول أنه سيحاول جعل الحكومة تعيد ملكية تلك البساتين الى عبد الله [1] . ولكن ما الذى كان ذلك القائد يريده من عبد الله بالمقابل؟ لعله أراد منه الكف عن أى نشاط يضايق حليفه عجمي ، او لعله أراد أن يكسب سكوته عما كان يزمعه من اعطاء عجمي بعض الاملاك بعد التخلص من السيد طالب كما مر بنا .

وتحسن العودة الآن الى تتبع سير الاحداث في البصرة بعد اغتيال فريد بك وخروج حمد واتباعه منها . وابرز ماكان يجرى هناك هو التحقيق في الجريمة ، الذى حوله أنصار طالب من القضاةوالمحققين الى مهزلة حين أصدروا أمرا بالقاء القبض على كل من سالم الخيون والضابطين عاطف وهجراني باعتبارهم متهمين فى القضية أضافة للمتهمين الأربعة الذين سبق اعتقالهم . ولم تخف حقيقة مايجرى عن السلطات المركزية فى استانبول فقررت ايفاد نجاتي بك رئيس محكمة أستئناف بغداد ليتولى بنفسه التحقيق فى القضية . وقد نصح الوالى نجاتى بك بعدم الحضور لمدينة البصرة نظرا للجو العدائى السائد فيها ضده . ولكن المذكور تجاهل تلك النصيحة وحضر للبصرة حيث أقام طيلة وجوده فيها على ظهر الباخرة الحربية "مرمريس" [2] وكان من نتائج تحقيقاته هناك تبرئة المتهمين السبعة وعزل رئيس محكمة استئناف البصرة . [3]

---

(١) PRO,FO 424/239, No. 40, Cons. Crow to Sir G.Lowther, June 27, 1913.

(٢) PRO,FO 424/239, No. 43, Cons. Crow to Mr. Marling, July 19, 1913.

(٣) فيضي ، مصدر مر ذكره ، ص ١١٤ .

أما عجمي فقد ظل مقيما في الشعيبة ، ويبدو أنه اوعز من هناك لانصاره في الزبير بالتحرك . فقد أرسل هؤلاء الى سلطات الولاية يخبرونها بأنهم سينضمون لعجمي ويزحفون على البصرة اذا لم يبعد عنها السيد طالب ، وقد أخذت تلك السلطات التهديد مأخذا جديا واقامت أستحكامات دفاعية في ضواحي المدينة (١) . ويدل هذا على أن موقف عجمي قد أخذ بالتحول ضد السلطات الحكومية بعد مقتل حليفه فريد بك نتيجة لاحساسه بأنها قد خذلته حين أستقدمته من المنتفق ثم عادت تطلب منه الرجوع من حيث أتى بأسلوب أشبه مايكون بالطرد مع مافي ذلك من تأثير على هيبته بين اتباعه .

ويبدو أن شعوره ذاك ، ورغبته في مضايقة جمعية الاتحاد والترقي التي خذلته ، وحاجته الملحة الى مخرج من المأزق الذي وجد نفسه فيه ، قد دفعته جميعها الى التجاوب مع مسعى الوساطة بينه وبين السيد طالب الذي قام به قريبه وحليف طالب " عبد الكريم الفهد السعدون " (٢) . ذلك المسعى الذي تمخض عنه أتفاق الخصمين على أنهاء خلافاتهما في أوائل يوليه ١٩١٣م (اواخر رجب ١٣٣١ هـ) واعقب ذلك أرسال برقية من عجمي الى الصدارة العظمى ووزارة الداخلية وجمعية الاتحادوالترقي في استانبول (٣) .

---

(١) PRO, FO 424/239, No.40, Cons. Crow to Sir G. Lowther, June 27, 1913.

(٢) خزعل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ ، وروت " صدى بابل " أن عبد الكريم أقام وليمه في احدى ضواحي المدينة جمع خلالها بين طالب وعجمي فتم الصلح بينهما ، راجع :
صدى بابل ، السنة ٤ ، العدد ١٩٥ ، ٨ شعبان ١٣٣١هـ/ ١٣ تموز ١٩١٣م ، ص ٢ .

(٣) PRO, FO 424/239, No. 41, Cons. Crow to Mr. Marling, July 5, 1913.

جاء فيها :- " بناء على سماعي بالاحوال التي جرت في البصرة وقد أسندت الى الحر السيد طالب بك النقيب (١) بوقته تقربت الى الولاية بالصورة الفدائية لأجل الذود عن الوطن وقد سبقت معروضا تي لد ولتكم بحق المشار اليه والحالة هذه وجدنا السماع غير صحيح بل هو خادم لشرف الحكومة وحافظ لحقوق الملة والوطن والشرف العربي وجميع مأموري الولاية شاكرين خدماته نحن لاجل ذلك أصطلحنا وبادرنا بالرجوع لمحلنا" . (٢)

وقد شملت صفقة الصلح أيضا حليف عجمي محمد العصيمي الذي قدم اعتذاره لطالب عن مواقفه السابقة التني أججت نار الخلاف بينه وبين عجمي ، الذي غادر بعدها الشعيبة في طريقه للمنتفق . وقد علق القنصل البريطاني في البصرة على كل ماجرى بقوله :- " يبدو أن السيد طالب قد عزز موقفه بمقدرة وبراعة كبيرتين ، اذ استطاع باستخدام الوسائل الشرقية قهر عدد كبير من المناوئين المحليين . ان ضباط الحامية اعلنوا الآن بصراحة انهم الى جانبه (٣) ، ويظهر أن السلطات التركية قبلت ضمنيا ذلك الوضع. ان حادثة عجمي التي انتهت بمقتل القائد العسكري ومتصرف المنتفق ماهي الا قضية جانبية للصراع حول القضايا المعلقة الخاصة بأصلاح الولاية واللامركزية المطلقة

---

(١) يتكرر في المصادر الحاق لقب" بك" باسم السيد طالب بالرغم من انه نال رتبة الباشوية سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م ،راجع: الزوراء ،السنة ٣٠ ، العدد ١٨١٣ ، ٢٢ ذي الحجة ١٣١٦هـ.

(٢) صدى بابل السنة ٤ ،العدد ١٩٦ ، ١٥ شعبان ١٣٣١هـ/ ٢٠ تموز ١٩١٣م ،ص ٢ .

(٣) كانت اكثرية ضباط حامية البصرة حينئذ من اصل عربي ، ويتعاطفون مع الحركة العربية التي كان ممثلها في البصرة هو السيد طالب ،راجع : فيضي ، مصدر مر ذكره ،ص ١٠٨ .

التي يستمد مايزعم بأنه حزب القوميين العرب لمناقشتها مع الحكومة التركيــة . ان عدد العرب المتنورين في هذه المنطقة عدد ضئيل على أية حال ، والحركة التي تتركز بصورة رئيسية حول شخصية السيد طالب بك تبدو لي مستندة الى طموح ذلك الرجل واغراضه الشخصية أكثر من استنادها الي أي مطلب عــام بتغييرات سياسية ذات طابع متطرف". (١)

ولكن تلك القوة التي تمتع بها طالب بعد حادثة الاغتيال وصلحه مــــع عجمي لم تكن الا مظهرا خادعا أملته ظروف وقتية عارضية . ولم يخف ذلك عــن عيني المقيم السياسي البريطاني في بغداد فكتب قائلا :ـ" من غير المجـــدي التفكير في مدى الوقت الذي سيظل فيه السيد طالب قادرا على المحافظـــة على دكتاتوريته الحاليه . أن خطواته تبدو لي كخطوات لاعب سيرك يمشي على حبل مشدود اكثر من كونها خطوات رجل يمشي على أرض صلدة . أن العرب لايخضعون طويلا لأي احد الا لسلطة قبلية ، وحتى ضد سلطة كهـــــذه فهم يثورون أحيانا". (٢)

وفي حين تعزز موقف السيد طالب في البصرة اثر حادثة الاغتيال ، فــان الحادثة نفسها عادت بأوخم العواقب على هيبة الحكومة العثمانية في أعيـــن أفراد القبائل . فقد لاحظ أحد الاوروبيين الذي مر في منطقة الفرات بعــد تلك الحادثة أن كل العرب هناك جامحون بعد أن عرفوا ألآن انه ليســت

---

(١) PRO,FO 424/239, No. 41, Cons. Crow to Mr. Marling, July 5, 1913.

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. P-3800/1913, Summary... July 1913, p.2.

هنالك حكومة ذات أية قوة . (١) وبالاضافة الى هيبة الحكومة فقد كانت هنالك ضحية أخرى لتلك الحادثة ، هو والي البصرة علاء الدين بك ، فقد أصدرت سلطات استانبول قرارا بعزله بعد شهرين فقط من توليه منصبه . وربما كان ذلك لانزعاج جمعية الاتحاد والترقي التي هو احد اعضائها من فشله في اعلان قانون الاحكام العرفية او اتخاذ اجراءات أخرى قوية كانت قد اقترحتها . (٢)

تجدد الصراع بين عجمي وطالب :

يبدو أن الصلح الذي عقد بين الخصمين اللدودين في رجب ١٣٣١هـ/ يوليه ١٩١٣م أنعش آمال بعض المشتغلين في الحركة العربية حينئذ ، فأخذت الاقوال تتردد عن مؤتمر عربي سيعقد في الكويت يحضره بالاضافة لطالب وعجمي كل من الامير عبد العزيز آل سعود والشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل والشريف حسين (٣) . وقد أصبحت تلك الفكرة متداولة على نطاق واسع حتى تناولتها الصحف في بغداد (٤) . لا بل أنها كانت تبدو في شهر نوفمبر ١٩١٣م (ذي الحجة ١٣٣١هـ) جدية حتى أن الحديث كان يدور عن جدول اعمال المؤتمر الذي يتضمن مناقشة المصالح

---

(١) N.A.R.S., RG, 84, File No. 800, Am. Cons. at Bag. to Am. Charge d'Affairs at Const., July 28, 1913.

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. P-3800/1913, Summary... July 1913, p.2.

(٣) Fisher, S.N., The Middle East, A History, 2nd Edit., New York, 1968, p. 356.

(٤) صدى بابل ، السنة ٥ ، العدد ٢١٤ ، ٣ ذي الحجة ١٣٣١هـ/ ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٣م ، ص ١ - ٢ .

السياسية العربية بشكل عام ومايجب أن تقوم به الحكومة العثمانية من اصلاحات في الاقطار العربية بشكل خاص. وقد تخوفت السلطات المحلية من فكرة عقد المؤتمر واخذت تفعل كل مابوسعها للحيلولة دون تنفيذها ، وهذا ماجعل المقيم السياسي البريطاني في بغداد يستبعد أية امكانية لعقد ذلك المؤتمر (١) وقد استبعد تلك الامكانية أيضا السفير البريطاني في استانبول ليس للسبب السالف فحسب وانما لانه ليس هنالك أقل دليل على الاتحاد بين المرشحين لحضوره ، فالشريف حسين عدو صريح لابن سعود وعجمي عدو معلن للسيد طالب. (٢)

ولقد كان الحال كذلك بالفعل بين عجمي وطالب ، اذ عادت العلاقات بينهما للتوتر السريع الذي تكمن أسبابه في نشاط السيد طالب بعد الصلح الذي انعقد بينهما . فقد أستغل طالب قوة موقفه في مواصلة الضغط على جمعية الاتحاد والترقي حتى انه أصدر في أواخر رمضان ١٣٣١هـ/أغسطس ١٩١٣م بيانا وزع بصورة واسعة على القبائل والقوات الحكومية في ولاية البصرة ، اتهم فيه الحكومة الاتحادية بالسعي لخلع السلطان ، ودعا القبائل والقوات الحكومية لاعلان العصيان عليها (٣) . وقد لقي ذلك البيان ذو اللهجة الحادة الذي طالب أيضا بحكومة مستقلة لشبه جزيرة العرب ، صدى طيبا في الاوساط التي وزع عليها ، تمثل في الوفود الكثيرة التي تلقاها السيد

---

(١) IOR,L/p+s/10/212,No. 1416/1914, Summary... Nov. and Dec. 1913 and Jan. 1914, p.3.

(٢) PRO,FO 424/258, No. 296. Sir L. Mallet (British Amb. at Const.) to Sir E. Grey, March 18, 1914.

(٣) Zeine, Op.Cit., p. 95.

طالب وهي تحمل تأكيدات مرسليها بأستعدادهم للقتال والتضحية بأرواحهم من اجل الهدف الذي تضمنه ذلك البيان . (١)

ويبدو ان هذا النشاط الاستفزازي الذي أظهره طالب قد دفع بالسلطات الاتحادية الى أستجلاب ود عجمي ثانية ودفعه الى نقض الصلح الذي توصل له مع السيد طالب قبل أن تمر عليه ثلاثة شهور كاملة . اذ ليس هناك أي سبب آخر لما أقدم عليه عجمي حين بعث وحليفه سالم الخيون في سبتمبر ١٩١٣م (اواخر شوال ١٣٣١هـ) برقية الى جريدة الزهور الناطقة باسم فرع جمعية الاتحاد والترقي في بغداد عنوناها الى عموم أهالي البصرة وشجبت مسلكهم في الاصغاء الى مثيرى الفتن ودعتهم الى أظهار الادراك السليم لكل ماتفعله الحكومة العثمانية من اجل ارضاء مطامع العرب (٢) .

ولم تقف جهود السلطات الاتحادية لاخماد معارضة السيد طالب عند محاولة تجنيد أنصارها من شيوخ القبائل للضغط الأدبي عليه ، بل زادت على ذلك بالتآمر مع بعض اولئك الشيوخ للقضاء على حياته . فقد تفاهمت مع سالم الخيون على أختيار ستة من أفراد عشيرته ، كي يتوجهوا الى مدينة البصرة في أوائل ذي القعدة ١٣٣١هـ/ أكتوبر ١٩١٣م لاغتيال السيد طالب ودفعت لهم ستمائة ليرة مقابل قيامهم بتلك المهمة . ولكن خبر تلك المؤامرة تسرب للسيد طالب ، فقام على الفور بأنذار وكيل والي

---

(١) PRO,FO 424/240, No. 52, Cons. Crow to Mr. Marling, Aug. 30, 1913.

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. P-4691/1913, Summary... Sep. 1913, p. 1.

البصرة بوجوب معاقبة اولئك الرجال الستة . ولم يجد الوكيل بدا من الرضوخ لمطلبه ،فأمر جماعة من الدرك بمرافقة عدد من اتباع السيد طالب الذين توجهوا للقرنة وتمكنوا من القاء القبض على اثنين من أولئك المتآمرين بعد أن أحرقوا قريتهم (١) . وقد أخبر السيد طالب القنصل البريطاني في البصرة عن اكتشاف واحباط تلك المؤامرة واتهم جمعية الاتحاد والترقي بتدبيرها (٢) .

ويبدو أن فشل كل المحاولات التي قامت بها السلطات الاتحادية لكسر شوكة السيد طالب قد أضطرها للتسليم بالأمر الواقع ومحاولة التوصل معه الى تفاهم. ولعل هذا هو جعله ينشر في السابع من ربيع الاول ١٣٣٢هـ/ الثالث من فبراير ١٩١٤م بيانا في الصحف هذا نصه :ـ" اعلن مع كمال الفخر الى عموم اهالي الولاية والملحقات بأننا قد أتفقنا في أمر تشريك المساعي كأننا روحا واحدة وجسدا واحدا لاجل اعلاء شأن وشوكة حكومتنا السنية التي قدرت صداقتنا رسميا ولم يبق خلاف بيننا وبين الحكومة السنية بأي صورة كانت وقد زال ماكان من سوء التفاهم زوالا قطعيا وصرنا كلنا كتلة واحدة نعمل على سعادة دولتنا الأبدية ونسعى في محافظة وحدتنا العثمانية بكل قوانا حتى لا يبقى منا فرد واحد . وللبيان حررت الكيفية واعلن ذلك" . (٣) ورغم أن السلطان السيد طالب على اصدار ذلك البيان بمنحه وسام العثمانية

---

(١) الجابري ، مرجع مر ذكره ،ص ٤٢٩ .

(٢) IOR,L/p+s/10/212, No. P-5054/1913, Summary... Oct. 1913, p. 3.

(٣) لغة العرب،السنة ٣ ،ج ١٠ ،جمادى الاولى ١٣٣٢هـ/ نيسان ١٩١٤م، ص ٥٥٧ .

من الطبقة الاولى ومنح ولديه اللذين كانا يدرسان بكلية فرنسية في استانبول ميدالية ذهبية لكل منهما ، الا انه لم يكن هنالك مايدعو لاخذ ذلك البيان مأخذ الجد على حد قول المقيم السياسي البريطاني في بغداد (١) .

ويبدو أن ذلك التفاهم قد عزز من مركز السيد طالب القوي في مدينة البصرة حتى أن نائب القنصل الامريكي في بغداد كتب في ربيع الاول ١٣٣٢هـ/ فبراير ١٩١٤م يقول :- أن السيد طالب أصبح يمارس الآن سلطة لا منازع لها في تلك المنطقة في حين غدت السلطات الرسمية معدومة القوى تماما ، وانعدمت فاعليتها بصورة مطلقة في مجال التعامل مع القبائل في الولاية بسبب المركز المتغطرس الذي أصبح المذكور يحتله . واضاف أن السلطات اعلنت بأن والي البصرة الجديد سليمان شفيق باشا غادر استانبول في التاسع من فبراير (الثالث عشر من ربيع الاول) في طريقه لمقر عمله تصحبه قوة من الجند مؤلفة من ألفي رجل ، وشكك نائب القنصل في قدرة تلك القوة على السيطرة على الاوضاع المتردية في أرجاء الولاية . (٢)

وقد وصل الوالي الجديد بالفعل الى مقر عمله في أوائل مارس (ربيع الثاني) مصحوبا بثمانمائة وعشرين جنديا وتسعة عشر ضابطا (٣) . وحال وصوله تلقفه السيد طالب فأعد لسكنه قصرا رائعا يقع على ضفة شط العرب تعود ملكيته لصديقه الشيخ خزعل ووضع تحت تصرفه عربته الفاخرة وخيوله العربية الاصيله . (٤) فأصبح الوالي الجديد نتيجة لذلك طوع اشارة

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. P- 2097/1914, Summary... Feb. and March 1914, p.4.

(٢) N.A.R.S.,RG 84, File No. 810, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. Const., Feb. 25, 1914.

(٣) N.A.R.S., RG 84, File No. 800, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 5, 1914..

(٤) N.A.R.S.,RG 84, File No. 800, Am. Vice Cons at Bag. to Am. Amb. at Const., March 18, 1914.

السيد طالب (١) ، حتى لقد قال نائب القنصل الامريكي في بغداد :- " أن والي البصرة أصبح في يدي السيد طالب كلية ،فهو خادمه الفعلي الاكثر اخلاصا المستعد لمساعدته وحمايته في كل اغراضه وخططه القانونية وغير القانونية" . (٢) وقد ناقض ذلك الوضع تماما خطة الحكومة المركزية في استانبول التي أرادت الحد من غلواء السيد طالب فأختارت لتلك المهمة سليمان شفيق باشا مفترضة أنه سيكون قويا باعتباره ضابطا كبيرا واعطته حرية التصرف في ولايته وارسلت معه جندا أناضوليين حتى لايكونوا سهلي الانقياد للمؤامرات المحلية . (٣)

وعلى صعيد العلاقات بين عجمي والدولة أو بينه وبين السيد طالب ، فلا يرد عنها في المصادر شيء ذو بال خلال الاشهر الاولى من سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م. ولكن الحال تغير حين توجه الوالي الجديد ترافقه حاشية كبيرة على ظهر الباخرة الحربية "مرمريس" في أبريل ١٩١٤م (جمادى الاولى ١٣٣٢هـ) الى سوق الشيوخ ،حيث نزل هناك في مضارب عجمي وضيفه أبن رشيد أمير حائل اللذين قام اتباعهما بأداء العرضة تكريما للوالي . ثم قدمت له الهدايا وكانت عبارة عن حصانين من ابن رشيد وفرس وحصان وخمسمائة ليرة من عجمي الذي قدم الهدايا أيضا لمتصرف المنتفق وقائمقام سوق الشيوخ ومرافق الوالي . وقد طلب عجمي من الوالي أثناء

---

(١) فيضي ،مصدر مر ذكره ،ص١٣٣ .

(٢) N.A.R.S.,RG 84, File No. 810, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., July 15, 1914.

(٣) IOR, L/p+s/10/462, No. 38, Mr. Bullard (British Acting Cons. at Basra) to Mr. Beaumont (British Charge d'Affairs at Const.), June 20, 1914,

تلك الزيارة مساعدة ممثله الشخصي في البصرة محمد العصيمي الذي أضطر لنقل سكناه الى الزبير خوفا على حياته من السيد طالب، فرد عليه الوالي طالبا، أن يرسل العصيمي اليه في البصرة . (١)

وبعد عودة الوالي الى مقر ولايته ، اتجه حمد شقيق عجمي على رأس اربعمائة رجل صوب الزبير حيث حطوا رحالهم في منطقة مجاورة لتلك المدينة في الثامن والعشرين من أبريل ١٩١٤م (الثاني من جمادى الثانية ١٣٣٢هـ)، ومن هناك صحب حمد معه العصيمي وعدة أفراد من اتباعه واتجه للبصرة فوصلها في صباح اليوم التالي يصحبه حرس شرف من رجال الدرك وحلوا ضيوفا على الولاية في منزل اعد لاقامتهم حيث ذهب الوالي بنفسه لزيارتهم في نفس اليوم، وقد اعقب وصولهم بعض التطورات سجلها القنصل البريطاني في البصرة حين قال :-" أن القوات والمدفعية التي عسكرت على حافة الصحراء لعدة أسابيع ماضية ، حيث كانت تتدرب وتحفر المواضع على بعد خمسة أو ستة أميال في الزوايا المحيطة بالبصرة قد سحبت الى البصرة في اليوم التالي لوصول جماعة عجمي هنا . . . [ان] وجود هذا المادي على الطريق بينما كانت جماعة عجمي تدخل المدينة ربما عني تلميحا ذا معنى عن أستعداد الوالي لصد أية حركة عدائية من جانب عرب المنتفق كالتي جرى التهديد بها في السنة الماضية . واذا ماكان هنالك أي ذعر فقد انتهى الآن على أية حال ، اذ طويت الخيام واعيدت القوات لثكناتها وخبأت المدافع في مخابئها " . (٢)

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. P-2492/1914, Summary... April 1914, p.2.

(٢) Ibid.

ولا تخلو ملاحظات القنصل تلك من بعض الدلالة ، اذ يظهر منها أن سلطات الولاية كانت تتوقع حركة ما من جهة الصحراء ، أي من جانب عجمي ، مما يشير الى وجود توتر في علاقة المذكور بالسلطات قبل زيارة الوالي له . وربما كان ذلك التوتر انعكاسا لتحسن علاقة السلطات مع خصمه السيد طالب . ولعل ذلك التوقع هو الذي دفع الوالي لزيارة عجمي لتجنب أية امكانية من هذا القبيل ، ولعل المباحثات التي جرت بين الجانبين اثناء الزيارة كانت بحاجة الى استكمال أوجب حضور حمد للبصرة ، فرواية القنصل لاتعطي أي سبب لقدومه . في حين روى آخرون أن السبب مرتبط بموءامرة اعدتها السلطات ضد السيد طالب ، واتفق الوالي على تنفيذها مع عجمي اثناء زيارته الاخيرة له . (١) ولا تصمد هذه الرواية أمام النقد ، فالسيد طالب كان في هذه الفترة على علاقة جيدة بالحكومة حتى انها كلفته بالتوسط بينها وبين ابن سعود لتصفية ذيول قضية الاحساء وكان في اثناء وصول حمد للبصرة في الكويت يقوم بتلك المهمة . (٢) وهو فوق ذلك على علاقة وثيقة جدا بالوالي كما مر بنا ، فما مصلحة الحكومة في استشارة عدائه في هذا الوقت بالذات ؟ .

وقد جاء كاتب وثيق الصلة بالاوساط المحيطة بعجمي برواية غريبة بعض الشيء ، حين قال أن الباخرة الحربية " مرمريس" التي ترابط في البصرة عادة أصطدمت مع باخرة انجليزية ، واتفقت الحكومتان العثمانية والبريطانية

---

(١) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٨٣ وانظر أيضا Dickson, The Arab of the Desert, P. 559.

(٢) السعدون ، مرجع مر ذكره ، ص ١٤٧ ومابعدها .

على قيام الاخيرة بتصليح مرمريس في بومباي . وبعد اكمال أصلاحها هناك أخذت السلطات البريطانية تماطل في اعادتها ، مما أثار شكوك السلطات العثمانية في أن سبب المماطلة هو رغبة بريطانية بتمكين السيد طالب من اكمال استعداداته للثورة في البصرة أثناء غياب تلك الباخرة . واحترازا من تلك الامكانية أستعانت السلطات العثمانية بعجمي بأن طلبت منه الاقتراب من البصرة لقمع تلك الثورة اذا مانشبت . وقد استجاب عجمي للطلب وتقدم في أواخر سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م نحو البصرة مشيعا أنه يزمع الثأر لابيه من السيد طالب . وظل هناك طيلة أربعة أشهر لم تظهر خلالها أية دلائل على قرب قيام الثورة ،فأستأذن عجمي بالعودة للمنتفق بعد أن أرسل أخاه حمدا ليرابط في مدينة البصرة ،فأذنت له الحكومة بالعودة وكافأته على خدمته بمنحه رتبة الباشوية .(١)

ولا تصمد هذه الرواية كسابقتها أمام النقد ،فمن الثابت أن عجمي لم يتحرك بأتجاه البصرة خلال الفترة الواقعة بين أواخر سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م والشهور الأربعة الاولى من السنة التالية ،بل كان مشغولا بتدبير شئونه في جانب الشامية من لواء المنتفق . هذا ومن ناحية أخرى كانت العلاقة بين السيد طالب والحكومة قد تحسنت مما لايعقل معه أن تشك الحكومة في كونه يدبر لقيام ثورة ضدها . وفوق هذا كله فأن قصة مرمريس لم تقع في هذه السنة بل وقعت في السنة التي قبلها ، حيث كانت السلطات البريطانية تمانع فعلا في عودة تلك الباخرة من بومباي ليس لتمكين السيد طالب من الثورة ولكن تمسكا منها بموقف الحياد بين الدولة العثمانية

---

(١) النبهاني ،مصدر مر ذكره ،ج ١٠ ،ص ص ١٤٦ - ١٤٨ .

واعدائها المشتبكين في معارك الحرب البلقانية (١) . ولكن التوصل الى الهدنه بين الأطراف المتحاربة وبدء محادثات السلام بينها في لندن خلال شهر جمادى الأخرة ١٣٣١هـ/مايو ١٩١٣م (٢) ،جعل السلطات البريطانية تفرج من تلك الباخرة في أواخر الشهر نفسه (٣) . والغريب أن السيد طالب كان حينئذ مهتما بالفعل بتتبع أخبار تلك الباخرة من القنصل البريطاني في البصرة . (٤)

وهكذا لايبقى الا ترجيح ما ذكر سابقا من أن حمدا ربما جاء الى البصرة لاستكمال المحادثات التي جرت بين شقيقة والوالي . أوربما جاء باتباعه حماية للعصيمي في مظاهرة قوة لاشعار السيد طالب وانصاره أن تحسن علاقتهم مع الحكومة لايعني أن المعسكر الآخر قد ضعف او تعرضت علاقته مع الحكومة لقطيعة تامة . والغريب هنا هو موقف الوالي المرحب بدخول حمد واتباعه الى البصرة مع ماعرفناه من علاقته الوثيقة بالسيد طالب . ولعله أراد من ذلك أن يكسب الجانبين معا خاصة وانه قد أرضى ماديا ومعنويا خلال زيارته الأخيرة لعجمي . او لعله تصرف على ضوء تعليمات تلقاها

---

(١) PRO,FO 424/238,No.30, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 18, 1913.

(٢) محمد كمال الدسوقي ،الدولة العثمانية والمسألة الشرقيه ،القاهرة ، ١٩٧٦، ص ٣٤٤ .

(٣) PRO,FO 424/238, No. 34, Cons. Crow to Sir G.Lowther, May 31, 1913.

(٤) PRO,FO 424/238, No. 30, Cons. Crow to Sir G.Lowther, May 18, 1913.

من السلطات العليا في استانبول التي لم يكن من مصلحتها الاخلال بالتوازن بين الرجلين .

وفي خلال ذلك، كانت تطورات متلاحقة تجرى في البصرة بعد وصول حمد واتباعه اليها ، اذ ماكادوا يستقرون هناك ضيوفا على الولاية ، حتى لحق بهم على الفور ثامر بن سعدون شقيق عجمي الاكبر على رأس عدد آخر من اتباعه المسلحين . ثم انضم لهم في الخامس من مايو (التاسع من جمادى الثانية) خمسون مسلحا آخرين ، كل هذا دون أي اعتراض من قبل الوالي . وقد زار الشقيقان سراى الحكومة برفقة حراسهم المسلحين الذين لم يعيروا انتباها لتحذيرات مدير الشرطة حول حظر حمل السلاح داخل السراى . وفي مساء الخامس من مايو (التاسع من جمادى الثانية) عاد السيد طالب من الكويت وعلم بما يجرى في المدينة فجمع مائتين وخمسين رجلا مسلحا من اتباعه واتجه بهم مباشرة الى منزل الشيخ خزعل الذي يقيم فيه الوالي . وهناك اجتمع السيد طالب بالوالي وحذره من أنه مالم يطرد الشقيقين واتباعهما من المدينة فورا ، فأن الدماء ستسفك في شوارعها ، كما انه شخصيا لن يدخل المدينة قبل الاستجابة لذلك الطلب . فأستجاب الوالي لطلبه على الفور ، اذ غادر الشقيقان واتباعهما الى الزبير تقلهم العربات في الليلة نفسها . وقد علق المقيم السياسي البريطاني في بغداد على ماحدث بقوله أن من الطبيعي أن يثور عجمي لهذه المعاملة التي عومل بها شقيقاه ، ومن المفترض أنه سيفكر بتدبير هجوم على الزبير والبصرة . وانتقد المقيم أيضا مسلك الوالي حين سمح لرجال مسلحين من المنتفق بدخول البصرة ، لانه مسلك طائش اذا ما أخذ في الاعتبار ماحدث خلال السنة الماضية .(١)

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. P-2937/1914, Summary... May 1914, p.2.

أدى خروج حمد واتباعه من البصرة الى هدوء الاوضاع في المدينـــة ، ولكن الهدوء سرعان ماتبدد . ففي ليلة الخامس عشر من يونية ١٩١٤ م (العشرين من رجب ١٣٣٢ هـ) (١) سمع في المدينة اطلاق نار كثيف . وقد فسرت السلطات الرسمية الأمر بقولها أن جمعا يضم مابين ستين الى ثمانيـــن رجلا من المنتفق قدموا من ناحية الزبير بقصد اقتحام المدينة . ولكنهـــم أضطروا للتراجع بعد أن تبادلوا مع حرس المدينة اطلاق نار سقط خلالـــه احد المهاجمين قتيلا (٢) . وقد بادرت السلطات في اليوم التالي بالـــرد على ذلك الهجوم ، فأرسلت عددا قليلا من القوات الحكومية الى الزبيـــر ولكن تلك القوات هوجمت ، وعادت الى البصرة تحمل أربعة عشر جريحـــا من افرادها ، كما خسرت اثني عشر أسيرا ومدفعا واحدا . (٣)

---

(١) ذكر الوكيل القنصلي الامريكي في البصرة أن الهجوم وقع ليلة السابـــع عشر من يونية (الثاني والعشرين من رجب) راجـــــع :

N.A.R.S., RG 84, File No. 800, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., June 19, 1914.

(٢) IOR/L/p+s/10/462, No. 38, Mr. Bullard to Mr. Beaumont, June 20, 1914.

(٣) - N.A.R.S., RG 84, File No. 800, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., June 19, 1914.

والغريب ان نائب القنصل البريطاني في البصرة لم يشر في تقريـــره المشار اليه والمرقم IOR/ L/p+s/10/462, No. 38 الى خـــروج تلك القوة الى الزبير ، ولعل طابع الاقتصار الذي وسم تقريـــره هو السبب .

ولم يثن ما حدث لتلك القوة الوالي عن نيته ، بل أعد قوة أخرى مؤلفة من ستمائة جندي وستة مدافع ومجموعات من أتباع السيد طالب جيدي التسليح (١). وقد نقلت تلك القوة بواسطة كل العربات المتوفرة في البصرة الى الزبير ، كما حرك في نفس الوقت قارب مدفعية الى الهور مقابل الزبير ليقوم بقصف تلك المدينة من هناك (٢) . ولايبدو ان الأمر تطلب القيام بذلك القصف ، فقد تمكنت القوات المهاجمة من احتلال المدينة بسهولة بعد صدام قصير مع المدافعين عنها أدى الى جرح عدد من الجند والمدنيين . وبعد ذلك وصل الوالي والسيد طالب لتفقد مدينة الزبير التي اعلنت فيها الاحكام العرفية وشكلت بموجبها محكمة عرفية اصدرت احكاما بالاعدام على ثلاثة من وجهاء المدينة أحدهم محمد العصيمي (٣) ، عاد بعدها الوالي والسيد طالب الى البصرة بعد أن تركا خمسمائة جندي لحماية الزبير من أي هجوم محتمل (٤).

وقد كتب نائب القنصل البريطاني في البصرة للقائم بأعمال السفارة البريطانية في استانبول معلقا على ماحدث بقوله :ـ" تتذكرون سعادتكم الطرد الفظ لزعماء المنتفق من قبل الوالي بناء على طلب السيد طالب قبل أقل من شهرين . . . ومن المعلوم أن حمد شقيق عجمي قد أقسم بأنه سيثأر لذلك ، ولهذا فلايبدو محتملا أن تكون الرواية التي تقول ان" الهجوم" ، قام به المنتفق

---

(١) IOR/L/p+s/10/462, No. 38, Mr. Bullard to Mr.Beaumont, June 20, 1914.

(٢) N.A.R.S., RG 84, File No. 800, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons at Bag., June 19,1914.

(٣) IOR,L/p+s/10/462, No. 38, Mr. Bullard to Mr.Beaumont, June 20, 1914.

(٤) N.A.R.S., RG 84, File No. 810, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const. , July 15, 1914.

مناقضة لطبيعة الاشياء ،وان كان ليس من المقبول التسليم بماحدث وكأنه هجوم جدي ،لأن عجمي اذا مافكر جديا في شن هجوم على البصرة فسيجلب عشرة الاف وليس ثمانين رجلا . ولقد علمت على أية حال بأن عجمي واخاه على مسافة لا تقل عن يومين من الزبير، وهنالك سبب جيد للاعتقاد بأن " الهجوم " دبر من قبل السيد طالب ونفذه رجاله، وهدفه منه هو اجبار الحكومة على استخدام القوة ضد أعدائه في الزبير ،وفي نفس الوقت أظهار قوته أمام السلطات بدعوته كل الرجال الذين هم تحت تصرفه . لقد أرسل قوة كبيرة مع الجند الى الزبير واقام آخرين كثيرين للحراسة حول المدينة . وخلال اليومين التاليين للهجوم فأن جموعا كبيرة من المسلحين العرب الذين استدعاهم السيد طالب وقدم بعضهم من مسافات بعيدة أستمروا في دخول المدينة والطواف في شوارعها وهم" يهوسون" ويطلقون بأبتهاج نيران بنادقهم في الهواء . ان انتهاء الأمر لمصلحة طالب أمر واضح بصورة كبيرة ، كما أن قدرته على اختراع وتنفيذ مكيدة مثل هذه - حين يظن انها ضرورية - غير مشكوك فيها" . (١)

وقد اتفق نائب القنصل الامريكي في بغداد مع زميله البريطاني في الاعتقاد بأن الامركله لم يكن الا لعبة أراد السيد طالب من ورائها الحصول على بعض المراسلات المهمة الموجودة في الزبير . وكانت تلك المراسلات قد كتبها اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين اتخذوا من تلك المدينة مركزا لهم بدلا من البصرة منذ أطاح أنقلاب شعبان ١٣٣٠هـ/يوليه ١٩١٢م بحكم تلك الجمعية في استانبول. ولكن نائب القنصل أضاف بعد ذلك

---

(١) IOR,L/p+s/10/462, No. 38, Mr. Bullard to Mr.Beaumont June 20, 1914.

قولـه أن الذى قام بالدفاع عن الزبير ضد هجوم القوات الحكومية هو عجمي نفسه (١) . وقريب من هذا قول البعض بأن حمدا واتباعه هاجموا القـوات الحكومية فى اليوم التالى لاحتلالها للزبير وقتلوا أكثر من عشرين شخصا من أفرادها واستولوا على بعض اسلحتها قبل أن تتمكن من أخراجهم من المدينة (٢).

هذا ومن ناحية أخرى ، يبدو أن الحكم الذى أصدرته المحكمة العرفية فى الزبير بحق محمد العصيمي كان حكما غيابيا ، اذ أن المذكور استطـاع الفرار من الزبير حين دخلتها القوات الحكومية وتوجه الي مدينة ثانيـة (لعلها سوق الشيوخ) حيث أبرق من هناك للسلطات العليا فـي استانبول متهما طالبا بأنه كان يهيء للاستيلاء على البصرة من أجـل غاياته الشخصية . وقد كان رد فعل تلك السلطات تجاه البرقية سريعـا ، اذ أبرقت لولاية البصرة تأمرها بالعفو عن كل المتورطين بحادثة الهجـوم على البصرة . فأضطرت سلطات الولاية ـ حفظا لماء وجهها ـ للادعـاء بأن القانون العرفى لم يكن قد اعلن فى الزبير قط ، وبهذا اصبحت كـل الاحكام التي صدرت بموجبه لاغية آليا (٣) .

وفى غضون ذلك كله كان الرعب مسيطرا على سكان مدينة البصرة ، ولـم يكن مرده الخوف من هجوم يشن عليهم من خارج المدينة بقدر الخوف من

---

(١) N.A.R.S.,RG 84, File No. 810, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., July 15, 1914.

(٢) خزعل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٣) IOR,L/p+s/10/462, No. 39, Mr. Bullard to Sir L. Mallet, June 27, 1914.

حدوث انفلات في صفوف اتباع السيد طالب غير المنظمين . (١) اذ استمر اولئك الاتباع يقومون بالحراسة في المناطق المحيطة بالمدينة ولكنهم غالبا ما كانوا يجوسون في شوارعها بأعداد كبيرة . وهو الأمر الذي علق عليه نائب القنصل البريطاني في البصرة بقوله : ليس من المرغوب فيه لا قصى حد أن يسمح الوالي بتحويل واجبه في حفظ النظام الى حشد من المدنيين غير المنضبطين . (٢)

ولم يكتف السيد طالب بما تحقق له في الزبير ، بل أقدم على عمل جر الى ساحة الصراع خصمه الرئيسي عجمي ، الذي كان خلال وقوع الاحداث السابقة مشغولا بنزاع نشب بينه وبين قبيلة مطير النجدية . فقد أقنع السيد طالب الوالي بأرسال باخرة حربية حكومية مع بعض أتباعه لمهاجمة قلعة تقع على ضفة الهور ويشغلها يوسف بن عبد الله ابن عم عجمي . وماكادت تلك الباخرة تدك القلعة بنيران مدافعها حتى أسرع عجمي بالقدوم على رأس قواته لانجاد ابن عمه ، واضطرت الباخرة للتراجع ازاء النيران الحامية التي صبت عليها . (٣)

ويبدو أن كل تلك التطورات جعلت السلطات المركزية في استانبول تدرك خطورة الموقف في ولاية البصرة ، وتحمل سليمان شفيق باشا مسئولية

---

(١) IOR,L/p+s/10/462, No. 38, Mr. Bullard to Mr. Beaumont, June 20, 1914.

(٢) IOR,L/p+s/10/462, No. 39, Mr. Bullard to Sir L. Mallet, June 27, 1914.

(٣) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٥١ .

ماحدث هناك . لذلك أصدرت قرارا بطرده ، وعينت العقيد صبحي بك قائدا لحامية البصرة وواليا لها بالوكالة لحين تعيين وال جديد . (١) وقد أمتدح عجمي الذي اقترب في اواخر يوليه ١٩١٤م (اوائل رمضان ١٣٣٢هـ) لمسافة لا تبعد عن مدينة البصرة سوى عدة ساعات ذلك الأجراء . ولكنه أعلم نائب القنصل البريطاني في البصرة بأن ذلك لايكفيه ، فهو يريد من الحكومة قتل طالب ونفي مناصريه عن المدينة ، فأن لم تستجب له فأنه مضطر لمهاجمة البصرة وتنفيذ مبتغاه بنفسه ، بالرغم من انه تلقى نصائح من عدة شخصيات رسمية بينها والي بغداد تطلب منه التزام الهدوء (٢) .

وخلال ذلك كانت بعض الغارات تشن على أطراف مدينة البصرة ، وقد نسبت بصورة رسمية لاتباع عجمي ، ولكن نائب القنصل البريطاني في البصرة تشكك في ذلك ، واضاف أن وكيل الوالي غير راغب باتباع سياسة قمعية لانه لايملك القوات الكافية لتنفيذها من ناحية ، ولانه ذكي بصورة غير معتادة من ناحية اخرى ، ولكنه رغم ذلك عازم على جعل عجمي يبتعد عن مقره الحالي (٣) . ولعل ذلك هو السبب الذي جعل وزارة الداخلية تنتدب عبد الرزاق الفهد السعدون لمقابلة قريبه عجمي واقناعه

---

(١) N.A.R.S.,RG 84, File No. 810, Am. Vice Cons . at Bag. to Am. Amb. at Const., July 15, 1914.

(٢) IOR,L/p+s/10/462, No. 495 R, Mr. Beaumont to Sir E. Grey, July 29, 1914.

(٣) Ibid.

بالانسحاب. [1] ويبدو أن الرجل وفق في مسعاه، اذ أنسحب عجمي الى " الخميسيه" [2] ، وعاد هناك للانشغال في الصدامات القبلية الى أن قامت الحرب العالمية الاولى وارتمت الدولة العثمانية في اتونها [3] ، حيث كان له خلالها دور سوف نتعرف عليه فيما بعد .

---

(١) صدى بابل ، السنة ٦ ، العدد ٢٥١ ، ١٣ رمضان ١٣٣٢هـ/ ١٦ اغسطس ١٩١٤م، ص ٢ .

(٢) سميت نسبة الى عبد الله بن خميس وهو من اهالي القصيم، وكان مع جماعة من النجديين يوالون فالح باشا السعدون ويقيمون معه في الشامية . وحدث مرة أن احاط الفيضان بسوق الشيوخ التي تمتار منها قبائل البادية، فأنشأ ابن خميس سوقا في موضع قريب منه ولكنه مرتفع من الماء . واصبحت تلك النواة مدينة صغيرة ومركزا تجاريا نشطا في الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي .راجع: لغة العرب ، السنة ١ ، ج ١١ ، جمادي الاولى ١٣٣٠هـ/ نيسان ١٩١٢م، ص ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

(٣) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٥٢ .

الفصل الرابع

صلات قبائل الولاية بالدول الأجنبية

١٣٢٦ - ١٣٣٢هـ / ١٩٠٨ - ١٩١٤م

مصالح بريطانيا فى العراق ولمحة عن صلاتها السابقة بالقبائل :

كانت للعراق أهمية أستراتيجية كبيرة بالنسبة لبريطانيا ترتبط بوجودها الاستعمارى فى الهند ، فمن أجل المحافظة على وضعها هناك وجدت أن من الضرورى حماية كل الطرق المؤدية الى الهند ، والسيطرة على كل القواعد التي يمكن أن تهدد تلك الطرق.(١) ومن أجل ذلك بذلت الدبلوماسية البريطانية جهدها خلال القرنين اللذين سبقا مطلع القرن الميلادى الحالى، حتى تمكنت من ان تبنى لها فى العراق مركزا متميزا ، وخاصة فى المنطقة الجنوبية المعروفة باسم ولاية البصرة والتى هى جزء من اقليم الخليج العربى القريب من الهند (٢) .

وكما كانت حماية الهند ضرورة ملحة لبريطانيا ، فأن تنمية مصالحها ، الاقتصادية فى هذه المنطقة كانت أيضا ضرورة لاتقل الحاحا (٣) . ولذلك نمت لبريطانيا فى العراق مصالح تفوق مصالح أية دولة اوربية أخرى ، وهى مصالح تجارية بالدرجة الاولى (٤) . فلقد أستأثرت الاسواق البريطانية بنسبة تتراوح مابين النصف الى الثلثين من صادرات العراق (٥) ، بينما أحتكرت السفن البريطانية نقل تسعة أعشار الحمولات التى مرت عبر ميناء البصرة سنة ١٩٠٠م (٦) (١٣١٨هـ) فى حين فتحت فروع محلية للشركات البريطانية

---

(١) Cohen, Op.Cit., p. 3.

(٢) Longrigg, Op.Cit., p.3

(٣) Cohen, Op.Cit., p.6.

(٤) لوريمر مرجع مر ذكره ،القسم الجغرافى ، ج ٣ ،ص ١٣٥٦ .

(٥) Hasan, Op.Cit., p.348.

(٦) Longrigg, Op.Cit., p.3

مارست أعمالا تجارية واسعة حتى بلغ عددها في مطلع هذا القرن الميلادي سبعة فروع (١) . وترتب على ذلك أن كانت البضائع البريطانية تحتل ثمانين بالمائة من مجمل البضائع المستوردة الى بغداد سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م. (٢)

وثمة مصدر آخر لاهتمام بريطانيا بالعراق ، وخاصة منذ مطلع القرن الميلادي الحالي الا وهو توقع أستغلال مخزون النفط العراقي ، فقد لاحظ السفير البريطاني في أستانبول سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م العلاقة بين مشروع سكة حديد بغداد المزمع والسعي لأستغلال الحقول النفطية في العراق ثم أكد المقيم السياسي البريطاني ببغداد المستر نيومارش Newmarch هذه الملاحظة سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م حين تحقق من وجود مخزون نفطي هام على طول الطريق المقترح للسكة الحديدية . ومنذ ذلك الحين تزايد الدعم الحكومي البريطاني لمحاولات المستر دارسي D'Arcy للحصول على امتياز التنقيب عن النفط في هذه المنطقة . (٣)

وتحسن هنا الاشارة الى شركة بريطانية لعبت دورا مهما في النشاط الاقتصادي في العراق ، وهي شركة لنج Lynch التي أسست سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦١م من قبل عائلة هنري لنج لغرض القيام بالاعمال الملاحية في نهر دجلة (٤).

---

(١) لوريمر مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ١٣٥٧ .

(٢) Cohen, Op.Cit., p.53.

(٣) Ibid., p. 57. ودارسي هو William Knox D'Arcy انجليزي من ديفونشاير ، كون ثروة من التنقيب عن الذهب في استراليا ، ثم سعى مع بعض الشركاء للحصول على امتياز التنقيب عن النفط في ايران فتم له ما أراد سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م ، وكان من نتائج ذلك العثور على النفط في اقليم خوزستان في جنوب غرب أيران . راجع :

Avery, P., Modern Iran, London, 1965, pp. 181 - 182.

(٤) Longrigg, Op.Cit., p. 33.

فقد أصبح لها نشاط واسع في نقل الركاب والبضائع بين بغداد والبصرة ، كما مارست بالاضافة الى ذلك نشاطا تجاريا كبيرا وخاصة في مجال تجارة الآلات الزراعية [١] . وقامت هذه الشركة أيضا بتقديم خدمة مهمة جدا ذات علاقة بالنشاط التجاري وهي نقل البريد من ولايتي بغداد والبصرة الى العالم الخارجي وبالعكس ، وذلك ابتداء من عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م حيث فتحت مكاتب بريد خاصة بها لهذا الغرض [٢] . وبالرغم من أن تلك الشركة كانت شركة خاصة لا علاقة لها بالحكومة البريطانية الا انها حظيت برعاية وتعضيد تلك الحكومة [٣] .

وبالاضافة الى العاملين الاستراتيجي والاقتصادي ، كان هناك عامل ثالث جعل السلطات البريطانية تهتم بالعراق وهو مرتبط بالاعداد الكبيرة من الرعايا الهنود الخاضعين لحكم الاحتلال البريطاني في بلادهم والمتذهبين بالمذهب الشيعي الجعفري ، الذي يفدون الى العراق سنويا لاداء زيارة مراقد أئمتهم المدفونين في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء . مما جعل الحكومة البريطانية تحرص على انشاء شبكة من ممثليها الدبلوماسيين في البصرة وبغداد وكربلاء [٤] ، لمتابعة شئون اولئك الزوار خاصة والمصالح البريطانية عامة . وقد أنعكس المركز السياسي المهم الذي احتلته بريطانيا

---

(١) العزاز ، مرجع مر ذكره ، ص ٥١ .

(٢) الشناوي ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٧٩٣ .

(٣) Cohen, Op.Cit., p. 55.

(٤) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ص ص ١٣٥٨ - ١٣٦٠ .

في العراق خلال تلك الفترة على وضع هيئاتها الدبلوماسية هناك ، فقد أنفردت المقيمية السياسية البريطانية في بغداد دون غيرها من الهيئات الدبلوماسية بأمتياز وقوف باخرة ترفع العلم البريطاني ومسلحة بالمدفعية أمام دار المقيمية على ضفة نهر دجلة وذلك منذ سنة ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م. (١)

ولا ريب أن هذه المصالح الاقتصادية المتشابكة والمكانة السياسية المتفوقة التي أحتلتها بريطانيا في العراق خلال تلك الفترة جعلت ممثليها يهتمون اهتماما كبيرا بمتابعة كل مايحدث على الساحة العراقية ويوافون به مراجعهم العليا سواء في الهند أو لندن ، وقد ساهمت تقاريرهم المتنوعة في صوغ السياسة البريطانية تجاه هذه المنطقة. (٢) ولما كانت أكثر أحداث هذه الفترة هي أحداث الأضطرابات القبلية ، فقد أستأثرت تلك الاحداث بأهتمام اولئك الممثلين الدبلوماسيين ،سيما وان بعضها كانت تؤثر تأثيرا مباشرا على المصالح البريطانية المحلية. ولذلك فمن المفترض منطقيا الا يكتفي اولئك الممثلون بدور مراقبة مايجري ونقل تفاصيله الى حكومتهم ، بل يحتمل أن يكون لهم دور ايجابي في توجيه تلك الاحداث وجهة معينة بحيث تخدم مصالح دولتهم أو لا تتعارض معها على الأقل.

وهناك بعض الشواهد التي تؤكد صحة هذا الفرض ،اذ ازداد نفوذ المقيمين البريطانيين في بغداد خلال فترة حكم المماليك " ١١٦٢ - ١٢٤٧هـ/ ١٧٤٩ - ١٨٣١م" ، وتدخلوا في الأمور الداخلية لولاية بغداد ،واقاموا

---

(١) الشناوي ، مرجع مر ذكره ،ج ٢ ،ص ٧٩٤

(٢) Cohen,Op.Cit., pp.15 -16

الصلات مع شيوخ القبائل ، وبلغ بهم الحال أن كانوا يعتبرون أنفسهم أعلى شأناً من الولاة "الجهلة"(١). ولم يتغير الحال بعد زوال حكم المماليك ، يدل على ذلك تدخل المقيم البريطاني الكابتن كامبول Kemball في شئون الولاية أثناء ثورة قبيلتي المنتفق والخزاعل سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٤م. وقد ادى تدخله الى احتكاك بينه وبين الوالي نامق باشا" ١٢٧٩-١٢٨٥ هـ/ ١٨٦٣ - ١٨٦٨م" الذى كان يميل بحكم كونه عسكريا الى اخماد تلك الثورة بالقوة. ولكن المقيم كان يفضل التفاهم مع القبائل ، التي أولته ثقتها نتيجة لذلك حتى أصبح واسطة التفاهم بينها وبين الوالي. وقد دل على تلك الثقة أن منصور باشا شيخ المنتفق والشيخ مطلق الكريدى شيخ الخزاعل طلب من المقيم أن يضمن سلامتهما ، بعد أن تم الاتفاق على توجههما لبغداد لمقابلة الوالي وتسوية الخلافات بين الطرفين عن طريق المفاوضات(٢). ولا يحتاج هذا الخبر الى تعليق يوضح مقدار ما وصل له المقيم البريطاني من مكانة في هذا الوقت.

وكانت تدخلات الدبلوماسيين البريطانيين تتجاوز أحيانا نطاق ولاية بغداد لتصل الى المراجع العليا في استانبول. ففي خلال أضطرابات المنتفق سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨١م، وما نتج عنها من تهديد للملاحة في نهري دجلة والفرات، اقترح المقيم البريطاني في بغداد على حكومته أن يتدخل سفيرها في استانبول لاقناع الباب العالي بعلاج المشكلة عن طريق أعادة فصل ولاية البصرة عن بغداد واعادة تعيين ناصر باشا السعدون المنفي في

---

(١) Nieuwenhuis, T., Politics and Society in Early Modern Iraq, the Hague, 1982, pp. 82-87.

(٢) نوار، تاريخ العراق، ص ١٨٣.

استانبول واليا عليها . واضاف أن تأثير قبائل المنتفق يمكن أن يفيد المصالح البريطانية في بعض الحالات وإن اكتساب صداقة تلك القبائل له ما يبرره . ويبدو أن الحكومة البريطانية أقتنعت برأى المقيم فأوعزت لسفيرها في أستانبول أن يقدم " نصيحته " للباب العالى حسب اقتراح المقيم ، ولكن تلك النصيحة لم تلق الاستجابة المطلوبة . (١)

وكما حاولت السلطات البريطانية أن تكسب ود قبائل المنتفق خلال القرن التاسع عشر الميلادى ، قامت في القرن نفسه بمحاولة مشابهة مع قبيلة بني لام في العمارة . حيث كان ما تقوم به من أضطرابات يوءدى الى تعطيل الملاحة في نهر دجلة ، كما انها كانت تفرض في وقت السلم الاتاوات على كل قارب يمر في ديارها مع مافي كل ذلك من تأثير على المصالح البريطانية ، ولكن تلك المحاولة لم تلق صدى طيبا لدى بني لام . (٢) وفي نفس الوقت الذى كانت فيه الاتصالات البريطانية بالقبائل تجرى عن طريق مباشر من خلال ممثليها الدبلوماسيين ، فأنها كانت تلجأ أحيانا الى استغلال عملائها السريين للقيام بالدور نفسه اثناء تجوالهم في ديار القبائل تحت ستار السياحة أو جمع المعلومات . (٣)

---

(١) لوريمر مرجع مر ذكره ، القسم التاريخى ،ج ٤ ،ص ٢٢٨١ .

(٢) نوار ،تاريخ العراق ،ص ١٥٧ . والغريب أنه يعزو اخفاق تلك المحاولة الى أن كراهية الشيعة - وبنو لام منهم - للاجانب عموما والمسيحيين خصوصا تفوق كراهية أهل السنة ، ولا يوضح لنا الاسس التى بنى عليها استنتاجه ، ولا المقياس الذى استخدمه لقياس درجة الكره .

(٣) نوار ،تاريخ العراق ،ص ٤٧٤ .

وكما حاولت السلطات البريطانية الاستفادة من اتصالاتها بالقبائل ،فقد حاولت الاخيرة بالمقابل أن تستثمر هذا النشاط البريطاني لصالحها ،خاصة حين تتأزم علاقاتها مع السلطات العثمانية . اذ اعتادت القبائل خلال القرن الميلادى الماضي أن تلجأ لتوسيط المقيم البريطاني في بغداد لحل الخلافات الناشبة بينها وبين الولاة ،أو أن يطلب بعض زعمائها الضمانات الشخصية من ذلك المقيم، كما مر آنفا . ولكن تطورا بالغ الدلالة أستجد في اواخر ذلك القرن واوائل القرن الميلادى الحالى ، وتمثل في اقدام بعض زعماء القبائل على طلب الحماية البريطانية ،حين تتفاقم المشاكل بينهم وبين السلطات العثمانية. ومن ذلك ان سليمان المنصور ، احد مشايخ المنتفق والأخ الاكبر لسعدون باشا (١) ، تقدم الى القنصل البريطانى فى البصرة في نوفمبر ١٨٩٩م (جمادى الثانيه ١٣١٧هـ) يطلب وضع نفسه تحت الحماية

---

(١) كان لسليمان هذا نشاطات معارضة للدولة منذ فترة طويلة سابقة ، فقد نسبت له الروايات القبلية المتداولة الدور الاكبر في تحريض والده منصور باشا وابن عمه فالح باشا على التمرد سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨١م. ويبدو انه عاد ثانية لنشاطه المعارض،اذ أصدرت السلطات الحكومية أمر بالقبض عليه حيا أو ميتا ، وذلك في ربيع الاول ١٣٠٩ هـ، راجع : داخلية Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 98254

وكانت التهمة الموجهة له هي تحريض قبائل الشامية ضد الحكومة.

راجع : داخلية Basbakanlik Arsivi, 1309,No. 98563,

البريطانية. (١) وبالرغم من ان القنصل رفض الاستجابة لطلبه، الا أن اشخاصا أخرين من القبيلة نفسها تقدموا مرة أخرى بطلب مشابه عن طريق هندى مسلم. (٢)

ومن الملفت للنظر أن تأتي أمثال هذه الطلبات في هذا الوقت، بالذات وأن تأخذ طابعا جديدا غير ماكان مألوفا. فبعد أن كانت الطلبات القبلية من السلطات البريطانية تقتصر على " التوسط " و" ضمان السلامة الشخصية "، أصبحت الآن تنص على " الحماية" بما فيها من مضامين سياسية. فما هو السر الكامن وراء ذلك كله ؟ أظن ان السر يكمن في ثنايا علاقة مبارك الصباح شيخ الكويت مع بريطانيا، اذ ان توقيع معاهدة رمضان ١٣١٦هـ/ يناير ١٨٩٩ م بين الطرفين المذكورين والتي جعلت أيدي السلطات العثمانية مغلولة تجاهه (٣)، اعطى نموذجا يحتذى لمن أراد من مشايخ القبائل المجاورة التهرب من مضايقة السلطات العثمانية.

ويثير رفض القنصل البريطاني في البصرة لتلك الطلبات تساؤلا لا بد منه عن أسباب ذلك الرفض. ويظهر ان ذلك الرفض كان أنعكاسا للسياسة البريطانية التي تعدلت في غضون هذه الفترة وأصبحت تدعو الى تجنب

---

(١) Cons. Wratislaw (British Cons at Basra) to Mr. de Bunsen (British Charge d'Affairs at Const.), Nov.30, 1899, in " The Affairs of Kuwait", Vol.1, Part 11, P. 66.

(٢) لوريمر، مرجع مر ذكره، القسم التاريخي، ج ٤، ص ٢٢٨٣.

(٣) لمزيد من المعلومات عن ظروف توقيع تلك المعاهدة وماترتب عليها من نتائج، راجع فتوح عبدالمحسن الخترشي، تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتيه، الكويت، ١٩٧٤، ص ٢٩ ومابعدها.

الارباك الناشيء عن الارتماء في شرك التدخل في الشئون القبليـــة. (١)
وقد ظهرت هذه السلبية بكل وضوح مرة ثانية في الموقف البريطاني حيـــال
سعدون باشا في فبراير ١٩٠٤م (ذي الحجة ١٣٢١هـ) . أذكان سعدون
على خلاف مع السلطات العثمانية فأرسل يطلب " نصيحة" القنصل البريطاني
في البصرة حول أمكانية توفير ضمان بريطاني لسلامته أثناء دخوله لمدينـة
البصرة للتوصل الى تفاهم مع السلطات الحكومية . فأقترح السفير البريطاني
في استانبول على حكومته أن تصدر التعليمات للقنصل بابلاغ سعدون بعدم
أستطاعته التدخل ، وان خير مايفعله على الارجح هو التوصل الى تفاهم مباشر
مع الحكومة العثمانية. (٢)

ولم تكن أمثال تلك الاتصالات لتخفى عن انظار السلطات العثمانيـة
بل انها كانت محل أهتمام اعلى المراجع في الدولة ، حتى أن المذكـــرات
المنسوبة للسلطان عبدالحميد الثاني تشير الى رغبة الانجليز في الاستيلاء
على البصرة وانهم يصرفون أموالا طائلة من أجل تلك الغاية(٣) . وعلـــى

---

(١) Cohen, Op.Cit., pp 51-52.

(٢) Sir N. O'Conor to the Marquess of Lansdowne, Feb.2, 1904, in " The Affairs of Kuwait ", Vol,2, Part II, p.9.

(٣) السلطان عبدالحميد ، مرجع مر ذكره ، ص ١٤٠ . والغريب أن السلطـــان ينسب الى " يوسف بن عبدالله الابراهيم" تهمة العمل في ولاية البصـــرة لصالح الانجليز ، ويقول أن بعض اعيان البصرة أخبره بذلك . والثابـــت ان السلطات البريطانية كانت تعتبر يوسف من المناوئين لها لعدائـــه الشديد لحليفها مبارك الصباح شيخ الكويت . وارجح هنا أن من عناهم السلطان بكلمة الاعيان هم السيد طالب النقيب وجماعته الذين كانـــوا مقربين للمابين الهمايوني من خلال علاقتهم بالسيد " ابي الهدى الصيادي" وهم أصدقاء لمبارك فشوهوا صورة خصمه لدى السلطان . وهذا مثـــل يبين كيف كانت التقارير المحرفه تؤثر في صياغة القرارات العليا العثمانيـة وعن نشاطات يوسف الابراهيم ، راجع: الرشيد ، مرجع مر ذكره ، ص ١٣٨ وما بعدها .

هـــذا بذل الموظفون العثمانيون في ولايات العراق جهودهم لوضـــع العقبات في طريق اية أتصالات بين البريطانيين والقبائل [١]. كما كانـــوا يعرقلون قدر امكانهم الرحلات التي يقوم بها بعض البريطانيين تحت ستـــار السياحة [٢]، أو تلك التي يقوم بها موظفون رسميون بريطانيون بحجة جمـــع المعلومات. [٣] والغريب أن الشكوك التي كانت تنتاب السلطات العثمانيـــة حيال تلك الانشطة كانت تثير غضب الممثلين البريطانيين وتجعلهم يقدمـــون على تصرفات بعيدة عن الدبلوماسية . يظهر ذلك واضحا من تصرف القنصـــل البريطاني في البصرة في يونيه ١٩٠٥م (ربيع الثاني ١٣٢٣هـ) حين طلـــب منه السفير البريطاني في استانبول مقابلة والي البصرة وسؤاله عن تقرير وصـــل للباب العالي من البصرة عن تدخلات ومكائد بريطانية تجري في تلك الولاية. فقابل القنصل والي البصرة واخبره بكل صراحة بأنه اذا ماترتب على ذلك التقرير والتقارير المشابهة الكاذبة أية نتائج سيئة ، فأن المسئولية ستوضع على عاتـــق كاتب التقرير. ولم يجد الوالي ازاء هذا الموقف القوي مايقوله سوى انكـــار كتابته لمثل ذلك التقرير. [٤]

---

(١) Cohen, Op.Cit.,p. 52

(٢) لوريمر ، مرجع مر ذكره ،القسم التاريخي ،ج ٤ ،ص ٢٢٧٨.

(٣) Cohen, Op.Cit.,P. 69.

(٤) Sir N. O'Cnor to the Marquess of Lansdowne., July 10, 1905, in " The Affairs of Arabia, Vol.2, Part IV., P. 11.

هكذا كانت الحال قبل فترة البحث، تدخلات بريطانية في المشاكل القبلية كانت واسعة أول الأمر ولكنها أتسمت بالتحفظ البريطاني آخرا، وميل قبلي للاستفادة من النفوذ البريطاني الواسع في العراق لخدمة مصالح قبلية محددة، ومحاولات عثمانية للوقوف بوجه تلك الصلات بين طرف دولي ومواطنين عثمانيين. فكيف تطورت الحال فيما بعد؟

تطور مصالح بريطانيا وصلاتها بقبائل الولاية منذ انقلاب ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م:

قام انقلاب يوليه ١٩٠٨م (جمادى الثانيه ١٣٢٦هـ) بقيادة جمعية الاتحاد والترقي التي كانت حريصة على كسب مساندة بريطانيا وتجنب عدائها. (١) وبالمقابل كان الموقف البريطاني مرحبا بالانقلاب، اذ سارع القائم بالاعمال البريطاني في استانبول الى تهنئة الحكومة الجديدة بأحياء الدستور واعلن ان الحركة ستتلقى مساندة كاملة من الحكومة البريطانية طالما هي تسعى من اجل الاصلاح واقامة حكومة جيدة. وقد خول القنصل البريطاني العام في بغداد أن يعلن موقف حكومته ذلك على الملأ (٢) ولكن ذلك الموقف البريطاني الودي لم يعن أستعداد الحكومة البريطانية للتضحية بشيء من مصالحها في العراق من أجل النظام الجديد، رغم انه ليس لديها الرغبة بالمقابل في تحقيق امتيازات جديدة هناك . على حد قول وزير الخارجية البريطاني.(٣) وقد عبر اللورد هاردنج Hardinge نائب الملك في الهند من ذلك الموقف أوضح تعبير حين صرح سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م بقوله " أن العراق كان دائما مجالا للنفوذ البريطاني

(١) Ahmad, Op.Cit.,p.37

(٢) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Sept. 1908, P.33.

(٣) IOR,L/p+s/10/188, No. 212, Sir E. Grey to Sir G. Lowther, Aug. 20, 1910.

ونحن مصممون على ابقائه كذلك ."(١)

ومن ناحية أخرى ،استمرت الهيمنة الاقتصادية البريطانية فى العراق بعد قيام الانقلاب كما كانت قبله. اذ أزداد عدد الشركات التجارية البريطانية العاملة هناك ،وظلت بريطانيا ومستعمرتها الهند تحتكر حوالى ستين بالمائة من مجمل تجارة التصدير والاستيراد العراقية. وأستأثرت السفن البريطانية بنقل ستة وتسعين بالمائة من الحمولات التجارية المارة عبر ميناء البصرة. (٢) واستمر فى نفس الوقت السعى البريطانى لتحقيق احتكار النقل التجارى فى نهر دجله وتعضيد محاولات المستر دارسى للمشاركة فى أى أمتياز يمنح لأستغلال مخزون العراق النفطى (٣). وكانت بريطانيا بالاضافة الى اهتمامها بحماية مصالحها الاقتصادية تلك ، حريصة جدا على ابراز مكانتها فى اعين السكان المحليين (٤). وذلك من خلال الحفاظ على المظاهر اللازمة التى تترك اكبر قدر من التأثير فى أذهانهم (٥) .

ولم يستمر الصفاء السياسى بين الحكومة العثمانية الجديدة وبريطانيا طويلا وخاصة فيما يتعلق بوضع المصالح البريطانية فى العراق ،اذ أصبحت

---

(١) Cohen, Op.Cit.,pp.142-143.

(٢) IOR,L/p+s/10/271,No.20,Sir E. Grey to Tewfik Pasha (Ottoman Amb. at London), July 18, 1912.

(٣) Cohen, Op.Cit., p. 154.

(٤) IOR,L/p+s/10/188,No. 212, Sir E. Grey to Sir G. Lowther, Aug. 20, 1910.

(٥) Cohen, Op.Cit.,pp 267-268

السلطات العثمانية هناك مشبعة بروح الشك تجاه نوايا بريطانيا فيه. [1] وكان اكثر شكها يتركز حول قيام أتصالات بريطانية ذات طبيعة مشبوهة مع القبائل العراقية، وهو شك تطور حتى أصبحت تلك السلطات مفرطة الحساسية تجاه أي تعامل يتم بين ممثلي كل الدول الاجنبية في العراق، والقبائل [2]. ولم يقتصر ذلك الشك على الاوساط الرسمية فقط، بل انتشر بين عامة العراقيين وانعكس فيما كانت تكتبه الصحف الصادرة في بغداد حينئذ [3]. ولعل ذلك يفسر ظاهرة الشعور المعادي للبريطانيين الذي لاحظ القنصل الامريكي في بغداد أنتشاره الواسع بين صفوف العراقيين اواخر سنة ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ)[4] حتى لقد أساء العراقيون - نتيجة لذلك - النظرة الى مشاريع الري التي كان المهندس البريطاني السير ولكوكس يشرف على تنفيذها وفسروها على أنها ذات دلالات سياسية. [5]

ولقد كان الدبلوماسيون البريطانيون العاملون في العراق آنئذ حريصين على تبديد ذلك الشعور، وخاصة من أذهان الموظفين العثمانيين. الا أن حرصهم ذاك أمتزج بشيء من المرارة التي جعلت نفيهم لمثل تلك

---

(١) تجد مؤشرات كل ذلك مبثوثة في وثائق الملف: IOR,L/P+s/10/188

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. M-C- 441,Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Cons. Gen.at Const,July 9, 1911.

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. 64, Am. Cons. at Bag. to Am. Cons. Agent at Basra, Feb 21, 1910.

(٤) N.A.R.S.,RG 84, No. 8, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Dec. 23, 1909.

(٥) N.A.R.S.,RG 84, " Baghdad Annual Report for 1909," April 28, 1910, p. 6.

الاتهامات يتسم بالحدة التى تقرب من الفظاظة أحيانا ،حتى لقد خاطب القنصل البريطانى العام فى بغداد مرة احد كبار الموظفين العثمانيين بقوله :ـ" اننى اعلم ان هنالك العديد من الاشخاص المطبوعين على الشر الذين ينشرون اشاعات كاذبة عن تآمر الانجليز مع العرب ، وبقدرما أستطيع أن أحكم فأن قصصا مثل تلك مفيدة فقط لاولئك الموظفين الذين جعلت تصرفاتهم السيئة العرب هائجين ". (١)

ولكن هل كانت تلك الاتهامات مجرد أشاعات لا أساس لها من الصحة ؟ يؤكد أحد الباحثين ذلك ويروى أن الحكومةالبريطانية تابعت فى هذا الوقت سياسة الامتناع عن الانغماس فى الشئون الداخلية للعراق ، وقاومت الاغراءات التى سنحت أحيانا للتدخل نتيجة للأضطرابات المحلية. وتطبيقا لتلك السياسة حذرت وزارة الخارجية البريطانية فيما بين سنتى١٩٠٨ و١٩١٠ م (١٣٢٦و١٣٢٨هـ) كلا من القنصل العام فى بغداد والقنصل فى البصرة من مغبة ذلك التدخل (٢). ولكن يمكن القول أن تلك السياسة كانت تطبق فعلا فى الحالات التى لاتتعارض مع المصالح البريطانية مباشرة. فحين تأثرت تلك المصالح من جراء اضطرابات العمارة سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م كما عرفنا ،أجتمع المقيم السياسى البريطانى فى بغداد سرا بوكيل لفضبان شيخ بنى لام وهدده بالتدخل فى الأمر ومعاقبة من يتعرض للمصالح البريطانية (٣)

(١) PRO,FO 424/2/216, No.55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9, 1908.

(٢) Cohen, Op.Cit.,pp140-141.

(٣) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Sept. 1908, . 33.

واذا كان ذلك هو الموقف الرسمي البريطاني ،فأن زعماء القبائل استمروا يحاولون الاستفادة من المكانة السياسية المتميزة التي تحتلها بريطانيا في العراق لجني بعض المكاسب القبلية ،وتجنب بعض المتاعب الحكومية. فقد قابل وكيل شيخ المحمرة في البصرة المدعو" مرزا حمزة" القنصل البريطاني في الخامس والعشرين من أبريل ١٩٠٩م (الرابع من ربيع الثاني ١٣٢٧ هـ) موفدا من قبل سعدون باشا شيخ المنتفق واطلعه على نية الأخير مقاتلة القوات الحكومية ، وقد أعلمه القنصل ردا على استفساراته بأن حكومته لن تتعاطف مع أي عمل عدائي يتخذه سعدون ضد الحكومة العثمانية ، كما انها لن تستطيع حمايته اذا هزم. واضاف أن خير سبيل أمام سعدون هو أن يتوصل الى تفاهم مع الحكومة العثمانية. وردا على أقتراح سعدون بتعيين قنصل بريطاني في مدينة الناصرية مركز لواء المنتفق ،قال القنصل للموفد بأنه سنقل هذا الاقتراح للسفارة البريطانية في استانبول ، وقد نقل القنصل ذلك الاقتراح بالفعل ولكنه شفعه بالقول أن وضع القنصل هناك سيكون شبيها بوضع الرهينة ، واضاف أن هذه ليست هي المرة الاولى التي يتقدم فيها سعدون بعروض من هذا القبيل ولكنه لا يستحق الثقة كلية. (١)

وتثور في الذهن هنا عدة تساؤلات لعل أهمها هو عن الهدف الذي سعى سعدون لتحقيقه من خلال رسالته تلك. فرواية القنصل المارة الذكر لا توضح شيئا محددا ،ولكن رده على الموفد يكشف عن أن سعدونا أراد التعرف على موقف السلطات البريطانية في حالة أصطدامه مع الحكومة وانتصاره عليها من ناحية ، وموقفها اذا حاقت به الهزيمة وامكانية

---

(1) PRO,FO424/219, No. 23, Cons. Crow to Sir G. Lowther, April 29, 1909.

توفيرها الحماية له في هذه الحالة من ناحية أخرى. وأميل الى الظن أن سعدونا وهو يرسل ذلك الموفد كان يراوده الامل في الانتصار على القوات الحكومية ومن ثم فرض سيطرته بشكل من الاشكال على اقليم المنتفق لتكوين مشيخة شبه مستقلة تتمتع على غرار الكويت والمحمرة بالحماية البريطانية. يؤيد ذلك أن خصومه اتهموه في مايو ١٩١١م (جمادى الاولى ١٣٢٩ هـ) بأنه كان يسعى للاستقلال عن الدولة، مما يشير الى أن نواياه او طموحاته كانت معروفة للملأ الى حد ما. (١) هذا ومن ناحية أخرى ما الذى سيناله سعدون من تعيين القنصل البريطاني في الناصرية ؟ اذا كان الهدف هو أيصال أرائه الى السلطات البريطانية فأن القنصل البريطاني في البصرة ليس ببعيد ويمكن الوصول اليه في أي وقت بسهولة. لعل ذلك لم يكن هو الهدف المستتر خلف طلبه تعيين القنصل، ولكن الهدف هو أن يكون التعيين مقدمة او نتيجة لتعاقد سياسي بينه وبين بريطانيا، سيما وان المكاسب التي حققها حليفه السابق الشيخ مبارك الصباح وصديقه الشيخ خزعل من خلال ارتباطهما بالبريطانيين تغرى بمحاولة الاقتداء بهما. وانه لأمر ذو دلالة أن يكون اتصال سعدون بالقنصل البريطاني قد تم بعيد أشتراكه في لقاء الفيلية مع الشيخين مبارك وخزعل كما مر(٢)، وان رسوله كان وكيل الشيخ خزعل في البصرة وليس أي شخص أخر.

ويلفت الانتباه هنا رد القنصل المتحفظ على مفاتحة سعدون، والذى يؤكد ماسبق أن نقلناه من التحذير الذى تلقاه من حكومته بعدم التدخل في الاحداث الداخلية في العراق من ناحية، ويجد تفسيره من ناحية أخرى

---

(١) PRO.FO 424/226, No. 43, Mr. Marling to Sir E. Grey, July 26, 1911. Inc. No. 2.

(٢) راجع الفصل الثالث، ص ٢٢٨

في العبارة التي أوردها القنصل في أخر تقريره والتي تقول أن سعدونا غير جدير بالثقة من وجهة نظر بريطانية طبعا . ولكن ما أسباب عدم الثقة تلك ؟ أهي وليدة تجارب سابقة بين الطرفين خاصة وان القنصل أشار الى أتصالات سابقة قام بها سعدون ولم يوضح كنهها ؟ أم انها وليدة الانطباع الذي كونه القنصل من شخصية سعدون بماعرف عنه من تقلب حاد في المزاج واعتماد العنف والشدة وسيلة لتنفيذ اهدافه ؟ كل من الاحتمالين وارد ولكن ليس هناك دليل على ترجيح أى منهما .

وثمة أمر أخر جدير بالملاحظة هنا ، وهو " النصيحة " التي قدمها القنصل البريطاني لسعدون بالتفاهم مع الحكومة العثمانية . فهل كان ذلك نتيجة لحرصه على مصلحة الدولة العثمانية ورغبته في توطيد الأمن في ربوعها ؟ ليس الأمر كذلك بالتأكيد ، ولكنه حرص على المصلحة البريطانية أولا وأخيرا . لأن ماتسببه الاضطرابات القبلية من أضرار بالمصالح البريطانية في العراق وخاصة في الميدان التجارى جعلت السلطات البريطانية سواء في لندن أو الهند تصل الى قناعة بأن الحركات القبلية غير الخاضعة للسيطرة ستدمر ليس المصالح العثمانية فقط ولكن المصالح البريطانية أيضا . (١)

ويبدو أن ذلك الرد البريطاني الرافض قد جعل سعدونا ييأس من جدوى تكرار محاولته ، اذ ليس هناك دليل على انه قام بأتصال جديد مع البريطانيين خلال المدة التالية التي سبقت اعتقاله ونفيه . ولكن وفاته في حلب في الثالث ذى الحجه ١٣٢٩ هـ / الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩١١ م يبدو أنها أوجدت حالة من الغضب في صفوف عائلته دفعت أحد أخوته الى طلب مقابلة القنصل البريطاني في البصرة في شهر فبراير ١٩١٢ م (صفر ١٣٣٠ هـ) ليقترح عليه فرض الحماية البريطانية على العراق . وبالرغم

---

(١) Cohen, Op.cit., p. 266.

من أن القنصل رفض مقابلته الا انه نقل طلبه الى السفير البريطاني في أستانبول، وهو الطلب الذي علق عليه المقيم السياسي البريطاني في بغداد بقولـــه :- أن الفكرة الحمقاء التي تعتقد أن مثل ذلك الأمر ممكن لبريطانيا او مرغـــوب فيه من قبلها لايمكن استئصالها من أذهان العرب . (١) ورغم أن اسم ذلـــك المتقدم بالطلب لم يرد في هذه الوثيقة الا أن احد الباحثين ذكر انـــه " عمر بك ابن منصور باشا "، وانه طلب الحماية البريطانية للأراضي الواقعـــة في منطقة الجزيرة التي تقطنها قبائل المنتفق ،على أن تكون مدة الحمايـــة المطلوبة هي خمسمائة وخمسين سنة. (٢)

ويلفت النظر هنا أن الذى قدم ذلك الطلب هو احد المشايخ الثانويين وليس ابن سعدون وخليفته عجمي الذى يبدو أنه عزف عن أجراء أى اتصـــال مع البريطانيين خلال الفترة قبل سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م. ولكن يلاحظ أن أتصالات مشايخ قبائل الولاية مع البريطانيين قد زادت مع وصول تلك السنـــة زيادة ملفتة للنظر ،اذ روى القنصل البريطاني العام في شهر ينايـــر ١٩١٣م (صفر ١٣٣١هـ) أنه :" قيل ان شيوخ القبائل البدوية في ولايتي بغـــداد والبصرة يستعدون لارسال لجنة الى لندن لتطلب من الحكومة البريطانيـــة الحاق هذا الجزء من تركيا بها" (٣). وبالرغم مما في هذا الخبر من مبالغـــة ظاهرة يكفي للدلالة عليها صياغته اللفظية ،والقول بأن مشايخ القبائل قـــد اتفقوا على عمل موحد أو أنهم أستعدوا لارسال" لجنة" تمثلهم الى لنـــدن ،

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No.P-1575/1912, Summary ... Feb. 1912,p.1.

(٢) محمود ،مرجع مر ذكره ،ص ١٨٤.

(٣) IOR,L/p+s/10/212,No.P-1213/1913, Summary... Jan. 1913, p.3.

الا انه يعكس الحالة العامة السائدة في العراق في مطلع تلك السنة. وقــد شخص القنصل الامريكي في بغداد أسبابها حين كتب في السابع عشر من يناير ١٩١٣م (الثامن من صفر ١٣٣١هـ) قائلا :- أن انباء هزائم الجيــوش العثمانية أثناء الحرب البلقانية التي كانت مستمرة حينئذ أثرت - ضمن عوامل أخرى - على مشاعر العراقيين حتى أن بريطانيا لو أقدمت على أحتــلال البلاد ذلك الحين فلن تواجهها مقاومة جديرة بالذكر حسب اعتقاده. (١)

وقد أستمر الى كذلك في شهر مارس (ربيع الثاني)، فحين اجتمع وكيــل ابن رشيد المقيم في بغداد مع القنصل الامريكي فيها أيد له صحة الانطبــاع الذي كونه عن كره العرب للترك وعزا ذلك للقوانين الجائرة المفروضــة عليهم وخاصة في مجال الضرائب الزراعية ولكنه أخبره أن ذلك لا يعني أنهــم يفضلون الانتماء لبريطانيا بل أنهم يفضلون أن يصبحوا مستقلين. (٢) وقــد ظل القنصل الامريكي يلاحق تطورات ذلك الشعور العام فوصف الحالــة في شهر أبريل (جمادى الاولى) بقوله :-" لقد أزداد التذمر مؤخــراً، ويحتمل أن ذلك نتيجة للقحط والجفاف ... والشعور بأن تركيا ضعيفــة وليست قادرة الى حد بعيد على مقاومة مطالب الاصلاح" (٣). ويبــدو أن هذا الوضع كان محسوسا بدرجة من الوضوح لم تغب حتى عن أعيــن المراقبين المحليين، اذ أن" صلاح الدين كركوتلي" ناشر جريدة" الزهــور" المعبرة عن آراء جمعية الاتحاد والترقي في بغداد كتب في ٢٦ مايــو١٩١٣م (التاسع عشر من جمادى الآخرة ١٣٣١هـ) على صفحة جريدته قائــلا

---

(١) N.A.R.S., RG 84, File No. 850, No.68, Am. Cons. at Bag. to the Sec. of State at Washington, Jan. 17, 1913.

(٢) N.A.R.S., RG 84, File No. 810, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 17, 1913.

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. 86, Am. Cons. at Bag. to the Sec of State, April 15, 1913.

"أن اهمال الحكومة العثمانية والزيادة المطردة في النفوذ السياسي البريطاني في هذا القطر جعل كل شخص يعتقد بأن العراق سيصبح يوما مقاطعة بريطانية". (١)

واذا أنتقلنا من الشعور العام السائد في العراق حينئذ الى ماجرى من حوادث مفردة ، نجد أن عجمي يتصل أثناء تحركه نحو البصرة في ربيع السنة نفسها بالقنصل البريطاني هناك ، فقد ذكر القنصل انه استلم منه في السابع والعشرين من مايو ١٩١٣م (العشرين من جمادى الاخرة ١٣٣١هـ) رسالة شفهية ، ورغم أنه لم يعط أية تفصيلات عن مضمون تلك الرسالة الا انه وصفها بأنها كانت مجرد " بالون أختبار " لم يتبعه عجمي بأية رسالة أخرى (٢) ، ولم يطل انتظار القنصل لتلك الرسالة الاخرى ،اذ أتصل به في الشهر التالي المبشر الامريكي القس جون فان ايس الذي تربطه بعجمي علاقة طيبة واخبره بأنه أستلم من عجمي رسالة تشرح الظروف المحيطة به في مخيمه على مشارف البصرة وتعلن أنه سيهاجم المدينة قريبا جدا ، وتطلب منه أن يستعلم من القنصل البريطاني عن موقف حكومته حيال هجومه المزمع ، خاصة اذا مانجح ذلك الهجوم. (٣) وقد رد القنصل على القس فان ايس بقوله انه ليس لديه جواب على أستفسار عجمي ، وكان بذلك متقيدا بتعليمات وردته من السفير البريطاني في استانبول . (٤)

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. P-2785/1913, Summary... May 1913, p.6.

(٢) PRO,FO 424/238, No. 34, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 31, 1913.

(٣) PRO,FO 424/239, No. 39, Cons. Crow to Sir G. Lowther, June 20, 1913.

(٤) IOR,L/p+s/10/212, No. P- 3105/1913, Summary... June 1913, p. 2.

ويبدو أن ذلك الرد الحاسم لم يثبط من عزيمة عجمي ولا جعله يكف عن محاولة أستمالة بريطانيا الى جانبه او كسب حيادها على الأقل . ويظهر انه حاول هذه المرة أن يلتقي بالقنصل شخصيا عله يستطيع أن يؤثر فيه اكثر مما تؤثر الرسل والرسائل الشفهية. فقد حمل فالح البنية أحد مشايخ بني لام شكواه للقنصل البريطاني من الموظفين العثمانيين الذين استدعوه ثم خذلوه ،ورغبته الاجتماع بالقنصل كي يتباحث معه شخصيا . ولكن القنصل رد على الرسول بالقول أن على عجمي الامتثال لاوامر الحكومة المركزية العثمانية التي لا تشجع السلطات البريطانية أية مخططات تتعارض مع أهدافها . (١)

وقد أدى هذا الرد كما يظهر الى يأس عجمي من زحزحة الحكومة البريطانية عن موقفها فكف عن مواصلة محاولاته في هذه الفترة. ومن تمحيص فحوى تلك المحاولات يتبين أن عجمي كان متحفظا في مطالبه ، فهو لم يطلب الحماية البريطانية كما سبق أن لمح أبوه وصرح عمه ،بل قصر همه على محاولة الحصول على ضوء أخضر بريطاني أمام الهجوم الذي كان يزمعه على مدينة البصرة. فهو يعرف بالتأكيد ان لبريطانيا مصالح مهمة ورعايا مقيمين وسفينة حربية مرابطة هناك ، فلا يمكن أن يقدم على خطوة خطيرة كمحاولة مهاجمة البصرة دون كسب موافقة بريطانيا أو حيادها على الاقل . ويبدو أن أخفاقه في تحقيق ذلك -أضافة لعوامل أخرى- جعله يكف عما كان يزمعه.

وكما حصلت أتصالات بين مشايخ المنتفق والبريطانيين ،كان مشايخ بني لام حريصين من جانبهم على القيام بنشاط مشابه. ففي الثاني عشر من مارس ١٩١٣م (الثالث من ربيع الآخر ١٣٣١هـ) زار القنصلية البريطانية

---

(١) PRO,FO 424/239, No. 40, Cons. Crow to Sir G. Lowther, June 27, 1913.

في البصرة الشيخ فالح البنية أخو غضبان شيخ بني لام متنكرا في زي "درويش"(١) وبعد أن شرح للقنصل المشاكل القائمة بين قبيلته والسلطات الحكومية حول التزام الاراضي الزراعية في لواء العمارة، توصل اليه أن تفرض الحكومة البريطانية حمايتها على القبائل العربيه المقيمة على ضفتي نهر دجلة بين الكوت والقرنه وأن تقدم لها المساعدة في خلافاتها مع السلطات العثمانية. وحين رد القنصل البريطاني على ذلك الطلب بأن حكومته لاتستطيع التدخل في الشئون الداخلية العثمانية، رجاه فالح أن يرفع طلبه برقيا الى مراجعه العليا وان يلتمس منها الرد. (٢)

وقد وقع القنصل في حرج من جراء تلك الزيارة شرحه بقوله :-" أن مجرد مخاطرة الشيخ فالح بسلامته الشخصية وحضوره للبصره وحيدا من أجل رؤيتي ومناقشة القضية بصراحة معي تظهر أخلاص مشاعر العرب نحونا والثقة المطلقة التي يضعونها في صداقتنا . فليس من المستحب لذلك تنفيرهم في هذه الفترة الحاسمة، وأشعر أن صدهم او أستقبالهم أستقبالا باردا ربما يكلفنا غاليا فيما بعد اذا ما أصبحت خططهم حقيقة واقعة. ومن المحتمل تماما أنها ربما ستصبح كذلك، نظرا لضعف السلطات التركية. ولذلك تعهدت له أن أضع عرضه أمام حكومة جلالته بكل تكتم، وأخبرته في نفس الوقت بأني لا أستطيع أن أقدم له أملا برد مؤات، لاننا لا نستطيع التدخل في الشئون الداخلية للحكومة التركية التي نحتفظ معها بعلاقات ودية. ولقد نظرت للامر من وجهة نظر عربيه وفكرت بأنه سيفهمني اكثر حين قلت له أننا ضيوف في تركيا ولا نستطيع تشجيع عدم الولاء لمضيفينا فبدا عليه أنه فهم ذلك

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No. P-1953/1913, Summary... March 1913, p. 3.

(٢) PRO, FO 424/237, No. 137, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, March 14, 1913.

وأقره . . . أشار أيضا الى اننا ساعدنا الشيخ مبارك شيخ الكويت على تحرير نفسه من تركيا ، واعلن اعتقاده بأنه ربما أمكننا أن نجد طريقة لمساعدة بني لام في منطقة دجلة". (١)

ومضى القنصل يقول أنه شرح لضيفه الفرق بين حالتهم وحالة الشيخ مبارك ، اذ أن وضع الكويت الجغرافي مختلف عن وضع أراضي بني لام ، ورغم هذا فقد كان على الشيخ مبارك أن يسعى دائما من اجل بناء علاقات جيده مع الترك بسبب أملاكه الموجوده في البصرة والتي ليس بأمكان البريطانيين أن يساعدوه بشأنها ، ثم شرح له الاعتراضات الجلية على تدخل الحكومة البريطانية في النزاع القائم بين بني لام ، والسلطات العثمانية. واختتم وصفه لماجرى بالقول ان اللقاء كان وديا تماما حتى أن ضيفه أقترض منه بعض الروبيات (٢) من أجل أرسال بعض البرقيات لانه جاء دون أن يحمل مالا . وقبل أن يغادر الضيف القنصلية أخبر مضيفة بأنه سيمكث بعض الوقت في الجوار لعله يحصل على جواب من الحكومة البريطانية ، فنبهه القنصل الى عدم أرتياد القنصلية علنا لأن ذلك سيكون أمرا محرجا له. (٣)

ويلاحظ هنا أن طلب فالح البنية حظى بأهتمام كبير من الاوساط الرسمية البريطانية اكثر من مفاتحات شيخ المنتفق السالفة الذكر. واظن أن سبب ذلك عائد لارتباط المصالح البريطانية أرتباطا مباشرا بالملاحة

PRO,FO 424/238, No. 16, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١) March 15, 1913.

(٢) الروبية سكة هندية كانت متداولة في العراق الى جانب العملة الرسمية العثمانية ، وهي تعادل عشرة قروش ونصف ، أي مايقل عن عشر الليرة العثمانية ، راجع :
العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٣١

PRO,FO 424/238, No. 16, Cons. Crow to Sir G. Lowther,(٣) March, 15, 1913.

في نهر دجلة الذى يمر في أراضي بني لام ، بعكس قبائل المنتفق القاطنـــة على الفرات والتي ليس لها أتصال مباشر بالمصالح البريطانية . وعلى هذا لم يكن رد القنصل البريطاني هو الصمت ، بل نجده يتمنى في برقيته الاولى التى أرسلها للسفير البريطاني في استانبول أن تبعث الحكومة البريطانية جوابـــا ما للشيخ فالح حماية للمصالح البريطانية المحلية من أحتمالات تحرك بنـي لام في المستقبل . (١) ثم كرر في رسالته التفصيلية التالية أمله في أن يتلقى المذكور جوابا يتضمن على الأقل أعلامه بأن الحكومه البريطانية قد أستلمت التماسه .(٢) وحين علم بعد أيام أن وزير الخارجية البريطانية سيجتمع قريبا بحقي باشـــا وزير الخارجية العثمانية وضع تحت تصرف الوزير البريطاني معلومات أضافيـــة عن قوة الشيخ فالح واخيه وتفاصيل عن خلافهما مع السلطات العثمانيـــة ، والمح الى امكانية اقناع الباب العالي بقبول تسوية مالية لمشكلتهمـــا نظرا لحاجة الدولة العثمانية الى المال (٣) .

ويبدو أن الحماس الذى أظهره القنصل لقضية فالح واخيه قد جعـــل السفارة البريطانية تطالبه بتفسير لموقفه ، ولذلك نجده يقول في رسالـــة تالية :ـ " لم أقصد بالتأكيد في رسالتي الاولى أن أنقل الفكرة القائلـــة بأن بني لام غير مذنبين تجاه الترك في القضية ، ووجهة نظرى ـ اذا ماسمح لي بشرحها ـ هي أن تلك القبيلة سببت لنا بالفعل أذى كبيرا خلال سنـة ١٩٠٨ بأطلاقها النار على سفننا وايقاف الملاحة في دجلة لعدة أسابيع .

---

(١) PRO, FO 424/237, No. 137, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, March 14, 1913.

(٢) PRO,FO 424/238, No. 16, Cons. Crow to Sir G. Lowther, March 15, 1913.

(٣) PRO, FO 424/237, No. 155, Sir G. Lowther, to Sir E. Grey, March 22, 1913.

وبالنظر لطرائق الحكومة التركية غير المرضية في تعاملها معهم ،وعدم قدرتها على ايجاد تسوية عادلة لمشاكلهم ،يبدو لي أن من الملائم اكثر لمصالحنا النهرية أن ننال تعاطفهم بدلا من أن نبعده . انني مقتنع بأن هنالك شيئا كثيرا يمكن أن يقال لصالحهم ،فالادارة التركية موجودة هنا من أجل هدف أناني هو جمع المال بأتباع طرق وحشية جشعة ،وقد أصبح العرب لايميلون للثقة بها نتيجة للممارسات الفاسدة للموظفين الذين يرسلون لحكمهم ،وهم الآن ساخطون والشعور ضد الحكومة التركية حاد جدا بينهم. ومهما كانت أخلاقهم وطبيعة خلافاتهم مع الترك فأنني أؤمل في كل الاحوال أن نجعلهم مدينين لنا بالود بأن نقدم أستقبالا متعاطفا لممثلهم الذي جاء لرؤيتي متنكرا خائفا ،وفيما بعد حين تدعو الحاجة يمكن أن نستمد من ذلك الود بعض الفائدة لحماية أرواح وممتلكات رعايانا في نهر دجلة، الذي هو بصورة تامة - حسبما جربت خلال أقامتي هنا - تحت رحمة القبائل العربية المقيمة على ضفتيه في أوقات الأضطرابات. ولا زلت امتقد بأننا يمكن أن نفعل ذلك ،وان لنا على الأقل صديقا هو الشيخ فالح البنية. أما عن أستيلائهم على الاراضي الملزمة بدون دفع مقابل واحتفاظهم بها انتظارا للتسوية فهو في الحقيقة ليس أجراء شاذا ...". (١)

واضافة الى تعاطف القنصل البريطاني في البصرة ،حظي طلب فالح البنية أيضا بتعاطف في صفوف كبار موظفي وزارة الخارجية في لندن. اذ كتب أحدهم قائلا :-" ما سيقلل من مصالحنا المحلية أن يرد ممثلو بني لام خالي الوفاض، وسيكون أمرا موجبا للاسف أن ننفر في النهاية ثلاثة شيوخ أقوياء (٢) سيتوجهون نحو دولة أخرى. اننا نتحدث دائما من مكانتنا ومصالحنا في

---

(١) PRO, FO 424/238, No. 27, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 9, 1913.

(٢) لعله يشير هنا الى محاولتي عجمي وعمه اللتين مر ذكرهما.

بلاد مابين النهرين ،ولا نعلم ماذا يمكن أن يحدث في ذلك الجزء من العالم خلال السنوات القليلة القادمة ، اذ أن هنالك حديثا عن ثورة عربية واعلان أستقلال . والسؤال هو هل بأمكاننا - دون أن نورط أنفسنا - ايجاد طريق يظهر للعرب أننا لسنا غير مبالين كلية بمصالحهم". (١)

وقد أدى كل هذا التعاطف الى اقناع وزير الخارجية البريطانية بالتدخل في المشكلة القائمة بين بني لام والحكومة العثمانية ، فقد كتب الوزير في التاسع عشر من جمادى الآخره ١٣٣١هـ/السادس والعشرين من مايو ١٩١٣م الى السفير البريطاني في أستانبول يعلمه ان بأمكان القنصل البريطاني فيالبصرة ابلاغ الشيخ فالح بأنه - أي الوزير - قد وضع القضية تحت أنظار الحكومة التركية بصورة غير رسمية ، وانه بالرغم من أستعداده لاعادة توجيه أنظار تلك الحكومة نحوها فليس بأستطاعته اتخاذ اجراءات اكثر رسمية حيال القضية(٢). وقد قام القنصل بالفعل بأبلاغ رد وزير الخارجية للشيخ فالح من خلال رسالة بعثها له بيد الكابتن كاولي Cowley ربان أحدى سفن شركة لنج العاملة في نهر دجلة. (٣)

ويلاحظ هنا أن الرد البريطاني هذا كان تخلصا بارعا من المأزق اكثر منه تدخلا جادا في المشكلة بين السلطات العثمانية وبني لام. ورغم ذلك استمر شيوخ بني لام يأملون في كسب ود السلطات البريطانية ، فقد حرص فالح البنية على زيارة القنصل البريطاني في البصرة مرة أخرى في شهر

---

(١) Cohen, Op.Cit.,p. 269.

(٢) PRO,FO 424/238, No. 223, Sir Edward Grey to Sir G. Lowther, May 26, 1913.

(٣) PRO,FO 424/238, No. 34, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 31, 1913.

يوليه (شعبان) من نفس السنة. (١) ومع انه لم يتقدم هذه المرة بأية طلبات محددة ،الا أن مجرد زيارته دليل واضح على استمرار أمله في الحصول على المساعدة البريطانية. ومن المفيد القول أن السعي خلال تلك السنة للحصول على المساعدة البريطانية لم يكن مقصورا على بعض مشايخ قبائل ولاية البصرة ، ولكن شاركهم فيه بعض مشايخ قبائل ولايتي بغداد والموصل أيضا. فقد حضر أحد مشايخ قبيلة الخزاعل القاطنة في منطقة الفرات الاوسط الى المقيمية البريطانية في بغداد في السادس والعشرين من اغسطس ١٩١٣م (الثالث والعشرين من رمضان ١٣٣١هـ) وطلب الحماية البريطانية له ولقبيلته ولكن طلبه رفض، وكذلك رفض طلب مشابه قدم للقنصلية البريطانية في الموصل. (٢)

وفي حين كانت الاتصالات القبلية ببريطانيا كثيرة خلال سنة ١٣٣١ هـ / ١٩١٣م ،تقلصت خلال الشهور التي سبقت قيام الحرب العالمية الاولى في السنة التالية بصورة ملفتة للنظر. اذ لم يرد مايدل على قيام أحد من شيوخ القبائل بأي أتصال مع البريطانيين بأستثناء مافعلة عجمي بن سعدون حين أرسل في الثامن والعشرين من يوليه ١٩١٤م (الخامس من رمضان ١٣٣٢هـ) رسالة مختومة بخاتمه الى مترجم القنصلية البريطانية في البصرة تطلب منه أيصال رسالة مرفقة موجهة من كاتبه الى القنصل وكان مضمون تلك الرسالة هو أن عجمي يعتزم مهاجمة البصرة اذا لم تستجب السلطات العثمانية لمطالبه التي تتلخص بموت السيد طالب النقيب ونفي انصاره من

---

(١) IOR, L/p+s/10/212, No. P-3800/1913, Summary... July 1913, p.6.

(٢) IOR,L/p+s/10/212, No.P- 4285/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for Aug. 1913, p.7.

المدينة. وختم الكاتب رسالته برجاء الاجابة عليها ، وهو طلب حققه له القنصل حين رد بأنه لن يتدخل في الأمر الذي تحدثت عنه الرساله. (١)

ويظهر من هذه الحادثة أن البريطانيين ظلوا متمسكين بموقفهم السابق الممتنع من ابداء أي درجة من التعاطف مع عجمي ، كما يظهر من جهة أخرى أستمرار الغموض الذي يكتنف مطالب عجمي منهم. فرسالة كاتبة الأخيرة لا تطلب شيئا محددا وان كانت تدل ضمنا على أن مطلب عجمي الاساسي هو التأكد من عدم معارضة بريطانيا لما يزمعه من مهاجمة مدينة البصرة. وثمة ناحية أخرى جديرة بالملاحظة ، ولعلها تفسر الغموض الذي اتصفت به أتصالات عجمي بالبريطانيين ، وهي الحذر الشديد الذي أظهره عجمي في محاولته الاخيرة ، اذ انه لم يوجه رسالته الى القنصل مباشرة ، بل وجهها الى مترجم القنصلية ، وهي رسالة لم تحو شيئا غير طلب أيصال رسالة كاتبه المصنونة الى القنصل ؛ وكان عجمي من خلال اتخاذه لتلك الاحتياطات كان يخشى أن تصل رسالته بوسيلة ما الى السلطات العثمانية ، وعندها يمكنه التنصل من أية مسئولية بالقول مثلا أن رسالة كاتبه تختص بشأن خاص بالكاتب ، او أنه لم يكن يعلم بمحتواها او ما شابه ذلك.

ويحسن بنا أن نتساءل هنا ان كانت تلك الاتصالات التي جرت بين بعض مشايخ القبائل والبريطانيين غائبة كليا عن ملاحظة السلطات العثمانية في العراق ؟ والجواب على هذا السؤال هو النفي ، اذ كان الولاة يحسون بأن هنالك شيئا ما يحدث بين الطرفين ، وهو الأمر الذي كان يثير سخطهم الشديد. (٢) ولم يقف اولئك المسئولون العثمانيون عند حدود الحدس

---

(١) IOR,L/p+s/10/462, No. 459-R, Mr. Beaumont to Sir E. Grey , July 29, 1914.

(٢) Longrigg, Op.Cit.,p. 4.

فقط، بل حاولوا أن يصلوا لشيء يقيني ثابت يؤكده لهم، فدسوا بعض الرجال للاتصال بممثلي بريطانيا في العراق متظاهرين بطلب الحماية البريطانية كي يروا رد الفعل البريطاني، وهو أمر لم يغفل عنه الممثلون البريطانيون (١). وقد استغل اولئك الممثلون من جانب آخر خوف السلطات العثمانية من أي أتصال يتم بينهم وبين القبائل وسيلة للضغط على تلك السلطات عند الحاجة. فحين كان القنصل البريطاني العام في بغداد يرغب في دفع السلطات العثمانية لاتخاذ اجراءات حازمة ضد القبائل التي هاجمت السفن البريطانية في نهر دجلة خلال سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، تظاهر بأنه سيذهب للعمارة للاتصال بشيوخ تلك القبائل، وعلق على خطته تلك بقوله :ـ" أعتقد أن الدافع الاكثر أحتمالا للتحريكهم { العثمانيين } في الاتجاه الذي نريده هو رغبتهم بعدم اعطائي مبررا للدخول في علاقات رسمية أو أجتماعية مع الشيوخ العرب، ولقد حاولت دون أن أورط نفسي بأي وجه أن أزيد خوفهم من تلك الامكانية". (٢)

والى جانب تلك الاتصالات بين الشيوخ والممثلين الدبلوماسيين البريطاني، كانت هنالك ناحية أخرى وثيقة الصلة بالنشاط البريطاني في العراق وهي جولات ضباط الاستخبارات البريطانية في الديار القبلية العراقية. ففي أوائل سنة ١٩١٠م(١٣٢٨هـ) لاحظ القنصل الامريكي في بغداد وجود ضابط من مكتب الاستخبارات التابع لجيش الهند البريطاني

---

(١) IOR,L/p+s/10/212, No.P-3133/1912, Summary of Events in Turkish Iraq during June 1912,p.4.

(٢) PRO,FO 424/216, No.17,Cons. Gen. Ramsay to Sir E. Grey, June 13, 1908.

في بغداد وأنه يكثر التنقل من هناك في جولات يجوب خلالها بعض المناطق القبلية . (١) وفي ربيع نفس السنة أيضا كان الضابط البريطاني ليتشمان Leachman يقوم بجولات واسعة في العراق وما حوله (٢) . وهي جولات زعم كاتب بريطاني أن سببها هو حب المغامرة وليس التجسس أو التآمر (٣) ولكن كاتبا عراقيا رجح بالمقابل الطبيعة التجسسية لتلك الجولات . (٤) والذي يهمنا هنا هو القول انه رغم كل الشكوك التي تثور في الذهن حول ذلك النشاط المريب الا أنه ليس هنالك أي دليل ملموس يؤكد تلك الشكوك .

وقبل أن نطوي صفحة الاتصالات بين قبائل ولاية البصرة والبريطانيين ، تحسن الاشارة لما رواه أحد الباحثين من أن السلطات البريطانية أخذت تميل تدريجيا قبيل قيام الحرب العالمية الاولى الى أدراك أهمية تحسين علاقاتها بالقوى القبلية في العراق ، خاصة بعد أزدياد المنافسة الالمانية فيه . اذ قال :- " لقد حاولت الحكومة أن تتفادى أحتمال هبوط المكانة البريطانية بين عرب العراق نتيجة للسيطرة الالمانية على خطوط سكك الحديد في المنطقة . أن ضرورة منع قيام ثورة عربية خلال هذه الحقبة لا تبطل قيمة صداقة العرب ، ومن خلال نشر التأثير الغربي بين عرب العراق يمكن

---

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 11, Am. Cons. at Bag. to Am.Amb. at Const., Jan. 21, 1910.

(٢) IOR/L/p+s/10/188, Summary of Events in Turkish Iraq during the months of Apr. and May 1910, p.12.

(٣) Bray, N.N.E., Shifting Sands, London, 1934,p. 242.

(٤) عبد الجبار العمر ، مصرع الكولونيل ليتشمان ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٢٨ - ٢٩ .

لبريطانيا ان تحقق " رسالة ثقافية" ، ويكسب ودهم ستتجنب أيضا الخسارة التجارية الناجمة عن البغض المحلى لبريطانيا ، وربما اكثر أهمية من ذلك كله أنها ربما أمنت من خلال كسب صداقتهم ولاء حلفاء حربيين أقوياء".
أن الاهمية الحربية لصداقة اتحاد قبلى مثل قبائل المنتفق لوحظت من قبل الملحق العسكرى فى القسطنطينية فى أبريل ١٩١١ ، وأكد عليها من قبل وزارة الحربية فى مايو، وعزز ذلك لوريمر فى اكتوبر من السنة نفسها .وبحلول سنة ١٩١٤ أظهرت الحكومة بوضوح رفضها للتضحية بمنافع مثل تلك لصالح قوة اخرى ، فكثفت من محاولاتها للتأثير على عرب العراق عن طريق المنظمة البريطانية ،وعدلت أيضا من موقفها السلبى لحد الآن نحو اتجاهات الشيوخ المحليين المضادة للترك ". (١) ويبدو ان ذلك التوجه البريطانى - ان وجد - كان فى طور الصياغة النظرية حينئذ ،ولم يتبلور على شكل ممارسات عملية ، بدليل ما مر من موقف القنصل البريطانى فى البصرة من عجمى السعدون قبل فترة قصيرة فقط من اندلاع الحرب العالمية الاولى.

والخلاصة وعلى ضوء كل ما مر وبقدر ما تسنى الاطلاع عليه من معلومات يمكن القول أن الموقف البريطانى خلال الاتصالات التى جرت مع بعض مشايخ قبائل الولاية كان موقفا سلبيا تماما. اذ لم تشجع السلطات البريطانية تلك القبائل على القيام بأى نشاط ذى صيغة معادية للحكومة العثمانية ، بل واعتبرت أن مثل ذلك النشاط أمر يهدد مصالحها الكثيرة فى الولاية.

وثمة سؤال يفرض نفسه هنا ،هو اذا كانت بريطانيا لم تسع لاثارة الاضطرابات القبلية فى ولاية البصرة ،أفلم يكن لتلك الاضطرابات تأثير عكسى ، اى انها أثرت بشكل ما على صوغ السياسة البريطانية تجاه العراق ؟ لقد

---

(1) Cohen, Op.Cit.,p. 267.

أكد احد الباحثين ذلك التأثير حين قال :- " أن الاستياء الواضح للعرب المحليين من سكان العراق تجاه الحكم التركي قد مارس تأثيرا عظيما على الخطط البريطانية في المنطقة ابان فترة المفاوضات الانجلو - المانية والانجلو - تركية . ان التقارير القنصلية عن الأضطرابات المحلية كانت طويلة ومملة ولكنها منسجمة ... [وقد] أوجدت تأثيرا هاما على صناع السياسة البريطانية". (١)

أما وقد وصلنا الى هذه المرحلة ،فيحسن ألقاء نظرة فاحصة على قضية مهمة ذات صلة وثيقة بالاتهامات التي كانت توجه لبريطانيا حول دورها في اثارة الأضطرابات القبلية في ولاية البصرة ،الا وهي قضية تسليح قبائل الولاية .

حركة تهريب السلاح الى قبائل الولاية وموقف السلطات البريطانية منها :-

على الرغم من تحريم أستيراد البنادق - عدا بنادق الصيد - الى الدولة العثمانية فأن كل عربي تقريبا تراه حينئذ خارج مدينة بغداد يكون مسلحا ببندقية حديثة على حد قول القنصل الامريكي في بغداد (٢) . وما ذلك الا أن تهريب السلاح كان يتم على نطاق واسع الى العراق . (٣) وكان المصدر الاساسي للتهريب هو الخليج العربي ،اذ أشارت التقارير الرسمية البريطانية الى أن حجم حركة السلاح فيه خلال عامي ١٩٠٨و١٩٠٩م (١٣٢٦و١٣٢٧هـ-) كان بحدود تسعين ألف بندقية وسدس واثنى عشر مليونا ونصف المليون من

---

(١) Cohen, Op.Cit., p. 265.

(٢) N.A.R.S.,RG 84, No. 13, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Feb. 24, 1910.

(٣) العزاوي ،تاريخ العراق ،ج ٨ ،ص ١٩٩ .

الطلقات من نوعيات مختلفة. (١) وكانت مسقط هي المركز الرئيسي لتلــــك التجارة في الخليج ،اذ كانت بعض الشركات الفرنسية التي تتعامل بتجـــارة السلاح ترسل شحنات كبيرة منه لفروعها في مسقط في سفن تحمل العلـــم الفرنسي كي تتجنب حملات التفتيش البريطانية (٢) ، في نفس الوقت الـــذي كانت فيه بعض السفن الالمانية تقوم بدور مشابه. (٣) وبعد وصول تلك الاسلحة الى مسقط ، كانت تأخذ طريقها مهربة الى المناطق الأخرى في الساحـــل الغربي للخليج او داخل بلاد العرب . (٤) وبالاضافة الى مسقط كانـــت كميات من الاسلحة تشحن مهربة بوسائل مختلفة على ظهور السفن المتجهـــة مباشرة من الموانئ الاوربية الى موانئ الخليج الأخرى. (٥)

وكان قسم كبير من تلك الاسلحة يصل مهربا الى أيدى قبائل ولايـــة البصرة عبر ثلاثة طرق ،الطريق الاول منها هو أن تصل الاسلحة من مسقـــط الى ميناء البصرة مباشرة. فلقد أشار القنصل الامريكي في بغداد الـــى أن زميله القنصل العام البريطاني هناك أعترف له بوصول شحنات كبيرة مـــن الاسلحة عن هذا الطريق على ظهور سفن هندية بريطانية ،حيث تذهـــب

---

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 13, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Feb. 24, 1910.

(٢) IOR,L/p+s/10/112, No. 6AF, IO to FO, Feb. 24, 1910.

(٣) IOR,L/p+s/10/112, No. 102- 1462 XIVK, the Naval Commander- in- Chief to the Sec. to the Gov. of India in the Marine Dept., May 10, 1911.

(٤) IOR,L/p+s/10/112, No. 3045, the First Assistant Resident to the Sec. to the Gov. of India in the Foreign Dept., Dec. 2, 1911.

(٥) IOR,L/p+s/10/112, No. 182-1462 XIVK, the Naval Commander-in-Chief to the Sec.to the Gov. of India in the Marine Dept., Aug. 23, 1911.

الارباح المحققة من تلك الشحنات لجيوب رعايا بريطانيين. (١) وقد ذكر القنصل العام البريطاني نفسه انه لاحظ أثناء مروره في دجلة في ربيع سنة ١٩١٤م(١٣٣٢هـ) أن قبائل المنطقة مسلحة ببنادق جلبت من مسقط. (٢) ورغم ذلك يبدو أن هذا الطريق كان أقل اهمية من الطريقين الأخريين لما يكتنفه من صعاب كثيرة.

والطريق الثاني هو أن تصل تلك الاسلحة للقبائل من مسقط بصورة غير مباشرة، حيث يتم الاستلام والتسليم في مدينة المحمرة التي كان شيخها يحتفظ بعلاقات ود مع قبائل العمارة خاصة بني لام ويمدها بمساعدته في الوقت الذي يتمتع فيه هو نفسه بالحماية البريطانية. (٣) ويبدو أنه كانت تصل القبائل لواء العمارة من هذا الطريق كميات كبيرة من الاسلحة يكفي لبيان ضخامتها أن ننقل ما ذكره المقيم السياسي البريطاني في بغداد عن أن شيخ بني لام قد تفاوض خلال صيف سنة ١٩٠٨م(١٣٢٦هـ) على شراء عشرة آلاف بندقية ماوزر Mauser يتم تسليمها في المحمرة، على أن يدفع نصف ثمنها عند تقديم أمر الشراء والنصف الثاني عند استلام البضاعة. وقد أعرب المقيم عن قناعته في أن تلك الصفقة ستتم بوساطة مؤسسة تجارية من بغداد لم يذكر اسمها. (٤)

---

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 15, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 14, 1910.

(٢) IOR,L/p+s/10/212, No. P-2097/1914, Summary... Feb and March 1914, p.9.

(٣) N.A.R.S.,RG 84, No. 146,Am. Cons. Gen. at Beirut to Am. Amb. at Const., Apr. 30, 1908.

(٤) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Aug. 1908, p.31.

أما الطريق الثالث فهو وصول الاسلحة من الخليج عبر الكويت الى العراق الجنوبي عن طريق الصحراء. (١) وكان هذا الطريق هو الأهم من بين الطرق الثلاثة اذ كانت تصل عبره كميات كبيرة من الاسلحة ، لصعوبة ملاحقة السلطات العثمانية للمهربين وسط الصحراء المترامية الاطراف من ناحية ، ولتواطؤ بعض الموظفين العثمانيين معهم من ناحية أخرى. (٢) ويبدو أن الانظار كانت مركزة على هذا الطريق اكثر من غيره ، حتى أن جريدة كانت تصدر في بغداد حينئذ وصفت أهل الكويت بأنهم مورد و وسائل الموت والدمار وحملتهم مسئولية كل القتل والقتال الذي يحدث بين القبائل والقوات الحكومية من جهة ، وبين بعضها والبعض الآخر من جهة ثانية. (٣)

ولم يكن ذلك الموقف من تجارة السلاح الرائجة في الكويت مقصورا على الصحف فقط ، بل أنه كان متداولا في الاوساط الرسمية العثمانية. فخلال لقاء تم في أواخر ديسمبر ١٩١٠م (ذي الحجة ١٣٢٨هـ) بين حقي باشا الصدر الاعظم العثماني واحد رجال المال البريطانيين وتناول القضايا المعلقة بين الدولة العثمانية وبريطانيا قال حقي باشا أن السلوك البريطاني في الكويت غير عادل بدون شك ، اذ تحت حمايتها - رغم انه ليست هنالك حماية بالمعنى الحرفي للكلمة - أصبحت الكويت مركزا لحركة السلاح المهرب ومصدرا لنزاع مستمر مع جيرانها . وطالما وجدت هذه الحالة الشاذة فليس من الممكن اعادة السلم والنظام الى ذلك الجزء من العالم. وشبه الصدر الاعظم الكويت بالشوكة المغروسة في جانب الدولة العثمانية ، واشار الى ان ذلك الوضع هو الذي أوجد الشكوك حيال أهداف بريطانيا في العراق. (٤)

---

(١) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ١٢٠٧.

(٢) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ١٩٩

(٣) الرقيب ، السنة ٢ ، العدد ١٠٣ ، ٢٣ ربيع الاول ١٣٢٨هـ / ٥ نيسان ١٩١٠م ، ص ١.

(٤) IOR, L/p+s/10/112, No. 1, Sir H. Babington Smith (National Bank of Turkey) to Sir A. Nicolson(Eastern Dept., F.O.) , Dec. 30, 1910.

وحتى نستطيع تبين مدى أحقية العثمانيين في شكواهم تلك، يحسن أن نلقي نظرة على ماكان يجري في الكويت فعلا، واول مانراه هناك أن شيخ الكويت حرم بأيحاء من بريطانيا أستيراد الاسلحة لبلاده سنة ١٣١٧ هـ / ١٩٠٠م. ولكن يبدو وأن ذلك التحريم كان أجراء أستهدفت السلطات البريطانية من ورائه تبرءة ساحتها امام العثمانيين اكثر مما أستهدفت منه التأثير الحقيقي على تجارة السلاح هناك (١). تلك التجارة التي كانت تدر على الشيخ دخلا سنويا يتراوح بين مائة وخمسين الى مائة وستين ألف دولار، (٢) اذ انه كان يستوفي رسما مقداره ستة دولارات على كل بندقية تستورد لاراضيه (٣). ولاريب أن تلك الكميات الكبيرة من الاسلحة لم تكن تستورد لاستهلاك الكويت المحدودة السكان، بل لابد أن تكون لها منافذ أخرى، واين يمكن ان تكون تلك المنافذ الا في المناطق المجاورة.

وفيما يخص العراق، ذكر القنصل البريطاني في البصرة في أبريل ١٩٠٩م (ربيع الاخر ١٣٢٧هـ) أنه سمع اخبارا تفيد بأن أفراد القبائل العراقية يتلقون اسلحة من الخليج، وان القوافل التي تحملها كانت تمر عن طريق الزبير والفرات، وابدى شكه في صحة تلك الأخبار لعدم العثور على أي دليل

---

(١) IOR, L/p+s/10/112, No. 1942, the Political Resident in the Persian Gulf to the Sec. to the Gov. of India in the Foreign Dept., Aug. 19, 1906.

(٢) IOR, L/p+s/10/112, S.S. Mobarak to L.C.S.P. Cox, Moharram 2, 1330 = Dec. 12, 1912.

(٣) IOR,L/p+s/10/112, Extracts from the diaries of the Political Agent in Koweit Nos. 51 and 52 for two weeks ending 22 nd and 29 th Dec. 1909.

مادي يثبتها رغم أن قوات مطاردة أرسلت من البصرة للزبير لاعتراض تلك القوافل . (١) ولكن شك القنصل لم يكن في محله ،اذ أشارت أحدى الصحف الصادرة حينئذ في بغداد الى ان أحدى تلك القوافل المحمله بالسلاح والمؤلفة من أربعين جملا وقعت بيد سعدون باشا السعدون فقام بتسليمها للحكومة، وعرض سعدون بهذه المناسبة أن تناط به مسئولية مكافحة تهريب السلاح من الكويت فيشكل قوة من الهجانة لهذه الغاية على أن تتحمل الحكومة نفقاتها البالغة مائة وعشرين ليرة شهريا . (٢) وقد اكد المقيم السياسي البريطاني في بغداد ايضا وقوع كمية من الذخيرة بيد سعدون وقيامه بتسليمها الى الجهات الرسمية المختصة في صيف سنة ١٩١٠م(١٣٢٨هـ) . (٣)

هذا ومن جانب آخر ،اعترف الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت في حديث جرى بينه وبين الوكيل السياسي البريطاني في الكويت في شهر ديسمبر ١٩٠٩م(ذي الحجة ١٣٢٧هـ) بأن الاسلحة تهرب بالسفن من مسقط ويتم تفريغها على شاطئ القطيف ، ومن هناك تجد طريقها للداخل حيث تذهب كمية منها الى الرياض وحائل ،بينما يذهب ثلثاها نحو الشمال ليوزع بين قبائل المنتفق والقبائل الاخرى القاطنه في المنطقة الممتدة على طول النهر من الزبير حتى مشارف بغداد . وذكر أن عملية نقل الأسلحة

---

(١) PRO,FO 424/219, No. 23, Cons. Crow to Sir G. Lowther, April 29, 1909.

(٢) الرقيب ،السنة ١ ،العدد ١٨، ٢٩ ربيع الاخر ١٣٢٧هـ/ ٢٠ مايس ١٩٠٩ ،ص ٣ .

(٣) IOR,L/p+s/10/188, Summary of Events in Turkish Iraq during the month of June 1910, p. 6.

المهربة كان يقوم بها أفراد قبيلة العجمان الذين يتقاضون ثلاثة وعشرين دولارا عن حمولة الجمل الواحد التي تتكون من عشرين بندقية دون ذخيرة. واعترف بأن بعض تلك الاسلحة تجد طريقها الى الكويت لتعود وتجد طريقها من هناك نحو الشمال. واضاف أن والي البصرة أتهمه بالسماح بأستخدام الكويت مستودعا لارسال السلاح الى القبائل القاطنة على النهر، ولكنه رد عليه بأن المسئولية الحقيقية عن تهريب السلاح يتحملها الموظفون الترك في الاحساء والقطيف. وقد علق الوكيل السياسي البريطاني على حديثه مع مبارك بقوله :-" نقلت ماجاء اعلاه لأن هدفي الرئيسي هو أظهار أن الشيخ مبارك لم يهجر الى حد بعيد سياسته القديمة في محاولة خداعنا فيما يتعلق بالوضع الحقيقي لتجارة السلاح في الكويت". (١)

وهكذا ، وبالرغم من محاولة الشيخ مبارك ابعاد المسئولية عن الكويت فقد كانت تهرب منها كميات كبيرة من الاسلحة لتسوق بين القبائل العراقية وخاصة تلك القاطنة منها في ولاية البصرة. ولكون الكويت تحت الحماية "الفعلية" البريطانية فقد اتجهت أصابع الاتهام نحو بريطانيا نفسها ، وهو أتهام وجد سبيله للتداول على صفحات الصحف الصادرة في بغداد حينئذ ، فقد سجل القنصل الامريكي في بغداد ماكتبته احداها في يوليه ١٩١٢م (شعبان ١٣٣٠هـ) وكان نصه :-" أن الانجليز يحاولون منذ زمن طويل أن يجعلوا نفوذهم محسوسا بين عرب مابين النهرين والعراق، فلقد وزعوا بينهم أولا بنادق الماوزر، والمارتيني على أمل أن يقاتلوا بعضهم البعض فيصبح الطريق ممهدا أمامهم لاحتلال هذه البلاد". وعلق القنصل على ذلك الاتهام بقوله ان كلام تلك الجريدة كان يمكن أن يكون أقرب

---

(١) IOR,L/p+s/10/112, No. 663, the Political Agent in Koweit to the First Assistant Resident in Charge of Residency in Bushire, Dec. 29, 1909.

للصواب لو أنها قالت أن تلك هي سياسة الترك التي أتبعوها طويلا من اجل الحفاظ على سيطرتهم على العرب، واضاف أن الانجليز يحاولون بالطبع كسب ود العرب القاطنين في المنطقة الممتدة بين بغداد والبصرة ولكن ما قالته تلك الجريدة سخف محض. (١)

ولكن أقوال تلك الجريدة ومثيلاتها لم تكن الا أنعكاسا لما تتداولة الاوساط الرسمية العثمانية حول اتهام بريطانيا بالمسئولية عن تهريب الاسلحة للعراق، وهو أتهام قديم العهد على مايبدو، فقد لاحظ السفير البريطاني في استانبول سيرأوكونور في فبراير ١٩٠٦ (محرم ١٣٢٤هـ) "أن السلطات العثمانية في الخليج الفارسي/[العربي] ترسل للباب العالي باستمرار تقارير تتهمنا فيها بتشجيع تقديم السلاح للعرب الخارجين على حكم السلطان، وستستمر هذه الشكاوى بالتأكيد، وربما ستصاغ بشكل رسمي وتقدم الى اذا لم تتخذ الاجراءات لقمع أستيراد السلاح عبر الكويت". (٢) هذا وقد ذكر المقيم السياسي البريطاني في بغداد من جانبه انه حرص خلال مقابلته مع احد كبار المسئولين العثمانيين في العراق خلال شهر يونيه ١٩٠٨م (جمادى الاولى ١٣٢٦هـ) على القول بأنه سمع مايثار عن اهتمام بريطانيا بتجارة السلاح، وانه شرح لذلك المسئول الجهود التي تبذلها السلطات البريطانية لوقف تلك التجارة. (٣)

---

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 257, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., July 29, 1912.

(٢) IOR, L/p+s/10/112, No. 116, Sir N. O'Conor to Sir E. Grey, Feb. 25, 1906.

(٣) PRO, FO 424/216, No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9, 1908.

ولقد قامت السلطات البريطانية بالفعل بجهود كبيرة لقمع تلك التجارة ويحسن قبل أن نلم بتلك الجهود ،أن ننوه بأن الهدف الكامن وراءها مرتبط بحرص بريطانيا على حماية وجودها في الهند من أى تهديد مهما قل شأنه. فكانت تحرص لذلك على الحيلولة دون وصول الاسلحة من الخليج عبر بلاد فارس الى القبائل القاطنه على الحدود الشمالية للهند ،والتى كان يصلها بالفعل الكثير من تلك الاسلحة من هذا الطريق. (١) وتسهيلا للوصول الى ذلك الهدف حرصت السلطات البريطانية على عدم وصول الاسلحة الى قبائل شط العرب والجانب الفارسي من الخليج خوفا من أن تأخذ طريقها من هناك الى بلوشستان وافغانستان. (٢) وعلى هذا كانت السلطات البريطانية حرصا على مصلحتها مخلصة جدا في جهودها الرامية لكبح تجارة السلاح في الكويت على حد قول القنصل الامريكي في بغداد. (٣)

ويظهر التدقيق من الوقائع صدق قول القنصل من جدية السلطات البريطانية في محاربة تهريب السلاح ،اذ أنها فرضت حصارا بحريا مشددا على الجانب الفارسي من الخليج (٤) ، كانت تفتش بموجبه السفن وتصادر

---

(١) N.A.R.S. RG 84, No. 15, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 14, 1910.

(٢) IOR,L/p+s/10/112, No. 1202, the Political Resident in the Persian Gulf to Rear-Admiral R. Peirse, April 26. 1914.

(٣) N.A,R.S. RG 84, No. 15, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 14, 1910.

(٤) IOR, L/p+s/10/112,No. 38C, the Political Agent in Koweit to the Political Resident in the Persian Gulf , May 15, 1912.

ما تجده في بعضها من شحنات الاسلحة المهربة وتلقيها في البحر (١) ،كما كانت تقوم بأحراق السفن الشراعية المحلية التي تكشف اسلحة مهربة على ظهورها (٢) . وحاولت فوق ذلك كله أن تجبر سلطان مسقط على اتخاذ بعض الاجراءات التي تحد من تدفق السلاح من والي أراضيه. (٣) وسعت من جانب أخر الى تلافي تهريب الاسلحة بصورة مباشرة من أوربا الى موانئ الخليج عن طريق الملاحقة القانونية للموسسات التجارية التي يثبت تورطها في أرسال تلك الشحنات ،ووضع بعض الترتيبات الاحترازية بالاتفاق مع شركات الشحن الملاحي العاملة في الموانئ الاوربية لمنع تسرب أية شحنة مشبوهة . (٤)

أما فيما يتعلق بالكويت على وجه الخصوص،فقد أضيف الى الهدف المصلحي الذي كان يدفع السلطات البريطانية لمحاربة تهريب السلاح في الخليج ،سبب آخر تمثل فيما سببه الضغط العثماني من حرج لتلك السلطات، وهو ضغط رأينا بعض مظاهره فيما سلف، ولذلك أخذت السلطات البريطانية ابتداء من سنة ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ) تؤكد على شيخ الكويت بضرورة التطبيق

---

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 13, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Feb. 42, 1910.

(٢) IOR,L/p+s/10/112,No. 46, the Naval Commander in- chief to the Sec. to the Gov. of India in the Marine Dept., May 29, 1912.

(٣) راجع تفاصيل ذلك في :

Busch, B.c., Britain and the Persian Gulf, 1894-1914, Berkeley , 1967, pp. 270-303.

(٤) IOR,L/p+s/10/112, No. 3419/1912,F.O. to I.O., Aug. 2, 1912.

الجدى للاعلان الذى أصدره سنة ١٩٠٠م(١٣١٧هـ) والقاضى بتحريم استيراد السلاح للكويت لاغراض تجارية. (١) ولكن لايبدو أن جهودها في هذا السبيل قد جاءت بنتيجة عاجلة ،فقد لاحظ الوكيل السياسي البريطاني فى الكويت فى ديسمبر ١٩٠٩ (ذى الحجة ١٣٢٧هـ) أن الاسلحة النارية لا زالت تباع علنا فى سوق الكويت، وان محلات جديدة قد أفتتحت مؤخرا لبيع وشراء الاسلحة (٢) ،مما يشير الى أستمرار ازدهار تلك التجارة.

وقد دفع ذلك الوضع السلطات البريطانية الى تشديد الرقابة على السفن المتجهة الى الكويت لمنع وصول الاسلحة اليها ، الا أن ذلك لم يقض على تلك التجارة فورا ،بل أنها ظلت حية فى الكويت حتى أواخر سنة ١٩١١م(١٣٢٩هـ) اذ أستمر بعض التجار يتداولونها سرا ويتلقون شحنات مهربة سواء بعلم الشيخ أو بدون علمه. (٣) ولكن تلك الرقابة والضغوط البريطانية المستمرة على شيخ الكويت أدت آخر الامر الى تقلص حجم تلك التجارة تقلصا كبيرا ،اذ ذكر الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت فى أبريل ١٩١٤م(جمادى الاولى١٣٣٢هـ) انه يقوم بتحقيقات مستمرة حول أستيراد وتصدير السلاح والذخيرة فى الكويت، وانه مقتنع بأن لا شئ من ذلك يحدث الآن عدا تصدير اثنتين او ثلاث بنادق وكمية

---

(١) IOR,L/p+s/10/112, No.1942, the Political Resident im the Persian Gulf to the Sec. to the Gov.of India in the Foreign Dept., Aug. 19, 1906.

(٢) IOR,L/p+s/10/112, Extracts from the diaries of the Political Agent in Koweit Nos. 51 and 52 for two weeksending 22 nd 29 th Dec. 1909.

(٣) IOR, L/p+s/10/112, No. 2544, the Political Resident in the Persian Gulf to the Sec. to the Gov. of India in the Foreign Dept., Sep. 30, 1911.

قليلة من الذخيرة وفى فترات نادرة. (١)

وفيما يتعلق بموضوعنا ، يبدو أن تلك الاجراءات البريطانية قد أثرت على تسليح قبائل ولاية البصرة فرفعت أسعار ماتتلقاه من اسلحة وذخيرة ، فقد لاحظ المقيم السياسى البريطانى فى بغداد خلال مروره فى نهر دجلة فى ربيع سنة ١٩١٣م (١٣٣١هـ) أن أسعار طلقات البنادق قد أرتفعت بشكل كبير ، اذ أصبح سعر الطلقة الواحدة بـ" قران" (٢) واحد أى مايعادل أربعة بنسات بعد أن كان أفراد القبائل القاطنة هناك يشترون أربع أو خمس طلقات بالقران الواحد ، وعزا المقيم ذلك الوضع للحصار البحرى البريطانى فى الخليج الذى يعترف الجميع بنتائجه على حد قوله (٣) . كما ذكر المقيم نفسه فى شهر مارس ١٩١٤م (ربيع الثانى ١٣٣٢هـ) أن من التقى بهم من افراد القبائل خلال جولة قام بها فى نهر دجلة قد شكوا له من أن أسعار البنادق قد أرتفعت أرتفاعا كبيرا ، حتى أصبح سعر البندقية الواحدة يتراوح من ست الى سبع ليرات بعد أن كان فى الماضى يتراوح بين ليرتين الى ثلاث ليرات . (٤)

---

(١) IOR,L/p+s/10/112, No. C-14, the Political Agent in Kuwait to the Political Resident in the Persian Gulf, April 15, 1914.

(٢) عملة عثمانية صغيرة تعادل ثمانية قروش فى حين أن الليرة الواحدة تقسم الى مائة قرش ، راجع : البازى ، مرجع مر ذكره ، ص ٦٩ .

(٣) IOR,L/p+s/10/212, No. P-1953/1913, Summary... March 1913, p. 7.

(٤) IOR,L/p+s/10/212, No. P-2097/1914, Summary... Feb and March 1914, p. 9.

وهكذا ، وعلى ضوء كل ما مر ، يمكن القول أن الشكوك العثمانية حول تورط بريطانيا بتوريد السلاح الى القبائل العراقية بشكل تآمري كانت مبالغا فيها الى حد كبير. ولا يجب أن ننسى هنا أن المصالح البريطانية كثيرا ما تضررت من جراء الأضطرابات القبلية في ولاية البصرة ، وخاصة في لواء العمارة كما عرفنا ، فلا يعقل والحالة هذه أن تسهل السلطات البريطانية للقبائل الحصول على الوسائل التي تؤذي بها مصالحها . ويحسن التنويه هنا أيضا بأن القبائل كانت تجد مصادر أخرى غير ما مر للحصول على السلاح ، فقد أقام اكراد أيران مصانع محليه للبنادق في كرند Kirind في جبال كردستان الايرانية ، حيث يتسرب بعض انتاجها عبر الحدود الى القبائل العراقية ، التي كانت أيضا تغنم الكثير من الاسلحة خلال المعارك التي تخوضها مع القوات الحكومية (١) ، أو مع القوى المحلية الاخرى ، فقد غنم المنتفق الفي بندقية من القوات الكويتية خلال معركة هدية التي جرت في مارس ١٩١٠م (ربيع ١٣٢٨ هـ) (٢)

---

(١) لوريمر، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ١٢٠٧ .

IOR,L/p+s/10/112, No. 1117, the Political Resident in the Persin Gulf to the Sec. to the Gov. of India in the Foreign Dept. April 30, 1911.

قبائل الولاية والدول الاوربيه المنافسة لبريطانيا :

رأى أمبراطور ألمانيا وليم (غليوم) الثانى فى الدولة العثمانية حليفا سياسيا محتملا لالمانيا ، واعتبرها مجالا مهيئا للتوسع الاقتصادى الالمانى[١] . وقد ارتبطت الطموحات الاقتصادية الالمانية فى الدولة العثمانية بسكة حديد بغداد الى درجة كبيرة. [٢] اذ أستطاع المصرف الالمانى أن ينال من الحكومة العثمانية امتيازا لانشاء المرحلة الاولى من السكة الواقعة بين استانبول وانقرة فى سنة ١٨٨٨م (١٣٠٥هـ) ،وهى المرحلة التى عرفت بسكة حديد الاناضول. ثم نال المصرف نفسه فى سنة ١٨٩٨-١٨٩٩ م (١٣١٦هـ) امتيازا آخر لبدء العمل فى مد تلك السكة نحو بغداد، وامتيازا مبدئيا لامتدادها فى المنطقة الواقعة بين بغدا والبصرة. [٣]

ولم تتقبل السلطات الرسمية البريطانية ماحدث ،واعترتها الخشية من النتائج التى ستترتب على بناء السكة المزمعة. فقد اعتبرت الحكومة البريطانية سكة حديد بغداد تحديا دبلوماسيا لها واختبارا لقوة الاستراتيجية البريطانية ، وأخذت تلك الحكومة تعي بصورة متزايدة الاخطار التى تمثلها السكة على المصالح التجارية البريطانية فى العراق نفسه [٤] . ولم تقتصر

---

(١) Holborn , H., A History of Modern Germany 1840-1945, London, 1969,p. 315.

(٢) Geiss, A., German Foreign Policy 1871-1914,London, 1976,p. 155.

(٣) Holborn, op.cit.,pp.314-5.

(٤) Cohen,op.cit.,p. 33

مخاوف الحكومة البريطانية على الناحية الاقتصادية فقط ، ولكنها توجست خيفة من نتائج سياسية تترتب على انشاء السكة. اذ اعتقدت بأن الدولة التي ستبني سكة حديد بغداد سوف تحرز نفوذا سياسيا في المنطقة تلك. وتوصلت الحكومة البريطانية الى قناعة مفادها أن المصالح البريطانية في العراق لن تصان الا بأحتكار بريطانيا لانشاء وتسيير ذلك الجزء من السكة الذي يجتاز العراق من نقطة تقع شمال بغداد الى الخليج العربي. (١)

وما زاد من مخاوف السلطات البريطانية من تلك السكة ، ان الشركة الالمانية التي نالت امتياز انشائها نالت في الوقت نفسه موافقة الحكومة العثمانية على السماح للمؤسسات التابعة للمصرف الالماني بالتنقيب عن النفط في ولايتي الموصل وبغداد ، وكان ذلك بموجب اتفاقية وقعت في ديسمبر ١٩٠٣م (شوال ١٣٢١هـ). (٢) وقد أدى ذلك الى تصلب بريطانيا في معارضتها لقيام الالمان بمد السكة المزمعة في المنطقة الواقعة جنوب بغداد. اذ ان بريطانيا نتيجة لتنافسها البحري مع ألمانيا خلال تلك الفترة كانت قد طورت اسطولها فحولت بواخره من استخدام وقود الفحم الى النفط. فأدى ذلك الى ازدياد الاهمية الاستراتيجية لحقول النفط الفارسي التي كانت بريطانيا تستغلها حينئذ. (٣) وهي حقول كانت ستصبح على مرمى حجر من سكة الحديد المزمعة اذا ما نجح الالمان في ايصالها الى البصرة.

---

(١) Ibid,pp.32,52.

(٢) فريتز غروبا ، رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق ، ترجمة فاروق الحريري ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ج ١ ، ص ١٣٨.

(٣) Geiss,op.cit.,pp.155

ولم تتوقف الانشطة الالمانية عند حد نيل الامتيازات ، وانما تعدتــه الى خوض منافسة مكشوفة مع المصالح البريطانية العاملة في العراق . ففــي مجال النقل البحرى اخذ خط هامبورج ـ أمريكا Hamburg-American Line يسير بواخره الى البصرة ابتداء من سنة ١٩٠٦م(١٣٢٤هـ) . وقد أدى ذلك الى كسر احتكار الخطوط الملاحية البريطانية لخدمات النقل البحرى ، والــى نشوء منافسة بين الجانبين أدت الى انخفاض واضح في اجور الشحــن من والى البصرة . (١) أما في الميدان التجارى الخالص فقد بذل الالمــان جهودا كبيرة لتنمية تجارتهم مع العراق ، ونالوا نجاحا ملحوظا في هــذا الميدان . (٢) ويستدل على حجم هذا النجاح من الملاحظة التــي أوردها القنصل الامريكي في بغداد في سنة ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ) ، اذ قال ان العالم الخارجي من الناحية الصناعية يتمثل في اذهان اغلب العراقيين بانجلتــرا وألمانيا وحدهما . (٣) ويظهر هذا أن الالمان استطاعوا في فترة قياسيــة أن يثبتوا أقدامهم في السوق العراقية منافسين اكفاء للانجليز ذوى الخبــرة الطويلة في تلك السوق .

ولم يفت السلطات البريطانية المختصة التنبه لما يجرى على الساحــة العراقية . فأدركت ان ذلك الخطر التجارى" كانت له معان سياسيــة اضافية ، فتدفق البضائع الالمانية على بلاد مابين النهرين يمكن أن يــؤدى

---

(١) N.A.R.S., RG 84, "Foreign Trade Opportunities ",Am. Cons., Bag., Oct. 5, 1907.

(٢) N.A.R.S., RG 84, " 1907's Commercial Report", Am. Cons Bag., June 25, 1908.

(٣) N.A.R.S., RG 84,", Report on Opportunity for American Hardwere Sales", Am. Cons. Bag., Nov. 20, 1909.

بصورة متناسبة الى فقدان بريطانيا لنفوذها بين سكان المنطقة، فتخسر بذلك الفوائد السياسية التى ضمنها لها لحد الآن تفوقها التجارى وأنفرادها بالامتيازات". (١) ومن اجل تجنب تلك الاثار والحد منها استجابت السلطات البريطانية فى لندن، والهند لالحاح دبلوماسييها العاملين فى العراق على ابراز المظاهر الخارجية لمكانتهم فى نظر سكان العراق. (٢)

ترتب على ذلك التنافس فى ميدانى الامتيازات والتجارة صراع دبلوماسى طويل ومرير بين المانيا وبريطانيا. وليس من المهم هنا الولوج فى تفاصيله ولكن المهم هو الاشارة الى أن تحدى الالمان للنفوذ البريطانى فى الساحة العراقية لم ينسهم الحقيقة الماثلة أمامهم وهى رسوخ الوجود البريطانى الاقتصادى السياسى هناك، ولعل هذا ـ ضمن عوامل عديده ـ هو الذى دفع الدولتين المتنافستين الى الميل لايجاد حل وسط لمنافساتهما. وقد بدأ هذا الاتجاه أولا فى مجال التنقيب عن النفط، حين تم الاتفاق سنة ١٩١٠م (١٣٢٨هـ) بين المصرف الالمانى والمصرف الوطنى التركى وهو مصرف انجليزى ـ على التعاون المشترك فى مجال التنقيب من النفط فى الاراضى العثمانية. وكان ذلك الاتفاق نواة لتأسيس شركة النفط التركية فيما بعد. (٣) ولقد عجل من حدوث ذلك الاتفاق شبح المنافسه الامريكية فى هذا المجال. (٤)

---

(١) Cohen, op.cit., p. 54.

(٢) Ibid, p. 267.

(٣) غروبا، مرجع مر ذكره، ج ١، ص ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٤) Geiss, op.cit., p. 156.

أما القضية الاساسية في الصراع ، وهي سكة حديد بغداد ،فقد اعلن وزير الخارجية البريطانية السير ادوارد غراى فى مارس ١٩١١م (ربيع الاول ١٣٢٩هـ) أمام مجلس العموم انه يرغب بحل قضية سكة حديد بغداد ، لأن التوصل الى اتفاقية ترضي كلا من الدولة العثمانية وبريطانيا والمانيا سيزيل سببا محتملا للصدام السياسي. (١) وعلى هذا جرت مباحثات طويلة بين ألمانيا وبريطانيا والدولة العثمانية ، وانتهت آخر الامر بتوقيع سلسلة من الاتفاقيات بين الدول الثلاث خلال سنتي ١٩١٣ - ١٩١٤م (١٣٣١ - ١٣٣٢هـ). (٢) " وبالرغم من ان اتفاقيات سنتي ١٩١٣و١٩١٤م صانت وضع بريطانيا في الخليج ،وضمنت أيضا سيطرتها على أية سكة حديد من البصرة الى الكويت ،الا انها اعطت المانيا مع ذلك منطقة نفوذ تمتد جنوبا حتى البصرة". (٣)

وازاء تلك المطامع الالمانية الواسعة في العراق ،ومنافستها الشديدة مع بريطانيا هناك ، وعزمها على مد سكة الحديد عبر ولاية البصرة ، قد يبدو من المنطقي الافتراض بأن المانيا ربط حاولت كسب ود قبائل الولاية لتقوية مركزها أمام بريطانيا . ولكن الدلائل تشير الى عكس هذا ،اذ لم يرد في المصادر اوالمراجع أى شئ يثبت قيام المانيا بمحاولة من هذا القبيل

---

(١) Cohen, op.cit.,p.210.

(٢) زين نور الدين زين ، الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ،ط٢ ، بيروت، ١٩٧٧ ،ص ٥٦.

(٣) Cohen,op.cit,p. 249.

ولو حدث شيء من ذلك لما اغفلته الوثائق البريطانية والامريكية التي كانت مهتمة بأيراد كل صغيرة او كبيرة تخص شئون القبائل . ولعل من العوامل التي دفعت بالالمان الى تجنب الاتصال بقبائل الولاية انهم كانوا يسعون للوصول الى اهدافهم عن طريق التعاون مع السلطات الحكومية العثمانية . فليس من المعقول لذلك ان يلجأوا للاتصال بالقبائل من وراء ظهرها ، خاصة وانه ليست هناك ضرورة ملحة تبرر مثل ذلك الاتصال .

وهناك عامل آخر ربما جعل الالمان لا يحاولون الاتصال بقبائل ولاية البصرة ، هو أن سكة الحديد المزمعة لم تكن قد وصلت حتى قيام الحرب العالمية الاولى الى ولاية البصرة ، بل ولم تكن قد اقتربت منها بعد . فلم يكن هناك احتكاك مباشر بين المصالح الالمانية والقبائل يتطلب قيام الالمان بمحاولة تصفيته مع القبائل مباشرة ، كما فعلوا في مناطق اخرى . فقد أشار المقيم السياسي البريطاني في بغداد خلال نوفمبر ١٩١١م (ذى القعدة ١٣٢٩هـ) الى قيام الالمان بالاتصال ببعض القبائل القاطنة في شمال العراق من اجل تسهيل اعمالهم في مد خط سكة حديد بغداد في تلك الانحاء. (١)

وثمة سؤال يفرض نفسه هنا وهو: اذا كان الالمان قد عزفوا عن الاتصال بقبائل ولاية البصرة ، فلماذا لم يحاول بعض شيوخ تلك القبائل الاتصال بالالمان كما فعلوا مع البريطانيين ؟ من المعتقد أن هذا السؤال يجد جوابه في حقيقة ان الوجود الدبلوماسي الالماني في العراق كان حديث النشأة ، اذ لم تفتتح قنصلية المانية عامة في بغداد ونيابة قنصلية في

---

(١) IOR/L/p+s/10/212, No.P-211/1912, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of Nov. 1911, p.9.

البصرة الا فى سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ) . [١] وهكذا فأن شيوخ القبائل لم يكونوا قد الفوا بعد اولئك الوافدين الجدد ، ولم يتح لهم أن يقدروا اهميتهم على المسرح السياسى ومدى فائدة الاستعانة بهم لدى السلطات العثمانية . بينما كانوا قد الفوا الوجود البريطانى بينهم الذى أمتد مئات السنين ، وجربوا فائدة الاستعانة بالبريطانيين فى حوادث كثيرة ماضية .

ولكن العزوف الالمانى عن اقامة الاتصالات مع قبائل ولاية البصرة لم يستمر الى ما لا نهاية . اذ ماكادت الحرب العالمية الاولى تعلن فى أوربا حتى لاحظت الجهات الرسمية البريطانية أن الالمان اخذوا يبذلون الكثير من الجهد والمال لتركيز وجودهم فى منطقة البصرة . [٢] وايد القنصل الامريكى فى بغداد صحة تلك الملاحظة واضاف ان الهدف الواضح لذلك النشاط الالمانى الكبير هو بصورة رئيسية الحاق الاذى بالبريطانيين [٣] . ويمكن القول هنا ان ذلك النشاط الالمانى لايعد خروجا على قاعدة العزوف عن الاتصال بالقبائل ، اذ يبدو انه تم بالتنسيق مع السلطات الرسمية العثمانية فى سبيل كسب قضية مشتركة هى الحاق الهزيمة بالعدو البريطانى .

---

(١) Longrigg, op.cit,p.66.

(٢) مكى شبيكه ، العرب والسياسة البريطانية فى الحرب العالمية الاولى بيروت ، ١٩٧٠ ، ج ١ ، ص ص ١٦ - ١٧ .

(٣) N.A.R.S. RG 84, File No. 703, No. 18, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Nov. 4, 1914.

واذا كانت المانيا هي المنافس الرئيسي لبريطانيا على الساحة العراقية حينئذ ، فأن روسيا يمكن أن تعتبر المنافس الثاني لبريطانيا في هذه المنطقة . الا أن الاهتمام الروسي كان منصبا في هذه الفترة على بلاد فارس وليس على العراق . (١) ولعل هذا يفسر قلة المصالح التجارية الروسية في العراق حينئذ ، اذ تظهر التقارير الاقتصادية التي كان يرسلها القنصل الامريكي في بغداد ضآلة مساهمة روسيا في صادرات العراق ووارداته. وحتى في الميدان الفارسي لم تلبث المنافسة الروسية البريطانية ان خفت حدتها تدريجيا من جراء مخاوف الدولتين معا من ازدياد النشاط الالماني في المنطقة. وقد أدى هذا في النهاية الى تسوية مابين روسيا وبريطانيا من منافسات وخلافات بموجب اتفاقية سنة ١٩٠٧م (١٣٢٥هـ) (٢) .

ويبدو ان عقد تلك الاتفاقية شكل عاملا اضافيا دفع روسيا للامتناع عن القيام باتصالات مع قبائل ولاية البصرة التي تعتبر منطقة نفوذ بريطانية تقليدية . فبعد أن كانت هناك اتصالات بين بعض مشايخ القبائل والقنصل الروسي في بغداد في اواخر القرن الميلادي الماضي . (٣) ، خلت فترة البحث من أي ذكر لاتصالات مشابهة. ويؤيد كون الروس أمتنعوا عن القيام بنشاط بين قبائل ولاية البصرة احتراما لاتفاقهم مع البريطانيين ، انهم ظلوا محتفظين بأتصالاتهم مع القوى المحلية في المنطقة الشمالية من العراق حيث

---

(١) Longrigg, op.cit., p. 66.

(٢) زين ، مرجع مر ذكره ، ص ٥٣ .

(٣) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢٨٣ .

كانت انظار مشايخ القبائل الاكراد ورجال الدين المسيحيين تتجه الى روسيا دائما لطلب المساعدة.[١] كما يدل على ذلك التحرك بين القبائل الفارسية المحاذية لولاية البصرة ، فقد ذكر القنصل الامريكي في بغداد في أوائل سنة ١٩١٠م(١٣٢٨هـ) أن نائب القنصل الروسي في الموصل قام بجولة بين قبائل منطقة الحدود العثمانية الفارسية حتى نهر الكارون جنوبا . [٢]

أما فرنسا فتظهر تقارير القنصل الامريكي في بغداد خلال فترة البحث انها كانت ذات نشاط تجاري بارز في العراق. الا أن خوفها من النفوذ المتزايد للالمان في الدولة العثمانية دفعها مثل روسيا الى الاتفاق مع بريطانيا ،فعقد بينهما"الاتفاق الودي" سنة ١٩٠٤م(١٣٢٢هـ) ،صفت الدولتان بموجبه خلافاتهما على مناطق النفوذ في العالم.[٣] ولعل هذا هو السبب الكامن وراء عدم ورود أي ذكرفي المراجع والمصادرلنشاط فرنسي بين قبائل ولاية البصرة خلال فترة البحث . اذ اقتصر دور فرنسا على اهتمامات " ثقافية " من خلال علاقاتها بالمدارس والهيئات المسيحية الكاثوليكية في العراق. [٤]

---

(١) Longrigg, op.cit.,p.67.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 11, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const , Jan. 21, 1910.

(٣) زين ،مرجع مر ذكره ،ص ٥٣.

(٤) Longrigg, op.cit., p.67.

وهكذا وعلى ضوء كل ما مر يمكن اقرار صحة الرأى الذى توصل له القنصل الامريكى فى بغداد حين قال :- رغم أن العرب فى العراق يحملون السلاح بأستمرار ضد بعضهم البعض وضد حكامهم فلايبدو أن أحداثا كهذه ناتجة عن ايحاء مارسته حركة سياسية من خارج الحدود اوعن تأثير قوة أجنبية ولكن أسبابها محلية بحتة. (١) واذا كان الأمر كذلك ،فيجدر التنبيه هنا الى ضرورة النظر الى ماحدث من اتصالات بين بعض مشايخ القبائل فى الولاية وبعض الدول الاجنبية ضمن ظروفها التاريخية. ولايحسن اعتبار تلك الاتصالات حدثا شاذا فى تاريخ الدولة العثمانية خلال هذه الفترة التى كثرت فيها اتصالات القوى المحلية بالدول الاجنبية المختلفة كثرة لافتة للنظر.

---

(1) N.A.R.S.,RG 84, No. 146, Am. Cons. Gen. at Beirut to Am. Amb. at Const., April 30, 1908.

الفصل الخامس

دور قبائل الولاية في مقاومة الغزو البريطاني للعراق خلال الحرب العالمية الأولى

احتلال القوات البريطانية مدينة البصرة سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م :

عرفنا فيما سبق المركز الاقتصادى والسياسى المتميز الذى تبوأته بريطانيا فى العراق منذ زمن بعيد ، وهو المركز الذى جعل السلطات البريطانية تعتبر ذلك القطر مجالا مغلقا لمصالحها ، تراقب بأستمرار مايجرى فى ساحته ، وتضع نصب عينيها امكانية أيلولته لها فى يوم ما . وذلك ماجعل مسئولا كبيرا فى وزارة الخارجية البريطانية يقول فى سنة ١٩١٣م (١٣٣١هـ) " اذا ما أصبح تقسيم الاملاك العثمانية فى آسيا أمرا واردا ، فأن مابين النهرين هو الجزء الذى يجب أن نركز انظارنا عليه ". (١) كما كانت الاوساط الرسمية فى الوزارة الاخرى المهتمة بشئون المنطقة وهى وزارة الهند واضحة تماما فى رؤيتها لضرورة خضوع العراق للحكم البريطانى المباشر أو غيرالمباشر حماية للوجود البريطانى فى الهند والخليج العربى .(٢)

ولذلك كله كانت فكرة الغزو العسكرى لولاية البصرة تدور فى أذهان بعض الرسميين البريطانيين قبل سنوات بعيدة من نشوب الحرب العالمية الاولى . ففى أثناء أزمة العقبة بين بريطانيا والدولة العثمانية سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٦م (٣) طرحت فكرة احتلال البصرة للضغط على الدولة العثمانية ولكن

---

(١) Cohen, op.cit., p 238

(٢) Zeine, op. cit., p. 104.

(٣) حرصت السلطات العثمانية على اخراج سيناء من حدود مصر الخاضعة للاحتلال البريطانى ، فأحتلت القوات العثمانية فى ذى القعدة ١٣٢٣هـ/ يناير ١٩٠٦م موقع طابه عند رأس خليج العقبة ، فأدى ذلك الى توتر شديد فى العلاقات بين الدولتين أستمر الى ان حلت المشكلة بعد عدة شهور عن طريق المفاوضات . راجع :
عمر عبد العزيز عمر ، دراسات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

مجلس الدفاع الامبراطوري لم يقر الفكرة. (١) ثم عادت حكومة الهند لطرح الفكرة مرة ثانية سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ) ولكنها أوضحت أن خطة تطبيقها غير نهائية، بل أنها ستعدل على ضوء الوضع السياسي السائد حين تنفيذها (٢) وعندما أخذ الوضع في أوربا يتجه للتأزم في ربيع سنة ١٩١٤م (١٣٣٢هـ) تجدد الحديث عن الفكرة في شهر أبريل (جمادى الاولى) من تلك السنة واخذت الجهات المختلفة تدرسها (٣)، حتى أندلعت شرارة الحرب في أوربا خلال شهر اغسطس (رمضان) فصدر قرار السلطات المختصة في لندن بأتخاذ الاجراءات العملية اللازمة للاستعداد لارسال حملة عسكرية نحو البصرة (٤).

ولقد اتخذت السلطات البريطانية ذلك القرار رغم أن الدولة العثمانية لم تدخل الحرب بعد، ورغم أن الدبلوماسية البريطانية كانت حينئذ تبذل جهودا حثيثة لاقناع المسئولين العثمانيين بالوقوف على الحياد في تلك الحرب أو تأخير قرارهم بالاشتراك فيها على الأقل. (٥) ولكن تلك الجهود ذهبت أدراج الرياح اذ تغلب الخوف من التحالف البريطاني الروسي على

---

(١) Cohen, op.cit.,p. 52.

(٢) Ibid., pp. 208 - 209

(٣) عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩ - ١٩٤٧، الرياض، ١٤٠٢، ص ص ١٨٤ - ١٨٧.

(٤) IOR,L/p+s/10/462, No. M-0 1496, Admiralty to India Office, Aug. 25, 1914.

(٥) IOR, L/p+s/10/463, No. 14, Despatch from H.M. Ambassador at Const. summarising Events Leading up to Rupture of Relations with Turkey.

نفوس القادة العثمانيين ،واعتبروا ذلك التحالف موءشرا يدل على أن مصير الدولة العثمانية سيكون التقسيم اذا ما أنتصر الحلفاء ،بينما سيكون الحال عكس ذلك تماما اذا ما أنتصرت المانيا [1]. ولهذا أرتموا فى أتون الحرب فى الثانى من نوفمبر ١٩١٤ (الثالث عشر من ذى الحجة ١٣٣٢هـ) [2] ،وعند ها اصدرت القيادة البريطانية اوامرهالقائد الحملة المتمركزة فى البحرين بمباشرة العمليات الحربية ضد العثمانيين [3]. وجاءت هذه الاوامر فى الوقت الذى

---

(١) زين ،مرجع مز ذكرة ،ص ٥٨

(٢) IOR,L/p+s/10/463, No.P- 4273/1914, Tel. From Viceroy to I.O., Nov. 3, 1914.

ورغم أن الوثائق الرسمية البريطانية - ومنها الوثيقة المشار اليها اعلاه - حددت يوم الثانى من نوفمبر ١٩١٤ بأعتباره اليوم الذى بدأت شبه الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية ،الا أن بعض الكتاب البريطانيين اختلفوا فيما بينهم فى تحديد اليوم الذى بدأت فيه الحرب . فقد ذكر بعضهم أن الحرب نشبت بين الدولتين فى الحادى والثلاثين من اكتوبر ،راجع :

Wilson, op.cit.,p.8.

وذكر البعض الاخر أن اليوم الذى نشبت فيه الحرب هو الأول من نوفمبر ، راجع :

Buchanan, G. The Tragedy of Mesopotamia, Hants, 1971, p.3.

كما ذكر البعض أيضا أن الحرب بين الدولتين اعلنت فى الخامس من نوفمبر ،راجع :

Miller, W., Ottoman Empire and its Successors 1801-1927, London, 1966, p. 524.

(٣) Clayton, G., Britain and the Eastern Question, Missolongi to Gallipoli, London, 1971, p. 233.

كانت فيه الحملة قد هيأت نفسها بالفعل للزحف بعد أستقرارها في البحرين منذ الثالث والعشرين من أكتوبر (الثالث من ذى الحجة) [١]. ولهذا زحفت تلك القوة على الفور نحو الشمال واحتلت مدينة الفاو عند مصب شط العرب في الخليج في السادس من نوفمبر (السابع عشر من ذى الحجة) [٢] ،فكانت بذلك أول أرض عراقية خضعت للاحتلال البريطاني .

هذا وفي حين كان الجانب البريطاني قد أستعد لاحتلال البصرة ، كانت القيادة العثمانية ترسل كل القوات المتيسرة لديها نحو الجبهة مع روسيا ،ولم تعط للبصرة أهمية تذكر في خططها الحربية. اذ انها اعتبرت العراق كله ساحة حرب من الدرجة الثالثة يمكن الدفاع عنها بقوات الدرك وحرس الحدود مع من ينضم لهم من القبائل . ولهذا لم يبق في البصرة والزبير والفاو من القوات النظامية الا ثلاثة الاف وستمائة جندى اغلبهم من جنود الاحتياط غير المدربين ،وألف من رجال الدرك ، تعززهم ثلاث بطاريات من المدفعية. وكان اغلب اولئك الجند في حالة مادية سيئة جدا مما سبب أستياءهم الشديد ،حتى لقد حدثت في صفوفهم ستمائة حالة هروب منذ اعلان التعبئة العامة. [٤]

---

(١) IOR,L/p+s/10/463, Tel. From Viceroy to I.O., Oct.28, 1914.

(٢) البزاز، مرجع مر ذكره ،ص ٦٧ .

(٣) محمد أمين العمري ،تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى ١٩١٤ - ١٩١٨ ،بغداد، ١٩٣٥ ،ج ١ ،ص ٨ .

(٤) IOR,L/p+s/10/462, No. 999, Tel. From Sir L. Mallet to F.O., Oct. 17, 1914.

ويبدو أن القيادة العثمانية حاولت تعويض هذا النقص في قواتها النظامية عن طريق دعمها بالمتطوعين من ابناء القبائل، فقد وصل جاويد باشا والى بغداد وقائد القوات العثمانية الى البصرة، وطلب من عجمي السعدون أن ينضم باتباعه للقوات التى أعدت للدفاع عن المدينة، فأستجاب عجمي للطلب بعد أن أشترط بعض الشروط، وتوجه بعد ذلك مع اتباعه الى البصرة فوصلها في الحادى والعشرين من اكتوبر ١٩١٤م (الاول من ذى الحجة ١٣٣٢هـ) ثم أنضم للقوات الحكومية المعسكرة بين البصرة والفاو استعدادا لصد الهجوم البريطانى المتوقع (١). كما طلب أنور باشا وزير الدفاع العثمانى فى نوفمبر ١٩١٤م (ذى الحجة ١٣٣٢هـ) من الامير عبد العزيز آل سعود جمع قواته والتوجه بها لمساعدة القوات العثمانية فى الدفاع عن البصرة، ولكن الأمير اعتذر عن عدم تلبية الدعوة لانشغاله ببعض المشاكل الداخلية. (٢) وقد ضغطت السلطات العثمانية من جانب آخر على السيد طالب النقيب للقيام بالتأثير على أنصاره من شيوخ العشائر فى البصرة للأشتراك فى الأستعدادات الدفاعية الجارية، ولكنه تهرب من الاستجابة على حد قوله. (٣)

---

(١) النبهانى، مصدر مر ذكره، ص ١٥٣ ومابعدها

(٢) R/15/25, No. c 48/49 of 1914, Political Agent, Kuwait, to the Political Resident in the P. G., Nov. 21, 1914.

(٣) I.OR, ,R/15/5/25, Lie.Col.Sir P.Z.Cox to the Sec to the Gov of India in the Foreign and Political Dept., Enclosure No. 4, letter from Saiyid Talib to Sir P.Z. Cox, dated the 23rd Muharram 1333(10/12/1914).

ولم تنفع كل تلك المحاولات في صد الزحف البريطاني نحو البصرة، لأن القوة الاساسية التي واجهته وهي القوة النظامية كانت قوة ثانوية ذات قيادة سيئة ومقاتلين غير متحمسين (١). ولذلك ماكادت تلك القوة تصطدم بالغزاة في السابع عشر من نوفمبر ١٩١٤م (الثامن والعشرين من ذي الحجة ١٣٣٢هـ) حتى تشتت المقاتلون من ابناء القبائل وهم مستاؤون جدا من المعاملة التي تلقوها من رفاق السلاح الترك، كما صدرت الاوامر للبقية الباقية من القوات النظامية بالانسحاب نحو البصرة بأقصى سرعة (٢). اذ كان عزم جاويد باشا قد أستقر على الانسحاب من مدينة البصرة ، فغادروها بالفعل ومعه وكيل والي البصرة وقائد حاميتها صبحي بك ومن بقى معهما من القوات عن طريق النهر نحو القرنه في الحادى والعشرين من نوفمبر ١٩١٤م (الثالث من محرم ١٣٣٣هـ) (٣).

وقد أدى انسحاب القائدين العثمانيين بذلك الشكل غير النظامي الى نتائج سيئة في مدينة البصرة، أذ أخذ بعض أفراد العشائر يقومون بأعمال النهب والسلب فيها ، كما تخلف في المدينة عدد من الجند العثماني لايدرون ماذا يفعلون. وقد وصل في تلك الاثناء للمدينة عجمي

---

(١) Branddon, Russell, The Siege, London, 1969,p. 23.

(٢) IOR,L/p+s/10/463, No. 616, Tel. From Sir P. Cox to Foreign, Delhi, Nov. 25,1914.

(٣) IOR,L/p+s/10/463, No. 47B, Tel. From Sir P. Cox to Foreign, Delhi, Nov. 21, 1914.

السعدون قادما من ميدان المعركه فحاول مواجهة الموقف بالحد من اعمال السلب والنهب،ثم جمع من تبقى من القوات الحكومية ورحل بهم نحو الشمال الى الخميسية (١) . ورغم ذلك فحين دخلت القوات البريطانية المدينة في الثاني والعشرين من نوفمبر ١٩١٤م (الرابع من محرم ١٣٣٣هـ) ورفعت فيها العلم البريطاني ، وجدت هناك عدة مئات من الجنود الجرحى وكميات من البنادق والمدافع(٢) . وهكذا سقطت مدينة البصرة بقعقعات السيوف لا بمبارزة حقة على حد تعبير أحد الكتاب (٣) ،وانتهى فيها الى الابد الحكم العثماني بعد أن أستمر قرابة ثلاثمائة وثمانين عاما . (٤)

ولاريب أن سقوط البصرة كان نتيجة لسوء الاعداد والتخطيط الذى ارتكبته القيادة العسكرية العثمانية ، ويكفى للتدليل على ذلك السوء القول بأن خبر سقوط الفاو بأيدى الغزاة لم يصل لعلم القيادة فى البصرة الا عن طريق الموظفين المدنيين الذين هربوا من تلك المدينة نحو البصرة(٥) . ويبدو أن تلك القيادة كانت تحاول تغطية ضعفها عن طريق التعلق بالاوهام ،اوانها كانت تخادع الناس بها ، ففى الرابع عشر من

---

(١) النبهاني ،مصدر مر ذكره ،ص ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) IOR,L/p+s/10/463,No.606, Sir P. Cox to the Sec. of State for India, Nov. 23,1914.

(٣) Millar, Ronald, Kut: The Death of an Army, London, 1969,p.4.

(٤) عبدالقادر باش أعيان العباسي ،البصرة فى ادوارها التاريخية ، بغداد ، ١٩٦١م ،ص ٦٩ .

(٥) محمود شبيب ،جوانب مثيرة من تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٢١ ، بغداد ، ١٩٧٧ ،ص ٩ .

ديسمبر ١٩١٤م (السادس والعشرين من محرم ١٣٣٣هـ) أبرق قائمقام سوق الشيوخ لوالي بغداد يخبره بأن يوسف بن عبد الله السعدون تلقى أخبارا من احمد الصانع أحد وجهاء مدينة البصرة تفيد بأن السفن الالمانية وصلت الى الفاو ،وان وصولها أضطر الانجليز الى تحميل معداتهم على ظهور السفن والانسحاب الى البحر هربا من المواجهة. وقد أمر والي بغداد بنشر البرقية على الملأ ، فكان لها بين العامة وقع شديد سبب حالة من الهياج في المدينة. (١)

وهنا يجدر بنا أن نلقي نظرة عليا لقوة الرئيسة التي كانت موجودة في البصرة ،وهي قوة السيد طالب النقيب وانصاره ،لنتعرف على موقفها ازاء دخول القوات الغازية الى المدينة. والحق أن التعرف على موقف تلك القوة يعني بدرجة أساسية التعرف على موقف زعيمها السيد طالب ،الذي كان رأي الاوساط البريطانية فيه شخصيا رأيا سيئا لحد كبير(٢) ولكنهم رغم ذلك أجروا معه أتصالات حثيثة قبيل دخول الدولة العثمانية للحرب، هدفها بحث امكانية تعاونه مع البريطانيين ،ولكن تلك الاتصالات لم تتمخض من اية نتيجة لاصرار السيد طالب على الحصول من الحكومة البريطانية على وعد بتعيينه شيخا أو أميرا للبصرة تحت الحماية البريطانية بعد أن يتم أحتلال المدينة من قبل القوات البريطانية (٣). بينما لم تشأ السلطات البريطانية أن تمنحه مقابل مساعداته لها أثناء الحرب اكثر من ثلاثة

---

(١) N.A.R.S.,RG 84, File No. 703, Am. Cons. at Bagdad,to Am. Cons. Gen at Const., Dec. 20, 1914.

(٢) محمود شبيب ،اسرار عراقية في وثائق انجليزية وعربية والمانية ١٩١٨ - ١٩٤١ ،بغداد، ١٩٧٧، ص ٣٩.

(٣) IOR,L/p+s/10/463,No. 162, Tel.from British Cons. at Mohammarah to the Sec. to the Gov of India.

أمور هي : اعفاء بساتين نخيله الواقعة حول البصرة من الضرائب ، وحمايته من انتقام الترك ، والمحافظة على الامتيازات الموروثة له ولعائلته . (١)

وفي حين وصلت اتصالاته مع البريطانيين الى طريق مسدود ، كان السيد طالب يتعرض من جهة أخرى لضغط السلطات العثمانية لدفعه نحو التعاون معهما ولذلك فضل مغادرة البصرة الى نجد متظاهرا بالسعي لاقناع الامير عبد العزيز آل سعود بالاشتراك في الحرب الى جانب العثمانيين(٢) وقد جرت عليه مغادرته تلك غضب الجانبين معا ، ففي الوقت الذي أحالته السلطات العثمانية الى ديوان الحرب العرفي في بغداد بتهمة تدبير اغتيال فريد بك وصاحبه والاستعداد لتسليم البصرة للعدو البريطاني (٣) ، غضب منه البريطانيون لعدم موافقته على عروضهم ورفضوا الموافقة على رجوعه من نجد للبصرة بعد احتلالهم لها ، رغم تملقه اياهم برسائل عديدة ، ورغم توسط الامير عبد العزيز آل سعود له عندهم (٤) . ثم انه سلم نفسه لهم بعد ذلك فنفوه الى الهند ولم يعد الى العراق الا في سنة ١٩٢٠ (١٣٣٨ هـ) (٥) أما انصاره فقد انفرط شملهم بمجرد مغادرته للبصرة ، فلم

---

(١) IOR,L/p+s/10/463, No. 963S, Tel. from the Sec. to the Gov. of India, to the P.R. in the p. G.

(٢) شبيكة ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٣ و ٣٤ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٥٠ . وانظر أيضا : فيضي ، مصدر مر ذكره ، ص ١٨٨ - ١٩٩ .

(٣) الزوراء ، السنة ٤٧ ، العدد ٢٥٢٩ ، ٨ شوال ١٣٣٣ هـ .

(٤) IOR,R/15/5/25, Sir P. Cox to the Sec. to the Gov. of India (with Six enclosures).

(٥) Wilson, op.cit.,p. 18.

يعرف لهم دور يذكر ضد الغزاة او معهم.

وكما اهتمت الحكومة العثمانية قبيل دخولها الحرب بكسب القبائل الى جانبها ، أبدت السلطات البريطانية اهتماما مماثلا بالفكرة في الفترة نفسها . ولكن ذلك الاهتمام خالطته تحفظات كبيرة من جهات عديدة ، فقد أوصى السفير البريطاني في استانبول حكومته في مايو ١٩١٤م (جمادى الثانية ١٣٣٢هـ) بالامتناع أو - على الأقل - تأجيل أي عمل من شأنه أن يؤدي الى غليان عربي عام يهدد سيطرة الحكومة العثمانية على ولاياتها العربية في آسيا . في حين توصلت الاوساط الرسمية في لندن في رجب ١٣٣٢هـ/يونيه ١٩١٤م الى قناعة مفادها : "أن التعامل مع الاتراك أجدى من التعامل مع مجموعة من قادة الرعاع الخوانين الذين لا يصونون حرمة شيء على الاطلاق" (١) . وحتى بعد اندلاع الحرب العالمية في أوربا ظلت بعض الجهات الرسمية البريطانية متخوفة مما أسمته "النهابون العرب" ، الذين هم - برأيها - مشكلة صعبة يمكن أن تثور في اية لحظة اذا مادخلت الدولة العثمانية الحرب . (٢)

وقد شرح المقيم السياسي البريطاني في الخليج وجهة النظر تلك عند حديثه عن امكانية التعاون مع قبائل ولاية البصرة اذا مادخلت الدولة العثمانية الحرب، فكتب في العشرين من اغسطس ١٩١٤م (السابع والعشرين من رمضان ١٣٣٢هـ) قائلا :-" فيما يتعلق بالجزء الذى هو في محيطي

---

(١) عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم ، حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي ، الرياض ، ١٤٠١ ، ص ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢) IOR,L/P+s/10/462, No. 991, the P.R. in the P.G., to the Sec. to the Gov. of India, Aug. 19, 1914.

يبدو أن تحريك هجوم عربي على البصرة واثارة القبائل على ضفاف دجلـــــة أمر سهل جدا . وليس من غير المحتمل في حالة كتلك أن المصالح البريطانية بل وكل المتحضرة في الحقيقة ، ستتضرر بدرجة متساوية. وسوف لن يكون هنالك تأثير كبير على مجرى الحرب ناتج عن أن القوة الحربية غير المهمة التي يسعـى الباب العالي لجمعها ويأمل في ارسالها لاستانبول - طبقا للتقارير التـــي استلمتها - سوف تستبقى لأغراض دفاعية محلية . وهنالك في الواقـــــع احتمال كبير لثورة من جانب العرب بدون أي تدخل من جانبنا ، ويجــــــب أن تكون سلامة السكان الاوربيين في البصرة وبغداد محل اهتمام اكثــــــر جدية . " وطالب المقيم في النهاية بترحيل كل الاوربيين من البصرة وبغـداد قبل القيام بالهجوم على البصرة لأن" احتلال البصرة سيكون اشارة البـــدء لعصيان مسلح شامل على طول نهر دجلة ولهجوم على بغداد أيضا . . . "(١)

وقد كان العامل الاساسي في ثقة البريطانيين المفرطة بتحرك القبائل ضد الحكومة العثمانية حال دخولها الحرب عائدا لقناعتهم الراسخـــــة بأفتراض مفاده أن الاكثرية الشيعية في وسط وجنوب العراق كانت مستاءة من الادارة العثمانية وانها سوف تغتنم الفرصة السانحة فتعلن الثورة (٢) . وكانوا يعدلون من ناحية ثانية على الجهد الذي يمكن أن يقوم به كل مـــن شيخـــــي الكويـــــت والمحمرة في هذا السبيل ، ففي شهر سبتمـــــبر

IOR,L/p+s/10/462, No. 996, the P.R. in the P.G. to the (١) Sec. to the Gov. of India, Aug. 20, 1914.

(٢) شبيكه ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٠ .

١٩١٤م (شوال ١٣٣٢هـ) أكد نائب الملك في الهند على قدرة الشيخين - من خلال نفوذهما في المنطقة الممتدة بين الفاو والقرنه - على اثارة عصيان عربي فعال في تلك المنطقة ، ولكنه اعرب عن عدم تحبيذه لسلوك هذا السبيل خوفا على أرواح ومصالح الاوربيين هناك (١)

ولكن تحفظ البريطانيين ازاء فكرة الاستعانة بقبائل ولاية البصرة لم يمنعهم من القيام ببذل بعض الجهود لكسب ود تلك القبائل والحيلولة دون وقوفها بوجه القوات البريطانية اذا ما زحفت لاحتلال البصرة. ففي سبتمبر ١٩١٤م (شوال ١٣٣٢هـ) اقترح المقيم السياسي البريطاني في الخليج على حكومته الموافقة على الايعاز لشيخ الكويت لاختيار مندوب جدير بالثقة من جانبه وارساله لمنطقة شط العرب. ويقوم هذا المندوب حال دخول الدولة العثمانية الحرب بتوجيه عشائر المنطقة وسكانها لعدم التصدى للسفن والقوات البريطانية المتجهة للبصرة ، ويستعين هذا المندوب على انجاز مهمته برسل يختارهم ويرسلهم من مقره في الفاو الى فلاحي بساتين شيخ الكويت في المناطق المجاورة. (٢) وقد أقرت حكومة الهند هذا الاقتراح على ان لا ينفذ الا بعد صدور تعليماتها . (٣)

---

(١) IOR,L/p+s/10/462, No. 701S, The Sec. to the Gov. of India to the P.R. the P.G., Sep. 6, 1914.

(٢) IOR,L/p+s/10/463, No. CF 235, Major Knox to the Foreign Sec. to the Gov. of India, Sep. 14, 1914.

(٣) IOR, L/p+s/10/463, No. S804, the Sec. to the Gov. of India to Major Knox. Sep. 26, 1914.

ويتصل بهذا المسعى ، حرص السلطات البريطانية على تنظيم خدمة استخبارية في جنوب العراق عن طريق تجنيد عدد من العناصر العربية ، للقيام بالتأثير على سكان تلك المنطقة ، اضافة الى جمع المعلومات التي تهم القيادة العسكرية البريطانية . ومن اجل ذلك قام مكتب الاستخبارات البريطانية في القاهرة بأختيار بعض الاشخاص بدعوى انهم ممثلون لزعماء عرب مقيمين في القاهرة ووجههم الى مختلف المناطق العربية ، وخصص ثلاثة منهم لمنطقة الخليج ، حيث غادروا ميناء السويس في السادس والعشرين من اكتوبر ١٩١٤م (السادس من ذي الحجة ١٣٣٢هـ) متجهين الى بومباي ومنها يتجهون الى الكويت التي تقرر أن تكون مركز انطلاقهم لتنفيذ مهامهم . (١)

ويحسن أن نذكر هنا بأن الافتراض البريطاني القائل بأن القبائل ستعلن الثورة ضد الحكومة العثمانية بمجرد احتلال القوات البريطانية للبصرة ثبت أنه أفتراض خاطئ كلية ، فقد تم احتلال البصرة بالكيفية التي بيناها ولكن تلك الثورة لم تنشب . وبالرغم من أن سكان المنطقة الممتدة بين الفاو والقرنه لم يجابهوا القوات البريطانية بمقاومة عنيفة ، الا أن شيوخ تلك المنطقة ظلوا مخلصين الدولة العثمانية ، ولم يقدم الا أحد مشايخ القرنه وشيخ الزبير وشيخ قرية الهارثة المجاورة للبصرة تأييدا صريحا للغزاة . وقد علل مسئول بريطاني عاش أحداث تلك الفترة موقف اغلبية الشيوخ بأنه عائد لعدم تقديم البريطانيين ضمانات قاطعة لهم ، تنفي أي احتمال بعودة الترك المنسحبين في المستقبل ، ولذلك فضلوا أن يظلوا بعيدين عن التورط خوفا من عودة الترك وانتقامهم. (٢)

---

(١) IOR,R/15/5/25, Tel. No. 4D – C, Foreign, Delhi, to P.R. Bushire, Nov. 2, 1914.

وقد وردت اسماء اولئك الاشخاص في هذه الوثيقة كالاتي : عبد العزيز والعتيقة ElAtika ومحيي الدين الخطيب .

(٢) Wilson, op.cit., pp 16-20.

ولكن أعراض الشيوخ عن البريطانيين لم يجعل هؤلاء يكفون عن التفكير في الاستفادة من تعاون القوى القبلية، بل أن احتلالهم للبصرة واحتمال تطور عملياتهم الحربية نحو الشمال جعل ذلك التفكير اكثر جدية. ويبدو من ناحية أخرى ان تفوق القوة البريطانية الواضح وتمكنها من احتلال البصرة بسهولة قد أغرى بعض الشيوخ بتقبل فكرة الاتصال بهم، ومن ذلك ما أنفردت بذكره المصادر البريطانية عن الاتصالات التي جرت مع عجمي السعدون قريبا من الوقت الذي تم فيه احتلال البصرة (١). وقد روى ان عجمي هو الذي بادر بالاتصال بالبريطانيين حين أرسل معتمده محمد العصيمي لمقابلة السير برسي كوكس رئيس الضباط السياسيين المرافقين للحملة، فأوضح الرسول لكوكس ان زعيمه يتظاهر فقط بالتعاون مع الترك، وانه يرغب في الاستسلام للبريطانيين وتسليمهم أربعة آلاف بندقية تركية موجودة لديه الآن. وقد علق البريطانيون نتيجة لذلك العرض أمالا واسعة على وقوف عجمي على الحياد ان لم يكن تعاونه الفعال معهم. (٢)

ولا تذكر المصادر البريطانية المطالب التي قدمها عجمي مقابل عرضه هذا، بل تكتفي بالقول انه ساوم دون أن تبين كنه المساومة (٣) ولكن يبدو أن المفاوضات حولها بين الطرفين عبر العصيمي وقنوات اتصال أخرى طالت ولم تصل الى نتيجة محددة فأضطر كوكس لاخذ زمام المبادرة في الثلاثين من يناير ١٩١٥م (الرابع عشر من ربيع الاول ١٣٣٣هـ) حين أرسل لعجمي

---

(١) بل، مصدر مر ذكره، ص ص ١١ - ١٢.

(٢) Wilson, op.cit., p. 16.

(٣) Longrigg, op.cit., p.79.

عارضا اجراء لقاء بينهما في الشعيبة ، وألح على استلام الجواب خلال ثلاثة أيام لضيق الوقت . فكان الجواب الوحيد الذى تلقاه هو أن عجمي يخشى أن تسوء سمعته اذا ماتخلى عن الترك بدون سبب ، وانه سيجد مستقبلا العذر الذى يتركهم بسببه . وقد علل البعض هذا الرد الذى أنهى الاتصالات بين الجانبين بأن عجمي لم يكن قد حزم أمره وأختار الجانب الذى سيقف معه ، فهو وان كان لا يثق بالترك الا أنهم وعدوه باعطائه كل الاراضي السنية في ولاية البصرة ، بينما لم يعده الانجليز الا بالقليل او بلا شيء على الاطلاق . وهو يشك أضافة لذلك بكونهم يعملون بالتنسيق مع خصمه اللدود السيد طالب النقيب وانصاره ولذلك أختار أن يرمى بثقلة وللابد بجانب الترك (١)

هذا ولم يقتصر سعى البريطانيين في سبيل الاستفادة من القوى القبلية في محاربة القوات العثمانية فيما وراء البصرة على محاولاتهم مع عجمي ، بل انهم كانوا يبحثون عن سبل أخرى توصلهم لنفس الهدف . فقد اجتمع " عزيز على المصرى" (٢) مع أحد المسئولين البريطانيين في القاهرة في ديسمبر ١٩١٤م (صفر ١٣٣٣هـ) وطرح عليه فكرة القيام بثورة في العراق تكون نواتها أنصاره من الضباط العرب العاملين في الجيش العثماني بالعراق ،

(١) Wilson, op.cit., p. 19.

(٢) مصرى من أبوين شركسيين ، عمل ضابطا في الجيش العثماني ، وانضم لجمعية الاتحاد والترقي السريه واصبح من اعضائها البارزين ، ولكنه اختلف معها وانخرط في النشاط السرى العربي في استانبول فأعتقل وحكم عليه بالاعدام ثم أعفي عنه ورحل للقاهرة في جمادى الاولى ١٣٣٢هـ/ نيسان ١٩١٤م . انضم لثورة الحجاز سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م ولكنه اختلف مع القائمين عليها فرجع للقاهرة ومنها نفي الى اسبانيا الى نهاية الحرب العالمية ، وفي عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م عين رئيسا لاركان الجيش المصرى ثم اقيل وفرضت عليه الاقامة الجبرية ، توفي في عام ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م ، راجع :

Khadduri, Majed, Arab Contemporaries, Baltimore, 1973, pp 7-13.

الذين سيستقطبون ولاء القبائل العراقية ويجندونها ضد الترك ، واهتمت السلطات البريطانية بالفكرة ، واجتمع السير برسي كوكس بناء على أقتراح عزيز المصري بأحد الضباط العراقيين في البصرة وهو " نوري السعيد " (١) وسأله عن تفصيلات الفكرة فأوضحها له وعرض عليه استعداده للسفر لمقابلة بعض شيوخ القبائل . ولكن نائب الملك في الهند علق على ذلك بقوله ان مشروعا كهذا لايمكن أن يكتب له النجاح لأن شيوخ القبائل ورجالها متخلفون الى حد بعيد ولن يعيروا انتباها لدعاية شاب متحمس مثل نوري (٢).

ولقد كانت نفس الفكرة هي السبب الكامن وراء الرحلة التي قام بها رجل الاستخبارات البريطاني الشهير لورنس T.E. Lawrence الى مدينة البصرة ومحور اتصالاته هناك (٣). ولكن تلك الرحله لم تؤد أيضا الى أية نتيجة ملموسة ، وكان العامل الاساسي في هذا الاخفاق عائدا لرفض حكومة الهند البريطانية تقديم أي تعهد صريح للعرب مقابل تحركهم المنشود (٤) . وهذا ماجعلهم بلا ريب اكثر استجابة للجهود المضادة

---

(١) ولد في بغداد سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م ثم اصبح ضابطا في الجيش العثماني وشارك بنشاط في الجمعيات السرية العربية في استانبول وهرب قبيل نشوب الحرب العالمية الاولى الى البصرة فألقى الانجليز القبض عليه عند احتلالهم البصرة ثم نفوه للهند وارسلوه من هناك الى مصر فالحجاز للاشتراك في ثورة الشريف حسين سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م وارتبط منذ ذلك الحين بالأمير فيصل بن الحسين الذي تولى عرش العراق واصبح نوري احد رجاله المقربين حتى انه تولى رئاسة الوزارة في العراق خمس عشرة مرة بين سنتي ١٣٤٩ - ١٣٧٧هـ / ١٩٣٠ - ١٩٥٨م. لقي مصرعه سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م. راجع :
Gallman, W., Iraq under General Nuri, Baltimore, 1964, pp. 9 -14.

(٢) شبيكه ، مرجع مر ذكره ، ص ٦٢ و ص ص ٧٤ - ٧٦.

(٣) فيضي ، مصدر مر ذكره ، ص ١٩٩ ومابعدها .

(٤) نظمي وآخرون ، مرجع مر ذكره ، ص ٥٤.

التي كانت السلطات العثمانية تبذلها لكسب ود العراقيين عموما والقبائل بشكل خاص، ولقد كانت حركة الجهاد تتويجا لتلك الجهود .

حركة الجهاد سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٥م:

لجأت السلطات العثمانية من اجل حشد القبائل المساعدة في طرد القوات البريطانية من البصرة وماجاورها الى رجال الدين لاصدار الفتاوى باعلان الجهاد . ولم يكن أمر الحصول على تلك الفتاوى من علماء" السنة" أمرا صعبا ، ولكن الصعوبة كانت في الحصول عليها من علماء" الشيعة" في النجف وكربلاء الذين كانوا يمارسون قدرا كبيرا من التأثير على قبائل ولاية ولاية البصرة ذات الاكثرية الشيعية الواضحة . فعلماء المذهب الشيعي " الاثنا عشرى "(١) وهو السائد في العراق وايران لايعترفون بخلافة السلطان العثماني وهم يعتبرون تلك الخلافة وماسبقها من خلافة العباسيين والامويين خلافة غاصبة سلبت ائمتهم حقهم الثابت في الخلافة والامامة(٢) . هذا بالاضافة الى ماكان يجده اولئك العلماء من مآخذ على بعض السياسات

---

(١) فرقة من فرق الشيعة تحصر حق الامامة في اثنى عشر اماما" معصوما" من آل البيت . والامامة عند هذه الفرقة ليست أمرا دنيويا ولكنها نص من الله سبحانه حدد به اسماء الأئمة وعرفهم تعريفا يقرب من التسمية . واخر الائمة لديهم هو الامام محمد بن الحسن العسكرى الذى" غاب " في سامراء وسيعود للظهور فيملأ الارض عدلا . . راجع تفاصيل ذلك في: احمد محمود صبحي ،نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنا عشريه ،القاهرة ١٩٦٩م.

(٢) فياض ،مرجع مر ذكره ،ص ١١٤ .

العثمانية والتي نتج عنها أن كانت النجف وكربلاء عرضة للمضايقات في بعض الأحيان . (١)

ويبدو أن جهود اقناع العلماء الشيعة باعلان الجهاد قد بدأت قبل دخول الدولة العثمانية الحرب فعليا ، وقد أستعانت السلطات العثمانية لهذا الغرض ببعض النواب الشيعة الذين يمثلون ولاية بغداد في مجلس المبعوثان(٢). ومقابل هذا بذل البريطانيون جهودا مضادة للتأثير على مواقف أولئك العلماء فحين سرب أحد النواب ويدعى مهدي بك للبريطانيين أخبار تلك المساعي العثمانية ، كتب السفير البريطاني في استانبول الى نائب الملك في الهند في الثاني والعشرين من ذي القعدة ١٣٣٢هـ/الاول من اكتوبر ١٩١٤م يطلب منه التحقق بواسطة وكيل القنصل البريطاني في كربلاء من ميول العلماء ، ووجوب ممارسة وكيل القنصل التأثير عليهم لصالح بريطانيا من خلال استغلال انتفاعهم المادي من" وصية أوض "Oudh Bequest"(٣)

ومن الملفت للنظر هنا أن المحاولات العثمانية لاقناع أولئك العلماء استغرقت وقتا طويلا اذا لم تصدر الفتاوى المطلوبة باعلان الجهاد الا في شهر

---

(١) فاروق صالح العمر ، حول سياسة بريطانيا في العراق ١٩١٤ -١٩٢١ م، البصرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٢ .

(٢) شبيكه ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٢ .

(٣) IOR,L/p+s/10/463, Tel.P., Amb. Const., to Viceroy Oct. 1, 1914.

وأوض مقاطعة هندية توفي حاكمها سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م بعد أن كان قد عقد اتفاقية مع حكومة الهند أوصى فيها بأن توزع ايرادات ارثه على الشيعة الهنود ثم الفرس ثم العراقيين ، وخص العاكفين على الدراسات المذهبية بنصيب متميز ، وكان نصيب الشيعة العراقيين يتم توزيعه عن طريق الممثليات البريطانية في العراق . راجع :
الشناوي ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ص ٨١٠ - ٨١٢ .

صفر ١٣٣٣هـ/ يناير ١٩١٥م[١] . ورغم ذلك يظهر أن استجابة العلماء لم تكن بدرجة واحدة من الحماس،فعلى الرغم من أن معظمهم استجابوا للطلب الحكومي واستندوا في فتاواهم الى مبدأ يقره غالبية العلماء الشيعة وهو جواز القتال تحت راية الحاكم الغاصب اذا كان الغرض من القتال هو حماية الثغور الاسلاميه[٢] ،الا أن القنصل الامريكي في بغداد أشار في نوفمبر ١٩١٤م(ذي الحجة ١٣٣٢هـ) الى أن السلطات العثمانية تبذل جهودا عظيمة من اجل اقناع من أسماه " زعيم كل المسلمين" في النجف لاعلان الجهاد ،الا انه رفض الاستجابة لأن الحرب الدائرة حرب لمصلحة الالمان وليست لمصلحة المسلمين .[٣] ولعل ذلك الزعيم الذي قصده القنصل هو السيد كاظم اليزدي - أبرز العلماء الشيعة - الذي ذكر ديكسون انه قاوم الجهود العثمانية لاضفاء الصبغة الدينية على عملية صد الغزو البريطاني ،وادعى ديكسون أنه ترتب على موقفه ذلك أن القوات البريطانية التي كانت تزحف في العراق وجدت أربعة اخماس السكان يميلون لصداقتها[٤] ولكن بعض المراجع العربية تشير الى أن السيد كاظم ساهم في حركة الجهاد بأن أرسل ابنه وبعض اتباعه للاشتراك في حث القبائل على قتال الغزاة .[٥]

---

(١) Wilson, op.cit.,p. 22.

(٢) فياض ،مرجع مر ذكره،ص ١١٤ .

(٣) N.A.R.S.,RG 84, File No. 703,No. 18, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Nov. 4, 1914.

(٤) Dickson,Kuwait...,p.178.

(٥) الأسدي ،مرجع مر ذكره،ص ٩٢ .

واذا كان بعض العلماء لم يتحمسوا كفاية لدعوة الجهاد ،فأن بعضهم الآخر كان على العكس تماما ،اذ أظهر لتلك الدعوة حماسا كبيرا ،فلم يكتفوا باصدار الفتاوى وحسب ،بل شخصوا بأنفسهم لحث القبائل على الاشتراك في الجهاد ،وحرصوا على أن يشاركوا فعليا في ميادين القتال ،وقد خرجوا على رأس من أستجاب لهم من القبائل وساروا نحو الجبهات المختلفة (١) . وكان أبرزهم في هذا المجال واكثرهم حماسة ونشاطا السيد محمد سعيد الحبوبي الذي دفعته حميته الدينية الى رهن املاكه الخاصة من اجل تدبير نفقات المجاهدين الذين استجابوا له اثناء تطوافه في ديار القبائل داعيا للجهاد وحاثا على قتال الغزاة (٢) .

ويحسن هنا التعرف على مدى استجابة القبائل لنداء الجهاد ،فيلاحظ أن تلك الاستجابة مرت بطورين ، كانت في أولهما وهو الذي سبق صدور فتاوى العلماء ضعيفة بصورة واضحة ،حتى لقد اشار القنصل الامريكي في بغداد في برقيته المؤرخة في السادس من نوفمبر ١٩١٤م (السابع عشر من ذي الحجة ١٣٣٢هـ) الى ان السلطات المحلية أرسلت تعميما للقبائل القاطنة بين بغداد والبصرة تدعوها فيه لحمل السلاح ،ولكن تلك القبائل لم تستجب للدعوة ،وانخدع القنصل بما حدث فأعتقد ان ذلك عائد لميل تلك القبائل للبريطانيين (٣) . أما في الطور الثاني الذي أعقب صدور الفتاوى فقد اختلفت الآراء في تقدير مدى تلك الاستجابة ،اذ أشارت جريدة ولاية بغداد الرسمية " الزوراء " الصادرة حينئذ الى أن الاستجابة كانت

---

(١) الاسدي ،مرجع مر ذكره ،ص ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) فياض ،مرجع مر ذكره ،ص ١٥٣ .

(٣) N.A.R.S.,RG 84,File No. 793, No. 20, Am. Cons. at Bag. to Am. Emb. at Const., Nov. 6, 1914.

واسعة النطاق (١) ، وكرر هذا القول بعض الكتاب العراقيين المحدثين (٢) ، ولكن كاتبا بريطانيا كان معاصرا للاحداث ذكر أن صدى دعوة الجهاد كان ضعيفا وأن القبائل التى استجابت لها كانت تواقة للغنائم ليس الا (٣) . كما أشار احد شيوخ القبائل المعاصرين الى أن تلك الاستجابة كانت غير متحمسة وانها تمت طاعة لعلماء الدين لا اقتناعا بمساعدة الحكومة العثمانية (٤) .

ورغم كل ذلك التعارض، فالذى لاشك فيه ان استجابة القبائل للدعوة كانت واضحة لدرجة أضطرت معها المراجع الرسمية البريطانية الى محاولة تحليل أسباب تلك الظاهرة التى خيبت كل توقعاتها التى ذكرناها ،آنفا عن موقف القبائل . فقد فسر وزير الهند الظاهرة بأنها تعود الى اقتناع القبائل بأن الترك يدافعون عن الاسلام ، ولكن الوكيل السياسى البريطانى الذى كان فى موقعه القريب من ساحة الاحداث يراقب مايجرى عن كثب نفى صحة ذلك التفسير وعزا أسباب تلك الظاهرة الى عوامل متعددة ، منها عدم معرفة القبائل للبريطانيين ، وتعودهم لاجيال طويلة على الحكم العثمانى ، ورغبة مشايخ القبائل فى الحفاظ على مصالحهم المرتبطة بالترك ، وطمع أفراد القبائل بالحصول على الغنائم ، اضافة الى مامارسته السلطات

---

(١) الزوراء ، السنة ٤٧ ، العدد ٢٤٩٣ ، ٢٢ محرم ١٣٣٣ هـ .

(٢) الاسدى ، مرجع مر ذكره ، ص ٩٠ ، وايضا : العمر ، حول سياسية بريطانيا فى العراق ، ص ١٢ .

(٣) Longrigg, op.cit.,p. 84.

(٤) فريق المزهر الفرعون ، الحقائق الناصعة فى الثورة العراقية سنة ١٩٢٠م ونتائجها ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ٣٨ .

العثمانية على بعض القبائل من ضغط واكراه [١] . فى حين عزا البعض الآخر سبب تلك الظاهرة الى خضوع العرب لتأثيرات وكلاء الالمان والترك الذين أثاروهم ضد الانجليز [٢] . ومهما يكن من أمر ذلك التعارض فى الاراء حول استجابة القبائل للجهاد ، فأن مايهمنا الآن هو التعرف على مساهمتها الفعلية فى المعارك التى جرت فى الجبهات الثلاث المحدقه بالبصرة وهى جبهة الشعيبة وجبهة القرنه وجبهة عربستان .

ولا مفر من الحديث أولا عن جبهة الشعيبة لانها الأهم من حيث حجم معاركها ونتائجها الحاسمة ، ويلاحظ هنا أن الكتاب اختلفوا حول مدى مساهمة القبائل فيها اختلافات كثيرة . اولها يتعلق بعدد القوات القبلية التى ساهمت فى المعارك هناك ، ففى حين قدرها البعض بثمانية عشر ألف رجل [٣] ، رفع آخرون العدد الى عشرين الف رجل [٤] ، وبالغ احد الكتاب فجعل المشاركين من افراد القبائل ثلاثين ألف راجل وعشرة آلاف فارس [٥] . ورغم كل ذلك التضارب فيبدو أن العدد كان كبيرا فى بداية الامر ثم أخذ يتناقص قبل بدء المعارك تدريجيا نتيجة لانسحاب العديد من العشائر

---

(١) شبيكة ، مرجع مر ذكره ، ص ص ١٢١ - ١٢٥ .

(٢) Millar, op.cit., p. 4.

(٣) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ١١ . وأيضا : Wilson, op.cit.,p. 33.

(٤) شكرى محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨ ، ط ٨ ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ٣١ . وانظر أيضا :
Barker, A.J.,The Neglected War, Mesopotamia 1914-18, London, 1967,p.67.

(٥) الاسدى ، مرجع مر ذكره ، ص ٩٢ .

لاسباب اهمها النقص في التموين حتى أصبح العدد عند نشوب المعركة الحاسمة يتراوح بين عشرة واربعة عشر ألف مقاتل [1] ،انضموا للقوات النظامية العثمانية التي كان عددها يتراوح بين سبعة الاف وستمائة [2] واثني عشر رجل [3] . وقد كان اكثر من نصف اولئك المجاهدين ينتمون لقبائل المنتفق [4]، ولذلك فقد قسمت قوات المجاهدين ثلاثة أقسام، قاد القسم الاول منها العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي وقاد الثلث الثاني عجمي السعدون بينما اوكلت قيادة الثلث الاخير لعبد الله الفالح السعدون [5] .

ولقد كان البريطانيون يرصدون تطورات حركة الجهاد أولا بأول ،ويبدو أنهم أرادوا تثبيط همم شيوخ القبائل ،فأصدروا رسالة تحذير لاولئك الشيوخ وصفوهم فيها بأنهم حكماء ولا يمكن أن يستجيبوا للخداع الذي يمكن أن يكون أفراد قبائلهم عرضة له. واضافت الرسالة ان البريطانيين دخلوا الحرب مكرهين نتيجة لمؤامرات الالمان وتحريضاتهم للترك على ارتكاب الاعمال العدوانية ضدهم، ولذلك فأن الحرب محصورة بين البريطانيين والترك، وليس بين البريطانيين وبين العرب أي صراع ،كما أنهم لا ينوون الاساءة لدين العرب الذين عليهم بالمقابل أن يلزموا جانب الحياد في هذه الحرب [6].

---

(١) نديم، مرجع مر ذكره، ص ٣١ ، وايضا شبيكه ،مرجع مر ذكره، ص ١٢٣ وأيضا : Barker, op.cit., p. 70.

(٢) Wilson, op.cit., p. 33.

(٣) Barker , op.cit., p. 70.

(٤) بل ، مصدر مر ذكره، ص ١١ وايضا : شبيكه ،مرجع مر ذكره، ص ١٢٣ .

(٥) فياض ،مرجع مر ذكره، ص ١٥٣ .

(٦) Barker, op.cit., p. 50.

ويبد و انه لم يكن لتلك الرسالة تأثير كبير ، ولذلك اصدر رئيس الضباط السياسيين المرافقين للحملة السير برسي كوكس في الرابع عشر من فبراير ١٩١٥م (الثامن والعشرين من ربيع الاول ١٣٣٣هـ) بيانا أشد لهجة اوضح فيه نوايا بريطانيا الطيبة تجاه العرب ورغبتها في تحريرهم من الظلم التركي ، واشار الى ان بعض الاشخاص قد خدعوا فانضموا الى اعداء بريطانيا وحملوا السلاح بوجه قواتها . وأضاف أن " هذا البيان أصدر من اجل انذار كل الشيوخ والقبائل في ولاية البصرة ، وبضمنها الوحدات الأدارية للبصرة والقرنه والعمارة والمنتفق ، بأنه في حالة ابتعادهم عن طريق الصداقة والحياد وحملهم السلاح للتعاون مع العدو فأن أملاكهم الواقعة ضمن المنطقة الخاضعة للسيطرة البريطانية سوف تعتبر مصادرة للحكومة البريطانية" (١) . ولقد طبقت السلطات البريطانية اجراءات الحجز والمصادرة بالفعل على املاك عبد الله الفالح السعدون ومحمد العصيمي الواقعة في نواحي البصرة (٢) .

ولا يبد و ان كل تلك التحذيرات البريطانية قد أثرت على اقبال أبناء القبائل على التوجه نحو ميدان القتال ، ذلك التوجه الذي بدأ في أوائل سنة ١٣٣٣هـ / أواخر سنة ١٩١٤م ، حيث بدأت المناوشات مع القوات البريطانية بمجرد وصول القائد العثماني العقيد سليمان بك العسكري الذي عين واليا للبصرة وقائدا لقواتها (٣) . وكان ذلك القائد كثير الثقة بالقبائل ، فبنى على تعاونها معه أمالا كبيرة ، وقد ركز جهوده على جبهة دجلة أول الامر ،

---

(١) Wilson, op.cit., p. 312.

(٢) الاوقات ، السنة ٣ ، المجلد التاسع ، العدد ٤٠ ، السبت ٢٥ آب ١٩١٧ .

(٣) الزوراء ، السنة ٤٧ ، العدد ٢٤٩٥ ، ٧ صفر ١٣٣٣هـ .

فبعد وصوله الى مقر قيادته في العزير في العشرين من ديسمبر ١٩١٤ م (الثاني من صفر ١٣٣٣هـ) نظم قواته واخذ يناوش الغزاة المتمركزين في خطوطهم قرب القرنة . ولكن مقامه في الميدان لم يطل كثيرا اذ جرح في العشرين من يناير ١٩١٥م (الرابع من ربيع الاول ١٣٣٣هـ) ونقل الى بغداد للعلاج الذي استمر قرابة شهرين تعرض خلالها الموقف الحربي للجمود . فأخذت القبائل المحتشدة بالتذمر بل واخذ بعضها بالرجوع الى دياره [١]، سيما وانهم كانوا يعانون من مشكلات الاعاشة والتموين ،ولايحتملون خشونة بعض الضباط الترك وعجرفتهم [٢] . تلك العجرفة التي جعلت احدهم يقول بمسمع من شيوخ القبائل بأن الجيش العثماني سيتجه بعد تحرير البصرة نحو مهمة أخرى وهي تأديب قبائل دجلة والفرات،فتصدى له أحد الشيوخ ورد عليه ردا عنيفا . [٣]

تبدد الجمود الذي كان مخيما على الموقف بعودة سليمان العسكري الى الميدان في ربيع الثاني ١٣٣٣هـ/مارس ١٩١٥م [٤] ،وقد ركز القائد جهده هذه المرة على جبهة الفرات فشن بقطعاته النظاميه ومجاهديه هجوما في الاول من جمادى الاولى ١٣٣٣هـ/السابع عشر من مارس ١٩١٥م [٥] ،واحتل

---

(١) نديم ، مرجع مر ذكره ،ص ٣٠
(٢) الاسدي ، مرجع مر ذكره ،ص ٩٢ . وايضا : نديم ، مرجع مر ذكره ،ص ٣٠
(٣) الفرعون ، مرجع مر ذكره ،ص ٤٠ .
(٤) نديم ، مرجع مر ذكره ،ص ٣١
(٥) الزوراء ،السنة ٤٧ ،العدد ٢٥١٠ ،٢٣ جمادى الاولى ١٣٣٣هـ .

موقع " النخيلة" الواقع على ضفة الهور، ثم قدم قواته في العاشر من أبريل (الخامس والعشرين من جمادى الاولى) الى " البرجسية" أستعداد المهاجمة الشعيبة (١) . وقد اعترض قادة المجاهدين على تلك الخطة، واقترحوا على سليمان بك عدم توجيه الهجوم نحو موقع الشعيبة الذى احكم البريطانيون تحصينه طوال الشهور الاربعة الماضية، بل يكتفي بمحاصرة ذلك الموقع وشن الغارات المستمرة على خطوط المواصلات التي تربطه بالبصرة التي يجب أن تكون - برأيهم - هدفا للهجوم الاساسي . ولكن القائد التركي اعتبر تلك الخطة غير عملية واصر على توجيه الهجوم نحو الشعيبة (٢) ، ورتب صفوفه للمعركة واضعا القوات النظامية فى القلب والمجاهدين على الجناحين (٣) .

وتختلف المصادر هنا أيضا فى تقدير الدور الذى لعبته القبائل خلال المعركة الحاسمة التي بدأت في الصباح الباكر من يوم الحادى عشر من أبريل ١٩١٥م (السادس والعشرين من جمادى الاولى ١٣٣٣هـ) وانتهت بعد ذلك بثلاثة أيام. ففي حين اشادت الروايات العراقية بالبطولة التي أبداها رجال القبائل والحماس الذى اظهروه خلال القتال (٤) ، مال بريطاني معاهد شهد الاحداث بنفسه الى التقليل من دورهم ، حتى ليقول انهم

---

(١) Barker, op.cit.,p.70.

(٢) نديم، مرجع مر ذكره، ص ٣١ .

(٣) Wilson,op.cit.,p. 22.

(٤) فياض، مرجع مر ذكره، ص ١٥٤ . وايضا الفرعون، مرجع مر ذكره، ص ٣٩ .

لم يقوموا بشيء اطلاقا (١) ، ولكن وصفا تفصيليا للمعارك اورده كاتب آخر أظهر ان مقاتلي القبائل تحملوا عبئا كبيرا في كل ماجرى خلال تلك الايام لا يقل عما تحملته القوات النظامية العثمانية (٢) . ويؤكد ذلك انهم قدموا من الشهداء حوالي ثلاثة آلاف شهيد أو مايعادل ربع مجموعهم الكلي تقريبا (٣).

ولم يكن كل من شارك في تلك المعارك من شيوخ القبائل على درجة واحدة من الاخلاص والحماس، ففي حين وجد البعض في ذلك التجمع الكبير من رؤساء القبائل والشخصيات فرصة للمؤامرات والمراجعات على حد قول احد الشهود المعاصرين (٤) ، كان البعض الآخر يتقد حماسة واخلاصا . ومن ذلك البعض عجمي السعدون الذي" غدا اسمه مضرب الامثال في الشجاعة والشهامة وحيكت حول اعماله أساطير كثيرة لاتزال تتناقل جيلا بعد جيل ، فقد كان يهاجم المفارز البريطانية ولاسيما الخيالة منها فينقض عليها على رأس فرسانه المتفككين المنتشرين بمسافات متباعدة لتجنب تأثير نار المدافع البريطانية وكان هؤلاء الفرسان يتجمعون في لحظة الهجوم باشارة من عجمي فيهجمون بسرعة البرق الخاطف فيوقعون بالبريطانيين خسائر فادحة ثم يقودهم عجمي بسرعة مذهلة الى حيث تبتلعهم الصحراء . . . . " (٥)

---

(١) Wilson, op.cit., p. 23.

(٢) Barker, op.cit., pp. 70-76.

(٣) نديم ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٣ .

(٤) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٥) نديم ، مرجع مر ذكره ، ص ٣١ .

ولم تنفع تلك البطولات الفردية في تغيير طبيعة النتيجة المفجعـــــه التي انتهت اليها معركة الشعيبة وهي الهزيمة الكاملة للقوات العثمانية والقبائل المساندة لها ، تلك الهزيمة التي هزت اعصاب القائد سليمان العسكـــري فأقدم على الانتحار في الرابع عشر من ابريل ١٩١٥م (التاسع والعشريـــن من جمادى الاولى ١٣٣٣هـ)[١] وقد أسهبت المصادر البريطانية في وصـــــف مارافق انسحاب القوات العثمانية المندحرة نحو الناصرية من عمليات نهــــب وسلب قام بها بعض أفراد القبائل للقوات المنسحبة [٢] . ورغم أن ذلك العمل أمر مخجل لايمكن تبريره ، الا انه يحسن بنا أن نتذكر هنا ان عملية الحصـــول على الغنائم عادة مترسخة في وجدان الرجل القبلي لدرجة انه لا يستطيـــع أن يكف نفسه عن الاقدام عليها في ساعة النصر حين يندفع لاحتواء ماتركـــه الخصم ، وفي ساعة الهزيمة حين يختلط الحابل بالنابل فيحمل احدهم ماتقع عليه يداه ، بغض النظر عما اذا كان عائدا لحليفه او خصمه ، فالعودة للاهـــل بيدين مليئتين خير من العودة بوفاض خال . ولايجب أن نغفل هنـــــا دور العداء الموروث في نفس الرجل القبلي تجاه هذا العسكر المهـــزوم الذي طالما أذاقه الامرين ، فأن غطت سورة الحماس الديني التي اتقـــدت مع دعوة الجهاد على هذا العداء فترة من الزمن ، فأن لحظة الهزيمة المـــرة سحبت ذلك الغطاء ثانية . ورغم كل هذا فأن من ساهم في عمليـــــات السلب والنهب هم القلة بينما حافظت الاكثرية من القبائل على ولائهـــــا

---

(١) Wilson, op.cit., p. 23.

(٢) Buchanan , op.cit,, p. 11;

انظر أيضا : شبيكه ، مرجع مر ذكره ، ص ١٢٥ وايضا :
Wilson, op.cit., p. 23.

وانسحبت الى الناصرية مع القوات العثمانية (١) . وهذا يناقض تماما ما ادعاه البعض من أن النتيجة الاكثر أهمية لمعركة الشعيبة هي تحويل العرب الى حلفاء للبريطانيين (٢) ، وهو أمر ستدحضه الوقائع التي ستمر بنا ، اضافة الى مافيه من تبسيط ظاهر للاحداث.

ولقد أعان القوات البريطانية على تحقيق نصرها الحاسم في الشعيبة الخدمة الاستخبارية المتفوقة التي حظيت بها ، وكان لولبها الكابتن ليتشمان الذي جعل من مدينة الزبير قاعدة يتعرف منها على آخر تحركات العدو (٣) ، من خلال المعلومات التي تصله عبر بعض قبائل البادية . اذ استطاع البريطانيون من خلال تحالفهم الوثيق مع حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح الحصول على ولاء بعض القبائل البدوية المترحلة بين ولاية البصرة والكويت مثل الظفير و" الجوارين" (٤) والشاوية من بني مالك ، وقد لعب العداء بين القبيلتين الاولى والثانية وعجمي السعدون دورا واضحا في انحيازهما للجانب البريطاني (٥) . ويدل هذا على أن العداوات القبلية كانت أقوى تأثيرا في نفوس بعض شيوخ القبائل في تلك الفترة من القضايا الدينية والوطنية

---

(١) نديم ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٣ .

(٢) Pollard, A.F., A Short History of the Great War, 4th Edit.,London,1942, p. 104.

(٣) Wilson, op.cit., p. 35.

(٤) عشيرة من ثلث الاجود من قبائل المنتفق ، تترحل في الصحراء الممتدة بين سوق الشيوخ والكويت طلبا للكلأ لمواشيها . انظر:

Dickson, The Arab of the Desert, p. 545.

(٥) شبيكة ، مرجع مر ذكره ، ص ١٢٥ .

الكبرى مثل الجهاد والدفاع عن ارض الوطن ، وكفى بذلك دلالة على مستوى الوعي المتمدني .

هذا وفي حين كانت تلك الاحداث تجرى على ساحة الشعيبة ، فأن القرنه كانت مسرحا لاحداث مماثلة . فقد انسحبت القوات العثمانية من مدينة البصرة قبيل دخول البريطانيين لها واتجهت الى القرنة ، حيث تحصنت هناك ، واستطاعت أن تضم الى صفوفها بعض قبائل المنطقة ، فأصبحت القوة المدافعة عن المدينة تتكون من ست كتائب نظامية والف وثمانمائة رجل من القبائل وعشرة مدافع وقارب مدفعية (١) . ولكن تلك القوة لم تكن كافية لصد الهجوم الذي قامت به القوات البريطانية في التاسع من ديسمبر ١٩١٤م (العشرين من محرم ١٣٣٣هـ) فأحتلت خلاله تلك المدينة بعد أن أسرت الف ومائتين من المدافعين ، منهم القائد صبحي بك وكيل والي البصره (٢) .

وحين صدرت فتاوى علماء الدين باعلان الجهاد ازداد اقبال القبائل على الانضمام للقوات العثمانية المتمركزة قبالة القرنة ، سيما وان بعض أولئك العلماء قد حضر شخصيا لنشر دعوة الجهاد بين قبائل المنطقة وحثها على الاشتراك في اداء الواجب المقدس (٣) . وكما حصل في الشعيبة فأن بعض شيوخ القبائل كانت استجابتهم للجهاد استجابة مترددة . (٤) ولعل

---

(١) Branddon, op.cit.,p. 31.

(٢) Longrigg, op.cit., p.79.

(٣) الاسدي ، مرجع مر ذكره ، ص ٩٢

(٤) الطاهر ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٨٢ .

المنافسات والحزازات القبلية لعبت دورها هنا أيضا ،ففي حين اشترك عريبي الوادي ومجيد الخليفة من شايخ البو محمد في الجهاد مكرهين [١] ، فأن فالحا وحاتما وعبد الكريم ابناء صيهود وزبون اليسر من شايخ القبيلة نفسها شاركا في الجهاد بحماس اهلهم لنيل اوسمة من السلطان العثماني[٢].

ويبدو ان تلك القبائل المحتشدة خارج القرنه استطاعت بالفعل التضييق على القوات البريطانية المتمركزة هناك . اذ كانت تتسلل الى داخل المعسكرات البريطانية عبر الاسلاك الشائكة فتغنم ماتصل اليه ايديها وتقتل من تجده من الجند من ناحية ، وتشن الغارات الجريئة على الخطوط البريطانية فتصلي الجند البريطانيين المختبئين في خنادقهم بوابل من نيران بنادقها غير عابئة بنيران المدفعية التي تنصب عليها من ناحية أخرى ؛ وهي بين هذا وذاك تطور تكتيكاتها من آونة لأخرى حسب الخبرات التي تكتسبها من التعامل اليومي مع العدو [٣] . وحين كان الجيش البريطاني يخرج من تحصيناته وخنادقه كانت القبائل تقف له بالمرصاد فتلتحم معه في معارك ضارية كما حصل في معركة" الروطة" في أوائل ربيع الاول ١٣٣٣هـ/ أواخر يناير ١٩١٥م [٤] ،حين خرج طابوزان من مشاة العدو مع مدفعيين جبليين سريعي الطلقات ،فأوقعهم المجاهدون في كمين اشتبك معهم لمدة ساعتين أضطروا بعدها للتقهقر الى القرنة بعد أن تركوا ماينا هز المائة

---

(١) بل ، مصدر مر ذكره ،ص ١٦ .

(٢) الزوراء ،السنة ٤٧ ،العدد ٢٥٠٧ ، ٢ جمادى الاولى ١٣٣٣هـ.

(٣) Barker,op.cit.,pp 61-62.

(٤) فياض مرجع مر ذكره ،ص ١٥٣ . والروطة قناة شمال القرنة جعلها الاتراك خط دفاعهم الاول بعد سقوط القرنة ،راجع: نديم ،مرجع مر ذكره ،ص ٢٧ .

من القتلى والجرحى (١) .

وقد رافق عودة القائد سليمان العسكرى الى الشعيبة فى ربيع الثانى ١٣٣٣هـ/ مارس ١٩١٥م توسيع لنطاق العطيات فى جبهة القرنة ،اذ شنت القوات النظامية والقبائل هجوما على القوات البريطانية فى المدينة تزامـــن مع الهجوم الذى شن فى الشعيبة فى الحادى عشر من ابريل ١٩١٥م (السادس والعشرين من جمادى الاولى ١٣٣٣هـ) ،وقد بدأ الهجـــوم بقصف مدفعى مركز للمدينة استمر طوال ذلك اليوم ،وفى اليوم التالـــى تمكن المهاجمون من تفجير الجسر الذى أقامه البريطانيون لربط ضفتـــى نهر دجله ،فى الوقت الذى تسللت فيه اعداد من المجاهدين العرب الـــى بساتين النخيل المجاورة للمدينة مباشرة ،ولكن القصف المدفعى البريطانى أضطرهم للتراجع مؤقتا ، حيث قاموا مرة ثانية بمحاولة السيطرة على تلـــك البساتين دون نتيجة . وخلال ذلك أستمر قصف المدينة طوال يومـــى الثالث عشر والرابع عشر من ابريل (الثامن والعشرين والتاسع والعشرين مـــن جمادى الاولى) ولكن القصف توقف فى اليوم التالى (٢) . اذ يبدو ان اخبار هزيمة زملائهم فى الشعيبة جعلت الضباط الترك يكفون عما بدأوه مـــن محاولة اقتحام القرنه .

---

(١) الزوراء ،السنة ٤٧ ،العدد ٢٥٠٠ ، ١٢ ربيع الاول ١٣٣٣هـ.

(٢) Barker, op.cit., p. 70.

ولكن ذلك لم يعن أن الحرب توقفت في جبهة القرنه، فقد استمرت القبائل تتصدى للقوات البريطانية كلما حاولت التقدم شمال المدينة . ولما حاولت قوة نهرية للعدو مكونة من ثلاث سفن التقرب من أراضي قبيلةالازيرق، في اواخر جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ/اوائل مايو ١٩١٥م تجمعت قبائل المنطقة واصلتها نارا حامية أضطرتها للتقهقر من حيث أتت (١) . ولقد كانت القبائل تخوض غمار تلك المعارك الضارية في ظروف سيئة غير مشجعة، فالمؤن قليلة ومعاملة بعض الضباط الترك تتسم بالغلظة والبعد عن الحكمه (٢) . اذ ان أحدهم حين رأى تراجع أفراد القبائل تحت ضغط نيران المدفعية البريطانية الحامية من موقع كانوا قد احتلوه، كف عن قصف القوات البريطانية وحول مدفعيته لقصف أبناء القبائل المتراجعين (٣) . ولاريب أن أمثال تلك التصرفات الطائشة كانت تترك أسوأ الاثر في نفوس ابناء القبائل وتثبط من عزائمهم .

ولم تكن مجريات الاحداث في جبهة عربستان مختلفة كثيرا عما حدث في الجبهتين السابقتين، فقد كان لدعوة الجهاد صدى واسع بين قبائل تلك المنطقة، حتى لقد قيل أن تأثير الدعوة هناك كان أوسع من مثيله في العراق (٤) ، سيما وقد وصل لتلك الانحاء بعض علماء الدين من كربلاء

---

(١) الزوراء، السنة ٤٧، العدد ٢٥١٥، ٢٨ جمادى الآخره ١٣٣٣هـ.

(٢) فياض، مرجع مر ذكره، ص ١٥٤ .

(٣) Barker, op.cit.,p. 70

(٤) Wilson, op.cit.,p. 23.

والنجف لتحريض قبائلها على المساهمة في الجهاد (١) . ورغم تأثير اولئك العلماء الا أنه يمكن القول ان الشخصية الرئيسة في حركة الجهاد في عربستان كانت شخصية غضبان بن بنيه شيخ قبائل بني لام ، والذي بلغ به الحماس أن اعلن منح مكافأة تتألف من عدة قطع ذهبية لكل من يأتيه برأس جندي بريطاني او هندي (٢) . ويتناقض هذا الحماس مع ماروي من أن غضبانا مال قبل ذلك للتفاهم مع البريطانيين ، وكان واسطة ذلك التفاهم هو الشيخ خزعل شيخ المحمرة ، ولكن الوسيط ماطل غضبانا وسوف في وعوده مما أحنق المذكور وجعله يضع نفسه تحت تصرف السلطات العثمانية التي وعدته بتوليته على لواء العمارة مقابل تعاونه معها . (٣)

ولقد كانت نواة القوات العاملة في جبهة عربستان تتكون من كتيبتين تضمان الفا وخمسمائة جندي ومائة فارس ومدفعي ميدان ، أوكلت قيادتها الى محمد فاضل باشا الداغستاني القائد التركي الذي كان في السبعين من عمره (٤) . وكان هدف تلك القوة هو كسب تعاون قبائل المنطقة للسيطرة على أنابيب النفط التي تمتد من حقول الانتاج الى مصفاة عبادان على شط العرب ، ثم النزول مع نهر الكارون لتهديد مركز القوات البريطانية في شط العرب (٥) . واثناء مرور هذه القوة في العمارة انضم لها غضبان

---

(١) الاسدي ، مرجع مر ذكره ، ص ٩٢ .

(٢) Wilson, op.cit., p. 29.

(٣) الندواني ، مرجع مر ذكره ، ص ١٣٢ .

(٤) Wilson, op.cit.,p. 27.

(٥) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٥٤ .

ومن تبعه من القبائل وتوجه الجميع شرقا [١] ،حتى وصلوا الى مبعدة عشرين ميلا الى الغرب من مدينة" الأهواز" في الاسبوع الثاني من فبراير ١٩١٥م (الاسبوع الاخير من ربيع الاول ١٣٣٣هـ) [٢]

وعند ما توغلت تلك القوة في أراضي عربستان على ذلك النحو انضمت لها القبائل العربية القاطنة هناك [٣] ،حتى بلغ مجموع أفراد القبائل المتعاونين مع القوات النظامية بين ثلاثة وخمسة الاف رجل على اختلاف في التقديرات [٤] . وقد أخذت تلك القوة زمام المبادرة في الهجوم فأندفعت منحدرة مع نهر الكارون باتجاه مدينة المحمرة ،ولكن القوات البريطانية أستطاعت صدها فتراجعت نحو الاهواز[٥] . ثم شن عليها البريطانيون بعد ذلك الهجوم وجرت بين الطرفين معركة الامينية على بعد حوالي عشرة أميال من الأهواز ،حيث ثبتت القوات النظامية والقبائل للهجوم ،فأضطر المهاجمون الى التراجع بعد أن تركوا في ساحة المعركة كثيرا من معداتهم الحربية [٦] . واضافة الى ذلك خسروا اثنين وستين قتيلا ومائة وسبعة وعشرين جريحا ،وكان العامل الرئيسي في ذلك النصر يعود الى قدرة

---

(١) الندواني ،مرجع مر ذكره ،ص ١٣٣ .

(٢) Wilson,op.cit.,p.27.

(٣) الندواني مرجع مر ذكره ،ص ١٣٣ .

(٤) Wilson,op.cit.,p. 33.

(٥) Glubb, J.B., Britain and the Arabs, London, 1959,p. 96.

(٦) الندواني ،مرجع مر ذكره ،ص ١٣٣ .

الغزاة المحتلين من مناطق البصرة وماجاورها . ويجب القول هنا أن حركة الجهاد بحد ذاتها لم تخفق ، اذ هي استطاعت أن تستقطب اعـداداً كبيرة من المجاهدين ، وتدفعهم الى ميادين المعارك مستعدين للموت في سبيل دينهم ووطنهم ، حيث وضعوا أنفسهم تحت تصرف القيادة العثمانية التي لم تحسن الاستفادة منهم ، ولو توفر لهم مستلزمات القتال الكافيه ، ولا وضعت لهم الخطط الحربية السليمة بما يكفل تحقيق الغرض الذى جاءوا من اجله ، فالاخفاق اذن كان اخفاقاً للقيادة العسكرية والسياسية العثمانية بالدرجة الاولى .

وقد ترتب على ذلك الفشل مرارة جديدة أضيفت لطعم العلاقات بين القبائل والسلطات العثمانية [١] ، كان من عواملها ما أشرنا اليه سابقاً من احتكاكات جرت بين بعض الضباط الترك وبعض المشايخ . وقد عكست تلك الاحتكاكات عدم فهم الترك لنفسية ابناء القبائل العرب رغم حكمهم الطويل للمنطقة ، اذ ظلوا رغم كل تجاربهم يكنون فى اعماقهم احتقاراً للعربى بل ولكل ابناء العناصر غير التركيه [٢] . ورغم مافى هذا الرأى من مبالغة جرها تحامل كاتبه البريطانى ، الا أن ضابطاً تركياً عبر عن ذلك الاحتقار بصراحة متناهيه لمحدثيه البريطانيين [٣] . ولم يقف الامر عند حدود المشاعر فقط ، بل تجسد فى ممارسات عملية احياناً ، فحين أرسل " حسين رءوف بك " على رأس كتيبة من الجند نحو الحدود الايرانية عبر العراق ، أساء معاملة كل القبائل التى مر فى ديارها ، مما أضطرها للثورة على تصرفاته الطائشة

---

(١) Longrigg, op.cit. p. 85.

(٢) Wilson, op.cit., p. 72

(٣) Barker, op.cit., p.222.

فأصطدمت معه في شعبان ١٣٣٣هـ/يوليه ١٩١٥م وكبدته حوالي مائة قتيل من قوته (١) .

أدت تلك التصرفات واشباهها الى أستثارة مكامن الحقد الدفين في نفوس أبناء القبائل على القوات العثمانية ، سيما وقد ظهر لهم بشكل مباشر عجز تلك القوات من صد القوات البريطانية الغازية فأستهانوا بها . ثم انقلبت تلك الاستهانة تدريجيا الى مضايقة ، فأخذ بعض أفراد القبائل يهاجمون من انفرد عن وحدته من افراد الجيش العثماني المارين عبر ديارهم لسلب اسلحتهم واموالهم ، حتى أصبح اولئك الجنود بين نارين : نار القبائل التي تعترض طريقهم ونار القوات البريطانية التي كانت تطاردهم على حد قول ضابط عثماني عاش تلك الاحداث بنفسه (٢) .

وزاد في تأجيج مشاعر السخط في نفوس الناقمين من ابناء القبائل ماحدث في مدينة النجف ذات المكانة الدينية المهمة في نفوس أبناء الشيعة (٣) . فقد أشتط قائمقام تلك المدينة في مطاردة المجندين الذين فروا من الخدمة في الجيش اثر هزيمة الشعيبة ، حتى انه فتش بيوت المدينة بحثا عنهم ، مما أثار نقمة السكان فأصطدموا مع القوات الحكومية في قتال دموي أستمر ثلاثه أيام بلياليها (٤) ، انتهى بانتصار الاهلين

---

(١) الاسدي ، مرجع مر ذكره ، ص ٩٢ .

(٢) علي جودت ، مصدر مر ذكره ، ص ٣٤

(٣) Wislon, op.cit., p. 23.

(٤) الاسدي ، مرجع مر ذكره ، ص ٩٣ .

واخراج الحامية العثمانية والموظفين من المدينة في العاشر من رجب ١٣٣٣هـ/ ٢٣ مايو ١٩١٥م [١]. وقد تدخل بعض رؤساء القبائل فأرسلوا وفدا أستطاع أقناع أهالي المدينة بالموافقة على ابقاء وجود رمزي للحكومة في مدينتهم يتمثل بعودة القائمقام ومعه حرس صغير [٢]. ورغم هذا الحل، الا أن تلك الحادثة تركت أثرا سيئا في نفوس بعض علماء الدين في كربلاء والنجف، حتى أنهم أرسلوا في سبتمبر ١٩١٥م (ذي القعدة ١٣٣٣هـ) للسير برسي كوكس عارضين اعلان البراءة من الولاء للترك، ولكنهم أشترطوا شروطا "خيالية جدا" مقابل ذلك، فأكتفى كوكس بأرسال هدايا من المال ردا على عرضهم [٣]. ولم يوضح لونغريك الذي انفرد بالروايه ماهية تلك الشروط.

ويجب القول هنا ان انتشار المجاعة خلف الخطوط العثمانية في ذلك الوقت ساعد بلا ريب على انتشار النقمة في صفوف القبائل ضد العثمانيين [٤]. ولكن تلك النقمة لم تكن شاملة للجميع، فقد ظل قسم لايستهان به من القبائل على ولائه للحكومة العثمانية. كما لايجب أن يتبادر الى الذهن ان القبائل التي انقلبت على العثمانيين انضمت آليا للجانب الاخر ومنحت تأييدها الى البريطانيين، فسيتضح لنا عما قليل ان أغلبية تلك القبائل ظلت تنظر بعداء للغزاة ذوي العادات وطرائق العيش الغريبة عنها كلية (٥). هذا

---

(١) عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف، ط٤، صيدا، ١٩٨٢م، ص ٣.

(٢) الاسدي، مرجع مر ذكره، ص ٨٨.

(٣) Longrigg, op.cit., p. 85.

(٤) نظمي، مرجع مر ذكره، ص ٥٢.

(٥) Wilson, op.cit., p. 35.

على الرغم من أن ماحصل بعد هزيمة الشعيبة قد أغرى بعض المترددين من شيوخ القبائل بالانضمام الى جانب بريطانيا (١) ،بعد أن كانوا أول الأمر يخشون أتخاذ مثل هذه الخطوة خوفا من انتصار القوات العثمانية في تلك المعركة .

موقف القبائل من تحركات القوات البريطانية في لواء المنتفق :

أملت الضرورات الاستراتيجية على القيادة البريطانية في البصرة اتخاذ قرارها بأحتلال مدينة الناصرية لانهاء أية امكانية أمام القوات العثمانية للانطلاق منها لتهديد البصرة (٢) . كما أن تلك القيادة افترضت أن أحتلال تلك المدينة سوف يجعل قبائل المنتفق تميل للهدوء بما يقضي على أية امكانية لتعاونها مع القوات العثمانية كما حدث قبل معركة الشعيبة (٣) .ولذلك تقرر أن يتم سوق القوات البريطانية من القرنه الى الناصرية عبر هور الحمار ونهر الفرات الذي كان فيضانه في تلك الاثناء فيضانا استثنائيا يسهل حركة القوات البريطانية (٤) . وفعلا أنطلقت تلك القوة في السابع والعشرين من يونيه ١٩١٥م (الرابع عشر من شعبان ١٣٣٣هـ) نحو هدفها (٥) .

---

(١) شبيكه ،مرجع مر ذكره ،ص ١٢٢ .

(٢) Barker,op.cit., p. 90

(٣) Buchanan,op.cit.,pp.15-18.

(٤) Barker,op.cit.,,p.91.

(٥) Buchanan,op.cit.,p. 17.

ولقد كانت كل التقارير المتجمعه لدى القيادة البريطانية تشير الى انها ستلقى مقاومة من القبائل القاطنه على طريقها اكثر مما ستلقى من مقاومة الجيش النظامي العثماني [1] ، وذلك هو ماحدث بالفعل ،فبالاضافة الى أفراد القبائل الذى كانوا يتربصون بالقوات البريطانية المارة عبر هور الحمار فيتصيدون أفرادها ويسلبونهم [2] ،وجد البريطانيون حين وصولهم الى قرية" العكيكة" عند طرف الهور الشمالي ان أبناء قبائل المنطقة يحتلون بساتين النخيل ويصدونهم عن التقدم ،ولم تجد محاولة البريطانيين اقناعهم بالانسحاب ليفسحوا لهم المجال للصدام مع القوات العثمانية التي كانت تحتشد خلفهم [3] .

ولم تكن تلك القوات النظامية تقف لوحدها ،بل كان يحتشد معها أيضا لصد تقدم القوات الغازية عدد من أفراد القبائل برآسة عجمي باشا السعدون [4] ،الذى كان قد أنسحب بعد هزيمة الشعيبة الى الخميسية واقام بمعاونة بعض القوات العثمانية خطا دفاعيا هناك توقعا لتقدم قوات الغزو من جهة البر ،ولكن الاخبار وصلتهم بأن العدو يتقدم عن طريق النهر فأنضموا عندها الى القوات العثمانية المتمركزة في العكيكة [5] ، وقد نال عجمي نتيجة استمراره في الولاء تقدير وتكريم السلطات العثمانية التي منحته رتبة " ميرميران " [6] .

---

(١) Wilson,op.cit.,p.54.

(٢) Branddon,op.cit.,p.53.

(٣) Wilson, op.cit.,p. 54.

(٤) على جودت ،مصدر مر ذكره ،ص ٣٤ .

(٥) النبهاني ،مصدر مر ذكره ،ص ١٥٧ .

(٦) الزوراء ، السنة ٤٧ ،العدد ٢٥١٧ ، ١٣ رجب ١٣٣٣هـ. وميرميران كلمة فارسية الأصل تركية التركيب ،تعني باللغة العربية أمير الأمراء ،راجع: لغة العرب ،السنة ٥ ،ج ١ ،ص ٣٣ .

ولقد أستطاعت القوات العثمانية النظامية والقبائل الصمود فى العكيكة ورد الهجمات البريطانية (١) ،الى أن تمكن البريطانيون من الالتفاف حول الخطوط العثمانية فأضطر الجيش العثماني للانسحاب من العكيكة وسوق الشيوخ خوفا من التطويق . وقد انفرد البعض بالاشارة الى أن من سهل للبريطانيين عملية الالتفاف هو "فرهود المغشغش" شيخ عشيرة "بني خيقان" (٢). وترجح صحة هذه الرواية وثيقة بريطانية أشادت بالمساعدة التي قدمها فرهود لقوات الاحتلال ،وقالت انه ربط مصير تلك القوات ،ولكنها لم تحدد نوعية الخدمات التى قام بها (٣) . وبقدر ماحققت القوات البريطانية بأحتلالها العكيكة والسوق من اندفاع للأمام ، بقدر مازاد قلقها من التهديد الذى تشكله القبائل على خطوطها الخلفية . سيما وان القبائل لم تتعرض كالقوات النظامية لهزيمة على يد البريطانيين ،بل خرجت من العمليات الحربية بالمزيد من البنادق والذخيرة التى يتركها الجيش العثماني وراءه ، وذلك ماجعل القوات البريطانيه عرضة للتطويق لو استطاع الترك الحصول على معاونة فعالة من تلك القبائل على حد قول احد المسئولين البريطانيين

---

(١) الزوراء ،السنه ٤٧ ،العدد ٢٥٢٣ ،٢٥ شعبان ١٣٣٣هـ.

(٢) النبهاني ،مصدر مر ذكره ،ص ١٥٧ ؛ وبنو خيقان عشيرة منضوية تحت لواء ثلث بني مالك من قبائل المنتفق ،ويقال انها تركية الأصل ، وهى تقطن المنطقة الواقعة جنوب سوق الشيوخ فى نواحى العكيكة وكرمة بني سعيد والجبايش ؛ راجع :
العزاوي ، عشائر العراق ،ج ٤ ،ص ٥٨ .

(٣) IOR, L/p+s/10/458, No. 50, Office of the P.O., Basra, to the Officer in Charge, Cairo Section, Eastern Bureau, Sept. 9, 1916.

الذين شاركوا بالزحف نحو الناصريه (١) .

ويبدو أن ذلك الوضع ، وماكان يقوم به افراد القبائل من غارات صغيرة على خطوط المواصلات البريطانية قد أثار حنق البريطانيين ضد اولئك الرجال البواسل الذين لم يكونوا في نظرهم اكثر من لصوص قتلة يتصفون بالغدر والجشع (٢) . ولذلك فلاعجب أن صب أفراد القوات البريطانية جام غضبهم على من يقع بأيديهم من أبناء القبائل حيث كانوا لايتورعون عن ضربهم وسلبهم أو التسلي بأطلاق النار عليهم وحرق قراهم . (٣) وقد أثرت كل تلك الاعمال الوحشيه على موقف عامة الناس من ذلك الجيش الغازي ، حتى أن العمال البسطاء امتنعوا عن القيام بأداء الخدمات اللازمة له خلال زحفه نحو الناصريه (٤) . وتناقض الشهادة السالفة التي أدلى بها مسئول بريطاني عاش الاحداث بنفسه ماقاله كاتب بريطاني متأخر من أن ولاء تلك القبائل أمر قابل للشراء (٥)

اندفعت القوات البريطانية من سوق الشيوخ نحو الخطوط الدفاعية الحصينه التي أقامها العثمانيون في" المجينينة " الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الفرات جنوب الناصرية والتي كان يدافع عنها أربعة الاف ومائتا جندي

---

(١) Wilson,op.cit.,p.57.

(٢) Ibid.,p. 54.

(٣) Branddon,op.cit.,p. 52.

(٤) Wilson,op.cit., p. 57.

(٥) Barker, op.cit., p.91.

نظامي وستة مدافع وعدد كبير من ابناء القبائل ،في حين كانت القوات المهاجمة تضم أربعة الاف وستمائة رجل وستة وعشرين مدفعا [١] . ومع تفوق المهاجمين في التسليح استعصى عليهم اختراق الخطوط الدفاعية العثمانية رغم تكرر الهجمات ،مما أضطرهم للقيام بحركة التفاف عبر الهور خلف خطوط القوات العثمانية [٢] . وعندها أضطر العثمانيون للانسحاب الى الكوت عبر الشطرة ،ودخل البريطانيون الناصرية في الخامس والعشرين من يوليه ١٩١٥ (الثالث عشر من رمضان ١٣٣٣هـ) [٣] .

وفي أثناء ماكانت المناوشات تدور حول" المجينينة" ،كانت قوات عجمي تقوم بنشاط آخر ،فقد انسحب عجمي من المجينينة بناء على أمر من القيادة العثمانية وعاد الى الخميسية حيث أوكلت لقواته هناك مهمة السيطرة على الطرق الصحراوية الممتدة من الشعيبة والزبير نحو الناصرية [٤] . ويبدو أن تلك القوات أخذت تقوم أيضا بشن الهجمات على خطوط العدو الممتدة عبر هور الحمار ، وصد الهجمات البرية التي حاول العدو شنها على الخميسية [٥] وقد جعلت نشاطات عجمي تلك البريطانيين يفكرون في وسيلة للتخلص من خطره ،فأستطاعوا اغراء أخيه الاكبر وأحد أبناء عمه بالتعاون معهم ضده

---

(١) Wilson, op.cit.,p. 60.

(٢) النبهاني ،مصدر مر ذكره،ص ١٦٠

(٣) Wilson,op.cit.,p. 61.

(٤) النبهاني ،مصدر مر ذكره،ص ١٥٩

(٥) الزوراء،السنة ٤٧، ٢٥٢٥، ١٠ رمضان ١٣٣٣هـ.

فذهب هذان الرجلان الى قاعدة عجمي في الخميسية أثناء ماكان خارجها وحاولا السيطرة عليها ، ولكن عجمي عاد مسرعا حين وصله الخبر واستطاع طردهما من قاعدته (١) . كما لجأ البريطانيون الى وسيلة أخرى لاضعافه وهي تأجيج الصراعات القديمة التي كانت سائدة قبل الحرب بينه وبين بعض العشائر ، فقد قاموا بتسليح البدور والغزي والضفير بالاسلحة والذخائر الحربيه للوقوف بوجهه . (٢)

ولم يعن سقوط مدينة الناصرية بيد البريطانيين انهاء حركة المقاومة القبلية في المنتفق ، بل العكس هو ماحدث ، اذ أصبحت الحامية البريطانية في الناصرية والمؤلفة من ثلاث كتائب مشاة (٣) ، شبه محاصرة في تلك المدينة ولا تتعدى سيطرتها حدود المدينة والاراضي المجاورة لها مباشرة على ضفتي النهر (٤) ، كما أصبح تأمين خطوط مواصلاتها النهرية مع البصرة شاغلا كبيرا للقيادة البريطانية (٥) . وفي خلال ذلك كانت القبائل التي تحدق بالمدينة تشن الغارات العنيفة على مواضع العدو المتقدمة وتعود محملة بالغنائم (٦) ، مما كان يضطر القوات البريطانية للرد بأسلوب مماثل وهو الخروج في حملات سريعة لمعاقبة عشيرة ما في المناطق المجاورة

---

(١) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ص ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٢٦ .

(٣) Millar, op.cit.,p.64.

(٤) Wilson,op.cit.,p. 79.

(٥) Buchanan, op.cit.,p. 31.

(٦) الزوراء ، السنة ٤٧ ، العدد ٢٥٢٣ ، ٧ ذي القعدة ١٣٣٣هـ .

للمدينة ثم العودة ثانية (١) . وقد اتهمت جرترود بل الدسائس والأموال التركية - الالمانية بتأجيج حالة العداء بين قبائل المنتفق ضد الوجود البريطاني هناك ، واضافت أن الذي ساعد على نجاح تلك الدسائس هو الوجود العسكري العثماني القريب من مدينة الناصرية حتى لقد كان يمكن رؤية المخافر العثمانية المتقدمة من تلك المدينة ، بالاضافة الى ماسببته حالة الحصار الاقتصادي من ازعاج للقبائل التي قل في نفس الوقت انتاجها من الارز لعدم توفر الماء الكافي (٢) .

أما عن الاوضاع في المركز الاداري والقبلي الثاني في لواء المنتفق وهو مدينة الشطرة ، فأن أفراد العشائر المحيطة بها ما أن سمعوا بسقوط البصرة بيد الغزاة حتى هبوا لمحاصرة القوة العثمانية الموجودة في المدينة ثأرا لما جرى من وقائع سبق أن المنا بها (٣) . ولكن خيون العبيد شيخ عشيرة العبودة أستطاع أن يكف ايدي الثائرين ، ويدبر اخراج الموظفين والعساكر من المدينة وتسفيرهم لبغداد ، فأصبحت الشطرة هادئة تحت حكمه . ثم تبع ذلك قيام حركة الجهاد ومساهمة عشائر الغراف بها ، وما اعقبها من سقوط الناصرية بيد الغزاة وانسحاب القوات العثمانية منها نحو الشطرة حيث لم يطل مكثها هناك ، وانما انسحبت نحو الكوت بعد أن صدر قرار حكومي بتعيين خيون العبيد قائمقاما للمدينة في رمضان ١٣٣٣هـ/يوليه ١٩١٥م . وقد عاد النفوذ العثماني للقوة في منطقة الغراف في أوائل سنة ١٣٣٤هـ/اواخر سنة ١٩١٥م حين استطاعت الجيوش العثمانية محاصرة

---

(١) Buchanan, op.cit.,p. 81.

(٢) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ٧٧ .

(٣) انظر الفصل الاول الثاني ، ص ص ٢٢٥ - ٢٢٦

البريطانيين في الكوت ،سيما وان العثمانيين كانوا قد أوفدوا للمنطقة القائد مظهر باشا الشركسي ومعه بعثة دينية من النجف برآسة السيد علي التبريزي لحث العشائر على الولاء للحكومة ،وقد أدى التأثير الديني مقرونا بالهدايا والأموال دورا كبيرا في كسب ود شيوخ تلك العشائر . (١)

واذا كان موقف تلك العشائر نحو العثمانيين قد شابه قدر من عدم الولاء ، فأن موقفها من البريطانيين كان عداء صريحا لا لبس فيه . اذ لما حاول البريطانيون ارسال نجدة من الناصرية عبر الغراف لمحاولة فك الحصار العثماني عن قواتهم في الكوت ، تجمعت عشائر المنطقة حتى بلغ عددها سبعة عشر ألف رجل واشتبكت مع تلك النجدة في قتال بلغ من عنفه وشراسته أن استخدم فيه السلاح الابيض (٢) . فأضطرت تلك القوة للتوقف في ربيع الاول ١٣٣٤هـ/ يناير ١٩١٦م وأخبر قائدها الجنرال فورنج Goringe مقر القيادة العامة بأن عشائر الغراف تقف سدا منيعا أمام تقدم قواته نحو الكوت . ففوضته القيادة بالانسحاب الذي لم يخل من صدام آخر . اذ هاجمت قوة من العشائر تضم خمسة آلاف رجل القوات المنسحبة وكبدتها ثلاثمائة وثلاثة وسبعين قتيلا بينما خسرت العشائر حوالي الف شهيد (٣) .

وهكذا ظلت منطقة الغراف وعشائرها بعيدة عن السيطرة البريطانية الى أن دخلت القوات البريطانية بقيادة الجنرال مود Maude بغداد في جمادي الاولى ١٣٣٥هـ/مارس ١٩١٧م. فأنصرفت السلطات البريطانية

---

(١) الطاهر، مصدر مر ذكره، ص ص ٣٧٨ - ٣٨٠.

(٢) محمود ، مرجع مر ذكره، ص ٢١٢.

(٣) فياض، مرجع مر ذكره، ص ١٦٤.

لمعالجة هذه المشكلة ، واصبحت عملية اخضاع العشائر في منطقة الفـــــراف تشغل حيزا كبيرا من اهتمامها . فلقد حدد نائب الملك في الهند فـــــي برقية أرسلها لرئيس الضباط السياسيين العمر برسي كوكس المهـــــــام العاجله لقوات الاحتلال بعد سقوط بغداد ، ومن بينها اخضاع القبائـــــل في المنطقة الممتدة بين الكوت والناصرية ، ولكن نائب الملك اشترط أن يتـــم ذلك الاخضاع باتباع الوسائل السياسية . (١)

وكما كانت مشكلة الغراف تؤرق السلطات البريطانية في هذا الوقــت ، فأن زعماء تلك المنطقة كان يؤرقهم من جانب أخر الوضع الذى آلوا اليـــــه بعد دخول البريطانيين بغداد . فقد خشي خيون العبيد من انتقـــــام السلطات البريطانية وفضل مغادرة الشطرة الى أراضى " بني ركاب" للاحتماء بالشيخ عبد الله الفالح السعدون الذى كان يقيم هناك رافضا الخضـــــوع للسلطة المحتلة (٢) . ولكن توطد دعائم الاحتلال البريطاني في العـــراق وانعدام الأمل في عودة الترك اليه جعلا عبد الله يفكر في الاستسلام للسلطـات المحتلة ، غير أنه لم يشأ أن يكون استسلامه غير مشروط ، فأخذ منذ أوائـــــل سنة ١٩١٨م (١٣٣٦هـ) يفاوض السلطات البريطانية ممثلة في العمر برســـي كوكس (٣) . وا رجح ان تلك المفاوضات تمت عن طريق قريبه ومستشـــــاره " ضارى الفهد السعدون " الذى وصل لبغداد في ربيع الثاني ١٣٣٦هـ /

---

(١) IOR,L/p+s/10/516, No. 389 S, Viceroy to Sir, P. Cox, Apr. 26, 1917.

(٢) الطاهر ، مصدر مر ذكره ، ص ٣٨٠ .

(٣) Dickson, Kuwait...,pp.218-219.

يناير ١٩١٨م وحل ضيفا على الحاكم الملكي العام لمدة ثمانية عشر يوما قبل أن يعود أدراجه الى الناصرية [١] . والظاهر أن تلك المفاوضات لم تسفر عن نتيجة فقد ظل عبد الله الفالح ممتنعا عن الخضوع للسلطة المحتلة حتى يناير ١٩١٩م (ربيع الثاني ١٣٣٧هـ) [٢] .

وحين مال عبد الله الفالح الى التفاوض ، حذا نزيله " خيون العبيد " حذوه فسافر الى بغداد برفقة ضاري في رحلته سالفة الذكر . ويبدو أن حظه مع السلطات البريطانية لم يكن كحظ صاحبه ، فقد أعادت تلك السلطات تعيينه حاكما على الشطرة . ولعل سبب ذلك هو التطورات التي حدثت في مدينة الشطرة بعد مغادرته لها ، اذ عين البريطانيون أحد منافسيه لادارة المدينة ولكنه أخفق في احكام سيطرته على عشائر المنطقة التي انقسمت بين مؤيد له ومؤيد لخيون وقامت بينها المعارك [٣] . وهكذا عاد خيون لحكم مدينة الشطرة مرة ثانية ولكن تحت السيادة البريطانية هذه المرة ، ورغم ذلك فأن القوات البريطانية لم تدخل الشطرة بالفعل الا في يناير ١٩١٩م (ربيع الثاني ١٣٣٧هـ) [٤]

ولو انتقلنا من جانب " الجزيرة " عبر الفرات الى جانب " الشامية " ، لوجدنا أن حركة المقاومة ضد البريطانيين بعد احتلال الناصرية ظلت مشتعلة الاوار يقود لواءها عجمي باشا السعدون ، الذي رحل بعد سقوط الناصرية

---

(١) العرب ، السنة ٢ ، المجلد ٢ ، العدد ٢٠ ، ١١ ربيع الثاني ١٣٣٦هـ / ٢٤ كانون الثاني ١٩١٨م ، ص ٢ .

(٢) Dickson, Kuwait..., p. 219.

(٣) الطاهر ، مصدر مر ذكره ، ص ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٤) Dickson, Kuwait..., p. 219.

من " الخميسية " الى " الرملية" وهي نقطة تتوسط بين السماوة و"الخضر" (١) . ومن مقره الجديد واصل عجمي محاولات لاستقطاب القبائل وحشدها للوقوف الى جانب العثمانيين ، حيث اصاب في هذه الفترة بعض النجاح مع قبائل البادية حين انضم له قسم من قبيلة العجمان التي كانت قد رحلت من ديارها في الاحساء أواخر سنة ١٩١٥م (أوائل سنة ١٣٣٤هـ) واتجهت نحو أطراف العراق (٢) . ولكن جهوده مع القبائل المتوطنه لايبدو انها لاقت نفس النجاح ، فبالرغم من الاموال التى استمر يتلقاها من الترك ، ودعايته التى تركزت على كفر البريطانيين فقد أفسدت جهوده لامبالاة القبائل والدعاية البريطانية المضادة (٣) .

ولم تقتصر فعاليات عجمي في هذه الفترة على الدعاية للعثمانيين فقط ، بل أستمر في العمليات الحربية ، فحين حاول البريطانيون التقدم من الناصرية نحو الشمال ، ترك بعض القوات قاعدته في " الرمليه" بقيادة أخيه سعود وتوجه ومن معه الى نهر الفرات لصد القوة البريطانية المتقدمة على ظهور السفن (٤). وكانت تلك القوة تضم بعض ابناء القبائل الموالين لبريطانيا يقودهم "علي المنصور السعدون" ، فنشبت معركة عنيفة بين الطرفين أصيب خلالها علي

---

(١) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ص ١٦٠ . والخضر مدينة صغيرة تقع على ضفة نهر الفرات اليسرى على بعد حوالى ثمانية أميال جنوب مدينة السماوة ، وهي مركز ناحية تتبع اداريا قضاء السماوة ، وسميت بالخضر نسبة لضريح الخضر الموجود بها ، راجع :
لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٢) IOR.R/15/5/25, No. C-3 of 1916, P.A., Kuwait, to P.R in the P.G., Feb. 2, 1916.

(٣) Longrigg, op.cit.,p. 85.

(٤) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ص ١٦٠ .

السعدون بعدة جراح ، كافأته عليها السلطات البريطانية فيمابعد بمنحه "وسام الهند للخدمة الممتازة" (١) . وفي أثناء ذلك كانت قوة برية بريطانية تضم بعضا من الظفير والبدور تزحف نحو الرملية ، ولكن المدافعين عنها أستطاعوا صدها أيضا ، فأضطرت القوات البريطانية بعد ذلك لاستخدام الطائرات لقصف قاعدة عجمي في الرملية . (٢)

ولقد ظل عجمي في موقعه على أطراف الصحراء يتعاون مع أمير حائل ابن الرشيد في تهريب المواد الغذائية الى القوات العثمانية مخترقا أسوار الحصار الاقتصادي الشديد الذي فرضته السلطات البريطانية ، مما جعل تلك السلطات ترد على أنشطته العدائية تلك بمصادرة أراضيه الزراعية واراضي أقاربه المؤيدين له (٣) . ولكن ذلك لم يؤثر عليه بل استمر في ولائه للدولة العثمانية التي تحرج موقف قواتها في دجلة أوائل سنة ١٩١٧م(١٣٣٥هـ) فأضطر عجمي عندها لنقل مقره من الرملية لأطراف النجف (٤) . وحتى حين سقطت بغداد في جمادى الاولى ١٣٣٥هـ/ مارس ١٩١٧م وانسحبت القوات العثمانية نحو الشمال ، ظل عجمي على اتصال معها عبر الصحراء ولم يدخر وسعا في تأليب قبائل البادية ضد البريطانيين (٥) . ولم يستجب

(١) العرب ، السنة ١ ، العدد ١٢٥ ، ١١ ربيع الاول ١٣٣٦هـ/ ٢٥ كانون الاول ١٩١٧م ، ص ٢ .

(٢) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ص ١٦٠ .

(٣) Philby, H. ST.J.B., Arabian Days, London; 1948, p.115.

(٤) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ص ١٦١ .

(٥) Wilson, op.cit., p.269.

خلال ذلك لعرض تلقاه من الضباط العراقيين المنتمين الى " جمعية العهد "[1] وفحواه الانفصال من العثمانيين وتكوين نواه لجيش عراقي مستقل ، كما لـم تغره الرشوه البريطانية التى عرضت عليه والبالغة مائتى الف روبيه [2] . وأخيرا وبعد اعلان هدنة مدروس بين العثمانيين والحلفاء فى الرابع والعشرين من محرم ١٣٣٧هـ/ الثلاثين من اكتوبر ١٩١٨م انسحب الى الاناضول حيث منحته السلطات التركية اقطاعات واسعة هناك [3] ورفض فى سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م عقودا كاملا منحته أياه سلطات الاحتلال البريطانى فى العراق[4]، مفضلا ان يعيش فى ظل حلفائه القدماء الى أن وافته المنية سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م[5] .

موقف القبائل من تقدم القوات البريطانية فى لواء العمارة :

قررت القيادة البريطانية أحتلال مدينة العمارة ، واوكلت تنفيذ ذلك لقوة نهرية اتخذت من القرنة قاعدة لها ، ولما استكملت أستعداداتها انطلقت فى اخر مايو ١٩١٥م (السابع عشر من رجب ١٣٣٣هـ) ، وقد نجحت تلك القوة فى تحقيق هدفها ، فدخلت مدينة العمارة بعد ثلاثة أيام ، دون أن تلقى

(١) جمعية سرية أسسها فى استانبول فى اوائل ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م عزيز على المصرى ، واقتصرت عضويتها على الضباط العرب العاملين فى الجيش العثمانى وكان جلهم من العراقيين ، راجع:
جورج انطونيوس، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس، بيروت، ١٩٦٢ ، ص ١٩٧ .

(٢) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ٢١٧ .

(٣) النبهانى ، مصدر مر ذكره ، ص ١٦٤ .

(٤) Wislon,op.cit.,p.19.

(٥) فياض، مرجع مر ذكره ، ص ١٥٨ .

أية مقاومة من القبائل المقيمة على ضفتي نهر دجلة بين القرنه والعمارة (١) . ولا يدعو ذلك للأستغراب اذا عرفنا ان أبرز شيخين في تلك المنطقة وهما عريبي الوادي ومجيد الخليفة كانا قد أنفصلا عن القوات النظامية والقبلية التي كانت تستعد للدفاع عن القرنة قبل سقوطها بأيدي البريطانيين وعادا الى ديارهما . واخذا يكاتبان من هناك رئيس الضباط السياسيين السر برسي كوكس ولذلك أظهرا بعد أحتلال البريطانيين مدينة العمارة فرحا كبيرا (٢) . ويجدر التنبيه هنا الى ضرورة تلمس أسباب مثل تلك المواقف في الوعي المتدني الذي يحل المصالح القبلية الضيقة فوق ماعداها .

وهكذا فقد وجدت القوات الغازية تعاطفا واضحا من بعض قبائل لواء العمارة ، لم يقف عند حدود عدم مقاومتها فقط ، بل تعدى ذلك الى التعاون الايجابي معها . فقد أقدم بعض أبناء تلك القبائل على أداء بعض المهام العربية للقوات البريطانية لقاء ماتمنحهم أياه من مكافآت ماليه (٣) . ولكن ذلك التعاطف لم يكن واضحا في اوساط القبائل القاطنه شمال مدينة العمارة ، والعامل الاساسي في ذلك هو موقف غضبان البنية شيخ بني لام . فعلى الرغم من حدوث احتكاكات بينه وبين القوات العثمانية أدت لانفصاله عنها أثناء عملية الانسحاب من عربستان ، الا أنه تجنب دخول مدينة العمارة التي احتلها البريطانيون واتجه الى الشمال نحو قرية كميت (٤) . وسط

---

(١) Wislon; op.cit.,p. 19.

(٢) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ١٦ .

(٣) تشارلس طونزند ، محاربتي في العراق ، ترجمة عبد المسيح وزير ، بغداد ، ١٩٢٣ ، ص ٦٢ .

(٤) الندواني ، مرجع مر ذكره ، ص ١٣٣ .

عشرين الف رجل من أتباعه ، والقى وجوده هناك ضغطا على شيخ كميت وهو من بني لام أيضا ،وكان ميالا للتعاون مع البريطانيين لولا وجود غضبان بقربه (١) . ونتيجة لذلك الموقف الميال الى العداء شمال مدينه العمارة مباشرة ،فأن الوجود البريطاني هناك كان غير فعال من الناحية الاداريه (٢) .

ومن اجل معالجة هذه المشكلة حاولت السلطات البريطانية في العمارة التفاهم مع غضبان ، ولدينا روايتان عن تلك المحاولة ،تقول الاولى أن السلطات البريطانية أوفدت ضابط الاستخبارات المعروف ليتشمان الى محل اقامة غضبان حاملا معه ثلاثمائه الف روبية قدمها له ،فرفض غضبان الهدية قائلا : انني لست بحاجة الى المال واذا كان غرضكم هو نيل صداقتي فأنني امنحكم أياها دون مقابل . (٣) أما الرواية الثانية فتفيد بأن غضبان دعي للحضور الى مدينة العمارة ،وان كل ماكان يهمه بعد وصوله لها هو المساومة على ما ستدفعه له السلطات البريطانية لقاء تعاونه معها . ومضت هذه الرواية بالقول ان الاتفاق أوشك أن يتم بين الطرفين لولا أن علم غضبان بأن البريطانيين يشترطون لاتمام الصفقة ابقاء أبنه في مدينة العمارة ليكون شبه رهينة بأيديهم ضمانا لتنفيذ غضبان شروط الاتفاق ، وقد رفض غضبان قبول هذا الشرط رفضا حازما وعاد الى كميت (٤) ولكن

---

(١) Barker, op.cit.,p. 104.

(٢) Wilson, op.cit.,p. 79.

(٣) الندواني ،مرجع مر ذكره،ص ١٣٣ .

(٤) Barker,op.cit.,p. 104.

مقامه هناك لم يطل كثيرا على اية حال اذ صحب ثلاثة الاف من اتباعـــه ، واتجه نحو الشمال حيث أنضم ثانية لحلفائه العثمانيين في أوائل رمضـــان ١٣٣٣هـ/اواسط يوليه ١٩١٥م[1] .

ويبدو ان شيوخ بني لام لم يلتزموا جميعهم بموقف رئيسهم الا علـــى غضبان ، فبعد احتلال العمارة وانسحاب القوات العثمانية منها نحو مدينـــة الكوت ،اظهر الشيوخ القاطنون في المنطقة الممتدة بين المدينتين المذكورتين موقفا عدائيا تجاه العثمانيين . ولكن ذلك الموقف لم يستمر طويلا ،فقـــد حدثت بعد ذلك تطورات دعت اولئك الشيوخ لاعادة النظر في مواقفهـــم منها تشكيل السلطات العسكرية العثمانية لمنظمة اسمها "عسكري ملـــي" تضم المتطوعين من ابناء القبائل الذي يمنحون مرتبا شهريا قدره ليرتـــان لكل فارس وليرة واحدة لكل راجل . وقد عزز تشكيل هذه المنظمة مـــن وضع القوات العثمانية واخذت تقوم بمبادرات لفرض سيطرتها جنـــوب مدينة الكوت ، فأغرى ذلك شيوخ بني لام بالتقرب الى العثمانيين مجددا ، واعلنوا خضوعهم في اواخر شعبان ١٣٣٣هـ/اوائل يوليه ١٩١٥م[2] . وفـي هذا الوقت تماما عرض مشايخ عشيرة الازيرق على القيادة البريطانيـــة أستعدادهم لتجنيد ثلاثة آلاف محارب من أفراد عشيرتهم ووضعهم تحـت تصرفها لصد أي هجوم مضاد قد يفكر العثمانيون بشنه على مدينة العمارة[3]. ولن تفهم دوافع اولئك المشايخ التي دعتهم لتقديم هذا العـــرض الا اذا

---

(١) الزوراء ، السنة ٤٧ ، العدد ٢٥٢٥ ، ١٠ رمضان ١٣٣٣هـ.

(٢) الزوراء ، السنه ٤٧ ، العدد ٢٥٢٣ ، ٢٥ شعبان ١٣٣٣هـ.

(٣) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٢٦ .

أعد نا للذاكرة العداء المرير بين الازيرق وبني لام والذي أستمر سنين طويلة قبل الحرب العالمية الاولى ؛

ويبدو ان اشراف قبيلة بني لام على مدينة العمارة من الشمال ، وتذبذب موقفها تجاه الطرفين المتحاربين ، قد جعلا القائد العام للقوات البريطانية في العراق، يلح على ضرورة التقدم من العمارة نحو الشمال لوضع حاجز من القوات البريطانية بين العثمانيين وتلك القبيلة (١) . ولتحقيق هذا الهدف تقرر الزحف نحو مدينة الكوت التي لا تبعد عن الحدود الادارية لولاية البصرة الا بأربعة أميال فقط (٢) ، فأنطلقت القوات البريطانية من العمارة في الاول من سبتمبر ١٩١٥م (الحادي والعشرين من شوال ١٣٣٣هـ)، واستطاعت دخول الكوت في الثلاثين من سبتمبر ، (العشرين من ذي القعدة) ، بعد أن عجزت القوات المدافعة عنها والمكونة من ثمانية الاف جندي نظامي وثلاثة الاف فارس عربي من التصدي للقوات البريطانية المهاجمة التي كانت مؤلفة من ثلاثة عشر الف جندي (٣) .

والملفت للنظر هنا أن قوات الغزو الزاحفة لم تصطدم بمقاومة معلنة من القبائل الساكنة على طريق زحفها نحو الكوت ، اذ كان ابناء القبائل يرفعون الرايات البيضاء على خيامهم دليلا على استسلامهم ، ويتظاهرون بموالاة الطرف الغالب (٤) . ولكنهم حين يجن الليل كانوا يعودون للنشاط

---

(١) Buchanan, op.cit.,p.23.

(٢) Wilson,op.cit., p. 79.

(٣) Buchanan,op.cit.,p. 25.

(٤) الكولونيل كيرسي ، حرب العراق ، ترجمة فخري عمر ، بغداد ، بدون تاريخ ص ٦ .

فينهبون المعسكرات ويهاجمون الوحدات البريطانية المنعزلة ، حتى اضطرت القيادة البريطانية لتخصيص لواء من الفرسان مهمته حراسة طريق مواصلاتها البري (١) . كما كان طريق الامداد النهري عبر دجله ذو الاهمية الفائقة للقوات المتقدمة عرضة لهجمات مماثلة ،حتى أن المسئول البريطاني عن الملاحة النهرية في العراق حينئذ ذكر بأن السفن البريطانية كانت تصحب دائما بحرس مسلحين ،وتصفح بألواح من الحديد لتجنب رصاص المتصيدين " العرب، ولايمكن لأحد من الموجودين على ظهورها النزول الى الشاطئ" في أي موقع الا بحراسة عدد من الجنود المسلحين الذين يتولون صد أي هجوم مفاجئ" (٢)

وقد اعقب سقوط الكوت بيد البريطانيين هدوء مشوب بالترقب في صفوف قبائل المنطقة ،لم تخف ملاحظته عن عيني أحد كبار الموظفين البريطانيين الذي جاء من لندن لتفقد احوال القوات البريطانية في العراق، في نوفمبر ١٩١٥م (محرم ١٣٣٤هـ) فكتب قائلا : ان ذلك الهدوء سينقلب رأسا على عقب عند اول هزيمة تتعرض لها القوات البريطانية ، وسيهب ابناء القبائل لمضايقة القوات المتقهقرة ونهبها (٣). ولقد صدق حدسه سريعا حين تعرضت القوات البريطانية المندفعة نحو بغداد لهزيمة قاسية في" سلمان باك" (٤) فأضطرت للتراجع الى مدينة الكوت وحاصرتها القوات العثمانية

---

(١) فياض مرجع مر ذكره ،ص ١٦٤ .

(٢) Buchanan,op.cit.,p. 59.

(٣) شبيكه ،مرجع مر ذكره ،ص ٢٢١ .

(٤) هي العاصمه الفارسيه القديمه " "يسفون" والتي سماها العرب المدائن، وتقع الى الجنوب من مدينة بغداد ، ويوجد بها قبر الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه فسميت المدينة باسمه على السنة العامة ،ولفظة " باك" فارسية تعني الطاهر أو النقي ،راجع:

Buckingham,J.S., Travels in Mesopotamia, Hants, 1971, pp. 524 - 530.

هناك (١) . وهو الحصار الذي أدى الى أن يصبح الموقف اكثر خطورة في الخطوط البريطانية الخلفية الواقعة جنوب الكوت نتيجة لنشاط القبائل المعادية (٢) . فبمجرد أن سمعت القبائل بأمر الحصار حتى تجمع مابين الفين الى ثلاثة آلاف مسلح من أفرادها على ضفتي نهر دجله في قرية" الشيخ سعد" واخذوا يعترضون مرور السفن البريطانية (٣)

كما كانت النجدة البريطانية التي أرسلت على عجل من العمارة عن طريق البر لمحاولة فك الحصار عن القوات البريطانية في الكوت من مضايقة قبيلة بني لام في علي الغربي والشيخ سعد ،والتي عززها العثمانيون بقوة من فرسانهم ،فأخذ الجميع يشنون الغارات على جناحي تلك النجدة طوال سيرتها نحو الكوت (٤) . ولم تستطع تلك النجدة أن تفعل شيئا للقوات البريطانية المحاصرة في الكوت ، والتي أضطرت للاستسلام للقوات العثمانية في التاسع والعشرين من ابريل ١٩١٦ (٢٥ جمادى الثانية ١٣٣٤هـ) (٥) . ولقد اجج ذلك الاستسلام بلا ريب عداء القبائل للقوات البريطانية ، وجرأها عليها ،حتى لقد قال مسئول الاستخبارات البريطانية في العمارة في سبتمبر ١٩١٦م (ذي القعدة ١٣٣٤هـ) ان حركات السطو التي قام بها

---

(١) البزاز ،مرجع مر ذكره ،ص ٧٢

(٢) Great Britain Naval Intelligence Division, Iraq and Persian Gulf, London, Sept. 1944, p. 271.

(٣) Buchanan, op.cit., p. 135.

(٤) Barker, op.cit., p. 186.

(٥) فياض ،مرجع مر ذكره ،ص ١٦٢ .

أفراد القبائل في اللواء مكنتهم من السيطرة على الاف البنادق وكميات ضخمة من الاعتـــدة البريطانية (١) .

ولا يعنى كل ذلك ان قبائل اللواء جميعها أظهرت العداء للبريطانيين، فلقد ظلت بعضها مخلصة لهم، بل وساهمت في بعض الحملات التي قامـــت بها القوات البريطانية سواء لمحاولة فك الحصار عن الكوت او لمعاقبة بعـــض القبائل المتعاونة مع القوات العثمانية (٢) . هذا بالرغم من ان السلطـــات العثمانية كانت قد انتهجت اسلوب الشدة تجاه من يقع بأيديهـا من الشيوخ المتعاونين مع قوات الغزو، وكانت لا تتردد في تنفيذ عقوبة الاعدام فيهم (٣) . وتحسن الاشارة هنا الى أن القوات العثمانية نالت في هذا الوقت نصيبـــا من عمليات المضايقة والنهب التي يقوم بها أفراد القبائل، وقد دفع ذلـــك احد القواد العثمانيين أن يقترح على البريطانيين بصورة غير رسمية في صيف سنة ١٩١٦م (١٣٣٤هـ) أن يعقد الجيشان المتحاربان هدنة مؤقتـــة ينصرفان خلالها لمعاقبة قبائل المنطقة حتى اذا حل الشتاء، انصـــرف الجيشان لقتال بعضهما دون أن يضايقهما طرف ثالث، ولكن القيـــادة البريطانية رفضت هذا الاقتراح . (٤)

ولم يطل الجمود المخيم على الموقف العسكرى، اذ استعاد البريطانيون زمام المبادرة أوائل سنة ١٣٣٥هـ/ اواخر سنة ١٩١٦م، فتقدمت قواتهـــم

---

(١) Buchanan, op.cit., p. 140.

(٢) محمود، مرجع مر ذكره، ص ٢٢٦ .

(٣) الزوراء، السنة ٤٨، العدد ٢٥٦٧، ٩ رجب ١٣٣٤هـ.

(٤) Great Britain Naval Intelligence Division, Iraq and Persian Gulf, p. 271.

من العمارة بقيادة الجنرال مود Maude وطردت القوات العثمانية من الكوت في ربيع الاول ١٣٣٥هـ/ يناير ١٩١٧م.[1] ولكن ذلك لم يوهن عزيمة أفراد القبائل الذين كانت استهانتهم بالبريطانيين تزداد بأزدياد تقدم الجيش الزاحف، كما أزدادت الغارات الليلية التي يشنونها لنهب ماتقع عليه ايديهم من اسلحة وعتاد وخيل البريطانيين [2] . وقد بلغت بهم الجرأة حد أن وصلت غاراتهم الى خيمة طعام قائد الحملة في قلب مخيم القوات البريطانية [3] . ورغم مافي تلك الغارات من ارباك للقوات الغازية، فأن القيادة البريطانية لم تفكر في القيام بتأديب مرتكبي تلك الحوادث من افراد القبائل ، لعدم كفاية مالديها من الفرسان من ناحية، وخوفا من أن يؤدي ذلك الى تأجيج حالة العداء ضدها بين القبائل مما يجرها الى صدامات واسعة معها تحرفها عن هدفها الاساسي وهو دحر القوات النظامية العثمانية دحرا نهائيا من ناحية أخرى [4] .

ولم تكن حركات المقاومة القبلية مقصورة على الغارات الليلية الصغيرة، بل انها عبرت عن نفسها أحيانا بشكل واسع وطني، كما حدث عند دخول القوات البريطانية لمدينة الحي جنوب الكوت في الحادي عشر من يناير ١٩١٧م (السابع عشر من ربيع الاول سنة ١٣٣٥هـ). اذ دخلت القوات

---

(١) البزاز، مرجع مر ذكره، ص ٧٤

(٢) Wilson, op.cit.,p. 214.

(٣) Buchanan, op.cit.,p. 156.

(٤) Wilson, op.cit., p. 207.

المكونه من فرقة فرسان تلك المدينة بعد معركة صغيرة خاضتها مع العشائر المتجمعة خارجها ،واستقرت تلك القوة في المدينة يومين تزودت خلالهما بالمؤن الغذائية ثم أنسحبت عائدة . فكان أنسحابها ايذانا بتوتر الجو من حولها ،اذ تجمع أهالي المدينة والعشائر المجاورة وساروا في اثر القوة المنسحبة ، واخذوا بمهاجمتها ، فدار قتال عنيف بين الطرفين سقط فيه من البريطانيين أربعة وعشرون رجلا بين قتيل وجريح قبل أن تتمكن القوة من الابتعاد [1] .

ولم تفلح غارات القبائل ولا دفاع القوات النظامية العثمانية في صد القوات البريطانية عن دخول بغداد في الحادي عشر من مارس ١٩١٧م (السابع عشر من جمادى الاولى ١٣٣٥هـ) [2] . وبذلك رجحت كفة الميزان لصالح الغزاة البريطانيين ،ولم يعد لمعارضة القبائل في حوض نهر دجله الجنوبي وجود بارز، واضطر الشيوخ المناوئين لبريطانيا هناك الى تقديم خضوعهم [3] . أما أبرز اولئك الشيوخ المناوئين وهو فضبان البنية فيبدو ان مقامه مع القوات العثمانية بعد التحاقه بها ثانية كما عرفنا لم يطل كثيرا . والارجح ان انفصاله الثاني عنها تم بعد سقوط الكوت الاول بيد القوات البريطانية في خريف سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٥م وما أعقبه من انسحاب القوات العثمانية الى بغداد ،لأنه كان في ربيع سنة ١٩١٦م

---

(١) Ibid., p. 214.

(٢) Buchanan, op.cit.,p.166.

(٣) فياض ،مرجع مر ذكره ،ص ١٦٥

(١٣٣٤هـ) مقيما عند الحدود الفارسية . حيث ذهب له فلبى Philby هناك واستطاع أقناعه ببيع عشرة آلاف رأس من الغنم للقوات البريطانية بمبلغ مائة ألف روبية (١) . ورغم ذلك فأنه فضل بعد سقوط بغداد ان يتجه الى المحمرة ويحتمى بشيخها خزعل المرداو، ومكث هناك الى أن تشكل الحكم الوطنى في العراق، في سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢١م فعاد للعمارة ثانية . (٢)

وهكذا بعد أن المضا بنشاط القبائل في مقاومة تقدم القوات الغازية في لوائى المنتفق والعمارة، يسعنا أن نقول أن اغلب قبائل اللوائين كانت معارضة للغزو البريطانى ، وبذلت مابداقتها من جهود لمقاومة ذلك الغزو، مع الاقرار بتفاوت واضح بين مابذلته قبائل اللوائين من جهود في هذا السبيل . ولو قدر للسلطات العثمانية أن تتوصل الى تفاهم أوثق مع تلك القبائل - وهى مهمة ليست سهلة على أية حال - لكان يمكن للحركة أن تؤدى دوراًأكبر فى العمليات الحربية، ان لم ينجح فى صد الغزو البريطانى لنجح فى تكبيد العدو خسائر اكبر من تلك التى تحملها فى سبيل احتلاله للعراق، وهى خسائر بلغت - حسبما اعلنه السياسى البريطانى ونستون تشرشل فى مجلس العموم - مائة ألف أصابة وثلاثمائة وخمسين مليون جنيه استرلينى (٣) . ولكن ذلك لم يحدث مع الاسف، فنجح البريطانيون فى ازاحة الحكم العثمانى من العراق الى الابد ، ذلك الحكم الذى عبر كاتب

---

(١) Philby, op.cit.,pp.123 - 125.

(٢) الندوانى، مرجع مر ذكره، ص ١٣٤ .

(٣) Buchanan, op.cit.,p. 260.

أبناء القبائل الفائقة على التحرك السريع سواء على ظهور الخيل أو على أقدامهم (١) .

ولم يقدر لتلك القوة في النهاية أن تحقق هدفها ، وما كان بأمكانها ذلك بعددها القليل ومدفعيها الاثنين والمسافة الشاسعة التى تفصلها عن قاعدتها الأساسية . ولكنها ظلت صامدة في مواقعها تصارع القوات البريطانية وتمتص كثيرا من تعزيزاتها الى أن بلغتها أنباء الهزائم التى منيت بها القوات العثمانية في جبهتى الشعيبة والقرنة وتقهقر تلك القوات من القرنة نحو العمارة (٢) . فتخوفت القبائل من انتقام البريطانيين واخذت بالتفرق عن القوة النظامية ، (٣) التى أضطرت للانسحاب نحو العمارة ، ولكنها علمت أن تلك المدينة سقطت بيد الغزاة فأبتعدت عنها واتجهت نحو الشمال الى الخطوط العثمانية (٤) . هذا في الوقت الذى كانت فيه قوة بريطانية تسير على اثرها من الاهواز نحو العمارة (٥) .

وهكذا بعد أن القينا نظرة على ماجرى في الجبهات الثلاث يمكن القول أن الاخفاق كان مصير الحركات الحربية التى أشتركت فيها القبائل مع القوات النظامية العثمانية ، اذ لم تحقق هدفها الاساسى وهو طرد

---

(١) Wilson, op.cit., p.29.

(٢) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٥٤ .

(٣) Wilson, op.cit., p. 39.

(٤) الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ١٣٣ .

(٥) Wilson, op.cit., p.47.

عراقي عن مشاعر طائفة كبيرة من العراقيين تجاهه حين قال : انه لم يكـــــن استعمارا ، فلقد كان العرب والترك أمة واحدة ،يعيشون تحت علم واحـــــد ، ويرتبطون بدين واحد يوحد مشاعرهم ،ولاعبرة بما يقال عن تأخر العراق فـــى ظل الحكم العثماني ،اذ لم يكن العراق اكثر تأخرا من الاناضول التركيه . (١)

---

(١) طالب مشتاق ،اوراق أيامي ١٩٠٠ - ١٩٥٨ ،بيروت، ١٩٦٨، ج ١ ، ص ١٩ .

الفصل السادس

موقف قبائل ولاية البصرة من الإدارة العسكرية البريطانية قبل إعلان الهدنة

اكدت المراجع العليا البريطانية منذ البداية على الطابع المؤقت للاجراءات الادارية التي تتبع في الاراضي المحتلة في العراق (١) ،لأن " الاراضي المحتلة عسكريا ليست ممتلكات لبريطانيا ولا هي أراضي تابعة لها . . .وادارتها مؤقتة فقط" (٢) . ثم أن المحتلين ملزمون أدبيا بتنفيذ أتفاق دولي يتعلق بأدارة الاراضي المفتوحة زمن الحرب،وهو اتفاقية لاهاي The Hague (٣) Convention التي "جعل" حكومة جلالته ملزمة بتطبيق القوانين الموجودة [في الاراضي المحتلة] ، ولكنها اذا وجدت ان تلك القوانين القائمة غير ملائمة فيمكنها ادخال تعديلات مناسبة اذا رأت ذلك ضروريا" (٤) . وهي قد رأت ذلك بالفعل ،لأن للمتطلبات الحربية ضرورات قد تتعارض مع نصوص ذلك القانون الدولي ،فأتجهت سلطات الاحتلال نحو انشاء هيكل اداري جديد يوفق قدر الامكان بين قواعد ذلك القانون وبين خطط القيادة العسكرية . وبموجبه كانت الافضلية تعطى دائما للمتطلبات الحربية حسب

---

(١) IOR,L/p+s/10/513, No. 81737/14, the Under-Sec. of State, F.O., to the Under-Sec. of State,I.O. Dec. 15, 1914.

(٢) IOR,L/p+s/10/513, No. M 44833, Under-Sec.of State,I.O., Dec. 22, 1915.

(٣) عقد في لاهاي في هولندا مؤتمران ، الاول منهما التئم في سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م وحضرته ست وعشرون دولة ،وتوصل الى اتفاقيتين تخص الاولى منهما قواعد الحرب البرية والثانية قواعد الحرب البحرية . والتئم الثاني في سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م وحضرته أربع وأربعون دولة وكان من جملة نتائجه التأكيد على الاتفاقيتين اللتين توصل لهما المؤتمر الاول . راجع :
Encyclopeadea Britannica, 1970s' Edition, Vol.10,p.1113.

(٤) IOR,L/p+s/10/513, No. 39139/15, the Under-Sec. of State, F.O.,to the Under Sec. of state, I.O.,Apr.13,1915.

(٥) Wilson, op.cit.,p. 143.

تعليمات الحكومة البريطانية التي نصت على :-"ان الادارة المدنية يجب أن توضع تحت أشراف السلطات العسكرية . . . ويكتفى فى الوقت الحاضر بحد أدنى من الاجراءات الادارية ، ذلك الحد الذى يكفى لحفظ النظام ويقوم بما تتطلبه القوات العسكرية . أما تعديل القوانين وادخال الاصلاحات فيجب أن يكتفي بأقل قدر ممكن منه . ولاترغب حكومة صاحب الجلالة أن تثار قضايا أدارية كبيرة أو متناقضة حتى يبعد الخطر التركى" (١).

ولما كانت القوات البريطانية التى أحتلت العراق تابعة لحكومة الهند ، فقد ظهر لدى سلطات الاحتلال فى بداية الأمر اتجاه واضح لتطبيق النموذج الهندى فى الادارة والاستعانة بموظفين هنود على نطاق واسع وقد لفت ذلك نظر السير مارك سايكس M.Sykes موفد الحكومة البريطانية الذى وصل العراق من لندن فى نوفمبر ١٩١٥م (محرم ١٣٣٤هـ) ،فحذر من مغبة السير فى ذلك الاتجاه ، واضاف ان الضرورة قد تتطلب الاستعانة بالموظفين الهنود والخبرة المكتسبة فى الهند ، ولكن ذلك يجب أن يكون اجراءا موءقتا ،لأن تقاليد العراق تختلف كلية عن تقاليد الهند (٢) . ولاشك ان تلك الملاحظة بنيت على أساس واقع لايمكن انكاره وهو أن العراقيين رغم كل الخلافات فيما بينهم ذوو عقلية استقلالية قوية بصورة بارزة (٣).

ولم يكن ذلك هو الاتجاه الوحيد الذى مالت سلطات الاحتلال فى العراق الى تبنية فى البداية ،بل كان هنالك حديث عن أمر أشد خطورة وهو

---

(١) فياض ، مرجع مر ذكره ،ص ١٦٦ .

(٢) شبيكه ، مرجع مر ذكره ،ص ٢٢٢ .

(٣) Bray, op.cit.,p. 170.

"تهنيد " ولاية البصرة. والواقع أن تلك الفكرة كانت تتداولها بعض الاوساط في الهند منذ سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م[1]. وقد تكرر الحديث عنها سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م حين كان المهندس البريطاني الشهير السير ولكوكس يقوم بتنفيذ بعض مشاريع الري في العراق، اذ قدمت مقترحات بجلب الاف من الهنود لفلاحة الارض المستصلحة. وقد كان لتلك المقترحات صدى سيء في نفوس العراقيين حينئذ[2] وفي الايام الاولى التي تلت الاحتلال البريطاني للبصرة اعاد أرنولد ولسن A.Wilson طرح الفكرة ثانية، وطالب بأعتبار الاراضي المحتلة مستعمرة للهند تديرها الحكومة الهندية وتوطن فيها الافا من أهالي البنجاب الذين تتشابه ظروف الزراعة والري في موطنهم الاصلي مع ظروفها في العراق. وقال أن العراق الذي يقطنه الآن قرابة المليون نسمة يمكن أن يستوعب خمسة وعشرين مليون نسمة اذا ماطور. واشار الى الفوائد السياسية والحربية التي ستجنيها قوات الاحتلال اذا تم توطين البنجابيين هناك. وتوقع الا يلاقي المشروع أية معارضة من سكان العراق العرب[3].

ولا يخفى ماكمن وراء ذلك المشروع من هدف سياسي واضح، اذ أن أولئك المستوطنين الغرباء سيعتمدون في وجودهم وبقائهم على سلطات الاحتلال التي ستشهرهم سيفا مصلتا على رقاب أهالي البلاد العرب فيما اذا تحركوا

---

(١) ابراهيم، السلام البريطاني...، ص ص ١٩٧-٢٠٠.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 12, Am. Cons. at Bag., to Am. Amb. at Const., Feb. 8, 1910.

(٣) IOR, L/p+s/10/463, (Unnumbered), A. T. Wilson to Colonel Yate (member of House of Commons), Nov. 28, 1914.

ضدها (١) . ولكن السير مارك سايكس لاحظ في تقريره الذي رفعه اثر زيارته المذكورة للعراق خطورة ذلك المشروع وحذر السلطات العليا في لندن من مغبة الشروع في تنفيذه (٢) ، في حين كانت حكومة الهند لا تخفي رغبتها في اتمام ذلك التنفيذ (٣) . ولكن وجهة نظر سايكس ومشايعيه هي التي رجعت في النهاية ، ففي الرابع عشر من مارس ١٩١٧م (التاسع عشر من جمادى الاولى ١٣٣٥هـ) قرر مجلس وزراء الحرب في لندن War Cabinet تشكيل لجنة لمناقشة مستقبل الادارة البريطانية في العراق ، وقد قررت تلك اللجنة في اول اجتماع لها بعد خمسة أيام من تشكيلها أن تدار الاراضي المحتلة في العراق من قبل الحكومة البريطانية مباشرة وليس من قبل حكومة الهند (٤) .

وقد أدى اخفاق تلك الفكرة الى جعل سلطات الاحتلال تبتدع نظاما خاصا لادارة الاراضي المحتلة في العراق ، لم يكن هنديا خالصا ولا عثمانيا خالصا ، ولكنه أحتفظ بملامح من كلا النظامين ، مع مراعاة الواقع المحلي بقدر كبير (٥). فبراعة رجال الاستعمار البريطاني تظهر في قدرتهم

---

(١) نوار ، تاريخ العرب المعاصر ، ص ٤٦٠ .

(٢) شبيكة ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٢٢ .

(٣) Philby, op.cit.,p.105.

(٤) Kedourie, Elie, In the Anglo - Arab Labyrinth, Cambridge, 1976,p. 174.

(٥) Wilson,op.cit.,p. 68.

على استنباط الانظمة من الظروف السائدة في المنطقة التي يحلون فيها [1] .
ولقد اوكل التطبيق العملي لذلك النظام في المناطق المحتلة المختلفة الى ضباط سياسيين يتبعون " رئيس الضباط السياسيين" الذي كان مقره في البصرة أول الأمر ثم أنتقل الى بغداد بعد أحتلالها في مارس ١٩١٧م . (جمادى الاولى ١٣٣٥هـ)[2] ولم تستعن الادارة الجديدة بمن بقي من الموظفين العثمانيين في العراق الا في اضيق الحدود ، خوفا من ولائهم للعهد السابق ، وابتعادا عن الطرق التي ورثوها من الادارة السابقة والتي لا تناسب المقاييس الادارية الجديدة ، او استجابة لاعتراضات الملاك وشيوخ القبائل على بعضهم [3] . وهذا يشير الى ماكانت توليه السلطات المحتلة من أهمية بالغة لاسترضاء القبائل ، فلنر اذن كيف جرى التعامل بين الطرفين .

سلطات الاحتلال والقبائل : الادارة والأمن والقضاء

رأينا في الفصل السابق ماسببته القبائل من متاعب لقوات الغزو البريطاني ، سواء أثناء أشتراكها في حركة الجهاد العامة أو ماتلا ذلك من مقاومة فردية . ولذلك فلا عجب أن كان موقف ضباط الحملة وجنودها من تلك القبائل متسما بقدر واضح من العداء ، ولكن ذلك العداء لم يترك أثرا كبيرا على مواقف سلطات الاحتلال تجاه القبائل ، لأن من اوكلت لهم مهمة التعامل المباشر معها هم الضباط السياسيون لا الحربيون . [4] ولقد حرص اولئك الضباط السياسيون بصورة تلفت النظر - في سبيل انجاح مهمتهم -

---

(1) Foster, op.cit., p. 52.
(2) Wislon, op.cit., pp.148-149.
(3) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٦٩ .
(4) Wilson, op.cit.,p. 144.

على اقامة أوثق العلاقات مع الوسط القبلي الذي يحلون فيه . فتجدهم في حركة دائبة بين زيارات لشيوخ القبائل في مضاربهم [١] ، او تنظيم رحلات صيد مشتركه معهم [٢] ، او اقامة دعوات خاصة لهم [٣] ، أو دعوات رسمية عامة بمناسبة الاعياد البريطانية [٤] . اذ كان من الواجبات المقررة على الضباط السياسيين ومعاونيهم استضافة الوجهاء وشيوخ القبائل واقامة الدعوات العامة لهم [٥] . وهم في خلال ذلك كله يراقبون ويدققون في التفاصيل ويدونون الملاحظات لرفعها فيما بعد في تقارير الى مرجعهم الاعلى ، حيث تكون هناك محلا للدراسة والمقارنة من قبل بعض المختصين الذين ترأسهم جرترود بل [٦] .

ولم يكن ذلك التوجه وليد مبادرات شخصية أقدم عليها الضباط السياسيون من تلقاء أنفسهم ، ولكنه كان مبدءا مقررا من مبادىء الادارة الجديدة ، وهو مبدأ يهدف لايجاد اكبر قدر من التأثير في شيوخ القبائل من خلال الاحتكاك المباشر بهم وبأفراد قبائلهم لاجتذاب قلوبهم وتبديد نفورهم من الحكومة الجديدة المسيحية [٧] . ويعد هذا التوجه مناقضا تماما للاسلوب العثماني السابق المبني على أنعزال الموظفين الرسميين عن السكان في القلاع

---

(١) Philby, op.cit., p.117-118.

(٢) Wilson, op.cit.,p. 157.

(٣) Buchanan, op.cit.,p. 145.

(٤) Dickson, Kuwait...,p. 180.

(٥) IOR,L/p+s/10/516, No. 24738-14/45,Lieut.-Col. Wilson to the Sec. to the Gov. of India, Nov.6, 1918.

(٦) Wilson, op.cit.,pp. 157-158.

(٧) Longrigg, op.cit., p. 82.

الحكومية المحصنة (١) ،استعلاء منهم على المواطنين الذين يحكمونهم (٢) . ولعل من هذا الباب حرص السلطات البريطانية على انتقاء ضباط سياسيين مناسبين للعمل في المناطق المحتلة في العراق ،حتى أن وزارة الهند قالت :ـ ان" هدفنا هو تزويد كوكس بكادر حسن الاطلاع على اللغة والعادات العربية ،وعلى الادارة والقوانين التركية" (٣) . ولم يكن كوكس من جانبه يتهاون في التمسك الصارم بهذا الهدف،اذ كان يرفض قبول أي مرشح للعمل في أدارة الاحتلال في العراق مالم يكن ملما باللغة العربية ،خاصة حين يكون مجال عمله المنتظر ذا صلة مباشرة بالأهلين العرب (٤) .

وقد أتسع حرص سلطات الاحتلال على معرفة منسوبيها للغة العربية فشمل الجنود العاملين في صفوف القوات المحتلة . اذ شجعت أولئك الجند على تعلم لغة البلاد التي يعملون فيها ، واخذت تعطى مكافأة مقدارها ثلثمائة روبية لمن يستطيع منهم تعلم الكلام باللهجة العامية العراقية وألف روبية لمن يتعلم القراءة والكتابة باللغة العربية الفصحى (٥) ، هذا ويتضح

---

(١) Dickson, Kuwait...,p. 173; Philby, op.cit., p. 114.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن ،النظم الادارية العثمانية في البلاد العربية . مقال في : مجلة الدارة،السنة ٩ ،العدد ١ ،شوال ١٤٠٣هـ/ يوليه ١٩٨٣م،ص ١١٢ .

(٣) IOR,L/p+s/10/462,(Unnumbered), Tel. from Sec. of State for India to Viceroy, March 30, 1917.

(٤) IOR,L/p+s/10/516, No. 1612, Sir P. Cox, Bag., to I.O., London, May 13, 1917.

(٥) العرب،السنة٢ ،المجلد ٢ ،العدد ٨٤ ، ١٩ أيلول ١٩١٨م/ ٢ ذي الحجة ١٣٣٦هـ ،ص ٤ .

هذا الميل من قبل المحتلين للانسجام مع البيئة المحلية والتكيف مع العادات القبلية السائدة في مثل آخر اكثر وضوحا . فقد بنى الكابتن ديكسون الضابط السياسي البريطاني في سوق الشيوخ" مضيفا" من القصب على عادة شيوخ العشائر في المنطقة ، وكان يعقد فيه مجلسه الاسبوعي المقرر مع شيوخ المنطقة ، ويستقبل فيه يوميا الضيوف من ابناء العشائر (١) .

أما وقد عرفنا أن الاحتكاك المباشر بالقبائل والتكيف مع بيئتها وتقاليدها مبدأ مهم من مبادىء الخطة الادارية التي أتبعتها السلطات المحتلة ، فيجدر بنا أن نتعرف على تلك الخطة برمتها . وهي خطة روى انها أستوحيت من خطة السير روبرت ساندمان Sir Robert Sandeman التي طبقت على اقليم بلوجستان في شمال الهند (٢) . وهي تقضي بالاقتصار على توجيه الشئون السياسية للقبائل ، وترك شئونها الداخلية بأيدي شيوخها الذين وأن كان يتم توجيههم من قبل الضباط السياسيين الا انهم أحرار بالمحافظة على عاداتهم القبلية الموروثة (٣) .

ولاشك ان نجاح هذه الخطة يتطلب وجود قبيلة متماسكة ، يسهل على المحتلين توجيه شيخها ، ويسهل على شيخها ضبط أمورها الداخلية ، ولذلك كانت توجيهات لندن لسلطات الاحتلال في العراق تقضي بضرورة المحافظة على النظام القبلي في المناطق المحتلة (٤) ، وهي توجيهات ترجمتها

---

(١) Dickson, Kuwait ..., pp. 178 - 179.

(٢) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ٧٥ وأيضا البزاز ، مرجع مر ذكره ، ص ٨٢ .

(٣) Pennell, T.L., Among the Wild Tribes of the Afghan Fromtier, London, 1975, p. 61.

(٤) IOR,L/P+s/10/515, No. P 1315, Sec. of State for India to Viceroy, March 29, 1917.

السلطات المحتلة في العراق الى سياسة عبر عنها نائب الحكم الملكي العام في بغداد بقوله :- ان" سياستنا في العراق بالنسبة الى العشائر هي الحفاظ عليها وتنميتها" (١) . واضاف ذلك النائب ان كل الجهود قد بذلت لتركيز السلطة في داخل كل قبيلة بيدى شيخ كبير واحد تحيط به عادة مجموعة كبيرة من المتنافسين (٢) . وكانت سلطات الاحتلال لا تتورع أحيانا عن الضرب على ايدى اولئك المتنافسين بقوة في سبيل تأييد سلطة الشيخ الفرد (٣) ، الذى يتم أختياره غالبا حسب درجة ولائه للسلطات المحتلة.(٤) ولذلك فلم يكن يفترض دائما أن يكون الشيخ المختار هو الاقوى والاكبر بين المتنافسين من شيوخ القبيلة ،بل قد يكون أحيانا شيخا ضعيفا ولكنه " حسن النيه " (٥) ،تجاه سلطات الاحتلال بالطبع.

وانسجاما مع مبدأ تعزيز النظام القبلي ،فقد أبدت السلطات البريطانية حرصا على عدم تفتيت الكيانات القبلية . وكان ذلك عندما ناقشت موضوع الأسس العامة التي ستتبع في ادارة الاراضي العراقية المحتلة بعد أحتلال بغداد في مارس ١٩١٧ (جمادى الاولى ١٣٣٥هـ) . فبعيد احتلال بغداد بعثت وزارة الهند برقية الى نائب الملك في الهند ،حددت تلك الأسس، ومن جملتها مايلى :

---

(١) العمر ،حول سياسة بريطانيا في العراق ،ص ٥٢ .

(٢) Wilson, op.cit., p. 295.

(٣) Dickson, op.cit.,p. 173.

(٤) الأسدى ،مرجع مر ذكره ،ص ١٠٩

(٥) Wilson,op.cit.,p. 144.

١ - تدار الاراضي المحتلة في العراق من قبل الحكومة البريطانية مباشرة وليس من قبل حكومة الهند .

٢ - ستبقى ولاية البصرة بصورة دائمة تحت الادارة البريطانية ، وتكون حدودها من الشمال والشرق هي الناصرية ،شط الحي ،الكوت ،وبدرة .

٣ - ستكون ولاية بغداد دولة عربية بحاكم محلي تحت الحماية البريطانية في كل شيء ماعدا الاسم . ولن يكون لهذه الدولة علاقات مع الدول الاجنبية ، بل سيعتمد القناصل المقيمون فيها من قبل الحكومة البريطانية .

٤ - تظل أدارة ولاية البصرة مستقلة عن ادارة ولاية بغداد ، رغم أن حاكمها البريطاني سيكون تابعا للمندوب السامي البريطاني المقيم في بغداد(١).

وقد اعترضت حكومة الهند على تلك الاسس المقترحة ، واسهبت في تفصيل أسباب اعتراضاتها ، ومن تلك الاعتراضات قولها :ـ" ونحن نقترح أن تكون الحدود التي تقرر في النهاية قبلية قدر الامكان وليست جغرافية وحسب ، أي أنها بعبارة أخرى يجب أن تتبع لا تقطع الحدود القبلية الرئيسة في تلك المنطقة ـ ان تجربتنا في الهند أظهرت ان من المرغوب فيه جعل القبيلة كلها بصورة لا لبس فيها تحت ادارة واحدة ، وان أي شكل من اشكال التوجيه الثنائي يتعارض مع ادارة قبلية مرضية "(٢) .

أما برسي كوكس ، رئيس الضباط السياسيين في العراق ، فقد شارك في الاعتراض على الاسس المقترحه بقوله :ـ" لن يكون هناك خلال فترة الحرب

---

(١) IOR,L/p+s/10/516, No. P-1315, the Sec. of State for India to Viceroy, March 29, 1917.

(٢) IOR,L/p+s/10/462, No. 44 of 1917, Gov. of India to the Sec. of State for India, May 25, 1917.

قائدا جيش في الادارة العليا للاراضي المحتلة ولارئيسا ضباط سياسيين . وانني مسئول أمام قائد الجيش والحكومة عن الادارة المدنية لكلا الولايتين ... أن من المناقض بصورة واضحه لمصالح السكان ولمبادئ حكومة جيدة معاملة القضايا المتماثلة الناشئة في الولايتين الاثنتين بصورة مختلفة ". (١)

وازاء كل تلك الاعتراضات وضحت وزارة الهند موقفها بالقول :-"ان حكومة جلالته ترغب أن تؤكد لكم على الفور انها لا تفكر باقامة ادارة عربية في الحال على أساس المبادئ المشار اليها في برقيتي المؤرخة في التاسع والعشرين من مارس. انها تدرك بصورة كاملة أن الموقف العسكري يتطلب ابقاء أيدي قائد الجيش ورئيس الضباط السياسيين طليقة ، ولكن ما يجب عليهما الالتزام به هو عدم عمل ما يمكن تجنبه أثناء الاحتلال العسكري مما يضر بتطبيق المبادئ المذكورة اعلاه في فترة تاليه ، وبالاخص اقامة نظامين اداريين منفصلين للبصرة وبغداد . ومن اجل فهم واضح لهذه النقطة فأنه يمكن لكوكس الاستمرار في التشاور مع قائد الجيش كما هو الحال لحد الآن ، الى أن تدرس المشكلة برمتها ويقدم تقرير عنها من قبل اللجنة التي أقترحها هو نفسه . ان قضايا مثل المجالس الادارية ، ونظام قضائي دائم ، وتنظيم الهجرة الهندية ، الخ ، ستستبقى للدراسة من قبل اللجنة . وخلال ذلك فأن حدا أدنى من الفعالية الادارية يجب توفيره لانه ضروري للمحافظة على النظام ولمواجهة احتياجات القوات المحتلة . ان تعديل القوانين وادخال الاصلاحات يجب أن يبقيا ضمن أضيق الحدود الممكنه ..." (٢)

---

(١) IOR, L/p+s/10/516, No. 1903, Sir P. Cox, Basra, to India Office, London, May 29, 1917.

(٢) IOR,L/p+s/10/516, No. P- 1854, Sec. of State for India to Viceroy, Foreign Dept., May 10, 1917.

ومن أجل توفير ذلك الحد الأدنى ،فقد عمدت سلطات الاحتلال الى تعيين" ضابط سياسي" في المدن المحتلة الكبرى مثل البصرة والناصرية والعمارة ،و"معاون ضابط سياسي" في المدن الاقل اهمية مثل سوق الشيوخ والقرنة. أما المعيار الذي يتم على أساسه تعيين أولئك الضباط اومعاونيهم من عدمه فقد حدده برسي كوكس حين ذكر أن تعيين ممثل بريطاني مقيم ضروري حيث تقام حامية بريطانية ثابتة ،لكي يتعامل مع القضايا السياسية الكثيرة التي تنشأ في منطقته. (١)

أما المناطق التي لاتوجد فيها مثل تلك الحامية فكان امرها يترك لشيوخ القبائل ،حيث يتم أختيار شيخ اكبر قبيلة في الناحية ويعين بمنصب " مدير ناحية " ، بمرتب شهري مقداره خمسة عشر جنيها أسترلينيا . فيجعله ذلك التعيين مستعدا للموافقة على الفور على أي أمر تصدره له السلطات البريطانية ،خوفا من أن يفقد العائد المالي الشهري والفخر الشخصي له ولقبيلته بحمله لقب" مدير" (٢) . ورغم ان ذلك التعيين كان يقابل بشيء كبير من التذمر من قبل الشيوخ المبعدين عن السلطة والذين هم في الغالب الشيوخ الحقيقيون للقبيلة (٣) ، الا أن الدعم الكامل الذي كانت تقدمه السلطات البريطانية للشيخ المعين وتوجيهه قدر المستطاع لتجنب مايثير نقمة الشيوخ المنافسين كانا يحولان دون تطور الامور بشكل سيء. ومقابل ذلك الدعم كان على الشيخ" المدير" أن يقوم بواجبات محددة مثل جمع الضرائب وحفظ النظام وحسم المنازعات الفرعية والاشتراك مع الضابط السياسي

---

(١) IOR,L/p+s/10/513, (Unnumbered), Tel. from Viceroy to the Sec. of State for India, Jan. 9, 1915.

(٢) Wilson, op.cit.,p. 295.

(٣) الاسدي ،مرجع مر ذكره ،ص ١١٠ .

الذى يتبعه فى حسم المنازعات الكبرى ، وتوفير العمال من ابناء القبائل للاعمال العامة مثل كرى القنوات وتمهيد الطرق . (١)

كما أناطت سلطات الاحتلال بشيوخ القبائل المتعاونين معها واجبا آخر هو المساعدة فى احكام الحصار الاقتصادى على المناطق الواقعة تحت سيطرة القوات العثمانية . فبعد أحتلال القوات البريطانية لمدينة البصرة مباشرة طبقت السلطات المحتلة اجراءات الحصار على نحو صارم وظل الحال كذلك الى أن أحتلت القوات الغازية الناصرية والعمارة والكوت، فرأت السلطات المحتلة ان الحصار أصبح غير ضرورى . ولكن تلك السلطات اعادت فرض الحصار ثانية فى فبراير ١٩١٧م (جمادى الاولى ١٣٣٥هـ) ، وحاولت أن يكون تنفيذه محكما قدر الامكان . ومن اجل ذلك عينت ضابطا للحصار فى مدينة البصرة ، ميناء العراق الوحيد ومنفذ وارداته مهمته أن يقيم تحت اشرافه نقاط تفتيش مسلحه على الطرق الخارجه من البصرة ، لتقوم بمنع خروج اية بضاعة من المدينة مالم تكن مزودة بأذن موقع من الضابط . وكانت نسخة من ذلك الأذن ترسل الى الضابط السياسى او معاونه فى المدينة المتجهة لها البضاعة ، ليتم الابراق الى ضابط الحصار فى البصرة ، اشعارا له بوصول البضاعة كاملة الى وجهتها دون أن يتسرب منها شىء الى أراضى العدو . وفى حالة عدم وصول الاشعار البرقى لايفرج ضابط الحصار من الضمان المالى الذى قدمه له صاحب البضاعة المغادرة . أما المناطق التى لايوجد فيها ضابط أو معاون فلم

---

(١) Wilson,op.cit.,p. 295.

تكن ترسل لها الا كميات محدودة جدا من البضائع، وكان يكتفي بتوقيـــع شيخ القبيلة على أشعار الوصول بدلا من توقيع الضابط السياسي او معاونه [١] .

ومن الاجراءات الأخرى التي لجأت لها ،السلطات المحتلة للمزج بيـن النظامين الاداري والقبلي اشراك القبائل في مسئولية حفظ الأمن ،فقد أصبح شيخ كل عشيرة مسئولا عن أمن الطرق البرية والنهرية التي تمر في ديرته [٢] . كما أصبحت كل عشيرة تتحمل بصورة جماعية المسئولية الجنائية في حالة اقدام أحد أفرادها على أرتكاب جريمة ما في أراضي العشيرة [٣] . وبالرغم مـن أن تلك الاجراءات كانت تسهل على الشيوخ " المدراء" مهام عملهم ،الا أنهـــا لم تكن تفـي بالمرام كلية ،اذ كان كل مدير بحاجة الى قوة تنفيذية فعليـــة يستخدمها عند الحاجة لغرض تنفيذ قراراته على سكان الناحية التي يديرها . فهو لا يستطيع استخدام قوة عشيرته في ذلك المجال خوفا من صدامات قبليـــة كانت سلطات الاحتلال حريصة على تجنبها ،كما انه لا يستطيع الاستعانـــة بالقوات البريطانية . فقد كانت قيادة القوات البريطانية تحرص على تفـــادي الارباك الناشيء من تكليف القوات النظامية بواجبات غير حربية تحرفها عـــن هدفها المحدد ، ولذلك كله عمدت السلطات المحتلة الى انشاء قوات نظـام محلية [٤] . وضمت القوات الجديدة الكثير من ابناء القبائل وهي على نوعيـن

---

(١) IOR,L/p+s/10/515, No. 11563/10 - 90, the Deputy Chief Political Officer, Basra, to the Sec. to the Gov. of India in the Foreign and Political Dept., Simla, Aug. 27, 1917.

(٢) بل ،مصدر مر ذكره ،ص ٧٦ .

(٣) العرب ،السنة ١ ،العدد ١٢٠ ، ٥ ربيع الاول ١٣٣٦هـ/ ١٩ كانون الاول ١٩١٧م ،ص ٢ .

(٤) IOR,L/p+s/10/513, No. 39 I-A., the General Officer Commanding Force "D", Basra, to the General Staff, May 2, 1915.

"السواری" أو قوات الفرسان ، و" الشبانة" أی القوات المشاة او المحمولــــه بالقوارب (١) .

وقد تم انشاء قوات السواری ، اول الأمر فی لواء المنتفق سنــة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م ،وكانت نواتها تتألف من أربعين خيالا من أفراد القبائل ولذلـــك حملت هذه القوه اسم"خيالة المنتفق". (٢) وفی السنة نفسها انشأ ديكســـون الضابط السياسی فی قضاء سوق الشيوخ قوة مشابهة واوكل لها مهمة تسييـــر الدوريات اللازمة لحفظ الأمن فی المنطقة المجاورة لتلك المدينة (٣). أمـــا قوات الشبانة فكانت بداية انشائها فی السنة نفسها أيضا فی القرنة والعمارة ، وقد تزايد عدد أفرادها حتى بلغوا خمسمائة رجل . وكانت مهامها التخفيف من أعباء القوات الحربية البريطانية بتولی حراسة الطرق البرية والانهـــار الملاحية وحماية مخازن الذخيرة البريطانية ،ثم تطورت تلك المهام لتشمـــل القبض على المجرمين ومنع الأضطرابات القبلية والاسهام فی جمع الضرائب (٤) وبالاضافة الى كل تلك الخدمات فلا يخفى مافی انشاء تلك القوات من هـدف سياسی يتمثل فی السعی لكسب قلوب أفراد القبائل وربطهم بعجلة الادارة المحتلة . (٥)

---

(١) Dickson, Kuwait..., p. 168

(٢) هاری سندرسن ، مذكرات سندرسن باشا ،ترجمة سليم طه التكريتی ،ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٦٥ .

(٣) Dickson, Kuwait...,p.170.

(٤) Wilson, op.cit.,p. 67.

(٥) بل ،مصدر مر ذكره ،ص ٧٨ وايضا العمر ،حول سياسة بريطانيا فـــی العراق ،ص ٢٥ .

ويتصل بالناحية الامنية موضوع انتشار الاسلحة بين القبائل ،فقد أستمر في هذه الفترة حرص السلطات البريطانية على قمع حركة تهريب السلاح، وجعلت مدينة البصرة مركزا للشرطة الموكلة بتلك المهمة [١] . حيث قامت تلك الشرطة بقيادة احد الضباط البريطانيين بمواصلة مساعيها للحد من حركات تداول السلاح ،ولكن ظروف الحرب حدت من نجاح تلك المساعي [٢]. فكثر تداول السلاح في المناطق المحتلة حتى أصبح سعر البندقية خمسة جنيهات أسترلينية بعد أن كان سعرها قبل الحرب يتراوح بين عشرين وخمسة وعشرين جنيها . وكان ذلك بسبب إستيلاء أفراد القبائل على اعداد كبيرة من بنادق الجيشين العثماني والبريطاني ،سواء من ساحات المعارك أوأثناء الغارات التي تشن على المعسكرات. وقد ناقشت سلطات الاحتلال فيما بينها فكرة نزع سلاح القبائل ،فوجدت ان ذلك الأمر لايمكن أن يتم دون استخدام القوة ،وفضلت ازاء ذلك الاعلان من استعدادها لشراء البنادق والاعتدة من الراغبين ببيعها . وتمكنت عن هذا الطريق من شراء عدة مئات من البنادق ،ولكن ذلك الاجراء ثبت انه مضر أكثر مما هو نافع،لان المبالغ التي دفعت في شراء تلك البنادق أعيد استغلالها ثانية في شراء بنادق أجود [٣] . فأضطرت سلطات الاحتلال نتيجة لذلك الى الاكتفاء بوضع بعض القيود على حمل السلاح ،فحظرت حمله في المدن أوفي المناطق التي يجري فيها القتال بين الجيشين البريطاني والعثماني [٤]

---

(١) IOR/L/p+s/10/513, No. 766B, Lieut.-Col. Sir P. Cox to the Gov. of India, Apr. 8, 1915.

(٢) IOR,L/p+s/10/513, No. 78. of 1915, Gov. of India to the Sec. of State for India, March 5, 1915.

(٣) Wilson,op.cit.,p. 259.

(٤) العرب السنة ١ ،العدد ٢٧ ، ١٤ ذي القعدة ١٣٣٥هـ/١ أيلول ١٩١٧م، ص ١ .

وثمة سؤال يطرح نفسه هنا وهو : ألم تفكر سلطات الاحتلال - وهي ترى تلك القبائل الكثيرة العدد والجيدة التسليح - في الاستعانة المباشرة ببعضها في المعارك الدائرة ضد الجيش العثماني ، خاصة في المرحلة التي تلت سقوط بغداد واستقرت خلالها السلطة البريطانية في اغلب المناطق الجنوبية من العراق ؟ وقد أجاب "غلوب" على هذا السؤال بالنفي ، ونعى على سلطات الاحتلال عدم تفكيرها في ذلك الأمر ، لأن القبائل العراقية كانت في رأيه ذات خبرة واسعة في القتال ضد القوات العثمانية ، وكان يمكن أن تقوم في هذا المجال بدور أكثر اهمية من الدور الذي قامت به القبائل العربية في مساندة زحف جيوش الجنرال اللنبي Allenby في فلسطين (١). ولكن كاتبا آخر ذكر أن تلك الفكرة كانت مطروحة للبحث بالفعل بعيد احتلال بغداد ، فقد أرسلت وزارة الحرب البريطانية في مايو ١٩١٧م (رجب ١٣٣٥هـ) تعليمات الى قائد القوات في العراق الجنرال مود تقضي بدراسة امكانية الاستفادة من القبائل العربية الصديقة على غرار ماكان يجري في بلاد الشام الجنوبية . ولكن رد فعل مود كان غير متحمس ، حين ابرق للوزارة قائلا :- ان السلام والهدوء هما الامران المطلوبان بصورة ملحة من العرب في هذا الوقت ، وهما لايتوفران الا بوجود أدارة تنتهج الود ازاء القبائل الموالية والقمع ازاء القبائل المعارضة ، ثم أن قيمة العرب القتالية ضئيلة . وقد أيده في رأيه السير برسي كوكس رئيس الضباط السياسيين ، مما جعل السلطات في لندن تصرفه النظر من تلك الفكرة (٢) . وقد أيد " ولسون " ، الذي

---

(١) Glubb, Britain and the Arabs, pp. 100 - 101.

(٢) Busch, B. C., Britain, India and the Arabs 1914 - 1921, Berkeley, 1971, p. 147.

عاش أحداث تلك الفترة وشارك في صنعها ،صحة تلك الرواية ،واضـــاف أن الجنرال مود تردد في قبول تلك الفكرة تحسبا من أية ظروف يمكـــن أن تنشأ نتيجة لاستعداد القبائل لتغيير ولائها في أية لحظة ،ونتيجــة لولع القبائل بالحصول على الغنائم (١) .

هذا ومن ناحية أخرى ،انشغلت السلطات المحتلة بأمر وثيق الصلـــة بالادارة المتبعة في المناطق القبلية. اذ كانت تعرف مدى الجهد الـذى بذلته الحكومة العثمانية لاقناع أو قسرأبناء القبائل على مراجعة المحاكـــم العثمانية في قضاياهم دون أن يحقق ذلك الجهد نتيجة تذكر (٢). ولذلك رأت السلطات البريطانية ان من غير الحكمه محاولة تطبيق القوانيـــــن المؤلفة من مزيج من القوانين العثمانية والهندية في ديار القبائل كما تطبق على ابناء المدن (٣) . ولكن ذلك لم يعن أن تترك المناطق القبليةدون قانـون معين تحتكم اليه ، فمن المعروف ان للقبائل انظمة خاصة موغلة في القـــدم للتقاضي واقرار الحقوق حسب العادات القبلية الموروثة (٤) . وقد فكـــرت السلطات المحتلة بعد فترة وجيزة من احتلال البصرة بتقنين تلك الانظمـــة وتطبيقها بين القبائل ،ولكن حكومة الهند رأت أن الوقت مازال مبكـــرا لوضع مثل ذلك القانون العرفي Code of Customary law (٥) .

---

(١) Wilson, op.cit.,p. 263.

(٢) بل ،مصدر مر ذكره ،ص ٣٩ .

(٣) Wilson, op.cit., p. 68.

(٤) الطاهر ،البدو والعشائر ،ص ص ١٦ - ١٧ .

(٥) IOR,L/p+s/10/513, No. 4726, Viceroy to India Office, Jan. 26, 1915.

ولكن عدم اقرار وضع ذلك القانون في البداية ،لم يعن تجاوز العادات والاعراف القبلية ،فقد أوكل الى الضباط السياسيين تشكيل مجلس قبلي لحسم أية قضية بين المتخاصمين من ابناء القبائل بموجب العادات القبلية السائدة ، والتي لم تكن تختلف كثيرا بين منطقة واخرى في المبادىء الاساسية وان كانت تختلف في بعض الجزئيات (١) . ولم تلبث الموافقة أن صدرت على تشريع قانون يحوي مبادىء التقاضي بين القبائل ،سمي" نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية" ،وصادق عليه القائد العام لجيش الاحتلال في ربيع الثاني ١٣٣٤هـ/فبراير ١٩١٦م. وبموجب ذلك القانون كانت معالجة القضايا القبلية تتم على درجتين ،اولاهما تشكيل مجلس التحكيم القبلي لمعالجة القضية المعروضة حسب القواعد القبلية المتبعة ،فاذا لم يفلح المجلس في الوصول الى نتيجة يقرها الطرفان المتنازعان ،تنتقل القضية الى الدرجة الثانية وهي أن يقوم الضابط السياسي بفرض الحل الذي يراه صوابا حسب قناعاته الشخصية وبعد الاستئناس برأي شيوخ القبيلة (٢) . ولم يكن الضباط السياسيون يتورعون في سبيل فرض الحل الذي أرتأوه عن استخدام القوة المتاحة لديهم او التهديد باستخدامها (٣) .

وقد نجح ذلك النظام نجاحا كبيرا ،اذ أدى الى تهدئة القبائل التي طبق عليها ،وجعلها ميالة لتصفية مايثور بينها من قضايا تحت أشراف الضباط السياسيين (٤) . وبقدر ماكان ذلك النظام متفقا الى حد بعيد

---

(١) Wilson, op.cit., p. 69.

(٢) بل ،مصدر مر ذكره ،ص ٥٠ .

(٣) Dickson, Kuwait..., pp.175 & 194.

(٤) Wilson, op.cit., p. 69.

مع رغبات افراد القبائل وعاداتهم المألوفة منذ زمن قديم ،بقدر ما أراح الضباط السياسيين البريطانيين بأن رفع عن كواهلهم حملا ثقيلا (١) . ومن الطريف الاشارة هنا الى أن بعض أولئك الضباط السياسيين أستخدموا نظام التقاضي القبلي ليس في تصفية النزاعات بين الاطراف القبلية فقط ،بل أنهم استخدموه أحيانا لحل خلاف نشب بين طرف قبلي من ناحية وسلطات الاحتلال من ناحية أخرى (٢) . ومن المفيد هنا التنبيه الى أن تطبيق ذلك النظام لم يكن شاملا كل المناطق القبلية فقد مر بنا في الفصل السابق (٣) أن اغلب لواء المنتفق ظل خارج السيطرة الفعلية لسلطات الاحتلال حتى مابعد فترة بحثنا .

وكما أرضى تطبيق ذلك النظام القبائل وشيوخها ،فأنه أرضى لدرجة كبيرة الاوساط الدينية الشيعية ،لانه كان ينص على طلب مساعدتها في حل بعض القضايا عند الحاجة (٤) . وكانت المساعدة تتمثل بارسال الخصمين الى كربلاء والنجف ليقوم علماء الدين بتحليفهم اليمين في مراقد الأئمة علي بن أبي طالب والحسين والعباس أبني علي رضي الله عنهم (٥) ولا يخفى مافي ذلك الاجراء من فائدة كبيرة للسلطات المحتلة ،فهو اجراء سهل وسريع لحسم القضايا مهما كانت درجة تعقيدها ،اذ يخاف

---

(١) العمر ،حول سياسة بريطانيا في العراق ،ص ٣٧ .

(٢) Dickson, Kuwait...,p.199.

(٣) انظر الفصل الخامس ،ص

(٤) Wilson, op.cit., 69.

(٥) Dickson, Kuwait..., p. 177.

الطرف الآثم غالبا من مغبة أداء اليمين في تلك المراقد فينكشف بذلك كذبه ويسهل تمييز الحق من الباطل . وهو من ناحية أخرى وسيلة لتوثيق الصلات مع علماء الدين في النجف وكربلاء ، الذين حرص بعضهم على تعزيز علاقاتهم مع السلطات المحتلة في هذا الوقت ، حتى انهم بادروا لارسال برقيات التهنئة الى ملك بريطانيا بمناسبة سقوط بغداد بيد القوات الغازية (١). هذا ومن ناحية أخرى درج الضباط السياسيون أيضا على الاستعانة بـ" السادة "(٢) المحليين الذين كانوا يقيمون في مناطقهم في حسم ماينشب من خلافات قبلية ، وفي حل المشاكل الفقهية مثل قضايا المواريث والطلاق وغيرها من الشئون الشخصية . (٣)

سلطات الاحتلال والمشكلة الزراعية : الارض والري والضرائب :

ورثت سلطات الاحتلال البريطاني ادارة مناطق ولاية البصرة ، وورثت معها بالنتيجة مشاكل عديدة ، لعل من اعقدها المشكلة الزراعية بشقيها المترابطين : الارض والضرائب . ففيما يتعلق بالارض كانت المشكلة تتمثل في الصراع بين شيوخ القبائل على التزام المقاطعات في لواء العمارة ، والنزاع بين مالكي الارض القانونيين الذين يحملون سندات الطابو وشاغلي الارض الفعليين

(١) Wilson, op.cit., p. 243.

(٢) السادة هم من ينتسبون الى آل البيت ، وكان بعضهم يقيمون بين القبائل ويتمتعون بمكانة كبيرة ، حيث يرجع لهم ابناء القبائل في كثير من أمورهم الشخصية والعامة . راجع :
الطاهر ، البدو والعشائر ، ص ١٧ .

(٣) Dickson, Kuwait..., pp. 198 & 213.

من ابناء القبائل في لواء المنتفق . ولم تخف صعوبة المشكلة وتعقيداتها على سلطات الاحتلال ، فالتزمت جانب الحذر ، وتجنبت اتخاذ أي اجراء عاجل لمعالجة المشكلة ، تجنبا لاثارة أي طرف من الاطراف القبلية ضدها من ناحية ، والتزاما منها بتوجيهات السلطات العليا في لندن من ناحية أخرى . اذ نصت تلك التوجيهات على وجوب التزام سلطات الاحتلال في العراق بتنفيذ القوانين العثمانية في المجال الزراعي (١) .

وقد بادرت سلطات الاحتلال الى تعيين هنري دوبس Dobbs مفوضا للايرادات الحكومية Revenue Commissioner ، واوكلت له من ضمن مهامه الأخرى التعامل مع مشكلة الاراضي الزراعية ودراسة مختلف جوانبها (٢) . ولمعاونته في هذا المجال انشأ دوبس قسما ملحقا بأدارته على نمط ادارة الطابو العثمانية نفسها وزوده بالمساحين والفنيين اللازمين لتسييره (٣) .

ويبدو أن دراسة هنري دوبس للمشكلة قادته الى الاقتناع بضرورة المحافظة على الوضع الراهن . ففي لواء العمارة ، وبعد شهر من احتلاله ، رفع دوبس الى قيادة جيش الاحتلال تقريرا ضافيا عن وضع الاراضي الزراعية هناك . وقد اوضح فيه ان كل تلك الاراضي تقريبا تعود ملكيتها للدولة

---

(١) IOR, L/p+s/10/847, No. 128145/M.E. 44a, the Under-Sec. of State, F. O., to the Under-Sec. of State,I.O., Sep. 19, 1919.

(٢) Wilson,op.cit., p. 256.

(٣) IOR,L/p+s/10/514, No. 2422, the Hon'ble Lieut. Col. Sir P.Z. Cox, Basra, to the Sec. to the Gov. of India in the Foreign and Political Dept., Simla, May 22, 1916.

" أميرية"، وانها ممنوحة للملتزمين بموجب عقود التزام . واضاف :-" أن غالبية التلزيمات ستنتهي في مارس ١٩١٦ أو مارس ١٩١٧ ، وبعد ذلك ستكـــون الاراضي والمياه - من الناحية التقنية - تحت تصرف الحكومة . وسنواجـــه بمشكلة فيما لو انهيت العقود في وقت أبكر لان نظام التلزيم الثانـــــوي الواسع ، والمعقد سوف يفسد" (١) فجاءه رد تلك القيادة عاجلا ، وهـــو يفيد بأنها لا ترغب اطلاقا في اقلاق ملتزمي الاراضي او التدخل في حقوق الزراع على أي وجه (٢) . وتنفيذ ا لهذا التوجه فقد أستدعى رئيـــس الضباط السياسيين ملتزمي المقاطعات في ذلك اللواء واخبرهم ان السلطات البريطانية ستدعهم يستمرون في استثمار مقاطعاتهم شريطة أن يتحلـــوا بالسلوك الحسن (٣) . اذ اتخذ شرط السلوك الحسن ذريعة لمعاقبـــة من ناوأوا الاحتلال عن طريق تقليص أراضيهم أو مصادرتها كلية . (٤)

أما في لواء المنتفق فقد كان الوضع اكثر تعقيدا من أن تنفع فيه سياســة المحافظة على الوضع الراهن ، ففي الاجزاء التي خضعت لسلطة الاحتـــلال الفعلية من ذلك اللواء لم يكن بالامكان تهدئة القلق العام السائد بيـــن القبائل الا اذا تم الوصول الى تسوية الدعاوى المتضاربة حول ملكية الاراضي بين عائلة " آل سعدون" والقبائل (٥) . فالفريق الاول كانوا يحملون سندات

---

(١) IOR,L/p+s/10/458, No. 26-C, Mr. Dobbs to the Gen. Staff- Intelligence, Basra, July 2, 1915.

(٢) IOR,L/p+s/10/458, No. Ig.- 812, the Army Commander to Mr. Dobbs , Revenue Commissioner, July 3, 1915.

(٣) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ٧٤ .

(٤) عبد الرزاق الظاهر ، الاقطاع والديوان في العراق ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ص ١٩ - ٢٠ .

(٥) Dickson, the Arab of the Desert, p. 559.

الطابو ويدعون أنهم لم يستلموا ايجارا عن أراضيهم من شاغليها منذ عشر سنوات (١) ، ويطالبون السلطات المحتلة أن تلتزم جانب القانون فتحصل لهم - بالقوة اذا استلزم الأمر - حقوقهم من المستأجرين (٢) . في حين كان شاغلو الأرض يدعون بالمقابل أن معظم الاراضي التي يطالب بها الفريق الاول أراضي أميريه . ومما زاد في صعوبة المشكلة انه لم تكن هنالك عقود ايجار حديثة بين المالكين والمستأجرين الا في حالات محدودة ، كما أن الاراضي لم تكن مثبتة المساحة بصورة دقيقة في سندات الطابو ، اذ يحدد السند في اغلب الحالات حدود الارض ويبين أن مساحتها خمسون دونما فقط بينما تكون المساحة الفعلية الواقعة ضمن تلك الحدود الاف الدونمات . (٣)

وقد وقعت سلطات الاحتلال ازاء ذلك الوضع في مأزق حرج ، فهي لا تريد - لاسباب سياسية وحربية - اغضاب آل سعدون ، ولكنها لا تقدر على تأييد حقوقهم القانونية بقوة السلاح ضد مستأجري أراضيهم من أبناء القبائل التي هي حريصة أيضا ولنفس الأسباب على استمالتهم . كما كانت القيادة العربية تعترض على التورط في أية قضية يمكن أن تؤدي الى اثارة المتاعب مما يؤخرها عن انجاز هدفها الرئيسي وهو دحر القوات العثمانية . ونتيجة لكل هذه العوامل المتشابكة توصلت السلطات الى قناعة مفادها أن حل تلك المشكلة حلا نهائيا لا يمكن أن يتأتى لها في زمن الحرب ولكنها كانت تدرك رغم هذا ضرورة تحركها بشكل ما لتهدئة الوضع في اللواء (٤) .

---

(١) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٨١ .

(٢) Philby, op.cit.,pp.115-116.

(٣) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٨٢ .

(٤) Philby, op.cit.,p.116.

ولهذا لجأت الى اتباع اجراءات توفيقية تهدف الى استرضاء الطرفين المتنازعين بصورة موقتة (١) ،مثل الاعلان الذى أصدره القائد العام لقوات الاحتلال فى سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م والذى حظر بموجبه على المحاكم نظر أية قضية تتعلق بتقرير ملكية الاراضى الزراعية الا بعد الحصول على موافقته (٢) . ومن تلك الاجراءات أن قررت السلطات فى بعض الحالات تعيين مخصصات مالية لبعض ملاكي الاراضى بدلا من واردات أراضيهم انتظارا للتسوية النهائية . (٣) كما انها لجأت في حالات أخرى الى تحصيل الرسوم من المستأجرين على أساس مساحة الارض المثبته في السند لا المساحة الواقعة ضمن الحدود فعلا . (٤)

واذا كانت تلك الاجراءات التى أتبعها المحتلون في لوائى العمارة والمنتفق قد أدت الى تهدئة الخواطر ،فلم تقم القبائل بأية أضطرابات خطيرة بسبب مشكلة الارض كتلك التى تعودت السلطات العثمانية على مواجهتها (٥) . فأن المحتلين لم يستطيعوا تجنب بعض الاحتكاكات مع قبائل هذين اللوائين بسبب قضية أخرى تتعلق بالزراعة ، وهى التعارض بين الملاحة البريطانية فى نهرى الفرات ودجلة وعمليات الرى التى تقوم

---

(١) Longrigg, op.cit.,p. 82.

(٢) IOR,L/p+s/10/847, No. 31435, Acting Civil Commissioner in Mesopotamia to the Under Sec. of State for India, Oct. 12, 1919.

(٣) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ٧٧ .

(٤) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٨٢ .

(٥) Wislon, op.cit.,p. 256.

بها القبائل لحقولها . ففي نهر الفرات كانت العشائر القاطنة على ضفافه جنوب مدينة سوق الشيوخ قد بنت منذ زمن طويل سدة بدائية في العكيكة لرفع منسوب مياه النهر خلفها حوالي ثلاثة أقدام ، فتتمكن بذلك من ري حقول الأرز وهو من المحاصيل التي تتطلب كمية وفيرة من المياه . ولكن القوات البريطانية عند ما أحتلت الناصرية في رمضان ١٣٣٣هـ/يوليه ١٩١٥م قامت بتدمير تلك السدة لتأمين خطوط امدادها النهرية مع البصرة . وقد أدى ذلك الى الاضرار بمزارع الأرز في مساحة واسعة تقع على القنوات الممتدة شمال السدة ، مما أضطر السلطات المحتلة لاسترضاء العشائر المتضررة باعطائها تعويضات مالية عن الخسائر التي لحقت بها . ولم تنس تلك السلطات في هذه المناسبة أن تخص بالتعويض العشائر الموءيدة لها وتحرم منه العشائر التي قاومت زحف قواتها . (١)

وقد تفاقم الوضع في تلك المنطقة في السنة التالية ، ولم ينقذ حقول الأرز هناك لجوء العشائر الى وضع سدود في مجاري القنوات المتفرعة من النهر الرئيسي لرفع منسوب المياه فيها وايصاله الى الحقول . وقد تحملت العشائر نتيجة لذلك خسائر فادحة يمكن تصور حجمها من معرفة أن عشيرة صغيرة واحدة فقدت حقول أرز تساوي قيمتها أربعين ألف روبية . وترتب على ذلك انتشار شعور من الغضب والاستياء بين عشائر المنطقة ضد الحكم البريطاني ، لم تخفف منه الاجراءات التي قامت بها السلطات المحتلة مثل اعانة الشيوخ المتضررين اعانات مالية كبيرة ، وتوزيع بذور

---

(١) IOR,L/p+s/10/458, No. 50, Office of the Chief P.O., Basra, to the Officer in Charge, Cairo Section, Eastern Bureau, Sep. 9, 1916.

القمح عليهم لزراعتها بدلا من محصول الأرز المفقود ،لأن زراعة القمح لا تحتاج الى كمية كبيرة من المياه كزراعة الأرز. (١)

ومما زاد من أستياء العشائر في تلك المنطقة أن السلطات المحتلة بدأت بحفر قناة ملاحية تعمق مجرى النهر وتسحب كمية اكبر من المياه (٢). فتكتلت العشائر واعلنت معارضتها الصريحه للمشروع (٣) ،واضطرت السلطات البريطانية لاقامة حامية عسكرية في العكيكه لمواجهة احتمالات تطور الموقف(٤). في الوقت الذي سعى فيه الضابط السياسي في سوق الشيوخ لدى احد رجال الدين المحليين ووسطه لدى تلك العشائر المعارضة لاقناعها بأن ترى اولا الأثر الفعلي الذي ستسببه القناة على ري مزروعاتها . فاذا ظهر ان ذلك الأثر كبير بحيث يعوق زراعتها فأن لها كامل الحق في أن تعيد بناء سدودها المعتادة لرفع منسوب المياه وسقي حقولها بينما توجه السلطات البريطانية سفنها الى سلوك سبيل ملاحي آخر عبر الهور (٥) . ويبدو ان تلك التسوية المقترحة كانت كافية لانهاء قلق العشائر.

أما في لواء العمارة ،فقد أرسلت قيادة الجيش البريطاني في العراق برقية الى الضابط السياسي في العمارة في يوليه ١٩١٥م (شعبان ١٣٣٣هـ) وجهت نظره لامكانية تطوير نهر دجله باعتباره ممرا ملاحيا مهما بالنسبة لها ،واضافت تلك البرقية قائلة :-" أنت تعلم أن وجهة نظر قائد الجيش

---

(١) Ibid.

(٢) Philby, op.cit., p. 113.

(٣) Dickson, Kuwait...p.214.

(٤) Philby, op.cit.,p. 113.

(٥) Dickson, Kuwait...,p. 214.

هى أن السيطرة على القبائل العربية ستصان بصورة كبيرة جدا عن طريق المعالجة الجيدة لقضية الرى، وان من الأهمية الفائقة جعل تلك القبائل ترى بأن مصالحها متوافقة مع مصالحنا". (١) وبعد يومين زادت القيادة وجهة نظرها أيضاحا بالقول ان قائد الجيش" طلب من حكومة الهند ارسال مهندسين وطاقم من المختصين بشئون الرى للنظر فى الاعمال اللازمة لتنظيم المياه التى تذهب الآن من دجله هباء الى الأهوار وتنظيم عملية الرى لاغراض الزراعة. ان التدفق غير المنظم فى القنوات العديدة لايعنى التفريط بالمياه التى يمكن الانتفاع منها لاستصلاح اراضى اكثر للزراعة فحسب، ولكنه يديم الأهوار أيضا ويجعل النهر ينخفض بصورة خطيرة فى أشهر معينة، وسيشكل ذلك خطورة عسكرية اذا ماتوقفت الامدادات عن القوات، بالاضافة الى انه يعرقل تدفق التجارة شمالا وجنوبا. انه (قائد الجيش) يرغب بالتوضيح للقبائل بطريقة مناسبة أن تنظيم المياه - حتى لو نقص حجمها فى القنوات العديدة وانخفض مستواها - ضرورى لمصالحها، وهو يرغب فى جعلها ترى ان ذلك سيفيدها...". (٢)

وقد تحفظت وزارة الهند على فكرة هذا المشروع لأسباب سياسية وعسكرية وفضلت ارجاء تنفيذه لحين اتضاح الرؤية حول مستقبل العراق، ولكنها وافقت رغم ذلك على ايفاد السير جورج بوكانان Buchanan للعراق

---

(١) IOR,L/P+s/10/458, No. Ig.- 803, The General Staff, Intelligence, Basra, to Captain Leachman, July 1, 1915.

(٢) IOR,L/p+s/10/458, No. Ig. - 812, the Army Commander to Mr Dobbs, Revenue Commissioner, July 1,1915.

لتقديم المشورة الفنية لسلطات الاحتلال حول تحسين الملاحة في نهـــــر دجلة (١) . وقد باشر بوكانان حال وصوله للعراق في أجراء الدراسات على مجرى النهر ، ثم قدم تقريرا مفاده أن تحسين الملاحة في فصل "الصيهود" (٢) أمر ممكن عمليا ، وذلك عن طريق تخفيف حدة الانعطافات في مجرى النهـــر وازالة العوائق الموجودة في مجراه وانشاء سدود موءقتة على أفواه القنـــوات العديدة التي تسحب المياه منه . وقد اعترفت قيادة الجيش بصعوبة تنفيـــذ تلك المقترحات دون حرمان القبائل من كمية كبيرة من المياه اعتادت سابقا على سحبها لاغراض ري مزارعها ، كما اعترفت بأن فكرة انشاء السدود على أفـــواه القنوات قد أثارت بعض "الجدل" (٣) . ولم يكن ذلك الجد في حقيقتـــه الا اعتراض القبائل بشكل حاد على تنفيذ تلك الفكرة بعد أن تسربت اليهـــا أخبارها ، مما أضطر رئيس الضباط السياسيين لايفاد جون فلبي وجرترود بـــل لمحاولة اقناع شيوخ القبائل بسحب اعتراضاتهم (٤) . ثم قام هنري دوبـــس ومرافقوه بمحاولة أخرى في هذا السبيل كادت أن توءدي بأرواحهم علـــى

---

(١) IOR,L/p+s/10/513, No. P-3903 , Sec. of State for India to Viceroy, Oct. 30, 1915.

(٢) " الصيهود " عند أهل العراق نقص المياه الجارية في الانهار اما بالتبخر واما بالنضوب ، ويكون ذلك في أيام أشتداد الحر في الصيف ، والظاهـر ان اللفظة فصيحه لأن الصيهد في اللغة شدة الحر والصيهود الفـلاة التي لاينال ماءوها . . ." راجع :

لغة العرب ، السنه ٢ ، ج ٥ ، ذي القعدة وذي الحجة ١٣٣٠هـ / تشريـــن الثاني ١٩١٢ ، ص ٢١٣ .

(٣) IOR,L/p+s/10/458, No. 1543/11/Q, The General Officer Commanding Force "D", Basra, to the Chief of General Staff, Simla, May 27, 1916.

(٤) Philby, op.cit., pp.119-120.

أيدى رجال القبائل الغاضبين (١) .

وقد قابلت حكومة الهند اعتراضات قبائل لواء العمارة بحزم فأبرقت الى قائد الجيش البريطانى فى العراق قائله :ـ " لايمكن أن يسمح للاعتراضات السياسية بالوقوف فى طريق الانشاء بسبب الأهمية القصوى للعمليات فى دجلة . أن العرب ذوى العلاقة يجب أن يعوضوا أو يجبروا على الخضوع ، ويجب أن تجرى الاستعدادات من أجل هذه الغاية " (٢) . ويدو أن الترغيب المادى والترهيب عن طريق التهديد بأستخدام القوة قد أديا دورهما فى اقناع الشيوخ الرافضين بالتخلى من مواقفهم ، خاصة وانه جرى البحث من ترتيبات فنية يمكن أن تبقى كمية كافية من المياه تحت تصرفهم لاستخدامها فى اغراض الرى . (٣) وقد اعترف ولسون رغم ذلك ان المشروع كله تم الاقدام عليه دون دراسة فنية كافية فأدى الى الاضرار بحقول الأرز حتى باتت مساحات شاسعة من الاراضى الزراعية جرداء . (٤)

ومن المرجح ان ذلك كان عاملا من العوامل التى أدت الى نقص انتاج المواد الغذائية فى المناطق المحتلة واتجاه السلطات الى أستيراد كميات

---

(١) Buchanan, op.cit.,p.103.

(٢) IOR,L/p+s/10/458, No. 50569, The Chief of General Staff, Simla, to the General Officer Commanding, Basra Apr. 26, 1916.

(٣) IOR,L/p+s/10/458, No. 1543/11/Q, the General Officer Commanding Force "D", Basra, to the Chief of General Staff, Simla, May 27, 1916.

(٤) Wilson, op.cit.,p. 293.

كبيرة من الحبوب من الهند (١) ولعل من تلك العوامل أيضا نقص الايـدى العاملة فى الزراعة نتيجة لاتجاه الكثير من ابناء القبائل للعمل فى المشاريع الانشائية للسلطات المحتلة فقد سحب مشروع انشاء السكة الحديدية بين البصرة والعمارة مثلا كل الرجال القادرين على العمل تقريبا من حقولهم فى منطقة القرنة (٢) . ونتيجة لكل ذلك قل انتاج الحبوب بصورة مضطردة حتى بلغت كمية الانتاج سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٨م ربع ماكانت عليه فى سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م (٣) . وقد حاولت سلطات الاحتلال معالجة الأزمة من طريق تبنى خطة لزيادة الانتاج الزراعى (٤) ، وقامت بتوزيع البذور الكافيه لزراعة مساحات أوسع من الاراضى (٥) . بالاضافة الى انها قررت تعويض المزارعين عما لحق بهم من أضرار ناتجه عن العمليات الحربية التى جرت خلال السنوات الثلاث التى اعقبت احتلال البصرة . (٦)

واذا كنا قد الممنا بنجاح سلطات الاحتلال فى تجاوز التعقيدات الناشئة عن مشكلتى الارض والرى ، فقد بقى علينا أن نتعرف على كيفية تعاملها مع مشكلة ثالثة ترتبط بالمشكلتين السالفتين ، الا وهى جباية الضرائب المقررة على القبائل . تلك المشكلة التى عرفنا سابقا انها سببت الكثير من الصدامات الدموية بين القوات العثمانية والقبائل . ويبدو أن أمر تلك

---

(١) Philby, op.cit., p. 119.

(٢) Wilson, op.cit., p.291.

(٣) وميض نظمى واخرون ، مرجع مر ذكره ، ص ٧٩ .

(٤) IOR, L/P+s/10/516, No. 1612, Sir P. Cox to I.O., London, May 13, 1917.

(٥) العرب ، السنه ١ ، العدد ١٢٢ ، ٧ ربيع الاول ١٣٣٦هـ/ ٢١ ديسمبر ١٩١٧م ، ص ١ .

(٦) العرب ، السنه ١ ، العدد ٩١ ، ٣٠ محرم ١٣٣٦هـ/ ١٥ نوفمبر ١٩١٧م ، ص ١ .

الصدامات لم يكن خافيا على السلطات المحتلة ، ولذلك فقد أعرضت عن أمر جباية الضرائب من القبائل أول الامر (١) . ثم حين ترسخت دعائم وجودها في المناطق المحتلة بدأت التعامل مع موضوع الضرائب بحذر (٢) ، فقد عينت هنري دوبس مفوضا للواردات الحكومية واوكلت له مهمة دراسة أمر الضرائب ووضع الأسس التي يتم على ضوئها أستيفاؤها (٣) . وبعد الدراسة توصل دوبس الى قناعة مفادها أن أفضل سبيل تسلكه السلطات البريطانية هو عدم المساس بالنظام المالي العثماني المعقد لجباية واردات الارض والضرائب الاخرى (٤) . ولقد جاءت تلك القناعة بلازيف متفقة مع توجيه حكومة الهند القاضي بابقاء نظام واردات الارض القائم في المناطق المحتلة غير معكر قدر الامكان . (٥)

ويبدو ان الضباط السياسيين ومساعديهم الذين أوكل لهم أمر تطبيق ذلك النظام في المناطق المحتلة المختلفة قد زودوا بتعليمات تقضي بأن يكونوا مرنين أقصى غاية المرونة في جمع الضرائب المقررة ، حتى لا ينفروا القبائل وحتى يكسبوا ودها من ناحية ، وحتى يظهروا الحكم الجديد بمظهر المتساهل الذي لا يثقل كاهل المزارعين بالضرائب عكس الحكم السابق من ناحية ثانية . ففي لواء العمارة أجري بعد الاحتلال احصاء تقريبي عما يمكن أستيفاؤه من الضرائب من كل مقاطعة ، ثم تمت مقارنته بالمبالغ المقررة في العقود التي

---

(١) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ٧٨

(٢) Longrigg, op.cit.,p. 83.

(٣) Wilson, op.cit.,p. 70.

(٤) Philby, op.cit., p. 93.

(٥) IOR,L/p+s/10/515, No. P- 1315, Sec. of State for India to Viceroy, March 29, 1917.

أبرزها الملتزمون والموقعة بينهم وبين الحكم السابق ، ورفعت جميع التقديرات الى قائد الجيش البريطاني في العراق الذى أقر ما أقترح فيها من تخفيضات بلغت حد نصف المبالغ المقررة في العهد العثماني ، وقد تم أخبار الشيوخ بأن هذه التقديرات وقتية الى أن يتم أجراء تقديرات أكثر اتقانا ، كما الغيت في نفس الوقت الديون المتراكمة للدولة في ذمة الشيوخ الملتزمين عن السنوات السابقة . وفوق ذلك فقد قامت السلطات المحتلة بأجراء تخفيضات أخرى خلال شتاء سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٥م - ١٩١٦م[1] .

أما في منطقة سوق الشيوخ فأن ديكسون الضابط السياسي هناك تدرج في الخطوات التي أتبعها لجمع الضرائب ، اذ ترك في اول الأمر استيفاء الضرائب المقررة على الحبوب كالأرز والحنطة والشعير " العشور" والضرائب على المواشي ، وركز نظره على الضريبة المقررة على النخيل وهي روبية واحدة على كل نخلة . ولكون السلطات العثمانية قد أتلفت كل السجلات الرسمية قبل انسحابها ، فقد قر عزمه على أن يطلب من كل عشيرة مبلغا أسميا لقاء الضريبة على نخيلها ، ثم يضاعف ذلك المبلغ في السنة التالية ويضاعفه في السنة التي تليها وهكذا . فأن أعترضت عشيرة ما على تلك المضاعفة خيرها بين الدفع وبين القيام بعملية أحصاء دقيقة لنخيلها . ثم انه بدأ بتطبيق طريقته تلك على العشائر الصغيرة القليلة الاهمية حتى يضمن عدم قدرتها على معارضة مايقرره . وهو خلال ذلك كله لم يكن يتورع - في سبيل اتمام العملية بسلام - عن اللجوء الى الخداع والمداهنة والأسترضاء ، أو أن يتظاهر بالتصلب أحيانا فيضع بعض الاشخاص في السجن لحين مجيء من يتوسط لهم عنده ، ولكنه مع ذلك لم يسلم من مضايقات المتذمرين من دفع الضرائب التي كادت أحيانا أن تودى بحياته .[2]

(١) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ٢٥ .

(٢) Dickson, Kuwait...,pp. 170-172.

وفي منطقة القرنة أستطاع الضابط السياسي هناك أن يقوم بجباية الضرائب المقررة دون أن يواجه مشاكل جديه ، وقد نجح أن يجبي منها خلال سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٧م مايقارب العشرة آلاف جنيه أسترليني ، وهو مبلغ يفوق ما أستطاعت السلطات العثمانية جبايته من تلك المنطقة في أي وقت مضى (١) . ولكن ذلك النجاح الذي حققته سلطات الاحتلال في جباية الضرائب من مناطق العمارة وسوق الشيوخ والقرنة قابله أخفاقها الكامل في اتمام تلك المهمة في أغلب مناطق لواء المنتفق . اذ لم تستطيع السلطات المحتلة كما عرفنا فرض سيطرتها على اغلب قبائل ذلك اللواء المتحصنة في أهوارها غير المطروقة سابقا أو وراء قنواتها الكثيرة التي تعوق تحرك القوات في أراضيها . ولذلك أضطر البريطانيون كما فعل اسلافهم من قبل للاغضاء في هذه الفترة عن جباية الضرائب المقررة على تلك القبائل أنتظارا للوقت الملائم (٢) . ولا ريب أن العامل الأساسي الذي جعلهم يقفون هذا الموقف هو رغبتهم في تجنب أي عصيان قبلي قد يضع عبئا أضافيا على كاهل القوات البريطانية التي كانت تنازل القوات العثمانية في ساحات القتال . (٣)

ورغم استثناء أغلب مناطق المنتفق ، فأن المبالغ التي أمكن لسلطات الاحتلال جبايتها من لوائي البصرة والعمارة وقضاء سوق الشيوخ كانت ضخمة (٤).

---

(١) Wilson,op.cit.,p. 292.

(٢) Ibid,,pp. 294- 295.

(٣) Dickson, Kuwait...,p. 171.

(٤) Wilson,op.cit.,p.283.

ويبدو ذلك واضحا من مقارنة تلك الجباية مع مقدارها أيام الحكم العثماني ، ففي سنة ١٣٢٨-١٣٢٩هـ/ ١٩١٠-١٩١١م أستطاعت السلطات العثمانية جباية ما مجموعة خمسمائة وسبعة وعشرين الفا ومائة وخمسة وسبعين جنيها استرلينيا بينمـــا، أستطاعت السلطات البريطانية في سنة ١٣٣٦-١٣٣٧هـ/١٩١٨-١٩١٩م جباية مامجموعه مليون واربعمائه وواحد وستين الفا وسبعمائة وخمسة وعشرين جنيها استرلينيا (١) . ولعل مرد تلك الزيادة الكبيرة التي قاربـــت الثلاثة أضعاف يعود لدقة الجباية اكثر مما يعود الى الزيادة في نسبـــة الضريبة ،اذ مر بنا أن الضرائب قد خفضت في كثير من الاحيان عما كانـــت عليه في العهد العثماني . ولو أن سلطات الاحتلال زادت من نسبتهـــا لكان لذلك رد فعل يتمثل بمعارضة القبائل وربما بعصيانها كما كانت تفعـــل سابقا ،في حين أن السلطات المحتلة لم تواجه بأي عصيان من هذا القبيل (٢). ولايجب أن نغفل في النهاية القول بأن عامل الولاء للسلطات المحتلـــة او العداء لها قد لعب دوره هنا أيضا ،فأثر على مقدار الجباية من منطقـــة لمنطقة ومن عشيرة لعشيرة ،اذ تمتع الشيوخ الموالون بأعفاءات كبيرة بينمـــا ثقلت الضرائب على المغضوب عليهم من الشيوخ (٣) .

---

(١) وميض نظمي وآخرون ،مرجع مر ذكره،ص ٧٨ .

(٢) بل ،مصدر مر ذكره ، ص ٧٥ وانظر أيضا :
Wilson,op.cit.,p. 71.

(٣) الظاهر،مرجع مر ذكره،ص ص ١٩ - ٢٠ .

التأثيرات الجانبيه للاحتلال على الوضع القبلي :

يضاف الى ما ألممنا به من أنظمة مباشرة وضعتها سلطات الاحتلال موضع التطبيق في ديار القبائل تأثيرات غير مباشرة حضارية واقتصادية تركت في نفس الوقت آثارا كبيرة على ابناء القبائل ، فبهرتهم أو أرضتهم أو أشعرتهم بالعجز عن مواجهة ذلك المحتل الغريب . ولعل أبرز تلك التأثيرات منظر الفعاليات الحربية البريطانية الكبيرة بمعداتها المتطورة واسلحتها الحديثة (١) . وهو منظر لم تر القبائل مثله من قبل ، ففي اكبر معاركها مع الجيوش العثمانية لم يحتشد أمامها اكثر من عشرة آلاف جندي نظامي (٢). كما أنبهرت تلك القبائل بلا ريب بالانضباط الذي كانت تلتزم به غالبا تلك الاعداد الكبيرة من الجند ، وهو أمر لم تتعوده من الجنود العثمانية في كثير من الاحيان . (٣)

والأمر الثاني الذي ترك قدرا كبيرا من التأثير في اذهان أبناء القبائل هو خطوط السكك الحديدية التي بنتها القوات البريطانية لخدمة مجهودها الحربي . فمدت خطا من القرنة حتى العمارة أبتدأ تشغيله في نوفمبر ١٩١٦م (محرم ١٣٣٥هـ) ثم واصلت مده بعد ذلك بين العمارة والكوت. كما مدت خطا آخر بين البصرة والناصرية وباشرت تشغيله في ديسمبر ١٩١٦م (صفر ١٣٣٥هـ) (٤) . وقد ذكرت جرترود بل أن تلك الخطوط ساهمت

---

(١) Longrigg, op.cit., p. 93.

(٢) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٥٣ .

(٣) البزاز ، مرجع مر ذكره ، ص ٨٧ .

(٤) Wilson, op.cit., p. 192.

في تهدئة القبائل بشكل عجيب . (١) ولعل مرد ذلك ناحيتان ،الاولى هي تسهيلها لحركة الجند البريطاني الكثير باسلحته الحديثة أمام أنظار أبناء القبائل ووسط ديارهم،والثانية هي أنبهار أبناء القبائل بقدرة هؤلاء المحتلين على انجاز هذا المشروع الغريب الذي لم يعرفوه قط من قبل .

هذا ومن ناحية أخرى ،أدى تدفق قوات الاحتلال على ولاية البصرة ومارافقها من حركة انشاءات واسعة في الطرق والسدود وبناء المعسكرات وماشابه الى توفر السيولة النقدية في أيدي أبناء القبائل الذين انخرط كثير منهم في تلك الاعمال (٢). بينما انصرف بعض أبناء القرى لبيع منتجاتهم الحقلية من زراعية وحيوانية لافراد القوات البريطانية المارة في الطرق والانهار عبر أراضيهم (٣) . في حين لجأت سلطات الاحتلال الى شراء أعداد كبيرة من مواشي القبائل لتوفير الاغذية للقوات البريطانية في العراق حيث تم خلال عامي ١٣٣٤ و ١٣٣٥هـ/١٩١٦و١٩١٧م فقط شراء مايقرب من ألف بقرة وخمسين ألف رأس من الغنم. (٤) واذا علمنا أن سعر السوق السائد حينئذ لرأس الغنم الواحد كان عشرةروبيات (٥) ، أستطعنا تقديرالكميات الكبيرة من النقود التي تم تداولها بين أيدي أفراد القبائل ،حتى أصبحوا

---

(١) بل ،مصدر مر ذكره،ص ٧٨ .

(٢) IOR,L/p+s/10/458, No. 50, Office of the Chief P.O., Basra, to the Officer in Charge, Cairo Section, Eastern Bureau, Sep. 9, 1916.

(٣) Philby, op.cit.,p. 121.

(٤) Wilson, op.cit.,p. 294.

(٥) Philby, op.cit.,p. 125.

يشعرون بالحيرة في كيفية انفاقها ، اذ أصبح أحدهم يكسب في الشهر اكثر مما كان يكسبه في السنة (١) وقد ساهم في ذلك أيضا ارتفاع أسعار الحبوب بشكل صارخ خلال تلك الفترة. (٢)

وقد ترتب على ظاهرة توفر السيولة النقدية ازدهار التجارة في ولاية البصرة ، حتى أن البضائع التي أستوردت لتلك الولاية خلال سنة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م زادت قيمتها على ما أستورد سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م لولايات العراق الثلاث مجتمعة (٣). ولكن النتيجة الاهم لتلك الظاهرة هي الشعور الساذج الذي لاريب انه انتشر بين البسطاء من أبناء القبائل بالامتنان لهذه السلطة الجديدة التي تدفق مع قدومها الخير بين أيديهم فلم يعد كثير منهم يشعر بالعوز والحاجة مع مايسببانه من توتر بالغ في نفس الانسان يجعله عرضة للثورة والانفجار عند أول احتكاك . ولكنهم أصبحوا بدلا من ذلك منشغلين في الكسب المادي ، فالشيوخ يبيعون محاصيلهم الزراعية ومواشيهم باثمان عالية ، والافراد يمارسون الاعمال اليدوية بأجور مجزيه ، أو يبيعون منتجاتهم الحقلية باثمان مرتفعة . وحين يتوفر المال يقل غالبا الميل للتفكير بالمشاكل الاخرى .

وبالاضافة الى كل ذلك حرصت السلطات المحتلة على تقديم بعض الخدمات العامة لابناء المناطق المحتلة . اذ انها كانت تدرك الاهمية

---

(١) Wilson, op.cit., p. 292.

(٢) العرب ، السنة ١ ، العدد ٢٧ ، ١١٤ صفر ١٣٣٦هـ / ١٢ ديسمبر ١٩١٧م ، ص ١ .

(٣) Wilson, op.cit., p. 146.

السياسية المرتبطة بتقديم هذه الخدمات(١) ، والتي ستؤدى الى رفع مكانتها في اعين الاهلين . وعلى هذا أخذت السلطات المحتلة تدرس فكرة فتح مستوصفات صحية في مراكز بعض المدن ، وتسعى لتوفير الاعتمادات المالية اللازمة لذلك . (٢) وقد انتهت تلك الدراسة الى قرار بفتح مستوصفات في كل من الناصرية والعمارة والقرنة وقلعة صالح ، على أن تغطى نفقاتها من الايرادات التي تجبى من المنطقة المفتوحة . ففتحت تلك المستوصفات بالفعل وكانت نتيجة عملها مرضية . (٣)

أما في الجانب التعليمي ،فقد قررت سلطات الاحتلال بعد سيطرتها على البصرة أن تقدم اعانة مالية من الايرادات العامة للمنطقة المفتوحة الى مدرسة البعثة التبشيرية الامريكية في البصرة . ومقابل هذه الاعانة تخصص هذه المدرسة برنامجها التعليمي لتخريج العدد اللازم من المعلمين لادارةالمدارس الابتدائية التي كانت السلطات المحتلة تزمع فتحها . وقد تخرج من تلك المدرسة بالفعل المعلمون اللازمون للمدارس الابتدائية التي فتحت في مدينة

---

(١) IOR,L/p+s/10/513, P-3676/1915, His Excellency the Viceroy(Foreign and Political Dept.), Simla, to His Majesty's Sec. of State for India, London, Oct.8,1915.

(٢) IOR,L/p+s/10/515, No. D-10-36, the Hon'ble Surgeon-General H. Hathaway, Deputy Director, Medical Services, Indian Expeditionary Force "D", Basra, to the Chief of the General Staff, Army Head quarters, India, Delh,Oct. 28,1915.

(٣) IOR,L/P+s/10/515, No. 2424, the Hon'ble Lieut. Col. Sir P. Cox, Basra, to the Sec. to the Gov. of India in the Foreign and Political Dept., May 22, 1916.

البصرة وفى الزبير وابى الخصيب ،كما تخرج بعد ذلك المدرسون اللازمون للمدارس التى تم فتحها فى كل من الناصرية والقرنة والعمارة . (١)

وبالرغم من كل ذلك ، ظلت السلطة الجديدة مكروهة فى اعماق نفس الرجل القبلى الى حد بعيد ،وظل الشيوخ يعتبرونها عدوا يمثل أى تقدم يحققه انقاصا لقوتهم ومكانتهم (٢) . ولكنهم كانوا مضطرين لقبول وجود هذه السلطة باعتباره أمرا واقعا لا مفر منه ولا يجدى الخلاف معه شيئا ،(٣) خاصة وانه واقع نتجت عنه بعض الفوائد التى سبقت الاشارة اليها . ولا يجب هنا اغفال الاثر الذى تركته " الهدايا" المالية التى كانت سلطات الاحتلال تقدمها للكثير من شيوخ القبائل ،وكانت تصرف من مخصصات الخدمات السرية الموضوعة تحت تصرف رئيس الضباط السياسيين . ويمكن تقدير حجم تلك " الهدايا" من الاشارة الى أن حكومة الهند اقترحت ان تحدد تلك المخصصات بحيث لا تتجاوز عشرة آلاف روبية شهريا ،ولكن السلطات العليا فى لندن اعترضت على ذلك ،ورأت اطلاق يدى رئيس الضباط السياسيين بالصرف دون التقيد بمبلغ معين مادامت العمليات الحربية مستمرة (٤) .

---

(١) IOR,L/p+s/10/517, No. P-2960/17, Administrative Report.

(٢) فياض،مرجع مر ذكره،ص ١٧٠ .

(٣) Wilson, op.cit.,p. 219.

(٤) IOR, L/p+s/10/513, No. 4667/14, Sec. of State for India to Viceroy, Dec. 2, 1914.

أما وقد وصلنا الى هذه المرحلة ،فيحسن بنا أن نقارن مقارنة سريعة بين الادارتين العثمانية والبريطانية في موقفهما تجاه القبائل . وأول مايلفت النظر هنا هو أن الادارة العثمانية انتهجت خطا صداميا واضحا ضد القبائل ،اذ كانت سياستها المقررة هي السعي لتحطيم النظام القبلي واحلال التعامل المباشر بين الفرد والحكومة محله . وهي سياسة حفزت القبائل للتصدي لها دفاعا عن كيانها تجاه الخطر المحدق به ،فدخل الطرفان بالنتيجة في صراع دموي طويل المنا بمجرياته في الفصول السابقة . بينما كان الخط الذي أتبعه البريطانيون على العكس من ذلك تماما ،فهو خط استرضائي اتجه نحو تعزيز النظام القبلي وكسب ود القبائل لتوجيهها لخدمة مصالح الاحتلال . وتفرع من ذلك ان سلطات الاحتلال سعت لتقوية مركز الشيخ في قبيلته بالوقوف الى جانبه ضد المنافسين من داخل القبيلة في حين كانت السياسة المفضلة للسلطات العثمانية هي تشجيع المنافسات الداخلية بين مشايخ كل قبيلة من أجل أضعافهم جميعا ، وهي سياسة جرت الى صدامات دموية بين الشيوخ المتنافسين لم تسلم القوات الحكومية من الاكتواء ببعض شررها المتطاير .

ولقد وضع الموظفون الرسميون العثمانيون حاجزا بينهم وبين أبناء ولاية البصرة واغلبيتهم من أبناء القبائل ،فأبتعدوا عنهم تعاليا وتكبرا مما طبع العلاقة بين الطرفين بطابع من انعدام التفاهم والشك . في حين حرص الموظفون البريطانيون على الانسجام مع البيئة التي حلوا فيها ، فأقاموا أوسع العلاقات مع شيوخ القبائل وداوموا على الاتصال بهم ،كي يتوصلوا الى فهم عقلية الناس الذين يحكمونهم من ناحية ،وليمارسوا من خلال العلاقات الشخصية التي يبنونها معهم اكبر تأثير ممكن في نفوسهم من ناحية

أخرى ، وبما يؤدى الى كسب ثقتهم وجعلهم اكثر استجابة لما يطرحونـــــه عليهم من افكار ومخططات تخدم مصلحة الاحتلال قبل أى شيء آخر .

وفى حين فشل العثمانيون فى معالجة مشكلتى ملكية الارض والضـــرائب لاصرارهم على تطبيق أنظمة وتشريعات لم تنل قبول أفراد القبائل ، حتــــى أصبحت تلك المشكلتان محور صدام دائم ودموى بين الطرفين . أستطـــاع المحتلون البريطانيون بالمقابل بما مارسوه من مرونة ودهاء ومراعاة للوقائع الماثلة دون التمسك بأهداف مثالية بعيدة المنال أن يكسبوا ثقة الكثير مـــن رؤساء القبائل حول الأجراءات التى أتبعوها فى هذين المجالين . فتمكنـــوا نتيجة لذلك من تجميد الخلافات حول ملكية الاراضى ، واستطاعوا أن يجبـــوا من الضرائب أضعاف ماكانت تجبية السلطات العثمانية دون أراقة دمـــاء ودون متأخرات تدور سنويا فى دفاتر الحسابات دون فائدة ودون أمل فـــى تحصيلها يوما ما .

ونتيجة لذلك كله ، فقد أصبحت كثير من القبائل تحت ظل سلطة الاحتلال من الوسائل التى اعتمد عليها المحتلون لحماية الامن العام والاستقـــرار فى الولاية من خلال الوظائف الأدارية التى أسندت لشيوخها ، وبأعتمـــاد مبدأ المسئولية الجنائية القبلية لا الفردية ، وبتقنين العادات القبلية فـــى التقاضى لحل المشاكل المحلية دون الحاجة الى اللجوء للقوى الحكومية . فـى حين كانت القبائل وثوراتها المتصلة هى المشكلة الامنيـة الرئيسة فى أيـــام العهد العثمانى التى أستنزفت الكثير من موارد الدولة فأنهكتها ماديـــا واساءت لها معنويا حين كشفت ضعفها الكبير أمام مواطنيها .

الخاتمة

الخاتمـــة :

ملخص لاهم نتائج البحث

انشغلت السلطات العثمانية منذ دخل العراق فى عداد املاكهـا سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م بالمشكلة القبلية. ويمكن اعتبار تلك المشكلة احدى التحديات التى واجهها الحكم العثمانى فى هذه البلاد. اذ كان اغلب سكان العراق من القبائل، بادية كانت او متوطنة. كما أن عدم أستقرار الحكم فى العراق منذ سقوط الدولة العباسية فيه أدى الى تعزيز النظام القبلى، وجعله فى أغلب الاحيان منافسا لسلطة الدولة المركزية او بديلا لها. وقد أدرك المسئولون العثمانيون طبيعة ذلك التحدى، وحاولوا مواجهته والتغلب عليه بما يتيح أستقرار الحكم الجديد، ويمكن السلطات الحكومية من التفرغ لمواجهة الاخطارالخارجية المحيقة بتلك المنطقة حينئذ. وكان ابرز تلك الاخطار هو الخطر البرتغالى فى الخليج العربى والخطر الفارسى الرابض على الحدود الشرقيه للدولة.

وقد قامت تلك السلطات - من اجل الوصول لهذه الغاية - بالعديد من المحاولات الجادة التى الممنا بها. ولعل ابرز تلك المحاولات هى خطة الوالى المصلح مدحت باشا لمعالجة مشكلة الاراضى الزراعية التى كانت جذر اغلب الوحدات القبلية. وقد صادفت تلك الخطة نجاحا بارزا فى المناطق التى امكن تطبيقها فيها على نطاق واسع. ولعل مامر علينا اثناء فترة البحث من هدوء سكان لواء البصرة وتحللهم النسبى من صرامة الروابط القبلية كان أحد ثمار تطبيق تلك الخطة ،ولكن اللوائين الاخرين فى الولاية وهما العمارة والمنتفق لم ينعما بمثل تلك النتيجة، اذ لم تسمح الظروف الموضوعية السائدة فيهما بتطبيق نظام الطابو تطبيقا سليما يشبه تطبيقه فى لواء البصرة وبعض الوية ولاية بغداد. ونتيجة لذلك أستمر الصراع الدامى فى لوائى العمارة والمنتفق بين القبائل والسلطات الحكومية

من ناحية ، أو بين بعض تلك القبائل وبعضها الاخر من ناحية أخـــرى وكان محور ذلك الصراع هو الارض والضرائب الزراعية . ورغم أن السلطات العثمانية حاولت معالجة هذين الامرين من خلال ارسال اللجان المتوالية لولايات العراق المختلفة – ومن ضمنها ولاية البصرة – الا أن الحلـــول التى اقترحتها تلك اللجان لم تجد طريقها الى التطبيق العملى . وربمـــا كان السر الكامن وراء ذلك هو انشغال السلطات الحكومية فى مشاكـــل عديدة داخليا وخارجيا ، مما لم يتح الفرصة لها لوضع تلك الحلـــول موضع التطبيق .

وفى غضون ذلك ، وصل الاتحاديون الى الحكم فى عاصة الدولـــــة . وكانت فترة حكمهم فترة قلق وعدم استقرار فى حياة الدولة العثمانية اذ كثرت فيها القلاقل الداخلية . واحتدمت المنافسات الحزبية ، وتكررت الانقلابات فى عاصمة الدولة . كما أزدادت فيها الاحتكاكات والمشاكـــل مع الدول الاوربية الطامعة فى املاك الدولة . اذ أرادت تلك الـــدو ل استغلال فرصة عدم الأستقرار الداخلى فى الدولة العثمانية لفـــرض ارادتها عليها وسلخ بعض أراضيها ، كما حدث فى ليبيا والبلقـــان وارمينيا . وقد رافق ذلك وترتب عليه ظهور أزمة مالية عاشت منهـــا الدولة ولمست بعض مظاهرها فى ثنايا البحث . وربما كان من اسبابهـــا أضافة الى نفقات الحروب الخارجية اتساع الانفاق على المشاريـــع الضرورية العاجلة مثل مشاريع السكك الحديدية وتحديث اسلحـــة الجيوش وماشابه ذلك .

وليس من الصائب أن نتوقع من الحكومة الجديدة وهى فى خضـــم تلك المشاكل الكبيرة والمعقدة أن تتفرغ تفرغا كاملا لمعالجـــة المشكلة القبلية ، سواء فى ولاية البصرة أو غيرها من ولايـــات

الدولة. ولذلك شاهدنا في الفصلين الاول والثاني زيادة بارزة في اضطرابات قبائل لوائي العمارة والمنتفق. فعلى الرغم من أن الرجل القبلي العادي لم يهتم كثيرا بالانقلاب الدستوري في عاصمة الدولة، اذ أن امثال هذه الأمور بعيدة تماما عن ادراكه، الا ان القبائل في ذينك اللوائين استغلت عدم استقرار الحكم في عاصمة الدولة لجني بعض المكاسب. اذ استمرت في موقفها الرافض لدفع الضرائب الحكومية المستحقة عليها، وواصلت صراعاتها الدموية على الارض والنفوذ.

ولايعني ذلك أن الحكم الجديد وقف مكتوف اليدين ازاء الاوضاع القبلية المتردية في ولاية البصرة. فبالرغم من الانشغال بالمشاكل العامة المذكورة آنفا، ورغم أن الدلائل تشير الى عدم وضع جمعية الاتحاد والترقي لتصور عام لمعالجة المشكلة القبلية قبل استلامها الحكم، ورغم قلة خبرة زعمائها في الشئون السياسية والادارية، الا أن حكومة الجمعية قامت ببعض المحاولات لمواجهة الوضع القبلي المتردي. ولعل أهم مافعلته تلك الحكومة في هذا المجال هو تأكيدها على فرض سلطة الدولة على القبائل واخضاعها عنوة لقوانين الدولة وخاصة مايتعلق منها بالضرائب. وقد عملت في سبيل ذلك على تعزيز القوات العسكرية العاملة في العراق وتحديثها تسليحا وتدريبا وتنظيما رغم الضائقة الاقتصادية التي أشرنا اليها. ولقد كان توجهها ذاك منسجما مع مطالبة الاوساط المتعلمة في العراق بأستخدام القوة في اخضاع القبائل لسلطة الدولة بأعتبار انه الوسيلة الوحيدة المتاحة. وهي مطالبة لمسنا ترددها فيما نشرته الصحف الصادرة حينئذ في العراق من مقالات وتعليقات.

ولم تقتصر تلك المحاولات على الجانب الحربي فقط، بل كانت للحكومة الجديدة محاولات ايجابية مثل تشكيل اللجان المختلفة وايفادها للعراق لدراسة الوضع واقتراح الحلول الملائمة له . وقد اكدت توصيات تلك اللجان على ضرورة معالجة مشكلة الارض الزراعية على الاسس نفسها التي تضمنتها خطة مدحت باشا . كما حاولت السلطات العثمانية في هذه الفترة ايضا ادخال اصلاح على طريقة استيفاء الضرائب . اذ رأينا ما فعله الوالي المصلح حسين ناظم باشا بهذا الخصوص في لواء المنتفق بالذات . ولاريب أن ذلك الاجراء قد أبعد السلطات الحكومية عن الاحتكاك المباشر مع القبائل حول الضرائب دون تفريط بالمقابل في حقوق الدولة .

ولكن كل تلك المحاولات بشقيها الحربي والسلمي لم تؤد الى نتيجة حاسمة في معالجة المشكلة القبلية . فنتيجة لضعف القوات العسكرية الحكومية العاملة في العراق حينئذ، والضائقة المالية التي تعاني منها الحكومة لم يتح للسلطات أن تستكمل خطتها في اخضاع القبائل عنوة ، ولا توفرت لها الوسائل الكافية لتطبيق المقترحات المتعلقة بمشكلة الاراضي. علما بأن الطريقين الحربي والسلمي وجهان لعملة واحدة ، ولايمكن أن يوجد احدهما دون أن يعززه الاخر و يسنده وهكذا ظل الوضع القبلي متوترا ، تكثر فيه الصراعات والمعارك الدموية ، الى أن قامت الحرب العالمية الاولى وازمت الدولة العثمانية في اتونها .

ومما زاد في تأزم الوضع القبلي في الولاية خلال فترة البحث بروز ظاهرة جديدة للعيان. وتمثلت تلك الظاهرة في سعي الفئات السياسية المختلفة الى جر القبائل الى حلبة السياسة . فقد أدى احتدام

الصراع السياسى بين الاتحاديين وخصومهم فى عاصمة الدولة الى امتداد ذيول ذلك الصراع الى ولاية البصرة. ومما سهل عملية الامتداد تلمك وجود شخصية السيد طالب النقيب زعيم مدينة البصرة ذى المطامح الواسعة التى تستهدف بناء كيان سياسى يتربع على قمته ويتخذ مركزه فى البصرة. فكان من الطبيعى والحالة هذه أن يقف السيد طالب فى طليعة المعارضين للحكومة الاتحادية.

وقد أدرك السيد طالب أن قواه الذاتية قاصرة عن ايصاله الى هدفه النهائى، وعرف أن القوة الرئيسة فى محيطه هى القوة القبلية المناوئة غالبا للسلطة المركزية. وعلى هذا وجه اهتمامه لاستقطاب تلك القوة مستغلا ميلها الموروث للتخلص من آية سلطة مركزية بعيدة عنها. وبذل السيد طالب جهودا كثيرة لاستقطاب شيوخ القبائل وتوحيدهم خلفه. ولكنه نسى فى غمرة نشاطة هذا أن القبائل بعيدة بأدراكها واهتماماتها عن ميدان العمل السياسى. وغفل عن ملاحظة نفور القبائل فى ممارسة انشطة جماعية مع القوى والقبائل الاخرى الا فيما ندر، وحرصها على قصر نشاطاتها داخل اطار القبيلة المتفرد المنعزل عن غيره. ثم أن تلك القبائل اذا كانت تنفر من الخضوع لحكومة مركزية تبعد عنها مئات الاميال ولاتكلفها الا دفع مبلغ مالى سنوى على شكل ضريبة، فأنها اكثر نفورا من الخضوع لزعيم محلى قريب منها ولايتميز عن شيوخها بشىء بل ربما رأى الشيوخ نفسهم اكثر منه قوة وجدارة.

هذا من جانب ومن جانب آخر فأن اوساط جمعية الاتحاد والترقى لم تشأ أن تترك التحرك فى الميدان القبلى حكرا على السيد طالب

فرغم أن النظام الداخلى للجمعية المذكورة لم يشر الى وجود اهتمام خاص بالعمل السياسى فى اوساط القبائل ، الا آن الممارسات العملية التى الممنا بها فى الفصل الثالث أظهرت آن الفروع المحلية للجمعية اتجهت الى منافسة السيد طالب فى هذا المجال. وقد استطاعت الجمعية أن تستقطب ولاء بعض الشيوخ وان تغريهم بتأييدها. وكان ميل أولئك الشيوخ للجمعية ذا هدف مادى مصلحى لكونها الحزب الحاكم الذى يضم أغلب الولاة وكبار الموظفين. كما آن من انضموا الى معارضيها أقدموا على ذلك انسياقا مع الدافع نفسه، فهم اما انهم ينتظرون مكسبا ينالونه حين يصل المعارضون للحكم او انهم ناقمون على الجمعية لحرمانهم من مكسب مادى كان يطمعون فيه.

وهنا يمكن القول أن قلة فقط من شيوخ القبائل فى الولاية انجرفوا الى غمرة المناورات السياسية، نتيجة لما عرفناه من بعد الرجل القبلى عن أدراك الاهداف السياسية، ولنفورة من العمل الجماعى الذى يوحده مع القوى الغريبة عن محيطه القبلى الضيق، ولكن حتى مع هذه الاستجابة المحدودة فقد زاد دخول العامل السياسى من القلق فى اوساط القبائل فكثرت صداماتها ، واحتدمت منازعاتها، وارتدت زيا سياسيا عصريا اخفى عن الانظار طبيعتها القديمة أو المتمثلة فى الصراع على امتلاك الاراضى الزراعية على المشيخه والنفوذ. ولم يعد كل ذلك بأدنى فائدة لا على الحاكمين ولا على المعارضين.

ويتصل بظاهرة انجراف بعض شيوخ القبائل للعمل السياسى ظاهرة أخرى خطيرة، وهى الاتصالات السرية التى جرت بين بعض أولئك الشيوخ والدول الاوربية. وكانت ابرز تلك الدول على الساحة العراقية هى بريطانيا التى استطاعت آن تبنى لها مصالح اقتصادية متشعبة

فى ولاية البصرة خاصة وفى ولايات العراق عامة. وقد الممنا فى الفصل الرابع بتلك المصالح ، وتعرفنا ايضا على المكانة السياسية المتميزة التى احتلتها بريطانيا هناك، ولاحظنا النفوذ الواسع الذى صارت تمارسه فى نواحى مختلفة. وهو نفوذ لم يكن ابن يومه وانما جاء نتيجة لخطة طويلة النفس اتبعتها السلطات البريطانية منذ أن بدأ تغلغلها فى الساحة العراقية على أيدى مندوبى شركة الهند الشرقية.

وقد اغرت تلك المكانة السياسية المتميزة ممثلى بريطانيا فى العراق قبل فترة البحث بالتدخل فى الشئون الداخلية للدولة، وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين شيوخ القبائل والسلطات الحكومية ، اثناء الازمات الكبرى التى تنشب بين الطرفين. فكان أولئك الممثلون يقحمون أنفسهم فى الاحداث باعتبارهم وسطاء تارة وحماة لشيوخ القبائل تارة ثانية او نصحاء للسلطات الحكومية تارة ثالثة وهم فى كل هذا يتذرعون بحرصهم على حماية مصالحهم التجارية أوحماية ارواح مواطنيهم المسافرين عبر العراق او القاطنين فى بعض مدنه. ويبدو أن وقائع التدخل تلك التى جرت فى الماضى كانت معروفة للملأ فاغرت بعض شيوخ القبائل بمواصلة الاتصال بالجانب البريطانى اثناء فترة البحث.

وكانت اهداف تلك الاتصالات تتراوح بين طلب الحماية البريطانية بصورة صريحة، او نشدان" نصح" الممثل البريطانى المعنى، او طلب الضغط البريطانى على السلطات العثمانية من اجل تحقيق مطلب قبلى معين. ومن الطبيعى القول هنا بأن تلك الاتصالات لم تكن نابعة عن ود خالص يكنه شيوخ القبائل لبريطانيا، ولا هى نتيجة لقناعتهم

بـ " عدالة " بريطانيا كما زعم بعض البريطانيين ولكنها ـ كأغلب اعمال شيوخ القبائل ـ يستهدف تحقيق هدف مصلحى للشيخ أو لقبيلته دون اعتبار كثير للوسيلة التى يتحقق عن طريقها هذا الهدف. ويدل هذا على القصور الواضح فى الوعى السياسى لاولئك الشيوخ، لان أستعراء الاجانب على دولتهم ، حتى وان خدم مصالحهم الضيقة على المدى القريب فانه يعود عليهم آخر الامر بأوخم العواقب .

واذا كانت السياسة البريطانية فى العراق ميالة فى الفترة السابقة للتدخل فى الاحداث القبلية كما عرفنا، فأن الدلائل التى تجمعت لدى تشير الى انها تراجعت عن اتباع هذه السياسة فى فترة البحث. اذ يلاحظ على كل الاتصالات التى جرت بين شيوخ القبائل وممثلى بريطانيا فى العراق والتى وصلتنا أخبارها ، أن شيوخ القبائل كانوا هم المبادرين بالاتصال . كما انهم لم يلقوا فى اغلب الاحيان استجابة مشجعة. فقد كان رد الممثلين البريطانيين فى العراق على الطلبات التى قدمت لهم بخصوص" الحماية و" النصح "أو"التوسط " هو اعلان تمسكهم بمبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدولة العثمانية، او اهمال تلك الطلبات دون رد.

ولاحاجة للقول هنا أن اعلان ممثلى بريطانيا فى هذه الفترة عن تمسكهم بمبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدولة العثمانية يحوى الكثير من الخداع السياسى. فالهدف الذى يهم أولئك الممثلين بالدرجة الاولى هو صيانة المصالح البريطانية فى العراق وتطويرها وحين يتطلب ذلك الهدف التدخل فى الاوضاع القبلية كانت السلطات البريطانية لاتتورع عن التدخل دون اى اهتمام بمصلحة الدولة العثمانية كما حدث فى الفترة السابقة للبحث . وحتى فى فترة البحث نفسها

وجدنا السلطات البريطانية تتدخل فى الاحداث القبلية حين تطلبت مصالحها ذلك. فقد ضغطت على السلطات العثمانية ضغطا شديدا من أجل معاقبة القبائل التى تعرضت للمصالح البريطانية فى ولاية البصرة وهى تتصل سرا - من ناحية ثانية - مع بعض شيوخ القبائل لتوفير الحماية لتلك المصالح من وراء ظهر السلطات الحكومية، كما مربنا.

أما عن السبب الذى جعل السلطات البريطانية تتحفظ فى صلاتها مع القبائل خلال فترة البحث فهو كامن فيما رأته تلك السلطات من أزدياد واضح فى قوة القبائل وتناميها الى الدرجة التى يمكن معها أن تشكل تهديدا للمصالح البريطانية فى الولاية. فقد كثرت فى هذه الفترة حوادث اطلاق النار على السفن البريطانية العاملة فى نهر دجله، وما كان يرافق تلك الحوادث من توقف الملاحة فى ذلك النهر. وهو أمر كان يؤثر تأثيرا كبيرا على المصالح التجارية العاملة فى بغداد والبصرة، واغلبها بريطانية، كما انه يضر بسمعة بريطانيا ويقلل من مكانتها فى اعين السكان. ونتيجة لهذا رأت السلطات البريطانية أن تلتزم التحفظ موقفا حيال اتصالات شيوخ القبائل بها، لانها اعتقدت أن أى تجاوب ايجابى معها يعد موافقة ضمنية على مسلك القبائل او تشجيعا لذلك المسلك ثم أنها رأت أن أية مساعدة تقدمها للقبائل قد تزيد من قوة تلك القبائل على حساب الحكومة العثمانية. وقد تصبح هذه القوة القبلية امرا واقعا لايمكن تجنب الصدام معه حين تئول ولاية البصرة لبريطانيا فى يوم من الايام حسب خططها المعروفة والمبينه.

وينطبق ذلك المبدأ المصلحى ذو الوجهين على موقف السلطات البريطانية تجاه موضوع تهريب الاسلحة من الخليج الى قبائل ولاية

البصرة. اذ لم يكن لدى السلطات البريطانية اعتراض مبدأى على وصول تلك الاسلحة الى أيدى افراد القبائل، الامر الذى يضعف فى النهاية السلطة العثمانية ويسهل زوالها من ولاية البصرة حين تحين الساعة المنتظرة. ولكن حين تضررت المصالح البريطانية من جراء اضطرابات القبائل رأت السلطات البريطانية أن تقيد حرية وصول الاسلحة الى ايدى افراد القبائل. وقد زاد من جديتها فى هذا الاتجاه بالاضافة الى ذلك حرصها على مصالحها فى المنطقة الشمالية من الهند. فقد أصبحت كميات كبيرة من الاسلحة تنفق الى أيدى أفراد القبائل القاطنه على الحدود الشمالية للهند، واخذوا يستخدمونها فى شن الغارات على مراكز الوجود البريطانى هناك. وازاء هذا رأت السلطات البريطانية ان تقاوم بفاعلية ذلك التهديد لوجودها فى الهند، وهى درة التاج البريطانى حينذاك.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فأن السلطات العثمانية فى فترة البحث لم تكن غافلة عما يجرى فى السر من اتصالات بين بعض شيوخ القبائل والسلطات البريطانية. ولهذا كانت تتخذ كل مابطاقتها من اجراءات لمنع حدوث امثال تلك الاتصالاته ليس مع بريطانيا لوحدها وانما مع ممثلى كل الدول الاجنبية الاخرى أيضا. ولكن السلطات الحكومية اخذت احيانا. نتيجة لتشككها المفرط - تنسب حدوث الاضطرابات القبلية الى أسباب تحريفية خارجية، فى الوقت الذى كانت تدرك فيه الاسباب المحلية الكامنه خلف تلك الأضطرابات وربما وجد هذا الشك من جانب السلطات الحكومية بعض العذر اذا تذكرنا ان تلك السلطات كانت على اطلاع تام على الاطماع الخارجية فى اراضيها ، وخاصة الاطماع البريطانية فى ولاية البصرة واراضى العراق عموما.

وتجب الاشارة هنا الى أن محاولة بعض شيوخ القبائل الاتصال بالسلطات البريطانية لجنى بعض المكاسب لم تكن محاولة فريدة من نوعها فى محيطها العام. ففى الفترة التى نحن بصددها كثرت امثال تلك الاتصالات بين الشخصيات والقوى السياسية فى ولايات الدولة المختلفة من جانب وبين العديد من الدول الاوربية من جانب آخر. ومن نافلة القول الاشارة الى أن حدوث تلك الاتصالات يدل على افراط فى حسن النيه يقرب من درجة السذاجة من جانب القائمين بها فى نوايا الدول الاوربية المختلفة. وهو دليل على تدنى مستوى الوعى باطماع تلك الدول فى الاراضى العثمانية. هذا مع وجوب التحرز باستثناء بعض الاتصالات التى تمت بسوء نية مقصود وادراك كامل لنتائجها على وجود الدولة العثمانية ومصيرها.

ويلاحظ على تلك الاتصالات ايضا انها، اقتصرت على الجانب البريطانى دون غيره من الدول الاوربية الاخرى المنافسة لبريطانيا فى مضمار الاستعمار. ويكمن سبب هذا فى نجاح بريطانيا الملحوظ فى التفوق على منافساتها الاوربيات فى الساحة العراقية عموما وولاية البصرة خصوصا. وهو نجاح أدى الى اعتراف ضمنى من جانب الدول المنافسة لبريطانيا بمكانتها المتميزة هناك . وقد ساعد على التوصل لهذا الاعتراف التفاهمات التى تمت بين الدول الاوربية قبيل فترة البحث كالاتفاق الودى بين فرنسا وبريطانيا سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م والاتفاقية الروسية البريطانية سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م . ولم يقتصر هذا الاعتراف على هاتين الدولتين فقط بل نجد أن الدولة العثمانية نفسها وحليفتها المانيا لاتجدان غضاضة فى الاعتراف بالمصالح البريطانية فى ولاية البصرة فى تسويات سنتى ١٣٣١-١٣٣٢هـ/١٩١٣-١٩١٤م.

وفى غضون هذا الوقت سنحت الفرصة المناسبة التى انتظرتها بريطانيا طويلا لضم ولاية البصرة. فقد قامت الحرب العالمية الاولى فى أوربا بين بريطانيا وحليفاتها من جانب والمانيا وحليفاتها من جانب آخر. وقد ترجح للمسئولين فى الحكومة العثمانية ان مصلحة الدولة تقتضى وقوفهم الى جانب المانيا. وماكادوا يتحركون فى هذا الاتجاه حتى اعلنت بريطانيا وحليفاتها الحرب على الدولة العثمانية واصدر المسئولون البريطانيون اوامرهم بالتحرك للقوة البريطانية المعدة سلفا والمتمركزة فى البحرين، والا تجاه شمالا لمباشرة الاعمال الحربية ضد القوات العثمانيةوصولا الى هدف احتلال البصرة وضمان المصالح البريطانية فيها وفيما جاورها من مناطق.

وكانت السلطات العثمانية حين بدأت نذر الحرب تلوح الافق قد باشرت الاستعداد للحرب فى جبهة البصرة توقعا لهجوم بريطانى يشن من هذه الناحية. وادراكا من تلك السلطات لعدم كفاية القوات النظامية الموجودة هناك للقيام لوحدها بهذه المهمه فقد عولت على استقطاب القبائل وحشدها للوقوف الى جانب القوات النظامية. وقد استجابت بعض القوى القبلية للاوامر الحكومية وشاركت فى المعارك التى جرت بين القوات الغازية والقوات المدافعه فى المنطقة الممتدة بين الفاو والبصرة. ولكن لا القوات النظامية ولا القبائل استطاعت صد الزحف البريطانى المتفوق فىالاعداد والعدد، مما أدى الى سقوط مدينة البصرة فى أيدى الغزاة فى محرم ١٣٣٣هـ/نوفمبر ١٩١٤م.

وازاء هذا التطور، وحرصا على حشد كل طاقات السكان المحليين لصد الغزو، اعلنت السلطات العثمانية الجهاد لاسترداد البصرة من أيدى الغزاة وطردهم خارج اراضى الدولة وقد تجاوب مع معظم

الحكومة هذا اغلب علماء الدين فى العراق بمختلف مذاهبهم تجاوبا كبيرا، فأصدروا الفتاوى باعتبار القتال ضد الغزاة البريطانيين جهادا فى سبيل الله. وكان لهذه الفتاوى صدى واسع بين ابناء القبائل، فتقاطرت جموعهم نحو ميادين القتال فى الشعيبة والقرنة وعربستان، يتقدمها بعض علماء الدين.

ومن الطبيعى القول أن الحماس وحده لايمكن ان يحقق نصرا فى المعارك الحديثة مالم تواكبه الكثير من المستلزمات المادية. ولم تك تلك المستلزمات متوفرة بصورة كافية للمجاهدين المستعدين لخوض المعارك. فلم يكن التموين يتم بصورة مناسبة ، ولاكان التسليح بالمستوى المطلوب ، وذلك لانشغال الدولة فى عدة جبهات قتال فى وقت واحد. كما أن القيادة الميدانية العثمانية لم تتمتع بالاستقرار اللازم ، ولاكانت خططها معده سلفا بصورة مناسبة لماشرة القتال على الفور. ولاحاجة للقول أن المتطوعين وخاصة من رجال القبائل كانوا أقل قدرة على تحمل الانتظار الممل من القوات النظامية. خاصة وقد رافق ذلك الانتظار نواحى القصور المشار اليها آنفا . وقد أدى ذلك الانتظار الى انسحاب بعض أفراد القبائل وعودتهم الى قراهم قبل مباشرة القتال أما من ظل منهم ينتظر المعركة فقد عم القلق بينهم ودفعهم للاحتكاك مع بعض ضباط الجيش النظاميين ، فترتب على ذلك نتائج غير مشجعه فى مجال التعاون بين جناحى القوى العثمانية ، النظامى والقبلى.

ومع كل هذا ، فان المجاهدين من ابناء القبائل لم يبخلوا بدمائهم حين نشب القتال أخيرا ، وأظهروا كثير من الشجاعة، وقدموا حوالى ربع عددهم الكلى شهداء فى ساحة معركة الشعيبة. ولكن

تلك البطولة والبسالة لم تغير شيئا في النتيجة النهائية للمعركة وهي هزيمة الجيش العثماني والمجاهدين. وتعزى تلك الهزيمة بصورة رئيسية الى تفوق الجانب البريطاني في التسليح والخطط المعدة. وقد أثرت تلك الهزيمة القاسية على سير الاحداث في ساحتي المعارك الاخريين في القرنه وعربستان وبما أدى في النهاية الى انسحاب القوات العثمانية وتراجعها ، وتشتت المجاهدين من أبناء القبائل الملتفين حولها. ومن الطبيعي القول هنا أن حركة الجهاد ذاتها لم تفشل بدليل انها استطاعت أن تحشد خلفها الالاف من أبناء القبائل.

وقد كشفت احداث حركة الجهاد مظهرين من مظاهر الوعي المتدني بين بعض افراد القبائل. واول هذين المظهرين هو قيام بعض أفراد القبائل بنهب الجنود العثمانيين المنسحبين من ميدان المعركة بعد الهزيمة. وتصرف هؤلاء الناهبين يمثل استجابة لما هو مفروس في نفسية الرجل القبلي من حب للحصول على الغنائم سواء كانت هذه الغنائم من ممتلكات حلفائه أو اعدائه المنكسرين. والمظهر الثاني هو عدم تناسي الثارات والاحقاد القبلية حتى في ظروف جهاد ديني عام. اذ انحازت بعض القبائل الى صفوف الاعداء وتعاونت معهم نتيجة لانضمام اعدائها القبليين التقليديين الى حركة الجهاد في الجانب المقابل. ويمكن القول هنا أن هذين المظهرين لم يكونا عامين لكل القبائل، بدليل أستمرار الكثير منها على الولاء للحكومة العثمانية والقتال الى جانبها مدة طويلة بعد انفضاض حركة الجهاد الديني ، والى ان انسحبت القوات العثمانية من الاراضي العراقية بعد اعلان الهدنه العامة في محرم ١٣٣٧هـ/اكتوبر ١٩١٨م.

وقد حرصت سلطات الاحتلال البريطاني قبل اعلان الهدنه المذكورة على تشكيل ادارة في المناطق التي خضعت لسيطرتها الفعلية بعد انسحاب القوات والادارة العثمانية . وتشكل تلك المناطق ولاية البصرة بأستثناء أكثر المناطق القبلية في لواء المنتفق التي استعصى على القوات البريطانية دخولها الى مابعد اعلان الهدنة ويلاحظ على ادارة الاحتلال تلك أمران ، اولهما الطابع المؤقت لاجراءاتها الادارية ، اذ كانت السلطات البريطانية تدرك جيدا ان مصير تلك الاراضي لايمكن ان يتقرر من الناحية القانونية الا بمعاهدة صلح بين الطرفين المتحاربين حسبتما تنص على ذلك اتفاقية لاهاي والامر الثاني هو أن تلك الادارة شكلت من أجل تحقيق هدف رئيسي هو توفير أكبر قدر من الهدوء بين سكان المناطق المحتلة يجنب القيادة العامة لقوات الغزو الدخول في صدامات جانبية مع أولئك السكان. الامر الذي يشتت جهدها ويعيقها عن تحقيق هدفها الرئيسي وهودحر الجيش العثماني واخراجه من الاراضي العراقيه .

ومن أجل الوصول الى ذلك الهدف أيضا بذلت السلطات المحتلة جهودها لاسترضاء القبائل وكسب رضاءها . واتخذت من هذا الصدد عدة أجراءات ، ومن تلك الاجراءات تقريب رؤساء القبائل الموالين واناطة الادارة بهم في مناطقهم واغداق الرواتب والالقاب الرسمية عليهم . كما اعترفت بأنظمة التقاضي القبلي وقننتها ، واعتمدت مبدأ المسئولية الجنائية الجماعية عما يرتكبه ابناء القبائل في أعمال تسيء للادارة العامة . كما انها اوعزت الى رجال ادارتها المبثوثين في المناطق القبلية بالتمشي قدر امكانهم مع التقاليد القبلية ، خاصة حين لايتعارض ذلك مع المصالح الحقيقية لادارة الاحتلال .

اما فيما يتعلق بالمشكلتين الرئيسيتين المسببتين للاضطرابات القبلية فى غالب الاحيان، وهما الضرائب وملكية الارض الزراعية فقد رأت سلطات الاحتلال أن خير ماتفعله هو الابقاء على الانظمة العثمانية السارية المفعول، ويمثل هذا اقرارا من سلطات الاحتلال بانها لاتملك بديلا افضل ، كما يمثل ايضا موءثرا على رغبتها فى تجنب الصدام مع القبائل اذا ماهى استحدثت انظمة جديدة غير مالوفة لديها . وحتى فى تنفيذها لانظمة الضرائب العثمانية سلكت سلطات الاحتلال سبيل استرضاء القبائل، فلم تصر على جباية كل أنواع الضرائب المقررة دفعة واحدة . واكتفت أول الامر بالمطالبة بمبالغ صغيرة تزداد تدريجيا سنة بعد سنة - ثم أنها بدأت بجباية الضرائب من القبائل الصغيرة التى لاتستطيع لضعفها أن تتجرأ على معارضة أوامر سلطات الاحتلال - ولم تنس سلطات الاحتلال فى هذا المجال أيضا ان تحابى انصارها فتخفف عنهم الضرائب ، وتشدد على مناوئيها بزيادة الضرائب عليهم. كذلك جمدت سلطات الاحتلال النظر فى اى نزاع حول ملكية الارض الزراعية الى مابعد انتهاء الحرب تجنبا لاتخاذ موقف قد يوءدى بها الى الصدام مع القبائل .

ويلاحظ هنا ان سلطات الاحتلال أستطاعت الى حد كبير تحقيق هدفها هذا،فقد ظلت اغلب القبائل فى المناطق الخاضعة لحكمها الفعلى هادئة رغم اضطراب الاوضاع من حولها، ورغم قربها من ميادين القتال. وقد يغرى هذا الواقع البعض بالقول ان سلطات الاحتلال كانت اكثر قدرة على التعامل مع القبائل من مثيلاتها فى العهد العثمانى . ولكن الانصاف يدعو للقول ان مقارنة حكم فى بدايته مع حكم آذنت شمسه بالمغيب يجعل المقارنة غير موضوعية الى حد كبير . فالحيوية

التى يتسم بها حكم جديد عادة لاتقارن بالترهل الذى يلحق حكما مرت عليه مئات السنين. ولايجب أن ننسى هنا أيضا العوامل المساعدة التى سهلت لادارة الاحتلال الوصول الى هذه النتيجة، مثل الانبهار الذى سيطر على اذهان رجال القبائل وهم يرون تفوق الالة الحربيه التى جلبها الغزاة معهم. اضافة الى ماترتب على اعمال الانشاءات والخدمات والمشتريات التى تطلبتها قوات الاحتلال من فوائد مادية عادت على كثير من ابناء القبائل.

ورغم كل هذا لايمكن القول ان تمكن ادارة الاحتلال من تحقيق هدفها فى تهدأة اغلب القبائل الخاضعة لحكمها قد تم بصورة نهائية مطلقة ـ اذ لم يعد الامر أن يكون هدنه طويلة بعض الشىء بين الطرفين ـ فما كادت الحرب تضع اوزارها وتتحرر سلطات الاحتلال من الخشية من عرقلة المجهود الحربى البريطانى فى العام حتى كشفت عن وجهها الحقيقى وطرحت سياسة الاسترضاء جانبا واخذت تمارس صنوفا من الاستبداد . وقد أدى ذلك الى ثورة القبائل العراقية ضدها ثورة عارمه هى" ثورة العشرين " والتى تقع احداثها خارج فترة بحثنا فلا داعى للافاضة فى الحديث عنها.

المصادر والمراجع

أ ـ المصـــادر

أولا : الوثائـــــق

أ ـ الوثائق العثمانية

١ ـ وثائق غير منشورة

Basbakanlik Arsivi - Istanbul:-

1308, No. 95263

1309, No. 99070

1309, No. 97512

1309, No. 97593

1309, No. 5348

1309, No. 100156

1309, No. 5551

1309, No. 98736

1309, No. 98254

1309, No. 98563

٢ ـ وثائق منشورة :ـ

الزوراء ، جريدة ولاية بغداد الرسمية :

السنة الرابعة والعشرون ، العدد ١٥١٦ ، ٢١ ذي الحجة ١٣٠٩ هـ

السنة الثلاثون ، العدد ١٨١٣ ، ٢٢ ذي الحجة ١٣١٦ هـ

السنة الحادية والثلاثون ، العدد ١٨٢٨ ، ١٧ ربيع الاخر ١٣١٧ هـ

السنة الثانية والثلاثون ، العدد ١٨٦٨ ، ١٧ صفر ١٣١٨ هـ

السنة السابعة والاربعون ، العدد ٢٤٩٥ ، ٧ صفر ١٣٣٣هـ

العدد ٢٥٠٠ ، ١٢ ربيع الاول ١٣٣٣هـ

العدد ٢٥٠٧ ، ٢ جمادى الاولى ١٣٣٣هـ

العدد ٢٥١٠ ، ٢٣ جمادى الاولى ١٣٣٣هـ

العدد ٢٥١٥ ، ٢٨ جمادى الثانية ١٣٣٣هـ.

العدد ٢٥١٧، ١٣ رجب ١٣٣٣هـ

العدد ٢٥٢٢، ٢٥ شعبان١٣٣٣ هـ

العدد ٢٥٢٥، ١٠ رمضان ١٣٣٣ هـ

العدد ٢٥٢٩، ٨ شوال ١٣٣٣ هـ

العدد ٢٥٣٣، ٧ ذى القعدة ١٣٣٣هـ

السنة الثامنة والاربعون، العدد ٢٥٦٧، ٩ رجب ١٣٣٤ هـ

ب ـ الوثائق البريطانيـــــة

١ ـ وثائق غير منشورة :

Foreign Office (F.O.), Public Record Office, London.

424/215:-

No. 30

No. 61

No. 83

424/216:-

No. 17

No. 55

424/219:-

No. 18

No. 20

No. 23

No. 27

No. 50/492

No. 272

424/224:-

No. 38

No. 45

424/226:-

No. 34

No. 35

No. 39

No. 43 dated July 26, 1911

No. 43 dated Aug. 10, 1911

No. 95

424/237:-

No. 11

No. 137

No. 155

424/238:-

No. 16

No. 26

No. 27

No. 30

No. 34

No. 223

424/239:-

No. 39

No. 40

No. 41

No! 43

424/240:-

No. 52

424/258:-

No. 296

India Office Records, (I.O.R.), London.

R/15/5/7:-

Turkish Arabia, Apr. 1908.

Turkish Arabia, May 1908.

Turkish Arabia, July 1908.

Turkish Arabia, Aug. 1908.

Turkish Arabia, Sep. 1908.

Turkish Arabia, Oct. 1908.

Turkish Arabia, Dec. 1908.

R/15/5/25:-

No. 2306

No. 1000/1910

No. C-25/C-26

No. 109/111 of 1911

No. C 48/49 of 1914

(Unnumbered, Lieut.-Col. Sir P. Cox to the Sec. to the Gov. of India in the Foreign and Political Dept. (with six enclosures).

No. 4 D-C

No. C-3 of 1916

L/P + S/10/112:-

No. 6 AF

No. 102 - 1462xIVK

No. 3045

No. 182 - 1462xIVK

No. 1

No. 1942

(Unnumbered), S.S. Mobarak to L.C.S.P. Cox.

The diaries of the P.A., Kowiet, Nos. 51 & 52.

No. 663

No. 116

No. 1202

No. 38C

No. 46

No. 3419/1912

No. 2544

No. C-14

No. 1117

L/p+s/10/188:-

No. 43/62

No. 736/37

No. 212

(Unnumbered), Summary of Events in Turkish Iraq during the months of Apr. and May 1910.

(Unnumbered), Summary of Events in Turkish Iraq during the month of June 1910.

(Unnumbered), Summary of Events in Turkish Iraq during the month of July 1910.

L/p+s/10/212:-

No. P-211/1912

No. P-600/1912

No. P-1093/1912

No. P-1575/1912

No. 2325A

No. P-2840/1912

No. P-3133/1912

No. P-3602/1912

No. P-4424/1912

No. P-4798/1912

No. P-311/1913

No. P-688/1913

No. P-1213/1913

No. P-1953/1913

No. P-2358/1913

No. P-2785/1913

No. P-3105/1913

No. P-3800/1913

No. P-4285/1913

No. P-4691/1913

No. P-5054/1913

No. P-1916/1914

No. P-2097/1914

No. P-2492/1914

No. P-2937/1914

No. P-4029/1914

L/p+s/10/271:-

No. 20

L/p+s/10/458:-

No. 26-C

No. 50

No. Ig. - 803

No. Ig. - 812

No. 1543/11/Q

No. 50569

L/p+s/10/462:-

No. 38

No. 39

No. 459R

No. 701S

No. 991

No. 996

No. 999

No. M-Q 1496

No. 44 of 1917

(Unnumbered), Tel. from Sec. of State for Idia to Viceroy, March 30, 1917.

L/p+s/10/463:-

No. 14

No. 47B

No. 162

No. CF 235

No. 606

No. 616

No. S804

No. 963S

No. P-4273/1914

(Unnumbered), Tel. from Amb., Const., to Viceroy, Oct. 1, 1914.

(Unnumbered), Tel. from Viceroy to I.O., Oct. 28, 1914.

(Unnumbered), A.T. Wilson to Col. Yate, Nov. 28, 1914.

L/P+S/10/513:-

No. 81737/1914

No. M 44833

No. 39139/15

No. 766B

No. 78 of 1915

No. 4726

No. P-3903

No. 4667/1914

No. 39 I-A.

No. P-3676/1915

(Unnumbered), Tel. from Viceroy to the Sec. of State for India, Jan. 9, 1915.

L/p+s/10/514:-

No. 2422

L/p+s/10/515:-

No. P-1315

No. 11563/10-90

No. D-10-36

No. 2424

L/p+s/10/516:-

No. 389S

No. 1315

No. 1612

No. P-1854

No. 1903

No. 24738 - 14/45

L/p+s/10/517:-

No. P-2960/17

L/p+s/10/847:-

No. 31435

No. 128145/M.E. 44a.

٢ - وثائـــــق منشـــورة :

Bidwell, R., (editor), The Affairs of Kuwait, Vol. 2,
London, 1971.
The Affairs of Arabia, Vol. 2,
London, 1971.

Great Britain Naval Intelligence Division, Iraq and the
Persian Gulf, London, Sep. 1944.

جـ - الوثائق الامريكية غير المنشورة

National Archives and Records Service, Washington, Record
Group 84:-
(Unnumbered), How Taxes collected from Land and
other sources in Bagdad, Dec. 9, 1909.

No. 329

No. 146

No. 23

No. 136

No. 370

No. 24

No. 199

No. 478

No. 36

No. 614

No. 42

No. 1052

No. 610

(Unnumbered), Brief Resume of Bagdad's Trade in 1909.

No. 47

(Unnumbered), Private letter from the American Consular Agent at Basra to American Consul at Bagdad, Nov. 20, 1909.

No. 11 dated Jan. 21, 1910.

No. 12 dated Feb. 24, 1910.

No. 13

No. 78

No. 12 dated July 7, 1910

No. 172

No. 367

No. 371

No. 501

No. 376

No. 63

No. 29

No. 15

No. 448

No. 291

(Unnumbered), Tel. from American Vice Consul at Bagdad to Dr. Blunt, Apr. 15,

No. 19A

(Unnumbered), Bagdad Annual Report for 1909, Apr. 28, 1910

No. 18

No. 19

No. 11 dated May 26, 1910

No. 326

No. 320

No. 357

No. 360

No. 363

No. 47/28

No. 471

No. 365

File No. 861, No. 66

File No. 861, No. 85

File No. 610, Foreign Trade of the Bagdad Consular District in 1913.

File No. 800, American Consul at Bagdad to American Ambassador at Constantinople, May 22, 1913.

American Consul at Bagdad to American Chargé d' Affaires at Constantinople, July 28, 1913.

American Consul at Bagdad to American Chargé d' Affaires at Constantinople, Sep. 25, 1913.

American Vice Consul at Bagdad to American Ambassador at Constantinople, March 5, 1914.

American Vice Consul at Bagdad to American Ambassador at Constantinople, March 18, 1914.

American Consular Agent at Basra to American Vice Consul at Bagdad, June 19, 1914.

No. 32

File No. 810, American Consul at Bagdad to American Ambassador at Constantinople, March 17, 1913.

American Consul at Bagdad to American Ambassador at Constantinople, April 15, 1913.

American Vice Consul at Bagdad to American Ambassador at Constantinople, Feb. 25, 1914.

American Vice Consul at Bagdad to American Ambassador at Constantinople, July 15, 1914.

No. M-467

No. M-C-327

No. M-450

No. M-C-441

No. 64

No. 8

No. 86

(Unnumbered), Foreign Trade Opportunities, Oct. 5, 1907.

(Unnumbered), 1907's Commercial Report, June 25, 1908.

(Unnumbered), Report on Opportunity for American Hardware Sales, Nov. 20, 909.

No. 257

File No. 850, No. 68

File No. 703, No. 18

No. 20

American Consul at Bagdad to American Consul-General at Constantinople, Dec. 20, 1914.

ثانيا المؤلفــــات

أ ـ المؤلفات العربيـة :

١ ـ ابن الخلاس، ولاة البصرة ومتسلموها، بغداد، ١٩٦٢ .
٢ ـ احمد نور الانصاري، النصرة في اخبار البصرة، تحقيق يوسف عز الدين، ط٢، بغداد، ١٩٧٦ .
٣ ـ سليمان فيضي، في غمرة النضال، بغداد، ١٩٥٢ .
٤ ـ طالب مشتاق، اوراق أيامي، ج ١، بيروت، ١٩٦٨ .
٥ ـ عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية، ج ١، بيروت، ١٩٧٢ (ملحق الشيخ محمد باقر الشبيبي المنشور ضمن الكتاب) .
٦ ـ علي جودت، ذكرياتي علي جودت ١٩٠٠ ـ ١٩٥٨، بيروت، ١٩٦٧ .
٧ ـ محمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانيه في تاريخ الجزيرة العربيـة، ج ١، ط٢، القاهرة، ١٣٤٤ .
٨ ـ محمد رشيد سعدي، قرة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهريـن، بومباي، ١٣٢٥هـ .
٩ ـ ناجي شوكت، سيرة وذكريات ثمانين عاما ١٨٩٤ ـ ١٩٧٤، ط٢، بيروت، ١٩٧٥ .
١٠ ـ يعقوب سركيس، مباحث عراقيه، جزءان، بغداد، ١٩٤٨ .

ب ـ المؤلفات المعربة :ـ

١ ـ بل، جرترود، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخليلـي، ط٢، بيروت ١٩٧١ .
٢ ـ طونزند، تشارلس، محاربتي في العراق، ترجمة عبد المسيح وزير، بغداد، ١٩٢٣ .

٣ ـ فائق،سليمان ، تاريخ المنتفق ،ترجمة محمد خلوصي الناصري، بغداد ، ١٩٦١ ٠

جـ ـ المؤلفات الاجنبية :-

1- Buchanan, G. The Tragedy of Mesopotamia, New York 1974.

2- Dickson, H.R.P., Kuwait and her Neighbours, 2nd imp., London, 1958.

The Arab of the Desert, 3rd imp, London, 1959.

3- Philby, H. ST. J., Arabian Days, London, 1948.

4- Wilson, A.T.,Loyalties, Mesopotamia 1914-1917, New York, 1969.

ب ـ المراجـــــع

أولا : المؤلفات :

أ ـ المؤلفات العربية :

١ ـ احمد محمود صبحي ،نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنا عشرية ،القاهرة ، ١٩٦٩ ٠

٢ ـ أمين الريحاني ،الاعمال الكاملة ،المجلد الخامس،تاريخ نجد الحديـــث، بيروت، ١٩٨٠ ٠

٣ ـ توفيق برو ،العرب والترك في العـهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ ـ ١٩١٤ ، القاهرة، ١٩٦٠ ٠

٤ ـ جاسم محمد الخلف ،جغرافية العراق ،القاهرة، ١٩٦٥ ٠

٥ - جواد علي ،المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،ج ١ ، بيروت، ١٩٦٨ ٠
٦ - حامد البازي ،البصرة في الفترة المظلمة ،بغداد ، ١٩٦٩ ٠
٧ - حسن الاسدي ،ثورة النجف على الانجليز، بغداد ، ١٩٧٥ ٠
٨ - حسين بن احمد البراقي ،تاريخ الكوفة ،النجف، ١٩٦٠ ٠
٩ - حسين جميل ،الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥ - ١٩٤٦ ،بغداد ، ١٩٨٣ ٠
١٠ - حسين خلف الشيخ خزعل ،تاريخ الكويت السياسي ،ج ٢ ،بيروت، ١٩٦٢ ٠
١١ - حسين محمد القهواتي ،دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩ - ١٩١٤ ،بغداد ، ١٩٨٠ ٠
١٢ - حميد احمد حمدان التميمي ،البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، بغداد ، ١٩٧٩ ٠
١٣ - خالد حمود السعدون ،العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩ - ١٣٤١ ، الرياض، ١٤٠٣ ٠
١٤ - خير الدين الزركلي ،الاعلام ،ج ٣ ، ط٣ ،بيروت، ١٩٦٩ ٠
الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ط٢ ،بيروت، ١٩٧٧ ٠
١٥ - زين نور الدين زين ،الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ط٢ ،بيروت، ١٩٧٧ ٠
١٦ - ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ط٢ ،بيروت، ١٩٦٠ ٠
١٧ - سعاد ماهر ،مشهد الامام علي في النجف ،القاهرة، ١٣٨٨ هـ٠
١٨ - شكري محمود نديم ،حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨ ، ط ٨ ،بغداد ، ١٩٧٤ ٠

١٩- صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ٢، بيـــروت، ١٩٥٧ .
٢٠- عادل البكري، تاريخ الكوت، بغداد، ١٩٦٧ .
٢١- عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٨، بغداد، ١٩٥٥ .
عشائر العراق، ج ٤، بغداد، ١٩٥٦ .
٢٢- عبد الجبار العمر ، صرع الكولونيل لجمان، بغداد ، ١٩٨٣ .
٢٣- عبد الجبار ناجي، الامارة المزيدية، بغداد، ١٩٧٠ .
٢٤- عبد الجليل الطاهر، البدو والعشائر في البلاد العربية، القاهرة، ١٩٥٥ .
٢٥- عبد الحسين جواد السريحي، الاقليم الوظيفي لمدينة القرنة، بغـــداد، ١٩٧٧ .
٢٦- عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط٣، بغداد، ١٩٦٧ .
٢٧- عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف، ط٤، صيدا، ١٩٨٢ .
٢٨- عبد الرزاق الظاهر، الاقطاع والديوان في العراق، القاهرة، ١٩٤٦ .
٢٩- عبد الرزاق الهلالي، قصة الارض والفلاح والاصلاح الزراعي في الوطـــن العربي، بيروت، ١٩٦٧ .
٣٠- عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، بيروت، ١٩٧١ .
٣١- عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي العراق، القاهرة، ١٩٦٧ .
تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الـــى نهاية حكم مدحت باشا، القاهرة، ١٩٦٨ .
تاريخ العرب المعاصر - مصر والعراق، بيروت، ١٩٧٣ .
العلاقات العراقية الايرانية، القاهرة، ١٩٧٤ .

٣٢- عبد العزيز الشناوي ،الدولة العثمانية ،دولة اسلامية مفترى عليها ، جزءان ،القاهرة ، ١٩٨٠ ·

٣٣ - عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ،حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي ،الرياض، ١٤٠١ ·

السلام البريطاني في الخليج العربي ،الرياض، ١٤٠٢ ·

٣٤- عبد القادر باش أعيان ،البصرة في ادوارها التاريخية ،بغداد ، ١٩٦١ ·

٣٥- عبد الكريم الندواني ،تاريخ العمارة وعشائرها ،بغداد ، ١٩٦١ ·

٣٦- عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ،ط٢ ،بغداد ، ١٩٧٥ ·

٣٧- عبد الله الناصر ،تاريخ السعدون ،النجف ، ١٩٤١ ·

٣٨- عبد الله النفيسي ،دور الشيعة في تطور العراق السياسي ،بيروت، ١٩٧٣ ·

٣٩- علي الوردي ،لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ١ ،بغداد ، ١٩٦٩ ،وج ٢ ، ١٩٧١ ·

٤٠ - عمر عبد العزيز عمر ،دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ،بيروت ، ١٩٨٠ ·

٤١- فاروق صالح العمر ،حول سياسة بريطانيا في العراق ١٩١٤ - ١٩٢١ ، البصرة ، ١٩٧٧ ·

٤٢- فاضل حسين وأخرون ،تاريخ العراق المعاصر ،بغداد ، ١٩٨٠ ·

٤٣- فتوح عبد المحسن الخترش،تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٨٩٠ - ١٩٢١ ،الكويت ، ١٩٧٤ ·

٤٤- فريق المزهر الفرعون ،الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٥٢ ·

٤٥- ليث عبد المحسن الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ،ط٢ ، بغداد ، ١٩٨١ ·

٤٦- محمد أمين العمري ، تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٣٥ .

٤٧- محمد توفيق حسين ، نهاية الاقطاع في العراق ، بيروت ، ١٩٥٨ .

٤٨- محمد سعيد كمال (جامع وناشر) ، الازهار النادية في اشعار البادية ، ج ٥ ، الطائف ، بدون تاريخ .

٤٩- محمد علي قطبان ، دراسة المجتمع في البادية والريف والحضر ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

٥٠ - محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقيه ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

٥١- محمد مختار باشا ، كتاب التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية ، المجلد الثاني ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٥٢- محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس في جواهر القاموس ، المجلد الثالث ، القاهرة ، ١٣٠٦ هـ

٥٣- محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، المجلد الحادي عشر ، بيروت ، ١٩٥٦ .

٥٤- محمود شبيب ، جوانب مثيرة من تاريخ العراق المعاصر ، بغداد ، ١٩٧٧ .

اسرار عراقية في وثائق انجليزية وعربية والمانية ١٩١٨ - ١٩٤١ ، بغداد ، ١٩٧٧ .

٥٥- محيي الدين صابر ولويس مليكه ، البدو والبداوة ، سرس الليان ، ١٩٦٦ .

٥٦- مصطفى عبد القادر النجار ، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ .

٥٧- مصطفى علي العتوم ، عربستان ، عمان ، بدون تاريخ .

٥٨- مصطفى كاظم المدافعة ، نصوص الوثائق العثمانية عن تاريخ البصرة ، البصرة ، ١٩٨١ .

٥٩- مكي شبيكة ، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولى ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٦٠- منذر عبد الكريم البكر ، الجذور التاريخية لعروبة الاهواز قبل الاسلام ، البصرة ، ١٩٨١ .

٦١- وميض نظمي واخرون ، التطور السياسي المعاصر في العراق ، بغداد ، بدون تاريخ .

٦٢ - يوسف كركوش الحلي ، تاريخ الحلة ، القسم الاول ، النجف ، ١٩٦٥ .

ب - المؤلفات المعربة

١ - انطونيوس ، جورج ، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٢ .

٢ - سندرسن ، هاري ، مذكرات سندرسن باشا ، ترجمة سليم طه التكريتي ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٢ .

٣ - عبد الحميد (السلطان) ، مذكراتي السياسية ، (لم يذكر اسم المترجم) ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٤ - غروبا ، فريتز ، رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق ، ترجمة فاروق الحريري ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٧٩ .

٥ - كستر ، م . ج الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة يحيى الجبوري ، بغداد ، ١٩٧٦

٦ - كيرسي ، حرب العراق ، ترجمة فخري عمر ، بغداد ، بدون تاريخ .

٧ ـ لوريمر ، ج . ج ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ٧ أجزاء ، ترجمة ديوان حاكم قطر ، الدوحة ، بدون تاريخ

القسم التاريخي ، ٧ أجزاء ، ترجمة ديوان حاكم قطر ، الدوحة ، بدون تاريخ .

٨ ـ لونغريك ، ستيفن ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط٥ ، بغداد ، بدون تاريخ .

جـ ـ المؤلفات الاجنبية

1- Ahmad, F., The Young Turks; the C.U.P. in Turkish Politics 1908- 14, London, 1969.

2- Avery, P-, Modern Iran, London, 1965.

3- Barker, A., The Neglected War, Mesopotamia 1914- 18, London, 1967.

4- Branddon, R., The Siege, London, 1969.

5- Bray, N. Shifting Sands, London, 1934.

6- Buckingham, J., Travels in Mesopotamia, Hants, 1971.

7- Busch, B., Britain and the Persian Gulf 1894-1914, Berkeley, 1967.

Britain, India and the Arabs 1914-1921, Berkeley, 1971

8- Clayton, G., Britain and the Eastern Question: Missolonghi to Gallipoli, London, 1971.

9- Cohen, S., British Policy in Mesopotamia 1907-14, London, 1976.

10- Cook, M., (editor), Studies in the Economic History of the Middle East, London, 1970.

11- Encyclopaedea Britannica, 197o's edit., Vol.10.

12- Fisher, S., The Middle East, A History , 2nd edit., New York, 1968.

13- Foster, H., The Making of Modern Iraq, 2nd edit., New York, 1972.

14- Gallman, W., Iraq Under General Nuri, Baltimore, 1964.

15- Geiss, A., German Foreign Policy 1871-1914, London, 1969.

16- Glubb, J., Britain and the Arabs, London, 1959.
War in the Desert , London, 1960.
Arabian Adventures, London, 1978.

17- Harris, G. (and others), Iraq, its People Its Scoiety, its culture, New Haven, 1958.

18- Holborn, H., A History of Modern Germany 1840-1945, London, 1969.

19- Issawi, C. (editor), The Economic History of Middle East 1800- 1914, Chicago, 1966.

20- Kedourie, E., In the Englo - Arab Labyrinth, London, 1967.

21- Khadduri, M.,Arab Contemporaries, Baltimore,1973.

22- Lewis, B., The Emergence of Modern Turkey, London, 1968.

23- Lloyd, S., Twin Rivers, Bombay, 1961.

24- Longrigg, S., Iraq 1900 - 1950, Beirut, 1968.

25- Millar, R., Kut: the Death of an Army, London, 1969.

26, Miller, W., Ottoman Empire and its Successors 1801 - 1927, London 1966.

27- Musil, A,, The Manners and Customs of the Rwala Bedouins, New York, 1928.

28- Nieuwenhuis, T., Politics and Society in Early Modern Iraq, the Hague, 1982.

29- Pennell, T., Among the Wild Tribes of the Afghan Frontier, 2nd imp., London , 1958.

30- Penrose, E.,Iraq: International relations and National development, London, 1978.

31- Pollard, A., A Short History of the Great War, 4th edit., London 1942.

32- Thesigar, W., The Marsh Arabs, 2nd imp., London, 1964.

33- Tuson, P., The Records of the British Residency and Agencies in the Persian Gulf , London, 1979.

34- Young, G., Iraq: Land of Two Rivers, London, 1980.

35- Zeine, Z., The Emergence of Arab Nationalism, 3rd edit., New York, 1973.

ثانيا : البحوث والرسائل العلمية :

أ ـ باللغة العربية

١ ـ بحوث الندوة العلمية العالمية الثالثه لمراكز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ،الكتاب الثاني ، : الانسان والمجتمع في الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٧٩ .

٢ ـ حسين هادي الشلاه ، طالب النقيب ودوره في تاريخ العراق الحديث ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٠ .

٣ ـ محمد احمد محمود ، احوال العشائر العراقية العربية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٢ - ١٩١٨ ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .

٤ ـ محمد هليل الجابري ، أمارة المشعشعين ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٧٣ .

الحركة القومية العربية في العراق ١٩٠٨ - ١٩١٤ ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .

ب ـ باللغة التركية :

1- Aksin, S., 31 Mart Vakasi Uzerinde bir Inceleme (13 - 27 Nisan 1909), Doktora Tezi, Istanbul University.

2- Baghdadi, A., Muhammed Ali Sah Devrinde Osmanli-Iran Siyasi iliskileri Ve Iran Daki iC Olaylar (1907 - 9), Doktora Tezi, Istanbul University.

ثالثاً : الصحف والدوريات :

أ ـ الاوقات (صحيفة اصدرتها سلطات الاحتلال البريطاني في البصرة) .
السنة الثالثة ،المجلد التاسع،العدد ٤٠، ٢٥ آب ١٩١٧ .

ب ـ الجزيرة (صحيفة يومية تصدر في الرياض) :
السنة العشرون ،العدد ٣٩٥٦، ١٩ شوال ١٤٠٣هـ.

ج ـ الدارة (مجلة فصلية تصدر في الرياض) .
السنة التاسعة،العدد الاول ،شوال ١٤٠٣ هـ.
العدد الثاني ،محرم ١٤٠٤ هـ.

د ـ الرقيب(صحيفة كانت تصدر في بغداد) .
السنة الاولى ،العدد ٥ ، ٤ صفر ١٣٢٧هـ/ ٢٥ شباط ١٩٠٩ .

العدد ١٣ ، ٢٤ ربيع الاول ١٣٢٧هـ/ ١٥ نيسان ١٩٠٩م٠
العدد ١٦ ، ١٥ ربيع الثاني ١٣٢٧هـ/ ٦ مايس ١٩٠٩م٠
العدد ١٧ ، ٢٢ ربيع الثاني ١٣٢٧هـ/ ١٣ مايس ١٩٠٩م٠
العدد ١٨ ، ٢٩ ربيع الثاني ١٣٢٧هـ/ ٢٠ مايس ١٩٠٩م٠
العدد ١٩ ، ٨ جمادى الاولى ١٣٢٧هـ/ ٢٦ مايس ١٩٠٩م٠

السنة الثانية ، العدد ١٠٢ ، ٢٠ ربيع الاول ١٣٢٨هـ/ ٣١ مارث ١٩١٠
العدد ١٠٣ ، ٢٣ ربيع الاول ١٣٢٨هـ/ ٥ نيسان ١٩١٠م٠
العدد ١٢٠ ، ٢٠ جمادى الاولى ١٣٢٨هـ/ ٢٩ مايس ١٩١٠م٠
العدد ١٣٢ ، ٢٥ جمادى الثانية ١٣٢٨هـ/ ٣ تموز ١٩١٠م٠
العدد ١٥٣ ، ١٩ شعبان ١٣٢٨هـ٠

هـ ـ الزراعة العراقية (مجلة فصلية كانت تصدر في بغداد) ،
المجلد الرابع ، ج ٣ ، تموز ، وآب وايلول ١٩٤٩م٠

و ـ صدى بابل (صحيفة كانت تصدر في بغداد) :
السنة الاولى ، العدد ٤١ ، ١٨ جمادى الاولى ١٣٢٨هـ٠
السنة الثانية ، العدد ٥٢ ، ٦ شعبان ١٣٢٨هـ٠
العدد ٥٤ ، ٢٠ شعبان ١٣٢٨ ٠
العدد ٦١ ، ١٢ شوال ١٣٢٨هـ٠
العدد ٦٤ ، ٢٥ شوال ١٣٢٨هـ٠
العدد ٩٣ ، ٤ شعبان ١٣٢٩ هـ٠
العدد ٩٦ ، ٢٥ شعبان ١٣٢٩هـ٠

السنة الثالثه ، العدد ١٠٧ ، ١٣ ذى القعدة ١٣٢٩هـ .

السنة الرابعة ، العدد ١٥٥ ، ١٧ شوال ١٣٣٠ هـ .

العدد ١٨٩ ، ٢٥ جمادى الثانية ١٣٣١هـ .

العدد ١٩٥ ، ٨ شعبان ١٣٣١ هـ .

العدد ١٩٦ ، ١٥ شعبان ١٣٣١هـ .

السنة الخامسة ، العدد ٢١٤ ، ٣ ذى الحجة ١٣٣١هـ .

العدد ٢٢٣ ، ٢٨ صفر ١٣٣٢ هـ .

السنة السادسة ، العدد ٢٥١ ، ١٣ رمضان ١٣٣٢هـ .

ز ـ العرب (صحيفة اصدرتها سلطات الاحتلال البريطاني في بغداد) .

السنة الاولى ، العدد ٢٧ ، ١٤ ذى القعدة ١٣٣٥ / ١ أيلول ١٩١٧م .

العدد ٩١ ، ٣٠ محرم ١٣٣٦هـ / ١٥ تشرين الثاني ١٩١٧م .

العدد ١١٤ ، ٢٧ صفر ١٣٣٦هـ / ١٢ كانون الاول ١٩١٧م .

العدد ١٢٠ ، ٥ ربيع الاول ١٣٣٦هـ / ١٩ كانون الاول ١٩١٧م .

العدد ١٢٢ ، ٧ ربيع الاول ١٣٣٦هـ / ٢١ كانون الاول ١٩١٧م .

العدد ١٢٥ ، ١١ ربيع الاول ١٣٣٦هـ / ٢٥ كانون الاول ١٩١٧م .

السنة الثانية ، المجلد الثاني ، العدد ٢٠ ، ١١ ربيع الثاني ١٣٣٦هـ/ ٢٤
كانون الثاني ١٩١٨م.
العدد ٢٨٤ ، ذي الحجة ١٣٣٦هـ/ ١٩ أيلول ١٩١٨م.

ج ـ لغة العرب (مجلة شهرية كانت تصدر في بغداد).

السنة الاولى ، ج ١ ، رجب ١٣٢٩هـ/ تموز ١٩١١م.
ج ٢ ، شعبان ١٣٢٩هـ/آب ١٩١١م.
ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩هـ/ ايلول ١٩١١م.
ج ٧ ، محرم ١٣٣٠هـ/ كانون الثاني
١٩١٢م.
ج ١١ ، جمادى الاولى ١٣٣٠هـ/ نيسان
١٩١٢م.
السنة الثانية ، ج ٢ ، شعبان ١٣٣٠هـ/ آب ١٩١٢م.
ج ٣ ، رمضان ١٣٣٠هـ/ ايلول ١٩١٢م.
ج ٥ ، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٣٠هـ/
تشرين الثاني ١٩١٢م.
ج ٦ ، محرم ١٣٣١هـ/ كانون الاول ١٩١٢م.
ج ٨ ، ربيع الاول ١٣٣١هـ/ شباط ١٩١٣م.
ج ١٠ ، جمادى الاولى ١٣٣١هـ/ نيسان
١٩١٣م.
ج ١١ ، جمادى الاخرة ١٣٣١هـ/ أيار ١٩١٣م.

السنة الثالثة، ج ١ ،رجب وشعبان ١٣٣١هـ/تموز ١٩١٣م٠

ج ٧ ،صفر ١٣٣٢هـ/ كانون الثاني ١٩١٤م٠

ج ٨ ،ربيع الاول ١٣٣٢هـ/ شباط ١٩١٤م٠

ج ٩ ،ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/ آذار ١٩١٤م٠

ج ١٠ ،جمادى الاولى ١٣٣٢هـ/ ابريل ١٩١٤م٠

ج ١١ ،جمادى الاخرة ١٣٣٢هـ/أيار ١٩١٤م٠

السنة الرابعة، ج ٣ ،ايلول ١٩٢٦م٠

السنة الخامسة، ج ١ ،يناير ١٩٢٧م٠

ج ٩ ،آذار ١٩٢٧م٠

السنة الثامنة ،ج ٣ ، اذار ١٩٣٠م٠

ج ٤ ،نيسان ١٩٣٠م٠


الملاحق

Inclosure 1 in No. 119.

Consul Crow to Sir G. Lowther.

(No. 23.)

Sir,

Bussorah, April 29, 1909.

VERY little news of an authentic nature has reached me from up-river since the 16th April, the date of the postcript to my despatch No. 22 of the 15th April last.

The defterdar, who seemed anxious to push up stores and ammunition to Amara, informed me on the 18th April that the river was safe, and that Lynch's steamers, the "Khalifa" and the "Mejidieh," could leave under the escort of the "Kazimi," but stated that he accepted no responsibility for their safety. The arrangements for protecting these vessels, however, appeared inadequate, and the "Kazimi," having no river steering gear, was not considered suitable as a convoy. The idea of dispatching Lynch's steamers was therefore abandoned.

In the meantime Falih and Abdul Kerim-es-Seyhood and Ghadban made overtures for peace to the Bussorah vilayet, but, as military operations were in progress, they were not entertained, and matters were left to Yousuf Pasha to settle. The local authorities having learnt that Falih and Abdul Kerim-es-Seyhood had deposited their valuables with Hamoud-el-Jabbar, Sheikh of Medina, the acting commodore left for Medina, and the "Kilid Sahar" proceeded there from Kurna. On the vessel's arrival the Turks opened fire on the Arabs, and discharged their cannon, presumably in the air. I am informed that, on inquiry, the report about the hidden treasure was found to be incorrect, and a certain Sheikh Salem having intervened, and invited all parties to a feast, peace was speedily made, and the acting commodore informed the authorities that the incident had been satisfactorily settled, whereupon Sheikh Salem was dispatched to Bussorah to receive the thanks of the Imperial Government.

News was received here that the Arabs were getting up ammunition from the coast, and that caravans were passing by way of Zobeir and the Euphrates. Troops were dispatched from Bussorah and Zobeir to intercept, but no caravans were found. Shamil Pasha, the commandant, told me later that some of his men had heard that a caravan had been seen, but nothing authentic was known of the matter.

As Lynch's steamers were not proceeding, the authorities got the "Kazimi" down from Amara to take up stores and ammunition. This vessel reported that Yousuf Pasha had entered Amara, that there had been some fighting, that the Albu Mohamed had been defeated and standards captured by the Turks, but that the Beni Lam were still intact, and massed in large numbers above the town. The "Kazimi" left again on the 24th April with 100 soldiers, stores, and ammunition, and on arrival at Shattra on the 25th April the Arabs, led by Falih-es-Seyhood, opened fire on her and killed and wounded five people. The Arabs displayed thirty standards, and must have attacked in considerable force.

Arrangements have been made with the Ottoman Bank for providing £T. 15,000 for military expenses. The director of the bank tells me that £T. 7,000 have already been paid, and a "havalé" for the remainder is awaited from the Ministry of Finance. The Customs have, I hear, been instructed to pay their receipts into the vilayet treasury for the same purpose.

On the 24th April the defterdar informed my dragoman that things were now quiet on the Tigris, that the mugata'as of Kumait and Jearah had been leased to the son of Fahad-el-Ghadban, and that the other leases would shortly be arranged. The subsequent attack on the "Kazimi" shows that the defterdar was too optimistic, and I am informed that on the 26th April he wired to the Grand Vizier, at the request of the administrative council, asking that Yousuf Pasha might be superseded, as his inactivity in military matters had greatly encouraged the Arabs. The telegram also stated that trade was at a standstill, and that frequent complaints were made by the British consul at Bussorah about the interruption of river navigation.

I visited the defterdar myself with the commander of His Majesty's ship "Sphinx" on the 28th April, in response to his invitation to congratulate him on the accession of the new Sultan, and he then said that the Turks had had another brush with the Arabs at Mejr Kebir on the 27th April, and had severely punished them, but again no details had been received. The defterdar added that the river above Amara was now quiet, and that navigation would be restored in a few days. The troops from the north, intended to reinforce Yousuf Pasha, had apparently been deflected elsewhere, owing to the disturbances in Asia Minor. Both the defterdar and the commandant assured me that the trouble was over, and that there would be

ملحق رقم (١)

مرفق ١ لرقم ١١٩
القنصل كروالي السير ج . لوثر

البصرة ، ٢٩ أبريل ١٩٠٩

(رقم ٢٣)

سيدي ،

أخبار قليلة جدا ذات طبيعة موثوقة وصلتني منذ ١٦ أبريل ، وهو تاريخ ابراد رسالتي رقم ٢٢ المؤرخة ١٥ أبريل الحالي . ان الدفتردار الذي يبدو متلهفا لارسال المؤن والذخائر للعمارة أخبرني في ١٨ أبريل أن النهر كان آمنا ، وان باخرتي لنج " الخليفة" و " المجيدية" يمكن أن تغادرا بمرافقة " كاظمي" ، ولكنه اعلن انه لايتحمل مسئولية سلامتهما . ان ترتيبات حماية هذين المركبين تبدو وغير كافية على أية حال ، ولا تعتبر "كاظمي" ملائمة للمواكبة لانها ليس لها جهاز توجيه نهري . ولذلك فان فكرة ارسال باخرتي لنج تخلى عنها .

وفي غضون ذلك قدم فالح وعبد الكريم الصيهود وغضبان عروضا للسلام الى ولاية البصرة ، ولكن لم ينظر فيها ، لأن العمليات العربية دائرة ، وتركت الامور ليوسف باشا ليبت فيها . ولأن السلطات المحلية علمت ان فالحا وعبد الكريم الصيهود قد أودعا مقتنياتهما الثمينة لدى حمود الجبر شيخ المدينة ، فأن القائد البحري وكالة غادر الى المدينة بينما اتجهت " كيلد سهر " الى هناك من القرنة . وبوصول المركب فتح الترك نيرانهم على العرب واطلقوا مدفعهم ، في الهواء على وجه الافتراض . أخبرت بأنه بعد التحقيق وجد أن الاشاعة حول الكنز المخبأ كانت غير صحيحة وان المدعو الشيخ سالم (الخيون) تدخل قدعى كل الاطراف لمأدبة

فعقد السلام بسرعة ، وأخبر القائد البحرى بالوكالة السلطات بأن الحادث قد سوى على نحو مرضى ، وعندئذ أرسل الشيخ سالم الى البصرة لاستلام شكر الحكومة الامبراطورية .

أستلمت أخبار هنا تفيد بأن العرب كانوا يحصلون على الذخائر من الساحل ، وان القوافل كانت تمر بطريق الزبير والفرات. أرسل جنود من البصرة والزبير لاعتراضها ، ولكن لم يعثر على قوافل . أخبرنى القائد شامل باشا بأن بعض رجاله سمعوا بأن قافلة قد شوهدت ، ولكن لم يعلم شيء موثوق من الأمر .

ولأن بواخر لنج لم تستأنف رحلاتها فأن السلطات جعلت " كاظمى " تنحدر من العمارة لتصعد بالمؤن والذخيرة . أفاد هذا المركب بأن يوسف باشا دخل العمارة ، وبأنه كان هنالك بعض القتال ، وبأن البو محمد قد هزموا ، وان قواعد أستولى عليها من قبل الترك ، ولكن بنى لام لازالوا لم يمسوا ، وهم يحتشدون بأعداد كبيرة اعلى المدينة . غادرت " كاظمى " ثانية فى الرابع والعشرين من أبريل مع مائة جندى ومؤن وذخيرة ، ومنذ وصولها الشطرة (قلعة صالح) فى الخامس والعشرين من أبريل فأن العرب يقودهم فالح الصيهود فتحوا عليها النيران فقتلوا وجرحوا خمسة أشخاص . كان العرب يرفعون ثلاثين راية مما يعنى انهم هاجموا بقوة كبيرة .

أتخذت ترتيبات مع البنك العثمانى لتوفير خمسة عشر ألف ليرة تركية للنفقات الحربية . وقال لى مدير البنك بأن سبعة الاف ليرة قد دفعت بالفعل ، وان حوالة بالباقى لازالت منتظرة من وزارة المالية . سمعت بأن الجمارك وجهت لدفع مبالغها المستلمة فى خزينة الولاية لنفس الغرض .

في الرابع والعشرين من أبريل أخبر الدفتردار مترجمي بأن الاحوال في دجلة كانت هادئة، وان مقاطعتي كميت والجزرة قد لزمت الى أبن فهد الغضبان، وان بقية التلزيمات سترتب عما قليل. يظهر الهجوم التالي على "كا ظمي" أن الدفترار كان متفائلا جدا، وقد أخبرت بأنه أبرق، في السادس والعشرين من أبريل الى الصدر الاعظم، بناء على طلب المجلس الاداري، ملتمسا ابدال يوسف باشا، لأن عدم فعاليته في الامور العسكرية شجعت العرب بصورة كبيرة. بينت البرقية أيضا ان التجارة كانت في حالة توقف تام، وان شكاوى متكررة قدمت من قبل القنصل البريطاني في البصرة حول قطع الملاحة النهرية؛

لقد زرت شخصيا الدفتردار مع قائد سفينة جلالته "سفنكس" في الثامن والعشرين من أبريل، استجابة لدعوته لتقديم التهنئة له بمناسبة تنصيب السلطان الجديد، فقال حينئذ أن الترك كانت لهم معركة قصيرة أخرى مع العرب في الحجر الكبير في السابع والعشرين من أبريل، وعاقبوهم بقسوة، ولكن لم تعط تفاصيل مرة أخرى. أضاف الدفتردار بأن النهر اعلى العمارة هادئ الان، وان الملاحة ستعاد خلال بضعة أيام. ان الجنود الذين هم من الشمال واعدوا لتعزيز يوسف باشا قد صرفوا بصورة واضحة نحو مكان اخر نتيجة للاضطرابات في آسيا الصغرى. كل من الدفتردار والقائد اكدا لي أن المشكلة انتهت ...

Enclosure in No. 37.

Consul Crow to Sir G. Lowther.

(No. 16. Confidential.)

Basra, March 15, 1912.

Sir,

WITH reference to my telegram No. 12 of the 12th instant, reporting the visit of Sheikh Faleh-el-Brasiyeh, brother of Sheikh Ghadban of the Beni Lam tribe, and his request for British protection and assistance for the Arab tribes from Kut to Kurna in their differences with the Turkish Government over the question of "muqata'as" or Government land contracts, I have the honour to state that the Arab sheikhs represented by Faleh-el-Brasiyeh in this matter are 460 in number and all their adherents.

My visitor, who had disguised himself in the dress of a dervish and was accompanied by one attendant, informed me that the Arab tribes detested the present Turkish Government and intended to revolt. Their programme was to plunder Amara and other places, seize Basra and stop the river navigation, at all events for the Turks. Two months ago Faleh and Ghadban had put to death their uncle Shobib, who had been appointed by the Government as sheikh of the "muqata'as." Since then the Beni Lam had occupied the following "muqata'as" lands and still held them:—

Numeyt, Nehr Sa'ad, Es Sa'adieh, Ali Sherji, Ali Gharbi, El Nughais, Towerij, Souk Jendol and Abu Ghareyo. They were determined not to pay taxes either for these lands or their cattle. They owed the Government at present arrears of taxes valued at 162,000 liras and had already collected that amount from the sheikhs and lease-holders but would not hand over any of it unless the Government agreed to their terms. They had, however, informed the Mutessarif of Amara that if the Government leased them the "muqata'as" for a period of fifteen years, they would pay up 100,000 liras of the amount due, otherwise a revolt would ensue.

He also informed me that he had visited the Montifik sheikhs and found that they hated and detested the Turkish Government as much as they did themselves. He mentioned Ajeymi the son of the late Sadoun Pasha, whom he had met in his encampment at Jebel-el-Hughair, a place distant about three days journey on foot from Basra between Souk-es-Shuyoukh and Zobeir. Ajeymi, he said, had about 9,000 armed horsemen with him besides other Arabs and would certainly attack Basra shortly and revenge himself on Seyyed Talib Bey, whom he considered partly responsible for the betrayal and death of his father Sadoun. He added that Ajeymi would not unite with Seyyed Talib Bey in the general Arab movement for this reason.

Sheikh Faleh stated that he and his brother Ghadban had received a letter from Seyyed Talib Bey some months ago asking for their support and adherence to him as their chief and representative, and suggesting that they should all sign a mazbata to that effect and state that they accepted the leadership of Seyyed Talib Bey and no other. Faleh said that the Beni Lam refused to do this as their aims and objects were different and they preferred to act independently.

As reported in my telegram, Faleh asked the British Government to protect and assist the Arab tribes in their differences with the Turkish Government and enquired whether we could advise the Turks to accede to their demand about leasing the "muqata'as" to them for fifteen years.

His statement and petition appear to me to be of considerable importance. The mere fact of Sheikh Faleh's risking his personal safety alone in Basra in order to see me and talk the matter over frankly, points to the sincerity of the Arab feelings towards ourselves and the implicit faith they place in our friendship. It would not do to alienate them at the present juncture, and I feel that a rebuff or a cold reception might cost us dearly later if their plans materialise, and it is quite possible they may in view of the weakness of the Turkish authorities. I therefore undertook to lay their petition before His Majesty's Government with all reserve, informing him at the same time that I could hold out no hope of a favourable reply and that we could not interfere in the internal affairs of the Turkish Government, with whom we maintained friendly relations. I looked at it from the Arab's point of view as I thought he would understand me better if I said we were guests in Turkey and could not encourage disloyalty to our hosts. He seemed to comprehend this and approved. I also urged him to submit their differences direct to the Turkish authorities either here or at Constantinople.

To this he replied that Kutchuk Said Pasha had been their friend, but he did not know where he was now and they had no one at Constantinople while, as regards the local authorities, direct negotiations were hopeless and had often been tried and failed and they would settle their dispute, if necessary, with the sword. He also remarked

ملحق رقم ٢

مرفق المرقــــم ٣٧

القنصل كروالى السيرج . لوشر

رقم ١٦ - سرى

البصرة ، ١٥ مارس١٩١٢

سيدى ،

اشارة الى برقيتي المرقمة ١٢ فى ١٢ الجارى والتى نقلت خبز زيـــــارة الشيخ فالح البنية شقيق غضبان شيخ قبيلة بنى لام ، وطلبه الحماية والمساعدة البريطانية للقبائل العربية بين الكوت والقرنة فى خلافاتها مع الحكومة التركيـــة حول قضية " المقاطعات" اوعقود الاراضى الحكومية ، لى الشرف أن أعـــرف ان الشيوخ العرب الذين يمثلهم فالح البنيه فى هذه القضية هم أربعمائـــة وستون مع كل مشايعيهم .

ان زائرى الذى تنكر فى هيئة درويش وكان مصحوبا بأحد الخدم ، اخبرنى بأن القبائل العربية تمقت الحكومة التركية الحاضرة وتنوى الثورة . ان برنامجها هو نهب العمارة واماكن أخرى ، والاستيلاء على البصرة وبايقاف الملاحة النهرية أمام الترك مهما يحدث . قبل شهرين مضيا قتل فالح وغضبان عمهما شبيـــب الذى عين شيخا " للمقاطعات" من قبل الحكومة . ومنذ ذلك الحين أحتـــل بنو لام " مقاطعات" الاراضى التالية ومازالوا يحتفظون بها :-

نميت[كميت] ، نهر سعد ، السعدية ، على الشرقى ، على الغربى [الغربى] ، النخيص ، توبرج (الدويرج) ، سوق جندل ، وابو جريو . انهم مصممون على عـدم دفع الضرائب سواء من هذه الاراضى ، اوعن مواشيهم . انهم مدينون للحكومة فى الوقت الحاضر بمتأخرات ضرائب تقدر بمائة واثنين وستين الف ليرة ، وقد جمعوا

سابقا هذا المبلغ من الشيوخ والملتزمين ، ولكنهم لن يسلموا شيئا منه مالم توافق الحكومة على شروطهم. لقد أخبروا - على اية حال - متصرف العمارة بأنه اذا لزمتهم الحكومة " المقاطعات " لفترة خمس عشرة سنة فأنهم سيدفعون من المبلغ المستحق لغاية مائة الف ليرة ، والا فأن الثورة ستنشب .

لقد أخبرني أيضا بأنه زار شيوخ المنتفق فوجد أنهم يكرهون الحكومة التركية ويمقتونها بنفس الدرجة التي هم (بني لام) عليها . لقد ذكر عجمي ابن الراحل سعدون باشا ، الذي قابلة في مخيمه في جبل المقير ، وهو مكان يبعد عن البصرة سيرا على الاقدام حوالي ثلاثة أيام ويقع بين الزبير وسوق الشيوخ . قال أن مع عجمي حوالي تسعة الاف فارس مسلح أضافة الى بقية العرب ، وانه سيهاجم البصرة بالتأكيد قريبا ويثأر لنفسه من السيد طالب بك الذي يعتبره مسئولا جزئيا عن التغرير بوالده سعدون ووفاته . واضاف أن عجمي لن يتحد مع السيد طالب باك في الحركة العربية العامة لهذا السبب .

ذكر الشيخ فالح انه واخاه غضبان قد استلما رسالة من السيد طالب بك قبل عدة أشهر مضت ، تطلب دعمهم ونصرتهم له باعتباره زعيمهم وممثلهم وتقترح أن يوقعوا جميعا على مضبطة تتضمن ذلك المعنى وتعلن أنهم قبلوا قيادة السيد طالب بك وليس أحد غيره . قال فالح أن بني لام رفضوا أن يفعلوا ذلك لأن اهدافهم وبواعثهم مختلفة ولانهم يفضلون أن يمثلوا مستقلين .

وكما روى في برقيتي ، طلب فالح من الحكومة البريطانية أن تحمي وتساعد القبائل العربية في خلافاتها مع الحكومة التركية وسأل عما اذا كنا نقدر على نصح الترك بقبول طلبهم حول تلزيم" المقاطعات" لهم لخمس عشر سنة .

ان افادته والتماسه يبدوان لي متصفين بأهمية كبيرة . ان مجرد واقعة مخاطرة الشيخ فالح بسلامته الشخصية وحيدا في البصرة من أجل رؤيتي ومناقشة الامر معي بصراحة يدل على أخلاص مشاعر العرب نحونا والثقة المطلقة التي يضعونها في صداقتنا . ليس من المرغوب فيه تنفيرهم في هذا الظرف، وانني أشعر أن صدا او استقبالا باردا يمكن أن يكلفنا غاليا فيما بعد اذا ماتحققت خططهم ،وذلك ممكن تماما نظرا لضعف السلطات التركية . ولذلك تعهدت أن أضع - بكل تكتم - التماسه أمام حكومة جلالته ،واخبرته في نفس الوقت بأنني لا أملك أملا في رد ايجابي وبأننا لا نستطيع التدخل في الشئون الداخلية للحكومة التركية التي نحافظ على علاقات ودية معها . لقد نظرت للأمر من وجهة نظر عربية لانني فكرت بأنه سيفهمني بصورة أفضل لو قلت أننا ضيوف في تركيا ولا نستطيع تشجيع عدم الولاء لمضيفينا .بدا انهم هذا وأقره . لقد حثثته أيضا على احالة خلافاتهم بصورة مباشرة الى السلطات التركية سواء هنا او في القسطنطينية .

رد على هذا بأن كوتشك سنعيد باشا كان صديقهم ،ولكنه لا يعرف أين هو الآن وانهم ليس لهم أحد في القسطنطينية ،في حين كانت المفاوضات المباشرة - فيما يتعلق بالسلطات المحلية - بدون أمل وقد جربت أحيانا وفشلت ،وانهم سوف يحسمون نزاعهم بالسيف اذا كان ذلك ضروريا . . .

Enclosure in No. 146.

Consul Crow to Sir G. Lowther.

(No. 39.)
Sir,

Basra, June 20, 1913.

WITH reference to my telegram No. 47 of the 16th instant the Rev. J. Van Ess, who is well acquainted with Ajeymi bin Sadun, informed me that he had received a communication from the Montifie Sheikh to the effect that "he could not turn back to Abul Char, inasmuch as he would imperil his reputation with the Arabs. He could not stay where he was, as his expenses were £ T. 100 a-day, and his Arabs were getting impatient. The only thing left for him to do was to go forward and attack Basra, and that soon." He asked Mr. Van Ess to enquire from me what the attitude of the British Government would be in case he attacked and was successful.

As instructed in your telegram No. 19, Mr. Van Ess was informed that there was no reply.

His Majesty's consul at Mohammerah informed me on the 17th instant that he learnt from Haji Reise that Ajeymi had communicated ten days previously with the sheikhs of Koweit at Mohammerah in order to ascertain their attitude if he killed Seyyed Talib Bey. Major Haworth said that, according to Haji Reise, Ajeymi's main object was enmity to Talib, but that finding the two sheikhs were supporting him he would do nothing. Haji Reise also stated that Sheikh Mubarek was bound to support Talib Bey, since it was very largely on his account that Talib was instrumental in catching Sadun. Major Haworth also said that, according to information received that day from Sheikh Khazal, Ajeymi was hiring houses in Basra in which to locate his armed men, and that the commandant was conniving at the operation. I made immediate enquiries locally which confirmed the report and showed that Hamed, brother of Ajeymi, who is a friend of Ferid Bey the commandant, was in fact about to visit Basra and that Salim Khayun had bought a house for him in the Seymer bazaar for £ T. 650, besides renting a second house, and that Ajeymi's armed followers had free access to these premises. I brought the facts to the notice of the vali unofficially and pointed out that Ferid Bey was alleged to be assisting Ajeymi in his intrigues and that such action was likely to cause trouble in the town. The vali denied all knowledge of the house transaction or of Ferid Bey's conduct in the matter, and said that Basra was free and people could come and go as they liked. Hamed Ajeymi's brother arrived with fifty armed followers on the 19th instant and installed themselves in the houses prepared for them. They now appear at the doors of these premises fully armed and circulate with their arms in the bazaar.

A new element has been introduced into the situation by the appearance of Abdul Razak and Abdullah Bey, sons of Falih Pasha Sadun, and Ibrahim Bey, son of Mizal Pasha Sadun, who arrived from Montific on the 15th instant. They are relatives of Ajeymi but hostile to him on account of the robbery of their uncle's (the late Mizel Pasha) money by Ajeymi and his brother Hamid, which I reported in my despatch No. 50 of last year. If the two rival factions of the Sadun family are thus allowed to establish themselves in Basra it seems not unlikely that a collision may at any moment occur in the town between their armed followers, who already, it is said, exchange threatening glances and point their rifles at one another. The armed partisans of both sides parade the streets without opposition and even carry their arms when they enter the Serai. The vali's attention has been drawn to this state of affairs, which is a distinct menace to public security, but he ignores it and takes no steps to check it. Public rumour has it that Ajeymi's followers are even spreading a report that certain people here wish to hand over the town to "the unbelieving foreigners." The fanatical element is small in Basra, but such reports can serve no good purpose and may influence the ignorant classes and stir them to a breach of the peace. It is stated that the vali has several times requested Ferid Bey to expel Ajeymi from the neighbourhood, but that the military commandant turns a deaf ear to these requests, and it is hinted in some quarters that he has received money from Ajeymi. In any case he sent men and mules to Zobeir to escort Hamed to Basra.

The local authorities seem to be taking no measures to reassure the public by assuming control of the situation which grows more threatening every day, and the continuance of these disturbing elements in the town causes profound unrest and discontent with the local government. Under the circumstances it appears highly imprudent of the vali to close his eyes to the situation or to aggravate it by failing to assert his authority. According to my information the military commandant, Ferid Bey, is much to blame,

ملحق رقم ٢

ملحق رقم (٣)

مرفق للرقـــم ١٤٦

القنصل كرو الى السير ج . لوثـــر

(رقم ٣٩) البصرة، ٢٠ يونيه ١٩١٣

سيدي ،

اشارة لبرقيتي رقم ٤٧ في السادس عشر من الشهر الجاري ،فأن الكاهن ج . فان أيس،الذي هو على معرفة شخصية جيدة مع عجمي بن سعدون ،أخبرني بأنه أستلم رسالة من شيخ المنتفق مفادها انه" لايستطيع الرجوع الــــى ابو غار نظرا لانه لايرغب في تعريض مكانته بين العرب للخطر . ولايستطيع البقاء حيث هو لان نفقاته مائة ليرة تركية يوميا ،ولأن عربه غدوا نافذى الصبر . الشيء الوحيد المتبقي لديه ليفعله هو التقدم للامام ومهاجمة البصـــرة ، وهو ماسيحدث عاجلا" . لقد طلب من السيد فان أيس أن يستعلم مني عما سيكون عليه موقف الحكومة البريطانية في حالة مهاجمته للبصرة ونجاحـــه في ذلك .

كما أمرتم في برقيتكم رقم ١٩ ،أخبر السيد فان أيس بأنه ليس هنالـــك جواب .

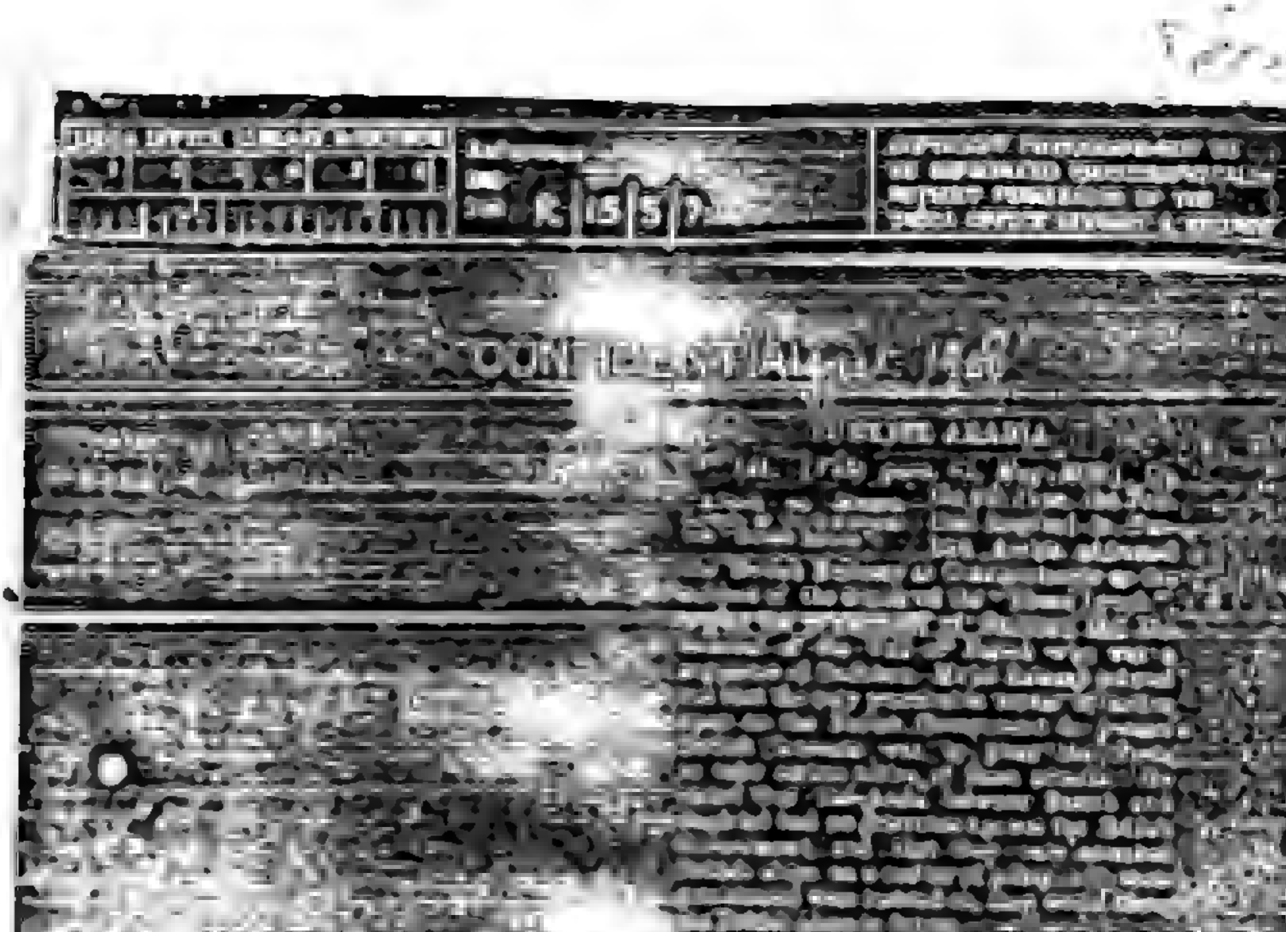
أخبرني قنصل جلالته في المحمرة في السابع عشر الجاري بأنه علـــم من حاجي ريس أن عجمي تراسل قبل عشرة أيام مع شيخي الكويت في (؟و) المحمرة من اجل التحقق من موقفهما اذا هو قتل السيد طالب بك . قـــال الميجور هوارث نقلا عن حاجي ريس أن الهدف الرئيسي لعجمي هو عداؤه لطالب ،

ولكن لانه وجد الشيخين مؤيدين له (لطالب) فأنه لن يفعل شيئا . بين الحاجي ريس أيضا أن الشيخ مبارك ملزم بتأييد طالب ، لانه من أجله بدرجة كبيرة جدا ساعد طالب في القبض على سعدون . قال الميجور هوارث أيضا انه ، طبقا لمعلومات استلمت ذلك اليوم من الشيخ خزعل ، كان عجمي يؤجر بيوتا في البصرة ليقيم فيها رجاله المسلحين ، وان القائد كان يتستر على العملية . أجريت محليا تحقيقات عاجلة اكدت الرواية واظهرت ان حمد شقيق عجمي ، والذي هو صديق القائد فريد بك ، كان على وشك زيارة البصرة وأن سالم الخيون اشترى له منزلا في سوق السيمر بستمائة وخمسين ليرة تركية علاوة على استئجار منزل ثان ، وان أتباع عجمي المسلحين نالوا حرية الوصول لهذين المبنيين . لقد وضعت الحقائق أمام نظر الوالي بصورة غير رسمية وأوضحت أن فريد بك زعم بأنه يساعد عجمي في مكائده ، وان عملا كهذا يحتمل أن يسبب قلقا في المدينة . انكر الوالي اية معرفة له بصفقة المنزل او بتصرف فريد بك في الامر ، وقال أن البصرة مدينة مفتوحة وبأمكان الناس أن يجيئوها ويذهبوا كما يشاؤون . وصل حمد شقيق عجمي مع خمسين مسلح من اتباعه في التاسع عشر من الشهر الجاري وحلوا في المنزلين المعدين لهم . انهم يظهرون الان على ابواب هذين المبنيين كاملي التسليح ويدورون باسلحتهم في السوق .

طرأ عنصر جديد على الوضع بظهور عبد الرزاق بك وعبد الله بك ابني فالح باشا السعدون وابراهيم بك ابن مزعل باشا السعدون ، الذين وصلوا من المنتفق في الخامس عشر الجاري . انهم أقرباء عجمي ولكنهم معادون له بسبب سرقة اموال عمهم (الراحل مزيد باشا) من قبل عجمي وشقيقه حمد ، والتي رويتها في رسالتي رقم ٥٠ في السنة الماضية . اذا ماسمح هكذا للزمرتين المتنافستين من عائلة ال سعدون بالتواجد في البصرة فلا يبدو من غير المحتمل

أن يحدث تصادم في المدينة في أية لحظة بين اتباعهم المسلحين ، الذين قيل بالفعل انهم يتبادلون نظرات التهديد ويصوبون بنادقهم على بعضهم البعض . ان الانصار المسلحين لكل جانب يتنزهون في الشوارع بدون معارضة ، وحتى أنهم يحملون اسلحتهم حين يدخلون السراي . وجه انتباه الوالي لحالة الامور هذه والتي هي تهديد واضح للأمن العام ، ولكنه تجاهلها ولم يتخذ خطوات لضبطها . تفيد أشاعة عامة بأن اتباع عجمي ينشرون أيضا رواية مفادها أن بعض الناس هنا يرغبون بتسليم المدينة لـ" الكفار الاجانب" . أن العنصر المتعصب صغير في البصرة ، ولكن روايات كهذه لايمكن أن تخدم هدفا طيبا ويمكن أن توثر في الطبقات الجاهلة وتحرضها على الاخلال بالأمن . لقد اعلن بأن الوالي رجا فريد بك عدة مرات ترحيل عجمي من الجوار ، ولكن القائد العسكري اعار أذنا صماء للالتماسات ، ويلمح في بعض الاوساط الى أنه استلم نقودا من عجمي . لقد أرسل على أية حال رجالا وبغالا الى الزبير لمرافقة حمد الى البصرة .

لاتبدو السلطات في سبيلها لاتخاذ خطوات لاعادة طمأنينة العموم بتولي السيطرة على الموقف الذي يغدو مهددا كل يوم ، واستمرار هذه العناصر المزعجة في المدينة يسبب قلقا عميقا واستياء تجاه الحكومة المحلية.تحت هذه الظروف يبدو من الطيش أن يغمض الوالي عينيه عن الموقف او جعله يتفاقم من خلال فشله في فرض سلطته . طبقا لمعلوماتي فأن القائد العسكري فريد بك طموح جدا ...



ملحق رقم (٤)

سري أغسطس ١٩٠٨

بلاد العرب التركيه

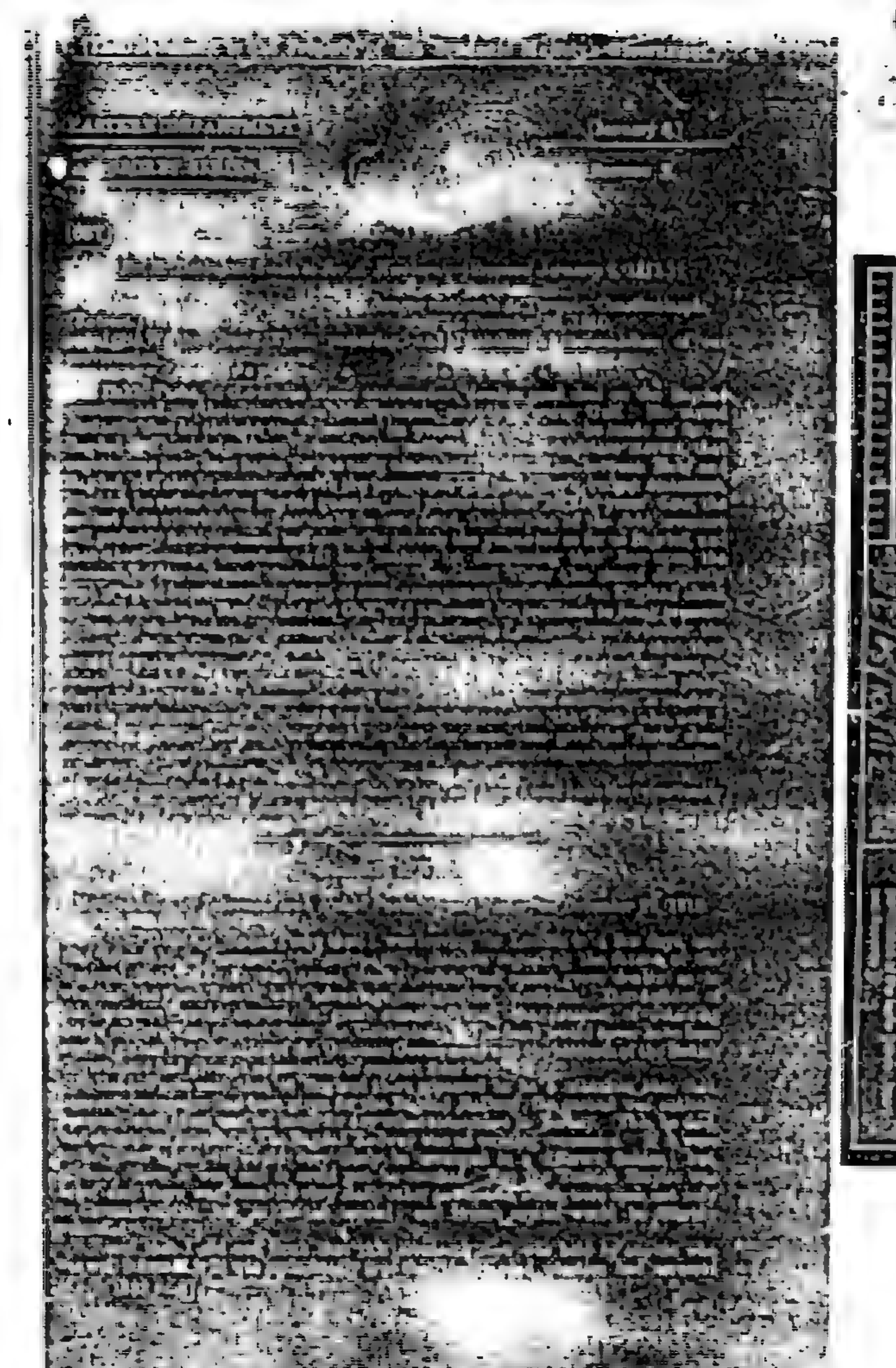
١٤١ - (راجع الفقره ٨١ ، مايو ١٩٠٨). في التاسع من يونيه ، خاطب المقيم السياسي في بلاد العرب التركية السفارة البريطانية في القسطنطينية في موضوع الهجوم على "بلوس لنج" حاثا على معاقبة غضبان ونقل والي البصرة الذي كان مساندا لغضبان ؛ أشار الرائد رمزي الى أن سبيل العمل الوحيد المتاح الذي يمكن أستخدامه من قبل الحكومة البريطانية لحماية المصالح البريطانية هو الضغط على الباب العالي للاهتمام الجدي بتلك الهجمات . لقد أوضح بأنه ليس للعرب بين البصرة وبغداد شكوى ضد الحكومة البريطانية ، وانهم هاجموا سفنا بريطانية لأسباب سياسية في الواقع . واذا ما أصر على العقوبة فأنهم سيتركون البريطانيين لحالهم في المستقبل .

في السادس عشر من يونية أمر السير أ . غري المستر باركلي ليستعلم من الرائد رمزي عما اذا كان يعتقد أن العقوبة يمكن أن تنزل بغضبان خلال هذا الفصل وبدون صعوبة كبيرة جدا . اعتقد السير غري بأن نتائج أضافية ذات طبيعة غير مرغوب فيها يمكن أن تتلو أرسال قوة تركية كبيرة الى المنطقة المجاورة المعنية . في رسالة مؤرخة في الخامس والعشرين من يونية الى السفارة البريطانية ، رد الرائد رمزي بأنه يقدر تماما خطورة عمليات حربية كبيرة تسبب مخاوف لفارس وقبائل الحدود الفارسية . وقد اعتقد - على أية حال - بأن الخطر سوف لن يوجد اذا قصر الترك جهودهم على معاقبة غضبان ، واذا ماتم اخبار الحكومة الفارسية ووالي بشتكوه وشيخ المحمرة من قبل الممثلين البريطانيين بأن التحرك ضد غضبان قد أتخذ بموافقة الحكومة البريطانية بسبب هجومه على بواخرها .

١٤٢ - (راجع الفقرة ٩٥، أبريل ١٩٠٨) . في الثالث والعشرين من مايو، بعث المستر باركلي الى السيز أ . فرى تقريرين من قنصل صاحب الجلالة البريطانية في جده، يتعلقان بعدم أمان طريق جده - مكة نتيجة لعداء البدو لسكة حديد الحجاز.

في مايو، دنت من المدينة (المنورة) زمرة كبيرة من البدو، مكونة جزئيا من قبيلة بني علي من العوالي ، وحدث صدام بين رجال القبائل والقوات التركية بقيادة عثمان باشا محافظ ، متصرف المدينة وقائدها .

وصلت المدينة فيما بعد تعزيزات من القوات التى تنشأ سكة الحديد ، كما أرسلت مساعدة أضافية من جدة .





ملحق رقم (٥)

(هذه الوثيقة ملك لحكومة صاحب الجلالة البريطانية)

القسم الشرقي — (٦ ينايـــــر)

السلسلة السرية — شعبة ٣

(٦٣٧)

رقم ١

السير هـ. بابنجتون سمث الى السير أ. نيكولسن (استلمت في ٦يناير ١٩١١) البنك الوطني التركي ـ القسطنطينية .

٣٠ ديسمبر ١٩١٠ — (مقتطف)

ان حقي باشا ، في أثناء محادثتنا ، أسهب مطولا في قضية بغـــداد والوضع فيما بين النهرين والخليج الفارسي . لقد اعلن بجلاء انه يعتقـــد أن السكة الحديدية بأساسها الحالي يجب أن تمد لغاية بغداد . أن هـــذا ذو مغزى، لارتباطه بالروايات المتداولة عن أن المفاوضات قد بدأت من اجـل الانشاء المبكر للخط بين حلف وبغداد ، ولارتباطه بفقرات من عرض جاويـد باشا للميزانية والتي أشار فيها لقضية بغداد ، واوضح انه في مدة خمس سنين ، وهو التاريخ الأقرب الذي يمكن اكمال الخط خلاله ، فأن الفائض من ديــن الدخل الحكومي يحتمل أن يزيد لدرجة كافية لتوفير الضمان حتى بغــــداد ، وان الالمان لذلك لن يخسروا شيئا بالتخلي عن رهنهم عند العمل بالرســـوم الجمركية المزادة . صرح الصدر الاعظم بوضوح أيضا بأنه سيكون من الضـروري الوصول الى ترتيب ما مرض لانجلترا حول الجزء الواقع بين بغداد والخليج ،

واظهر استعداده لممارسة ضغط لدفع الالمان فى هذا الاتجاه ان كان ذلك ضروريا . اننى لا اعلم اذا ماكان الوضع السياسى العام فيما يتعلق بالمانيا يجعل من المرجح الان انها ستكون مستعدة للوصول الى تفاهم، ولكنه من الجلى، في المقام الاول، اننا لانملك وسائل منع الخط الالمانى من الوصول الى بغداد، وان من المحتمل في المقام الثانى ان الخلاف سيصبح حادا اكثر فأكثر ما لم يتم الوصول لتسوية ما. أن تسوية كهذه ستحسن، في حد ذاتها، علاقاتنا مع الترك أيضا، واننى لاعترف بأننى لا أرى لماذا يجب الا نعطى في نفس الوقت الترك بعض الارضاء فيما يتعلق بالكويت، اذا ماحصلنا على تعهدات ملزمة فيما يتعلق بتحويل ملكيتها أو استخدامها كـ" ميناء حربى ".

لن اكتب المزيد، على أية حال، عن هذا الموضوع، لأنى أمل أن أجد فرصة لرؤيتك قريبا فى لندن .

ملحق بالرقم ١

مذكرة عن المقابلة مع حقى باشا، الصدر الاعظم، في ٢٩ ديسمبر ١٩١٠

أخبرت حقى باشا بأننى سأغادر الى لندن خلال بضعة أيام، وانه سيكون من الضرورى الوصول الى قرار فيما يتعلق بمستقبل البنك الوطنى . حسبما هو مطلع فأن الاحداث الحاضرة زادت من الشكوك القائمة حول ماإذا كان من المفيد للبنك أن يواصل عطياته. أن القرار حول هذه القضية سيعتمد، بدرجة كبيرة، على امكانية الحصول على مساندة فعالة وعملية من الحكومة. لم يكن البنك ليبدأ قط لو لم تعطه دعوة الحكومة العثمانية وموقف الحكومة البريطانية توقعا بالموازرة من كليهما .

قال حقي باشا يبدو أن هنالك فكرة خاطئة في انجلترا وهي انـــه ، بسبب الامتياز الذي منح لسكة حديد بغداد ،فأن الارض أشغلت كلية وليس هنالك متسع لاي مشاريع أخرى في تركيا . قال ان هذا خطأ كامل . فسكـــة حديد بغداد امتياز موجود ،ولو منح مرة ثانية فأن من المرجح جدا انــه كان سيرتب بطريقة مختلفة ،ولكنه وجد على أية حال ولا يمكن الغاءوه . ولكـــن الامبراطورية التركية واسعة ،وهنالك متسع لمشاريع كثيرة جدا مفتوح ليس لرأس المال الالماني فقط ولكن لرأس المال البريطاني ،وسيرحب برأس المال البريطاني بأخلاص .

قلت بأنني لا اعتقد بأن الفكرة الخاطئة هذه يتشبث بها أي أحـــد مطلع جيدا . انه لحق لاشك فيه بأن قضية بغداد لها اهمية كبيرة مسلم بهـا في العلاقات بين انجلترا وتركيا والمانيا ،لذاتها ولعلاقتها أيضا بالوضـــع فيما بين النهرين والخليج الفارسي عموما على حد سواء . اذا أمكن تسويـــة قضية بغداد بطريقة مرضية ،فأنني مقتنع بأن ذلك سيكون له تأثير رائع علـى العلاقات بين البلدان الثلاثة .

قال حقي باشا ان قضية الكويت كانت مصدر الحساسية التركية ازاء النشاط البريطاني في ذلك الجزء من العالم . تكلم في هذا الموضوع بقوة . قـــال انه يعتبر النشاط البريطاني فيما يتعلق بالكويت جائرا بدون شك . ان الكويـت تحت الحماية البريطانية ، رغم انه ليس هنالك محمية بالمعنى الفني للكلمـــة ، اصبحت مركزا لحركة السلاح المهرب ،ومصدرا لنزاع مستمر مع جيرانها . وطالما وجدت حالة الامور الشاذة هذه ،فمن المستحيل أستعادة السلام والنظـــام في هذا الجزء من العالم . تشبه الكويت شوكة مغروسة في ضلع تركيا ،والنشاط البريطاني هناك اكثر من أي مكان أخر خلق الشكوك في نوايا بريطانيا نحـــو مابين النهرين .

قلت انني غير مطلع على تفاصيل القضية ، ولكن أيا كان الخطأ او الصواب في هذه القضية ، فأن معاليه يعلم جيدا بصورة تامة أن النشاط البريطاني فيما يتعلق بالكويت لم يكن موجهـا ضد تركيا ، ولكن ضد أمكانية وقوع الكويت بأيد أخرى . قال الصدر الاعظم انه يدرك ذلك تماما ، ولكن العمل الذى اتخذ في سبيل الدفاع ضد دولة أخرى نفذ فعليا وكأنه ضد تركيا . لم يكن بأية حال من مصلحة تركيا او رغبتها السماح لاية دولة أخرى أن تركز نفسها هناك . وحتى فى ظل النظام القديم ، فأن عبد الحميد لم يسمح للالمان بالحصول على محطة فحم فى البحر الاحمر . والنظام الجديد سيكون اكثر قوة أيضا في مقاومة حصول كهذا . اذا ما كان هنالك أى شك حول هذا فأن تركيا ستقبل بأخذ تعهدات رسمية حول استخدام الكويت محطة بحرية . قال بأن المسألة فى رأيه يحتمل أن تكون قابلة للتسوية اذا كانت هنالك نية طيبة لدى الجانبين ، ولكنه أشتكى بأنه لم يكن قادرا على الحصول على مناقشة صريحة وكاملة للقضية والتى هى الشرط الاول للتفاهم .

قلت بأن المسألة ليست واحدة ممن انا مهيأ لابداء رأى مافيها ، ولكنني رأيت بأسف شديد الحساسية المفرطه للرأى التركى حيال النشاطات البالغة البراءة والشرعية للشحن والا بحار البريطانيين فى الخليج . أشرت الى المقالة الجديدة لاسماعيل حقى بابان ، التى أعتبر فيها وجود الشحن البريطاني فى البصرة وتوسع التجارة البريطانية هناك أمرين مهينين ودليلين على نوايا شريرة ، في حين كان من الجوهرى لرخاء القطر بصورة واضحة الترحيب بالشحن والتجارة اللذين يستطيعان القدوم مهما كانت جنسيتهما .

رد حقي باشا بأن المقالات الصحفية لايجب أن تؤخذ على محمل الجد كثيرا . لقد عاد اسماعيل حقي بابان للتو من بغداد والبصرة ، وما أثر فيه اكثر من أي شيء أخر هو قضية الكويت.

عاد بعدها الصدر الاعظم لقضية سكة حديد بغداد . قال أن الالمان يجب السماح لهم باكمال الخط حتى بغداد ، ولكنه مدرك تماما انه وراء بغداد سيكون من الضروري ايجاد ترتيب مايرضي انجلترا . لم يستطع قول ماهو الحل الدقيق الذي سيكون مفضلا . ان لدى الالمان " حقوقا مكتسبة" مؤكدة ، ومن الواضح أن أي ترتيب يجب أن يكون موضوعا لمفاوضات، ويجب على المصالح المهتمة صياغة المقترحات. ستكون الحكومة التركية متلهفة للوصول الى تسوية ، وستكون مستعدة للضغط على الالمان لهذا الغرض. أحد الحلول سيكون جعل الخط جنوب بغداد خطا دوليا ، والحل الاخر هو وجوب أن يكون الخط للحكومة التركية ، وتتم ترتيبات مناسبة مع المصالح المهتمة لتوفير رأس المال .

فيما يتعلق بموقف تركيا عموما ، قال مؤكدا ان من غير المرغوب فيه جدا في رأيه اعطاء اية دولة بمفردها نفوذا وحيدا أو متفوقا في الشئون التركية .. انه يرغب بالبقاء على علاقات جيدة مع كل العالم ، ومصالح تركيا تكمن في الحصول على المساعدة لتطويرها من كل الدول على حد سواء .

تكلمت بعدئذ ثانية عن وضع البنك . قلت أن البنك لم يتلق حتى الان دليلا عمليا على رغبة الحكومة بمساعدته . لا حسابات حكومية أعطيت لنا ، والحساب شبه الرسمي الوحيد الذي لدينا هو حساب لجنة الاسطول . قرض القسطنطينية رتب فقط بعد المنافسه مع بنوك أخرى ، وبعد نضال استمر عدة أشهر . سألت عما أذا كان بمقدوره اعطائي أية تأكيدات عن مساعدة عملية في المستقبل يمكن أن أضعها أمام أصدقائي في لندن . قال حقي باشا أنه فيما يتعلق بالحسابات الحكومية فأن أيديهم مغلولة لحد بعيد . . .



ملحق رقم (٦)

ب ١٩١٣/٥٠٠٥٤

سري

خلاصة احداث العراق التركي خلال اكتوبر (استلمت في ١٧ نوفمبر) ١٩١٣

١ - الشئون الداخلية

١ - في الاسبوع من اكتوبر، كان مساعد والي بغداد، لطفي بك، مايزال في الموصل، انه منهمك هناك مع جمال باشا، مفتش الدرك، في اكمال عمل لجنة اعادة تنظيم الدرك والشرطة في تلك المناطق والتي هو رئيسها .

٢ - يبدو الرحيل المفاجيء لقدرت بك المدير السابق للشئون الخارجية في بغداد ناشئا عن مشاكل رسمية خطيرة كان متورطا فيها هو نفسه . نتيجة لتهجم ارتكب في المطعم او النادي الفرنسي في بغداد من قبل احد الاعضاء ضد اخر، ونتيجة لالتزام كل واحد منهما لجانب نشأ شعور غير ودي بين قدرت بك والمستر غرابوفسكي المدير المحلي للبنك الامبراطوري العثماني . وأقترح قدرت بك بحقد على الحكومة في القسطنطينية وجوب التحقيق بصورة صارمة بشرعية حق المستر غرابوفسكي بالجنسية الفرنسية التي يتمتع بفوائدها رغم انه بولندي الأصل . عليه كتب المستر غرابوفسكي لصديقه احمد جمال بك الذي كان واليا لبغداد في السنة الماضية، وهو الان الحاكم العسكري للقسطنطينية، فترتب على ذلك أن أمر قدرت بك رسميا بالاعتذار للمستر غرابوفسكي . وصلت الرسالة الرسمية التي تحوي هذا الامر حين كان لطفي بك واليا بالنيابة، وبقيت طي الكتمان بينه وبين قدرت بك،

وارسل جواب مراوغ للقسطنطينية . أخيرا ، في ولاية محمد زكي باشـــا ، نما خبر عطلهما الى المستر فرابوفسكي الذي التجأ ثانية الى جمال بـــك ، فكرر الامر لقدرت بك بالاعتذار . طلب قدرت بك عندئذ أجازة على اساس أن والده يرغب بتزويجه ، فقيل له بأن الاجازة ستوامن ولكن الاعتـــذار المطلوب يجب أن يتم قبل مغادرته بغداد ؛ في النهاية ، وبعد محاولـــة غير مجدية لاسترضاء المستر فرابوفسكي عن طريق تأكيدات أقل من الاعتذار ، نزح قدرت بك عن بغداد ، دون الامتثال لاوامر حكومته .

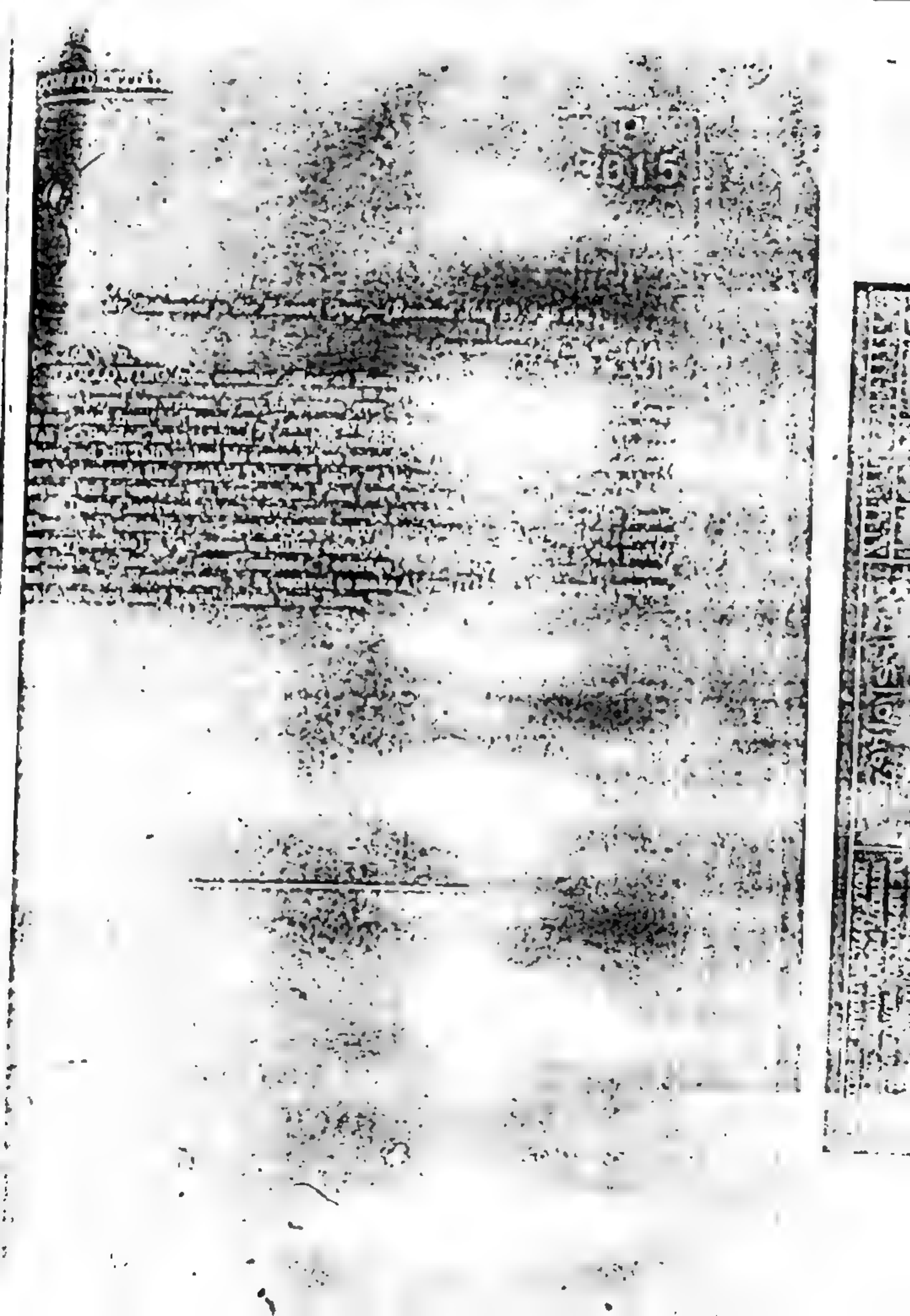
ذكرت هذه الحقائق غير المهمة بسبب القوة الكبيرة الحالية لجمـــال بك في القسطنطينية وباعتبارها توضح العلاقات الوثيقة التي وجدت بينـــه وبين المستر فرابوفسكي في أضنه وفي بغداد فيما بعد .

من الممكن ، كما يعتقد عموما في بغداد ، أن تكون للشكاوى من قبـــل الحكومة الفارسية ضد فرض قدرت بك ضرائب ثقيلة على الرعايا الفرس تمهيـــدا للاعتراف بجنسيتهم ، بعض الاثر في اختفائه المفاجيء من مابين النهرين .

٣ ـ سري بك ، متصرف العمارة الى عهد قريب ، كان مسئولا عن لـــواء كربلاء خلال الشهر الماضي . رأيته في كربلاء حينما كنت في رحلة هنـــا ، ستذكر لاحقا . انه ، كما أظن ، عضو في حزب الاتحاد والترقي ، ويتحتـــم أن يكون ذا نفوذ حتى يصل الى مركزه الحالي في عمر مبكر كهذا ، اذ أنـــه بالكاد في الثلاثين .

انه شخصيا شديد التأنق في ملبسه رغم انه ذو بنية ضخمة ، وبليد وغير عملي في عقليته . لقد وصف نظاما ، أو وصى به القسطنطينية لاخضـــاع بني لام الجامحين وغيرهم خلال مسئوليته السابقة في العمارة عن طريـــق ترصيع الريف بحصون صغيرة ، ينصب مدفع على كل منها ، ويقام فيه خمســـة

عشر رجلا ، وترتبط بأبراق لاسلكي . انه من غير المجدي الاشارة الى
أن أقل عدد من العرب ببنادقهم ، متربصين في خنادق ، يمكن ان يسجنوا
حاميات الحصون ويشلوها عن الحركة ، ان لم يجبروها حتى تستسلم وتسلم
اسلحتها . كان سري بك فصيحا أيضا في خطة وضعها لتأمين الطريق
من كربلاء الى شفاثة ، لم يقم بالكثير منها حتى يمكن رؤيته لحد الان .



ملحق رقم (٧)

سري

المستر بيو مونت للسير أدوارد غري (استلمت في ٢٩ يوليه، ٣٫٤٥ ب. ظ.)

القسطنطينية، ٢٩ يوليه ١٩١٤ (رقم ٤٥٩) ر.

مايلي من الضابط القنصلي في البصرة، رقم ٦٨ بتاريخ الأمس :

" كتب عجمي اعلى خاتمة لمترجمي طالبا منه أن ينقل لي رسالة من كاتبه. تقول الرسالة أن رجالا متنفذين كثيرين، بضمنهم والي بغداد، نصحوا عجمي بالبقاء هادئا، ولكنه عازم على مهاجمة البصرة وقتل طالب مالم يذعن لمطالبه. ان طرد الوالي أمر مرض، ولكنه يطالب أيضا بموت طالب ونفي انصاره. وتختتم الرسالة بألتماس الرد. أجبت بأنني لا املك في الأمر ما أفعله.

" خلال الاسبوع الأخير كان هنالك الكثير من السرقات في اطراف البصرة. نسبت تلك (السرقات) رسميا، ولكن بصورة خاطئة على الارجح، الى عجمي (مجموعتان لم تحل شفرتها). يبدو الوالي كارها لاتباع سياسة قمعية. هذا عائد جزئيا بلا ريب لنقص في (مجموعة ساقطة : الشجاعة ؟)، ولكن جزئيا، فيما اعتقد، لذكاء استثنائي. وهو عازم مع ذلك على جعل عجمي (؟) من مكانه الحالي الذي لايبعد مسافة ساعات كثيرة من البصرة".

ملحق رقم ١

232

No. 42.

American Consulate,

Bagdad, Turkey, 31st March 09.

Honorable John G. A. Leishman,

American Ambassador,

Constantinople, Turkey.

Sir:-

I have the honor to confirm my telegram of 25th March, reading as follows.-

"ARAB TRIBES LOCATED BETWEEN ALIGHARBI AND GOURNA "
"ON TIGRIS RIVER IN STATE OF INSURRECTION. BRITISH "
"MAIL STEAMER ON VOYAGE TO BASSORAH WAS FIRED ON AT "
"KOMEIT ON SEVENTEENTH MARCH. SAME STEAMER DURING "
"RETURN VOYAGE WITH BRITISH CONSUL GENERAL AT BAGDAD "
"ON BOARD WAS ATTACKED AND FIRED AT FOUR TIMES "
"BETWEEN KALATSALAR AND AMARA. NO CASUALTIES ARE "
"REPORTED. I AM INFORMED BY THE AGENT OF THE LYNCH "
"COMPANY THAT IN CONSEQUENCE OF EXISTING INSECURITY "
"HE HAS TELEGRAPHED HIS DIRECTORS RECOMMENDING "
"SUSPENSION OF SERVICE. DISTURBANCES ARE DUE TO "
"INCAPACITY AND CORRUPT PRACTICES OF TURKISH "
"AUTHORITIES IN AMARA AND BASSORAH. IT IS REPORTED "
"THAT NOTWITHSTANDING MILITARY AUTHORITIES BAGDAD "
"ARE PREPARED TO TAKE MEASURES AGAINST INSURGENTS "
"THE GRAND VIZIER DISCOURAGES ACTION AND PUTS ONUS "
"RESPONSIBILITY ON MILITARY AUTHORITIES IF TROOPS "
"FIRE ON INSURGENTS. UNLESS ENERGETIC STEPS ARE SOON"
"TAKEN THE SITUATION MAY BE VERY SERIOUS. INASMUCH AS"
"THREATENED INTERRUPTION OF RIVER TRAFFIC WILL AFFECT"
"AMERICAN COMMERCIAL INTERESTS SERIOUSLY I PRAY THA "
"EMBASSY WILL MAKE STRONG REPRESENTATIONS. SIGD. "

The disturbances to which my telegram referred are a recurrence of those reported in Consul Magelssen's despatch No. 25, dated April 20th 1908, but, according to present advices, Sheikh Ghadban and his tribe have not yet taken the offensive and the attacks reported in my telegram were perpetrated by other tribes.

Since the date of my telegram practically every steamer which has passed through the disturbed area has been attacked, and the new Turkish steamer "BAGDAD" belonging to the Hamadieh Administration on her downward voyage to Bassorah on the 23rd inst., had two men killed and seven wounded.

This steamer had a guard of troops on board and also a small quickfiring gun and it is reported that they returned the fire of the insurgent Arabs.

I understand that the Turkish authorities here have not been instructed to take punitive measures against the tribes in question but they are doing what they can to protect river traffic.

The British mail steamers are sailing irregularly, their movements being regulated by the presence of other steamers to convoy them through the disturbed reaches of the river. They, also, have a small guard of troops on board.

These disturbances have disorganized river traffic by native sailing craft and a considerable number of boats loaded with licorice root for the MacAndrews and Forbes Company are held up down river and are unable to proceed.

The irregularity of the steamer sailings is also having an adverse effect on the shipment of wool, carpets and skins destined for the United States.

These disturbances are becoming an annual incident and their nature is becoming more and more serious every year.

Until the Turks here have sufficient force, and the authority to use it, such uprisings will continue at regular intervals to the serious detriment of foreign trade and/

and/ communication.

I have the honor to be, Sir,

Your obedient servant,

American Vice-Consul, in charge.

ملحق رقم (٨)

القنصلية الامريكية   رقم ٤٢

بغداد ، تركيا ، ٣١ مارس ١٩٠٩

جون ج . أ . ليشمان المحترم

السفير الامريكي ، القسطنطينية ، تركيا

سيدي ،

لي الشرف أن أؤكد برقيتي المؤرخه في الخامس والعشرين من مارس المقروءة كمايلي :-

" القبائل العربية القاطنة بين علي الغربي والقرنة على نهر دجلة في حالة عصيان مسلح . باخرة البريد البريطانية في رحلتها للبصرة أطلقت عليها النار في كميت في السابع عشر من مارس . نفس الباخرة خلال رحلة العودة وعلى ظهرها القنصل البريطاني العام في بغداد هوجمت واطلقت عليها النار أربع مرات بين قلعة صالح والعمارة . لم يبلغ عن وقوع اصابات . أخبرني وكيل شركة لنج بأنه نتيجة لانعدام الأمن القائم فقد أبرق لمدرائه موصيا بتعليق الخدمة . ان الاضطرابات نتيجة للممارسات الماجزة والفاسدة للسلطات التركية في العمارة والبصرة . روى انه بالرغم من أن السلطات العسكرية في بغداد أعدت لاتخاذ الاجراءات ضد العصاة فأن الصدر الاعظم يعيق التحرك ويضع عبء المسئولية على السلطات العسكرية اذا ما أطلق الجند النار على العصاة . مالم تتخذ خطوات فعالة على الفور فأن الموقف يمكن أن يصبح خطيرا جدا . ولأن اعاقة حركة النهر

المهدد بها سوف تؤثر جديا على المصالح التجارية الامريكية فأنني أرجو أن تقوم السفارة بتقديم احتجاجات قوية . بيرد ." ؛

ان الأضطرابات التي أشارت لها برقيتي تكرار لتلك التي ذكرت في رسالة القنصل ماجلسون رقم ٢٣ المؤرخه في العشرين من أبريل ١٩٤٨ ، ولكن طبقا لانباء حالية ، فأن الشيخ غضبان وقبيلته لم يتخذوا موقف الهجوم بعد ، وان الهجمات المذكورة في برقيتي ارتكبت من قبل قبائل أخرى .

منذ تاريخ برقيتي فأن كل باخرة مرت فعليا بالمنطقة المضطربة قد هوجمت ، وان الباخرة التركية الجديدة " بغداد " العائدة للادارة الحميدية في رحلتها النازلة للبصرة في الثالث والعشرين الجاري قتل عليها رجلان وجرح سبعة .

فهمت بأن السلطات التركية هنا لم تزود بالتعليمات لاتخاذ اجراءات تأديبية ضد القبائل المعنية ، ولكنها تفعل ماتستطيع لحماية الحركة النهرية .

بواخر البريد البريطانية تعمل بصورة غير منتظمة لأن حركاتها ترتبط بوجود بواخر أخرى لتواكبها عبر المرحلة المضطربة من النهر . ان لها أيضا حماية صغيرة من الجند على ظهورها .

ان هذه الاضطرابات أفسدت نظام الحركة النهرية بالمراكب الشراعية المحلية وبعدد كبير من القوارب المحملة بعرق السوس لشركة انـــدراوس وفوربس المتوقفة أسفل النهر وغير القادرة على التقدم .

ان عدم انتظام البواخر المبحرة له أيضا تأثير غير ملائم على شحن الصوف والسجاد والجلود المتجهة الى الولايات المتحدة .

ان هذه الأضطرابات أصبحت حادثا سنويا ، واخذت طبيعتها تصبح اكثر خطورة سنة بعد سنة .

والى أن يكون لدى الترك هنا قوة كافية وسلطة لاستخدامها ، فان انتقاضات كهذه سوف تستمر على فترات منتظمة تسبب الأذى للتجارة والمواصلات الاجنبية !

لى الشرف ياسيدى أن اكون خادمكم المطيع .

نائب القنصل الامريكى والقائم بعمله .

No. 19

68

A[illegible] [illegible]ULATE

[illegible], Turkey, April 7, 1910.

[illegible]on. Oscar [illegible]. [illegible]

American [illegible],

[illegible]le, Turkey.

Sir:-

I have the honor to submit herewith details of the situation at Shatra, based on a report made to me by the American [illegible], Rev. John Van Ess, who has lately left [illegible] for the United States. [illegible] Van Ess was in Shatra at [illegible] battle, and his account is therefore [illegible] says in substance:

Shatra is [illegible] of about [illegible] people located on the Shat-el-[illegible], [illegible] miles from the Euphrates. It stands about in the [illegible] district called by the Arabs "[illegible]", [illegible] "confederation". This confederation [illegible], which were ruled by the [illegible] years ago. About 40 years ago the Turkish [illegible] was called on by one of the Sheiks to [illegible] disturbances; since that time Turkish troops--[illegible], at least--have occupied the country. Five years [illegible] the Government attempted to collect [illegible] Arabs, who reside [illegible] Shat-el-[illegible] unsuccessful, and [illegible] were badly [illegible]. [illegible] the Government [illegible], they likewise refused to pay taxes. [illegible] of 1909, the Turks [illegible] attempted to settle tribal disturbances and collect taxes due from the Arabs around the Tigris town of Amara. [illegible] Pasha, the military commander, after great difficulty succeeded in turning one tribe against another [illegible] by this means broke the back of the rebellion.

During last [illegible] --- September, 1909--- [illegible] began to subdue the tribes and collect the [illegible] taxes. After strenuous efforts [illegible] to [illegible], where he [illegible] the [illegible] astonishment of every [illegible] of the desert and swamp [illegible]. [illegible] Pasha was [illegible] placed in command of the Turkish troops in the [illegible] country. Yusuf Pasha at [illegible] proceeded to Shatra, with [illegible] regiments of soldiers [illegible] one battery of artillery. Upon his arrival there, he collected all the Sheiks of the neighborhood, and bound [illegible] under oath to stand by the Turkish Government.

About a quarter of a mile outside Shatra is a small tribe of Arabs called the [illegible], whose Sheik is named [illegible]. [illegible] the policy of Yusuf Pasha at Amara [illegible] tribe against another by favorable

ملحق رقم ٩

[illegible] with regard to land leases. Ali el [illegible]-
[illegible], the Sheik of another tribe of Arabs near Nasira, [illegible] about [illegible] rifles, [illegible] Yusuf Pasha his [illegible] on condition that [illegible] the lease of the dis-
[illegible] Yusuf Pasha on the 11th [illegible] to assault the fort of [illegible], [illegible] of securing the place for [illegible] [illegible] maltreated and sent back.
[illegible] 13th, Yusuf Pasha placed two [illegible] of soldiers, with two cannon, [illegible] [illegible] infan-
[illegible] small tribe muster-
[illegible] and expected to be [illegible] in an hour at least [illegible] directions to assist [illegible]. [illegible] firing on the part of the soldiers and [illegible] on the Arabs, was re-
[illegible] heavy fire. At this moment the left [illegible] of the [illegible] to flee from the Turkish [illegible] drawn in another di-
rection. [illegible] at this moment also broke [illegible] fled, [illegible] forces. The united Arab forces now [illegible] two regiments of Turkish sol-
diers, [illegible] fire upon them. Major [illegible] and two Lieutenants, [illegible] 31 [illegible] were killed. 34 [illegible] broke ranks [illegible] March 17th, the [illegible] Nasira kept up a heavy fire [illegible] town, from the minaret of [illegible] barracks. After nightfall the Arab forces [illegible], and rushed the town from [illegible] quarter. Throughout the night they kept up fire, though the Turkish troops, being well protected [illegible], suffered little. At daybreak of March 1[illegible] [illegible] the plundering of the bazaar began, and went on all day. [illegible] tribes did most of [illegible] the Turkish soldiers [illegible] [illegible] afternoon Yusuf Pasha ordered [illegible] immediately most of [illegible] Nasira, plundering con-
[illegible]. Goods to the extent [illegible] next day [illegible] inform-
[illegible] desist from the [illegible] if given immunity; he laid [illegible], however, that the [illegible] Pasha refused to agree [illegible] declared for three [illegible] tribe named [illegible] Government, but were [illegible]

[illegible] left [illegible] March 18th, under the [illegible], and everywhere noticed [illegible] the Government, [illegible] I believe all [illegible] But this time is

a tremendous one, and will to my mind require at least 10,000 soldiers. And the soldiers should be from other parts of the country---Anatolia, Albania and Syria. The Turkish authority is ridiculed everywhere except in the towns, but from half way between Nasrieh and Bassorah everything is quiet and the roads are safe. I hear Yusuf Pasha will be courtmartialled, and that matters are to remain in statu quo till the arrival of Nadhim Pasha, the new Vali of Bagdad".

(Signed) J. Van Ess.

Nadhim Pasha is reported at Beirut, on his way to Bagdad.

Mr Toda, the Acting American Consular Agent at Bassorah, writes, in connection with the Muntafik situation:

"The position is [illegible] serious for the Turks; but they have always shown [illegible] resource in getting out of similar difficulties, but I am doubtful whether they will go to the expense of sending a Division of Troops (into the swampy lands) at such an unfavorable time of the year. The spring rises are shortly due, and the Arabs can disperse in their canoes like mists---if they find a force sent against them too strong to be successfully attacked. If the Turks really intend to subdue the Muntafik, the only time of the year in which they can operate [illegible] is in the Autumn, when operations [illegible] and the [illegible] the spring, when the [illegible] of swamp and flooded country."..........

"I have private information that Plague has appeared at Bushire, Persian Gulf, as soon as this is certain, I will telegraph you".

(Signed) Sam'l Toda.

Grave apprehension is felt in official circles at Bagdad that the disturbances in South Mesopotamia may gradually increase, till they take the form of an organized [illegible] to Turkish authority. The [illegible] continued rumors of Turkish trouble [illegible] frontier, seems to have a disturbing effect [illegible] of Eastern Arabia.

Nawab Ali Khan, a Shia, now living at Bagdad, but who once resided at Teheran, and who is acquainted with the Persian religious leaders who make their headquarters at the Holy Cities of Nejef and Kerbela, told me this week that an ecclesiastical order had been issued by the Holy [illegible] at Nejef, urging all loyal Persians to arm themselves and drive the [illegible] from Persia. This war, to be a Holy one, would of course absolve all who fell fighting, and insure their swift passage to Paradise. Nawab Ali Khan is one of the Indian [illegible], descendants of the King of Oudh, whom the British exiled here many years ago, I tell the rumor for what it is worth.

I have the honor to be, Sir,

Your obedient servant,

American Consul.

ملحق رقم (٩)

رقم ١٩

القنصلية الامريكية

بغداد ، تركيا ، ٧ أبريل ١٩١٠

أوسكار س. ستراوس المحترم

السفير الامريكي ، القسطنطينية ، تركيا

سيدي ،

لي الشرف أن أقدم هنا تفاصيل الوضع في الشطرة ، مستمدة من تقرير اعده لي المبشر الامريكي جون فان ايس الذي غادر البصرة مؤخرا الى الولايات المتحدة . السيد فان أيس كان في الشطرة وقت حدوث المعركة ولذلك فأن روايته موثوقة بلاريب . وجوهر مايقوله :-

" الشطرة مدينة يقطنها زهاء خمسة آلاف نسمة وتقع على شط الحي على بعد حوالي عشرين ميلا من الفرات . انها تقوم تقريبا في مركز اقليم يسميه العرب " المنتفق" وتعني " الاتحاد" . هذا الاتحاد يتألف من العديد من القبائل التي كانت الى مايقرب من خمسين سنة مضت تحكم من قبل عائلة آل سعدون . قبل حوالي اربعين سنة مضت دعيت الحكومة التركية من قبل احد الشيوخ لانهاء الأضطرابات ومنذ ذلك الحين احتلت القوات التركية الاقليم اسميا على الأقل . قبل خمس سنين حاولت الحكومة ان تجبي الضرائب المتأخرة من عرب حكام القاطنين في سوق الشيوخ . كانت المحاولة فاشلة ، وهزم مخلص باشا واثنا عشر فوجا على نحو مخز . بعد ذلك رأت القبائل الاخرى أن الحكومة غير قادرة على فرض مطالبها فرفضت بالمثل دفع الضرائب في ربيع سنة ١٩٠٩ حاول الترك ثانية انهاء الاضطرابات القبلية وجمع الضرائب المستحقة على العرب حول مدينة

العمارة الواقعة على دجلة . نجح القائد العسكري يوسف باشا بعد صعوبات جمة في توجيه احدى القبائل ضد الاخرى وبهذه الوسيلة قصم ظهر العصيان .

خلال رمضان الأخير ،سبتمبر ١٩٠٩ أرسل مصطفى باشا الى منطقة الغراف لاخضاع القبائل وجمع الضرائب المتأخرة . وبعد اتخاذ اجراءات عنيفة في الحي انحدر الى الناصرية ،حيث هاجم عرب الأزيرق . ومن المثير لدهشة أي من حسني الاطلاع على تجهيز العرب القاطنين في الصحراء والهور انه هزم . سحب مصطفى باشا بعدئذ ، وعين يوسف باشا لقيادة القوات التركية في اقليم المنتفق . تقدم يوسف باشا في الحال نحو الشطرة مع خمسة أفواج من الجند وسرية مدفعية واحدة، جمع بعيد وصوله هناك كل الشيوخ المجاورين وجعلهم يقسمون على تأييد الحكومة التركية .

هنالك عشيرة صغيرة من العرب على بعد حوالي ربع ميل خارج الشطرة تدعى السناجر وشيخها يسمى خيون العبيد . كانت سياسة يوسف باشا في العمارة هي توجيه قبيلة ضد أخرى عن طريق شروط مواتية فيما يتعلق بتلزيم الارض. على الخافور شيخ عشيرة أخرى من العرب قرب الشطرة تملك حوالي الفي بندقية وعد يوسف باشا بمساندته في حالة اعطائه التزام مقاطعة خيون . وعلى ذلك أرسل يوسف باشا في الثاني عشر من مارس (١٩١٠) خمسة عشر دركيا لمهاجمة قلعة خيون بهدف أستخلاص المكان للخافور . عومل الدركيون بخشونة واعيدوا . في الصباح التالي ،الثالث عشر من مارس، وضع يوسف باشا فوجين من الجند ومدفعين في الخنادق خارج الشطرة ،ووضع على الجناح الايمن مائتي فارس تركي ،وبين الفرسان والمشاة وضع " البوشمخي" ،عشيرة صغيرة

تملك حوالي مائتين وخمسين بندقية . لقد توقع يوسف باشا بأنه سيواجه بعرب السناجر لوحدهم ، ولكن خلال ساعة واحدة جاء خمسة الاف عربي آخر على الاقل من كل الاتجاهات لمساندة السناجر . بعد ساعة من اطلاق النار من جانب الجند وهجومهم على العرب الذين تراجعوا تحت نار كثيفة ، في هذه اللحظة تظاهر الجناح الايسر للعرب بالهرب أمام الفرسان الترك الذين حول انتباههم بهذه الطريقة في اتجاه آخر . فر البوشمخي في هذه اللحظة أيضا متخلين عن القوات التركية . طوقت القوات العربية المتحدة الآن الفوجين من الجند الترك وصبت عليهما نيران حامية . قتل الرائد عبد القادر أفندي واحد النقباء وملازمان اثنان وواحد وثلاثون جنديا من القوة التركية وجرح أربعة وثلاثون . خرق الجنود الترك الآن الانظمة وهربوا عائدين الى الشطرة . طيلة نهار الثالث عشر من مارس واصل الترك الذين أحتلوا الشطرة ثانية اطلاق نار كثيف من قلعتهم على حافة المدينة ومن منارة المسجد ومن ثكناتهم . بعد حلول الليل التأمت القوات العربية ثانية وهاجمت المدينة من جانب غير محروس . واصلت طوال الليل اطلاق النار ، ومع ذلك فأن القوات التركية قاست القليل لكونها محتمية جيدا خلف جدران طينية . عند طلوع نهار الرابع عشر من مارس أبتدأ نهب السوق واستمر ذلك طوال النهار . قامت عشيرتا السناجر والبوشمخي باكثر النهب ، وقيل أن الجند الترك ساعدوهما أيضا . حوالي الرابعة بعد الظهر أمر يوسف باشا قواته بوقف اطلاق النار ، وفي الحال تقريبا انسحب معظم العرب المسلحين من الشطرة . استمر النهب على أية حال لشطر طويل من الليل . سرقت بضائع تصل قيمتها لثلثمائة ألف دولار . أخبر خيون في اليوم التالي يوسف باشا بأنه سيكف عن الهجوم وعن مزيد من النهب اذا ما منح العفو ، ووضع شرطا اخر على أية حال هو ترحيل

البوشمخي من الشطرة. رفض يوسف باشا الموافقة على هذين الشرطين .
اعلنت هدنة لثلاثة أيام، روى بأن عشيرة تدعى بني ركاب كانت في
الطريق لموءازرة الحكومة، ولكنها أوقفت بأمر من السلطات .

يعرض المستر فان ايس علاوة على ذلك :-

" غادرت المدينة(الشطرة) في السادس عشر من مارس تحت
حماية مرشدين قبليين (عرب) ،وفي كل مكان لاحظت تصميما على الاعمال
العدائية تجاه الحكومة ، بهدف أن يصبحوا مستقلين . انني اعتقد
بأن كل القبائل متحدة بقوة ومصممة على طرد الحكومة التركية . يخطط
الترك الآن لجلب قوة اكبر ومحاولة اخضاع العرب . ولكن هذه المهمة
ضخمة وسوف تتطلب في اعتقادي ستة عشر الف جندي على الاقل . ويجب
أن يكون الجند من اجزاء أخرى من البلاد ... الاناضول والبانيا وسوريا.
ان السلطة التركية عرضة للسخرية في كل مكان عدا المدن ،ولكن ابتداء
من منتصف الطريق بين الناصرية والبصرة كل شيء هادئ والطرق آمنة .
سمعت بأن يوسف باشا سوف يحاكم أمام مجلس عسكري ،وان الأمور ستظل
في وضعها الراهن حتى وصول ناظم باشا والي بغداد الجديد " .

(توقيع) ج . فان ايس

....

أعلن بأن ناظم في بيروت في طريقه لبغداد .

....

المستر دودز النائب الموءقت للوكيل القنصلي الامريكي في البصرة
كتب فيما يتعلق بوضع الشطرة :-
" الموقف بالنسبة للترك خطير بلاشك ،ولكنهم أظهروا دائما براعة
في الخروج من مشاكل مشابهة لحد أني شاك في كونهم سيخاطرون بنفقة

ارسال فرقة من الجند (فى ارض مستنقعات) فى وقت غير ملائم من السنه كهذا . ان فيضانات الربيع متوقعة الحدوث قريبا ،ويستطيع العرب التشتت بمشاحيفهم مثل الضباب ... اذا ماوجدوا ان القوة التى أرسلت ضدهم قوية الى درجة تحول دون مهاجمتها بنجاح . اذا كان الترك يعتزمون اخضاع المنتفق حقا ،فأن الوقت الوحيد خلال السنة الذى يمكنهم العمل خلاله بنجاح هو الخريف حيث تقتصر العمليات على النهر (الفرات والحى) والاراضى الجافة المحيطة . وليس فى الربيع حين يستفاد العرب من أميال من المستنقعات والاراضى المغمورة ."

" لدى معلومات خاصة بأن الطاعون ظهر فى بوشهر ، الخليج الفارسى، وسأبرق لك حالما يتأكد ذلك ".

(توقيع) صامويل دودز .

....

ان خشية خطيرة محسوسة فى الاوساط الرسمية فى بغداد من امكانية ازدياد الأضطرابات فى جنوب مابين النهرين تدريجيا حتى تأخذ شكل مقاومة منظمة وعدائيه تجاه السلطات التركية . الأضطرابات المجاورة فى بلاد الفرس، والاشاعات المستمرة عن المشاكل التركية فى الحدود الشمالية يبدو أنها تؤثر على العرب فى شرق بلاد العرب .

....

نواب على خان ،شيعى ،يعيش الآن فى بغداد ، والذى كان فيما مضى يقطن طهران ،وهو على معرفة شخصية مع القادة الدينيين الفرس الذين جعلوا مراكزهم فى المدينتين المقدستين فى النجف وكربلاء ،اخبرنى

هذا الأسبوع بأن فتوى أصدرت من رجال الدين في النجف تحث كل الفرس المؤمنين لتسليح أنفسهم وطرد الروس من فارس، هذه الحرب، اذا أصبحت مقدسة، سوف تجلب المغفرة بالطبع لكل من يؤمن بالقتال وستضمن انتقاله السريع الى الجنة. نواب علي خان واحد من الامراء الهنود، المنحدرين من سلالة ملك أوض الذى نقله البريطانيون الى هنا قبل سنين عديدة. انني أنقل الاشاعة لما لها من قيمة،

لي الشرف أن اكون ياسيدى خادمكم المطيع،

القنصل الامريكي.

ملحق رقم ١٠

AMERICAN CONSULATE

BAGDAD, TURKEY.

July 15,1914.

The Honorable Henry Morgenthau

American Ambassador Extraordinary,

and Plenipotentiary

Constantinople.

Sir:

In the Vilayet of Bassorah important political developments [illegible] ultimately to the dismissal of the Vali of that province Suleiman Shefik Pasha have taken place recently.

I had the honor to report on March [illegible],1914, that a reconciliation and even an understanding had been arranged between the Turkish Government and its official representative at Bassorah, the Vali, on one side, and Sayyid Taleb Nakib-Zade, the [illegible] notable and real ruler of the district on the other.

[illegible] that the Vali of Bassorah was up to a recent date [illegible] the hands of Sayyid Taleb and practically the [illegible] most obedient servant ready to help and protect him [illegible] all his [illegible] and unlawful aims and plans. It seems [illegible] that this state of things was bound to be at last [illegible] for the most serious disturbances and trouble in [illegible] troubled and disturbed regions of the Ottoman Empire.

[illegible] the Vali to take up a hostile [illegible] Sheikh [illegible] of the great and [illegible] tribes of Muntifik, [illegible] from the old [illegible] of the Sa'doon, the hereditary enemy of the [illegible] of Bassorah, and particularly Sayyid [illegible] adversary.

[illegible] of the troubles produced by this most im-[illegible] the Vali was reached

[illegible] neighbour- [illegible] was staying with his [illegible] at [illegible] to be attacked by Sayyid Talib, his followers [illegible] troops, the latter being then completely under [illegible]. One of Sayyid Talib's chief objects in [illegible] was to obtain the possession of some importe [illegible] existing at [illegible] Pasha's [illegible] and written out against [illegible] the [illegible] of the [illegible] Union and Progress, then [illegible] to Zubeir in the [illegible] Sayyid Talib, belonged to the liberal or "[illegible]" [illegible] in the epoch before his "reconciliation" with [illegible] and Vali.

[illegible] informed beforehand of Sayyid Talib's inten- [illegible] accordingly to prevent and to check [illegible] He and his people [illegible] the Government [illegible] Talib's [illegible] between Zubeir and Basorah; [illegible] in to Basorah town and a certain [illegible] on that occasion by Sheikh Ejeimi. [illegible] of these [illegible] were Turkish troops and [illegible] Turkish Gun-boat stationed at Basorah. [illegible] Gun-boat [illegible] to shell [illegible] town itself faithful [illegible]

[illegible] only of his [illegible] the [illegible] troops [illegible] and [illegible] Zubeir with altogether about 2000 [illegible] Arabs and put Ajeimi to flight [illegible] population of the small town [illegible] for [illegible] at Zubeir and the [illegible] established there, the Vali and Sayyid [illegible] left 500 soldiers at Zubeir to [illegible] Ajeimi's [illegible] [illegible] Sayyid [illegible]

[illegible] gate of Bussorah situated in the [illegible] direction as [illegible] for Bussorah itself.

[illegible] and tranquility [illegible] re-established at Bussorah [illegible] at the price of the local Turkish Government of [illegible] the Vali himself placing completely under Sayyid [illegible] control and orders.

[illegible] state of things which certainly has to prove most [illegible] even dangerous in the [illegible] for the interest of [illegible] Government in the whole province of Bussorah was [illegible] at Constantinople, and the [illegible] of the serious troubles and disturbances at [illegible] has been the [illegible] of the Vali of that [illegible] seem to indicate a [illegible] more energetic [illegible] of the Turkish Government authorities towards [illegible] Sayyid Talib, but it will be surely not most [illegible] to check the overbearing power of the mighty Arab [illegible] Bussorah after all the above reported strange events.

[illegible] Vali [illegible] appointed [illegible] Bey, has [illegible]

[illegible] predecessor.

[illegible] the honor to be, Sir,

Your obedient Servant,

[illegible signature]

[illegible] Vice Consul in Charge.

ملحق رقم (١٠)

القنصلية الامريكية

بغداد ، تركيا ١٥ يوليه ١٩١٤

هنري مور جنتاو المحترم

السفير الامريكي فوق العادة والمطلق الصلاحية

القسطنطينية

سيدي ،

حدث مؤخرا في ولاية البصرة تطور سياسي هام أدى الى طرد سليمان شفيق باشا والي تلك الولاية .

تشرفت في ١٨ مارس ١٩١٤ بتقديم تقرير عن ترتيب توفيق وربما تفاهم بين الحكومة التركية وممثلها الرسمي في البصرة ، الوالي ، من جانب وبين السيد طالب النقيب ، الوجيه القوي تماما والحاكم الحقيقي للولاية من جانب آخر .

وبعد ذلك وحتى عهد قريب صارو الى البصرة في يدي السيد طالب كلية ، (واصبح) فعليا خادم الأخير الاكثر طاعة المستعد لمساعدته وحمايته في كل أهدافه وخططه القانونية وغير القانونية . يبدو طبيعيا أن حالة الأمور هذه كان من المحتم أن تكون في النهاية سببا للأضطرابات والمشاكل البالغة الخطورة في تلك الانحاء الكثيرة المشاكل والأضطراب من الامبراطورية العثمانية .

دفع السيد طالب الوالي لاتخاذ موقف عدائي ضد الشيخ عجمي ، زعيم قبيلة المنتفق العربيه الكبيرة القوية ، والمنحدر هو نفسه من عائلة ال سعدون

العريقة النبيلة ، العدو الوراثي لعائلة النقيب البصرية ، والخصم الشخصي للسيد طالب على وجه الخصوص .

ان ذروة المشكلة الناتجة عن هذا السلوك المتصف بقلة السياسة والدبلوماسية لحد كبير من قبل الوالي ثم الوصول اليها حين هوجمت مدينة الزبير ، الواقعة بجوار البصرة مباشرة حيث كان عجمي يقيم فيها مع عربه في ذلك الوقت ، من قبل اتباع السيد طالب والقوات التركية ، والأخيرة كانت آنئذ تحت تأثير طالب كلية . واحد من اكبر بواعث السيد طالب للاقدام على تلك الخطوة هو الحصول على ملكية بعض المراسلات المهمة الموجودة في الزبير منذ وزارة كامل باشا ، كتبت ضده من قبل بعض اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، الذين نفوا انذاك للزبير في الوقت الذي كان فيه السيد طالب منتميا للحزب التحرري أو " الأحرار" أي في الفترة السابقة لـ " توافقة" مع الحكومة التركية والوالي .

كان عجمي قد أخبر سلفا بنوايا السيد طالب فأتخذ أجراءاته طبقا لذلك لمنع العدوان المرسوم وكبحه . هزم هو ورجاله جنود الحكومة وعرب السيد طالب بين الزبير والبصرة ، جلب أربعة عشر جريحا الى مدينة البصرة واسر عدد معين في هذه الحادثة من قبل عجمي .

وعند أستلام تلك الانباء حرك جنود ترك أضافيون وبحارة من قارب مدفعية تركي كان قد أقيم في البصرة ، وامر قارب المدفعية نفسه بقصف مخيم عجمي في الزبير وتلك المدينة الصغيرة نفسها المخلصة له ولحزبه .

وضع السيد طالب نفسه ليس على رأس اتباعه العرب فقط ، ولكن على رأس الجنود الترك أنفسهم أيضا ، ودخل هو والوالي الزبير في مجموعة تقدر بحوالي ثلاثة آلاف جندي ومسلحين عرب على التوالي ، واكره عجمي

على الفرار من الزبير . التمس سكان المدينة الصغيرة الرحمة . بعد استعادة النظام في الزبير واقامة الادارة العثمانية هناك ثانية ، عاد الوالي والسيد طالب الى البصرة ، ولكنهما تركا خمسمائة جندي في الزبير للدفاع عن المدينةضد هجوم جديد متوقع من جانب عجمي . أقيم خمسمائة مسلح من رجال عشائر السيد طالب حامية في بوابة مدخل البصرة الواقعة قبالة الزبير باعتبارهم دفاع آخر عن البصرة نفسها .

وهكذا أعيدت اقامة النظام والهدوء في البصرة والزبير ، ولكن بثمن هو وقوع حكومة البصرة التركية المحلية والوالي نفسه تحت سيطرة وأوامر السيد طالب كلية .

ان حالة الأمور هذه التي ثبت بالتأكيد ضررها الكبير وربما خطورتها في النهاية على مصالح الحكومة العثمانية في كل ولاية البصرة ، أعترف في القسطنطينية انها كذلك بصورة صائبة ، وكانت النتيجة التالية للمشاكل والأضطرابات الخطيرة في الزبير والبصرة هي طرد والي تلك الولاية . يبدو هذا الاجراء دالا بعض الشيء على موقف اكثر فعالية من قبل السلطات الحكومية التركية تجاه السيد طالب القوي جدا ، ولكن ماسيكون الآن اكثر صعوبة بالتأكيد هو كبح القوة المتغطرسة لنبيل البصرة العربي الجبار بعد كل ماوصف اعلاه من حوادث غريبة .

أرسل من هنا الى البصرة نائب الوالي والقائد ، العقيد صبحي بك ، انتظارا لوصول خليفة سليمان شفيق باشا .

لي الشرف أن اكون ياسيدي خادمكم المطيع ،

نائب القنصل الامريكي والقائم بعمله .

" الفهـــــرس "